المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالى
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الاسلامية
قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

دراسة لآراء ابن خلدون فى الدولة الأموية

(٤١ ـ ١٣٢هـ/٦٦١ ـ ٧٤٩م)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

فى التاريخ الاسلامى

اعداد الطالبة

فوزية صعب على الفوزان

اشراف

الدكتور/فواز على بن جنيدب الدهاس

مكة المكرمة

١٤١٥هـ/١٩٩٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَالُوا۟ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾

(سورة البقرة : آية ٣٢)

ملخص لرسالة الماجستير المقدمة من الطالبة / فوزية بنت صعب الفوزان .

والموسومة بـ " دراسة لآراء ابن خلدون في الدولة الأموية "

تحت إشراف الدكتور / فواز بن علي الدهاس .

تكمن أهمية هذا البحث في أن العلامة عبدالرحمن بن خلدون المتوفي سنة ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م . كان مدرسة متميزة في علم التاريخ ، وقد قدم هذا المؤرخ الفقيه للناس علمين جديدين هما علم الأجتماع - العمران - ، وتفسير التاريخ أو ما يعرف باسم - فلسفة التاريخ - وقدم في كلا العلمين نظريات جديدة بقيت حتى اليوم موضع دراسة كل علماء التاريخ والإجتماع في العالم كله . وقد كان إهتمامي في هذا البحث دراسة أراء ابن خلدون عن الدولة الأموية فكراً من خلال مقدمته وتاريخاً من خلال ما ورد في العبر . وقد جاءت خطة الموضوع في مقدمة وتمهيد وخمسة فصول ثم الخاتمه . وقد أوضحت في المقدمة سبب اختياري للموضوع وأهميته وما اعترضني فيه من صعوبات . وفي التمهيد تحدثت عن ابن خلدون وعصره . أما الفصل الأول فقد تحدثت فيه عن منهجية ابن خلدون في تدوين التاريخ وقسمته الى أربعة مباحث ، أما الفصل الثاني فقد جعلته للحديث عن : التقويم التاريخي لقيام دولة بني أمية وقسمته إلى مبحثين ، أما الفصل الثالث فهو عرض تاريخي للدولة الأموية عند ابن خلدون وقسمت هذا الفصل إلى أربعة مباحث ، وفي الفصل الرابع تحدثت عن التطور الحضاري لدولة بني أمية عند ابن خلدون وقسمته إلى مبحثين ، أما الفصل الخامس والأخير فقد خصصته للحديث عن أسباب سقوط الدولة الأموية ورأي ابن خلدون في أسباب سقوطها وجاء هذا الفصل في ثلاثة مباحث . وفي الخاتمة تحدثت عن أهم ما توصل إليه البحث من نتائج وكيف استطاع ابن خلدون أن يقدم دراسة تاريخية حضارية لدولة بني أمية جعلته من أفضل مفسري التاريخ خلال القرون الثمانية من التاريخ الاسلامي .

وقد اعتمدت في هذا البحث على كتب ابن خلدون - وهي الاساس في البحث - وعلى مجموعة أخرى من كتب التاريخ القديمه والحديثة كتاريخ خليفه بن خياط وتاريخ الطبري وتاريخ ابن الأثير وغيرها وكذلك تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي والدولة الأموية في المشرق بين عوامل البناء ومعاول الفناء وبنو أمية بين الضربات الخارجيه والإنهيار الداخلي وغيرها من الكتب .

وأخيراً فقد أستطعت بفضل الله أن أعثر على جزء من تاريخ ابن خلدون لم يطبع من قبل ألحقته بهذا البحث وهو بذلك يظهر لأول مرة للباحثين والمهتمين بالإطلاع على كتب التاريخ وهو إنجاز علمي وفقني الله إليه .

الطالبه	الدكتور المشرف	عميد كلية الشريعة والدراسات الاسلامية
فوزيه صعب على الفوزان	فوازبن علي بن جنيدب الدهاس	د.محمد بن صامل السلمي

١٤٢٥/١٢/٢٠ هـ

المقدمـة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد . فليس هناك شك فى أن العلامة عبد الرحمن بن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٥م كان مدرسة متميزة قدمت للبشرية صورة من صور الحضارة الاسلامية المتألقة .

فبينما كانت الحضارة الاسلامية تمر بعدد من الأزمات فى الأندلس والمغرب ، بل والمشرق ، خلال القرون السادس والسابع والثامن ظهر العلامة ابن خلدون مع بعض المؤرخين الأعلام الآخرين فكانوا ومضة متألقة تظهر المعدن الأصيل للحضارة الاسلامية .

وكان شيئا طبيعيا أن تكثر الدراسات حول هذا المؤرخ الفقيه الفيلسوف الاجتماعى الذى قدم جديدا فى أكثر مادرس ، وفاجأ الناس بابراز علمين جديدين هما علم الاجتماع - العمران - وتفسير التاريخ أو مايعرف باسم - فلسفة التاريخ - وقدم فى كلا العلمين نظريات جديدة بقيت حتى اليوم موضع دراسة كل علماء التاريخ والاجتماع فى العالم كله .

والحق أن المؤرخين المسلمين هم أولى الباحثين بالدراسة المتأنية والبصيرة بأفكار ابن خلدون النظرية وتطبيقاته التاريخية حتى يكتشفوا حقيقة هذا الفكر المتقدم ويضيفوا اليه ، وللأسف فقد اهتم المستشرقون به أكثر من غيرهم . ومن هنا كان اهتمامى بدراسة جانب مهم من جوانب الفكر التاريخى عند ابن خلدون ، وهو نظرته للدولة الأموية - فكرا من خلال ماورد فى المقدمة - وتأريخا من خلال ماورد فى العبر .

وثمة سبب أقوى وراء اختيارى لهذا الموضوع ، وهو الدولة الأموية فى المشرق نفسها ، فهى دولة عظيمة فتحت معظم العالم القديم تحت راية الاسلام ، ومع ذلك يكثر حولها الخلاف ، وتكثر فيها الآراء لأسباب كثيرة ليس هنا مكان حصرها .

وقد كان أمرا ملحا أن نعرف الرأى السديد فى هذه الدولة من عالم محايد له منهاج تاريخى تحليلى موضوعى مثل ابن خلدون ، فلعله يضع

الأمور فى نصابها ، ويعطى للدولة الأموية حقها ايجابا وسلبا ، ويجنبنا الكثير من الشكوك والتساؤلات التى تدور حول الدولة ، ولاسيما وأن بعض المؤرخين ينطلق فى عدائه للدولة الأموية من موقف فكرى ومذهبى ثابت ، وكأن بغضها عندهم عقيدة لايجوز أن تتزحزح ، وعلى الوقائع التاريخية بالتالى أن تطوع لخدمة هذه العقائد الثابتة ، فضلا عن أن انتقال السلطة من عصر زاهر مثالى يجمع المسلمون على الولاء له ، وهو العصر الراشدى ، الى الدولة الأموية التى حولت الطبيعة السياسية لنظام الحكم الى منهاج لم يألفه العرب ولاالمسلمون من قبل ، كما أنها كان لها اجتهاد خاص فى الأموال . هذا السبب وذاك وغيرهما من مظاهر الاختلاف عن العصر الراشدى جعل مهمة المؤرخ المحايد صعبة .

وجاء السقوط السريع لدولة بنى أمية وهى التى فتحت هذه الفتوحات الاسلامية العظيمة ليلقى بظلاله على التقويم الموضوعى لهذه الدولة ، ويجعل الآراء تتشعب من أقصى القبول الى أقصى الرفض .

ولهذه الأسباب كان اختيارى لهذا الموضوع ، كما أن هذه الأسباب - أيضا - تكشف أهم الصعوبات التى واجهتنى كباحثة ليس عملها مجرد جمع للوقائع ، أو التعامل مع مؤرخ واحد أو فترة تاريخية محددة ، بل عملها جمع الآراء المتضاربة ودراستها ومعرفة رأى ابن خلدون بين هذه الآراء ، وتقويم هذه الآراء المتضاربة ، والانتهاء الى الرأى الأقرب الى الاستنتاج الصحيح من خلال مسيرة الوقائع ، ومن خلال رصد الأفكار والاتجاهات التى كانت مطروحة حول شتى وقائع العصر الأموى .

والصعوبة الثانية تمثلها كثرة الحركات السياسية والمذهبية ، والتباين الشديد بينها ، الى غير ذلك مما حفل به العصر الأموى الذى قدر له أن يخرج بالمسلمين من عصر الجزيرة - أو دولة الراشدين المثالية الزاهدة - الى عصر الانفتاح على الدنيا والانسياح فى أرض الحضارتين الفارسية والرومانية وضرورة التفاعل بين المسلمين ولغتهم مع موروثات هاتين الحضارتين وذلك فى ظل جبهة داخلية تمر بتوتر شديد من جراء هذا الانتقال ، ونتيجة للعبء

الكبير الـذى يقـع على عـاتقهـا فى مجال مـواجهة القـوى الشـرسة داخليـا وخارجيا.

فـالحق أن العصر الأموى عصـر متميز فى صراعه الحضـارى والعقـدى والسياسى على حد سواء .

ومـع هـذه الصعـوبات الشـائكة التى بقيـت موضـع اهتمـام كثير مـن المؤرخين المسلمين منذ قرون طويلة ، كان لابد من اقتحام هذا المجال ولعل أن يكـون فى ذلك اضافة جديدة فى هـذا الطريق ، وأن يؤدى الى اكتشـاف معـالم المنهـاج الخلـدونى فى التعـامل مـع هذه المرحلة المتميزة مـن حضـارتنا الاسلامية .

*   *   *   *   *

وقد جاءت خطة الموضوع فى مقدمة وتمهيد وخمسة فصول ثم الخاتمة . وقـد أوضحـت فى المقـدمة سبـب اختيـارى لهـذا الموضـوع ، وأهميتـه ، وماعترضنى فيه من صعوبات .

وفى التمهيد تحدثت عن ابن خلدون وعن عصره .

أما الفصل الأول فيتحدث عن منهجية ابن خلدون فى تدوين التـاريخ وينقسم الى أربعة مباحث : كان الأول منها عن منهجه العلمى فى التاريخ ، وفى المبحـث الثانى تم ايضاح مميزاته ـ كمؤرخ ـ عـن غيره من المؤرخين ، أمـا المبحث الثالث فكان مـوضوعه مآخذ على منهج ابن خلـدون العلمـى ، وكـان الحديث فى المبحـث الـرابع عـن مـدى التزام ابن خلــدون بالقـواعد المنهجية التى ذكرها فى مقدمته .

أما الفصل الثانى فيتحدث عن : التقويم التاريخى لقيـام دولة بنى أمية وينقسم الى مبحثين :

الأول : آراء ابن خلدون فى قيام الدول وسقوطها .

الثانى : رأى ابن خلدون فى قيام الدولة الأموية . وقد تطرقت فى هذا المبحـث الى ايضاح رأى ابن خلدون فى قيام دولة بنى أميـة ، ثم الى موقف المؤرخين المسلمين مـن بنى أمية ، وكانت نهاية هذا المبحـث حديثا عن آراء ابن خلدون فى قيام دولة الأمويين وتقويم هذه الآراء .

أما الفصل الثالث فهو عرض تاريخى للدولة الأموية عند ابن خلدون وقسمت هذا الفصل الى أربعة مباحث . تحدثت فى المبحث الأول عن الفرع السفيانى ، وفى المبحث الثانى عن الفرع المروانى الذى انتقلت اليه الخلافة بعد زوال الفرع السفيانى ، وكان المبحث الثالث حول القوى المعارضة التى قامت ضد دولة بنى أمية وعن السياسة التى انتهجها الأمويون ازاء هذه المعارضة التى استمرت زمنا طويلا ، وجاء المبحث الرابع ليتحدث عن الفتوحات الاسلامية فى عهد بنى أمية وسياستهم الخارجية ، وقد تطرق هذا المبحث الى الحديث عن منهج كبار المؤرخين كالطبرى وابن الأثير وابن كثير فى عرض فتوحات بنى أمية ، ثم ختم هذا المبحث بالحديث عن خصائص المنهج الخلدونى فى عرض فتوحات الأمويين وسياستهم الخارجية .

أما الفصل الرابع فخصص للحديث عن التطور الحضارى لدولة بنى أمية عند ابن خلدون ، وفيه مبحثان ، الأول منهما عن انتشار الاسلام فى عهد الأمويين ، واتجاه الأمويين الى تعريب دولتهم وكذلك تعريب الأمصار الاسلامية ، والثانى عن الحياة الاقتصادية وسك العملة الاسلامية .

أما الفصل الخامس فقد خصص للحديث عن أسباب سقوط الدولة الأموية ورأى ابن خلدون فى أسباب سقوطها ، وجاء هذا الفصل فى ثلاثة مباحث : الأول ، يتحدث عن أسباب السقوط فى رأى قدامى المؤرخين ومحدثيهم ، والثانى ، عن مرحلة السقوط وطبيعة هذه المرحلة ، والثالث عن رأى ابن خلدون فى أسباب سقوط بنى أمية .

وفى الخاتمة تحدثت عن أهم ماتوصل اليه هذا البحث من نتائج ، وكيف استطاع ابن خلدون أن يقدم دراسة تاريخية حضارية لدولة بنى أمية جعلته من أفضل مفسرى التاريخ خلال القرون الثمانية من التاريخ الاسلامى .

وقد حاولت قدر استطاعتى أن أترجم لكل الأعلام والأماكن التى وردت فى هذه الرسالة لكننى لم أتمكن من الحصول على كل التراجم المطلوبة، بالاضافة إلى أننى لم أترجم للشخصيات المشهورة .

دراسة لأهم المصادر :

أولا : المصادر التاريخية .

ويأتى فى مقدمة هذه المصادر حسب الترتيب الزمنى :

(١) تاريخ بن خياط : لأبى عمرو خليفة بن أبى هبيرة الليثى(١).

وقد نشأ ابن خياط فى بيت علم وفضل فكان يدافع عن مذهب أهل السنة ضد المعتزلة الذين نشطوا فى عهده كثيراً .

ويتميز كتاب خليفة بن خياط بأنه اهتم بذكر أسماء الولاة فى عهود الخلفاء وكذلك أسماء كبار رجال الدولة الذين عملوا فى الشرطة وبيت المال ووظائف الدولة الهامة. ومما يلاحظ على هذا الكتاب أن المؤلف أجمل فى ذكر أسماء العمال ولم يفصل فى سنوات تولى كل واحدٍ منهم مما أحدث لبساً عند قارىء كتابه إلا أنه مع هذا يبقى متميزاً فى بابه وفيما قدم من معلومات .

وقد استفدت من هذا الكتاب عند حديثى عن قيام الدولة الأموية وسقوطها .

(٢) تاريخ الأمم والملوك : لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى(٢).

---

(١) هو خليفة بن خياط بن أبى هبيرة الليثى ، كان حافظاً مؤرخاً ، توفى فى رمضان سنة ٢٣٠هـ . وقال عنه صاحب كتاب الأعلام أنه توفى سنة ٢٤٠هـ وذكر الخلاف حول سنة وفاته . وأضاف أنه كان نسابة إخبارى .
أبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، حققه :احسان عباس ، (دار صادر ودار الثقافة ، بيروت) ، ج٢ ، ص٢٤٣ ؛ خير الدين الزركلى : الأعلام ، (الطبعة السادسة ، دار العلم للملايين ، بيروت : ١٩٨٤م) ، ج٢ ، ص٣١٢ .

(٢) هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبرى ، مؤرخ مفسر ، محدث فقيه ، له مصنفات كثيرة فى هذه الفنون تدل على سعة علمية . ولد سنة ٢٢٤هـ فى طبرستان ، وتوفى سنة ٣١٠هـ فى بغداد .
ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج٤ ، ص١٩١ .
وعنه إنظر : محمد بن اسحاق النديم : الفهرست ، (بيروت ، دار المعرفة للطباعة والنشر : ١٣٩٨هـ) ، ص٣٢٦-٣٢٨ ؛ أبى الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، (ط١ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٣٩٩هـ) ، ج٢ ، ص٢٦٠ .

ويعد كتابه (تاريخ الأمم والملوك) من أوسع وأشمل كتب التاريخ ، وقد نهج فيه على أساس الحوليات ، ومما يحمد له أنه كان محايدا فى عرضه للأحداث التاريخية ودقيقا فى نقل الوقائع والأخبار . وقد ذكر الطبرى فى كتابه أثناء حديثه عن منهجه فى تاريخه أنه يكتب مايسمعه من الأخبار مهما كانت ويسند ماكتبه لرواته وأن على القارىء أن يكون عليما بهذا المنهج كى يدقق فيما يقرأ . ومعروف أن معظم المؤرخين الذين جاءوا بعده استفادوا منه ، وجعلوا كتابه العمدة الذى يعتمدون عليه خاصة فيما يتعلق بأحداث القرون الثلاثة الأولى التى هى محور تاريخ ابن جرير الطبرى .

وقد تحدث المؤلف عن الأخبار السياسية والادارية والحروب والفتن التى وقعت فى الفترة التاريخية لكتابه ، ومعلوم أنه بدأ يؤرخ من بداية خلق الأرض مرورا بالحديث عن الأنبياء والرسل وأخبارهم ، ثم الحديث عن فترة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته وحتى عصره . وقد تحدث عن منهجه فى الجزء الأول من كتابه فذكر أنه يورد الروايات كما يسمعها أو كما تنقل اليه مع ذكر أسانيدها ويترك بعد ذلك للقارىء أن يحكم بنفسه على صحة الرواية من عدمه .

وقد استفدت من هذا الكتاب عندما تحدثت عن الدولة الأموية ، فقد كان الجزء المتعلق بالدولة الأموية محور المقارنة مع ماكتبه ابن خلدون عن الدولة الأموية وهو جزء هام فى البحث خاصة أن ابن خلدون كان متأثرا بالطبرى وقد ذكر صراحة أن فى تاريخه تلخيصا لبعض ماورد عنه ابن جرير الطبرى .

(٣) مروج الذهب ومعادن الجوهر . للمسعودى (١)

---

(١) هو أبو الحسين على بن الحسين بن على المسعودى ، مؤرخ رحالة بحاثة ، له كتب فى التاريخ وغيرها ، توفى سنة ٣٤٦هـ .
ابن النديم : الفهرست ، ص٢١٩ ، وعنه انظر : جمال الدين أبى المحاسن يوسف ابن تغرى بردى الأتابكى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، (نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب) ، ج٣ ، ص٣١٥-٣١٦ ، الزركلى : الأعلام ، ج٤ ، ص٢٧٧ .

يقع هذا الكتاب فى أربع مجلدات وقد قسمه المؤلف الى مائة واثنتين وثلاثين بابا بدها بذكر المبدأ والخليقة ثم ذكر آدم عليه السلام وبقية الأنبياء كما تحدث عن تاريخ بنى اسرائيل وتاريخ الهند والصين والفرس واليونان والرومان ومصر والسودان وغيرها من الأمم . ويواصل حديثه عن تلك الأمم حتى يصل الى الحديث عن الرسول عليه الصلاة والسلام ثم الخلفاء الراشدين ، فالدولة الأموية ثم العباسية حتى خلافة المطيع بالله . وقد تطرق المسعودى الى الحديث عن الجوانب الحضارية عند العرب فى الجاهلية ، وتاريخ المسعودى - كما أسلفنا - لم يقتصر على الأمم الاسلامية بل شمل أمم العالم كلها ولهذا يمكن أن نقول : انه تاريخ عالمى شامل تحدث فيه عن التاريخ والجغرافيا والسياسة والطب وأجناس البشر والتقاليد والقصص والجدل المذهبى وغير ذلك .

ومن الملاحظ أن المسعودى حذف الأسانيد فى رواياته التاريخية مخالفا طريقة الطبرى الذى كان يحرص على تسلسل السند فى رواياته .

وقد استفدت من هذا الكتاب فى الحديث عن قيام الدولة الأموية وسقوطها ، كما استفدت منه كذلك عند حديثى عن منهج ابن خلدون التاريخى اذ كان يورد أمثلة مما ذكره المسعودى من وقائع تاريخية لايمكن حدوثها ، كما استشهدت ببعض ماأورده من روايات مبالغ فيها حول بنى أمية لاسيما وهو معروف بنزعته الشيعية .

(٤) الكامل فى التاريخ . لعلى بن محمد بن عبد الواحد الشيبانى[1].

وهذا الكتاب يمثل خلاصة ماكتبه المؤرخون السابقون لابن الأثير خاصة ابن جرير الطبرى فقد أورد ابن الأثير معظم ماأورده ابن جرير مع

---

(١) أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيبانى المعروف بابن الأثير الجزرى . ولد فى الجزيرة من أرض العراق وسكن الموصل وطلب العلم فكان اماما فى الحديث والتاريخ والأنساب وله كتاب الكامل فى التاريخ . ولد سنة ٥٥٥هـ وتوفى فى شعبان سنة ٦٣٠هـ بالموصل .
ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج٣ ، ص٣٤٨-٣٥٠ .



الزيادات التى تتطلبها طبيعة منهج ابن الأثير بالإضافة الى الحديث عن تاريخ القرون الأربعة التى لم يذكرها الطبرى .

وقد كان منهج ابن الأثير يعتمد على التاريخ بالسنوات الحوليات وهو يذكر فى نهاية كل سنة أسماء من توفى فى هذه السنة بالاضافة إلى بعض الأخبار المتفرقة ، ويتميز أسلوب ابن الأثير بالبساطة والوضوح .

وقد استفدت من هذا الكتاب عند حديثى عن الدولة الأموية وتاريخها وأحداثها ، كما كان هذا الكتاب أحد المصادر الهامة التى اعتمدت عليها أثناء مقارنتى لما كتبه ابن خلدون عن الدولة الأموية إذ قارنت بين منهج ابن خلدون ومنهج ابن الأثير فيما كتباه عن الدولة الأموية .

(٥) البداية والنهاية . لابن كثير(١).

يعتبر هذا الكتاب من الموسوعات التاريخية الكبرى ، وقد ذكر ابن كثير فى بداية كتابه أنه ذكر مايسره الله له فى بدء المخلوقات ، من خلق العرش والكرسى والسموات والأرض ومافيهن ومابينهن من الملائكة والجان والشياطين وكيفية خلق آدم عليه السلام وقصص النبيين عليهم السلام وماجرى مجرى ذلك الى أيام النبى صلى الله عليه وسلم فيذكر سيرته كما يذكر بعد ذلك الفتن والملاحم وأشراط الساعة ثم البعث والنشور وأهوال يوم القيامة ، ويتحدث عن صفة الجنة والنار ويورد ماجاء عنهما من أحاديث .

وفى الكتاب يورد ابن كثير مجموعة من الاسرائيليات مشيرا الى أنه يورد منها ماأباحه الشرع .

---

(١) عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقى ، ولد سنة ٧٠١هـ فى قرية من أعمال مدينة بصرى ثم انتقل الى دمشق سنة ٧٠٦هـ وتفقه فيها ودرس على الامام ابن تيمية وله مؤلفات فى التاريخ والتفسير وغيرهما . وقد مات فى شهر شعبان سنة ٧٧٤هـ .

محمد بن على الشوكانى : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، (بيروت ، دار المعرفة) ، ج١ ، ص١٥٣ .

وقـد استفاد ابن كثير من سابقيه وعلى الأخص مـن ابن جرير الطبرى وسار على نهجه فى التاريخ بالسنوات وأشار الى أهم الأحداث السياسية التى وقعت فى كل سنة .

وقـد استفـدت من هذا الكتـاب عند حديثى عن الفتـوحات الاسلاميـة عنـدما قارنت بين منهج ابن كثير وابن خلـدون ، وكـذلك عند الحديث عن قيام الدولة الأموية وسقوطها .

(٦) الاحاطة فى أخبار غرناطة . لابن الخطيب[١].

ويعـد هـذا الكتـاب مـوسوعـة شـاملة لمدينـة غـرناطـة اذ تحدث عـن جغرافيتها بدقة ، كما تحدث عما يحيط بها من جبال ومـروج وأرخ لها منذ دخول المسلمين فيهـا ، وتحدث عـن كـل من دخلها مـن الشعـراء والكتـاب والعلماء ، كما ترجم لكل الأعلام المعاصرين له من سلاطين وأمراء ووزراء وكتـاب ، وقـد أمدنا المؤلـف بمعلومات وافيـة عـن الأحوال السيـاسية والاجتماعية لمدينة غرناطة فى عصره .

وقـد استفـدت مـن هـذا الكتـاب فى الترجمـة لابن خلـدون وعصره وكذلك الترجمة لبعض الشخصيات التى لها علاقة بالمغرب .

---

(١) محمـد بن عبد الله بن سعيد الـوزير الأديب لسان الدين بن الخطيـب الأندلسى ، أصلـه من لوشه احدى قرى غرناطة ، برع فى الأدب وغيره وخدم عـدة ملوك ، قتل فى سنة ٧٧٦هـ .
جمـال الـدين أبى المحاسن يوسـف بن تغـرى بردى : الدليـل الشـافى على المنهل الصـافى ، تحقيق : فهيم محمد شلتوت ، (القاهرة ، مكتبة الخانجى ، نشـر جامعة أم القـرى) ، ج٢ ، ص٦٤١-٦٤٢ ، لسـان الـدين بن الخطيـب : الاحاطـة فى أخبـار غرناطة ، حققه : محمد عبد الله عنان ، (ط٢ ، القاهرة ، الشـركة المصرية للطباعة والنشـر ، نشـر مكتبـة الخانجى بالقـاهرة : ١٣٩٣هـ) ، ج٤ ، ص٤٣٨ ومـابعدها ، أحمـد بن على بن محمد بن حجر العسقلانى : أنبـاء الغمر بأنبـاء العمر ، تحقيق : حسـن حبشى ، (القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الاسلاميـة : ١٣٨٩هـ) ، ج١ ، ص٩١-٩٣ ، أحمـد بن محمد المقـرى التلمسانى : نفح الطيـب مـن غصن الأندلس الـرطيب ، تحقيـق : احسـان عبـاس ، (بيروت ، دار صـادر : ١٣٨٨هـ) ، ج٥ ، ص٧-٩ ، اسماعيل بن يوسف بن محمد : نثير فرائد الجمان فى نظم فحول الزمان دراسـة وتحقيـق : محمـد رضـوان الـداية ، (بيروت ، دار الثقـافة : ١٩٦٧م) ، ص٢٤٢-٢٩٢ .

ثانيا : المصادر الجغرافية .

(١) معجم ماستعجم : لأبى عبيد بن عبد الله البكرى[(١)].

وقد ذكر البكرى وهو يتحدث عن كتابه أنه ذكر فيه أخبارا ومعلومات عن المنازل والديار والقرى والجبال والمياه والآثار والآبار . وقد اهتم البكرى بتصحيح الأسماء وضبطها ، كما اهتم باستعراض القبائل العربية وتتبع جغرافية الحجاز ونجد واليمن .

وقد استفدت من هذا الكتاب فى التعريف ببعض المدن والأماكن التى وردت فى ثنايا هذا البحث .

(٢) معجم البلدان : لياقوت الحموى[(٢)].

وهو معجم جغرافى لايستغنى عنه باحث فهو يقدم لقارئه تعريفا جيدا للبلدان والجبال والأماكن ، وقد كان لرحلات ياقوت وأسفاره المتعددة ومعرفته بالعالم أثر واضح على كتابه فقد سافر الى معظم أنحاء العالم الاسلامى عندما كان تاجرا يجوب أنحاء البلاد .

---

(١) عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكرى الأندلسى أبو عبيد ، مؤرخ جغرافى وعلامة فى الأدب وله معرفة بالنبات ، عاش فى قرطبة ثم انتقل الى المرية وكان مقربا من أميرها ثم رجع الى قرطبة وتوفى بها سنة ٤٨٧هـ .
الزركلى : الأعلام ، ج٤ ، ص٩٨ .

(٢) هو ياقوت بن عبد الله الحموى ، نشأ فى بغداد مولى لرجل اسمه عسكر بن ابراهيم الحموى ، وتعلم فيها القراءة والكتابة والأعمال التجارية ، تنقل فى كثير من البلاد للتجارة والعمل . يعتبر من أشهر الجغرافيين المسلمين وله دراية واسعة فى اللغة والأدب . من مؤلفاته المشهورة : معجم البلدان ومعجم الأدباء وكتاب "المشترك صنعا المختلف صقعا" ، وكتاب "المبدأ والمآل" وغيرها ، توفى فى مدينة حلب فى شهر رمضان المبارك سنة ٦٢٦هـ .
ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج٦ ، ص١٢٧ .

وقد قسم المؤلف كتابه هذا الى خمسة أبواب ، فالباب الأول عن صورة الأرض ، والثانى عن الإختلاف فى معنى الإقليم ، والثالث توضيح لبعض المصطلحات كالميل والفرسخ ، والرابع فى بيان حكم الأراضى المفتوحة وكيفية التعامل مع خراجها وفيئها ، والخامس فى أخبار البلدان التى لايختص ذكرها بموضع معين . ثم قسم الكتاب الى ثمانية وعشرين كتابا على عدد حروف المعجم ، وقد التزم بترتيب كل كلمة على أول حرف فيها ثم الحرف الثانى والثالث وهكذا حسب ترتيب الحروف الهجائية .

وقد استفدت من هذا الكتاب فى التعريف بكثير من المدن والأماكن التى وردت فى ثنايا البحث .

ومن المعاصرين رجعت الى عدد كبير من الكتب التاريخية ، مثل كتاب تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى لحسن ابراهيم حسن ، والدولة الأموية فى الشرق بين عوامل البناء ومعاول الفناء لمحمد الطيب النجار ، وبنو أمية بين الضربات الخارجية والانهيار الداخلى لعبد الحليم عويس ، والتاريخ السياسى للدولة العربية لعبد المنعم ماجد وغيرها من كتب التاريخ الحديثة .

كما رجعت كذلك الى كتب فلسفة التاريخ لارتباطها الوثيق بموضوع الدراسة ولاسيما ذات الرؤية الاسلامية مثل كتاب التفسير الاسلامى للتاريخ لعماد الدين خليل ، وكتاب فى التفسير الاسلامى للتاريخ لنعمان عبد الرزاق السامرائى ، وكتاب تفسير التاريخ علم اسلامى لعبد الحليم عويس وغيرها من كتب فلسفة التاريخ .

ومن الكتب التى تحدثت عن ابن خلدون رجعت الى كتاب فكر ابن خلدون لمحمد عابد الجابرى ، ودراسات عن مقدمة ابن خلدون لساطع الحصرى ، وفلسفة التاريخ عند ابن خلدون لزينب محمود الخضيرى ، والنظرية السياسية لابن خلدون لمحمد محمود ربيع ، والفكر العلمى عند ابن خلدون للصغير بن عمار ، وابن خلدون واضع علم ومقرر استقلال لايف لاكوست ، ومنطق ابن خلدون فى ضوء حضارته وشخصيته لعلى الوردى وغيرها من الكتب .

*　*　*　*　*

وقد استطعت بفضل الله أن أحصل على نسخة كاملة من مخطوطة تاريخ ابن خلدون ، وعند مقارنة هذه المخطوطة على جميع النسخ المطبوعة وجدت أن جزء من هذا التاريخ لم يظهر فى تلك المطبوعات ويعتبر بطبيعة الحال جزء مفقودا من تاريخ ابن خلدون يظهر لأول مرة للباحثين والمهتمين بالاطلاع على كتب التاريخ ، ولعل ذلك يعتبر انجاز علمى وفقنى الله لاظهاره .

يقع هذا الجزء - وهو متعلق بالدولة الأموية - فى المجلد الثالث من المخطوط ، وهذا المجلد كتب بخط نسخ واضح ، ويتكون من ٣٦٣ صفحة ، فى كل صفحة ٢٥ سطرا ، كتبه أبو الصلاح محمد القطرى الحنفى . وهذا المجلد من مخطوط داماد ابراهيم باشا الموجود فى المكتبة السليمانية فى استانبول برقم ٨٦٤ ، أوله : "كان لبنى عبد مناف فى قريش محل من العدد والشرف لايناهضهم فيه أحد من ساير بطون قريش" ، وآخره "والله حفظ سياج الاسلام والأمة وأمد القايمين بأمورهم بمواد التأييد والاعانة من الله وفضله . تم الجزء الثالث من تاريخ ابن خلدون المسمى بالعبر ويليه فى الجزء الرابع من أخبار الدولة العلوية المزاحمة لدولة بنى العباس" .

والجزء المفقود - والذى عثرت عليه - يقع فى ٣٤ ورقة ، كنت ألاحظ أن بعض نسخ تاريخ ابن خلدون تلخص المعلومات المفقودة من كتب أخرى مثل تاريخ الطبرى وابن الأثير ، وبعضها لايشير اليها ويذكر أن هناك بياضا بالأصل . وقد أرفقت هذا الجزء مع هذا البحث وجعلته ملحقا به اتماما للفائدة .

*　*　*　*　*

وقد نجحت ولله الحمد فى الحصول على المصادر والمراجع التى يستلزمها البحث ، وقد كان لأستاذى المشرف الدكتور فواز بن على الدهاس الفضل الأكبر فى توجيهى ليصل هذا البحث الى صورته الحالية ، فقد كان

لمتابعته الدقيقة وتوجيهاته القيمة أثر كبير فى انجاز هذا البحث ، فلم يبخل بوقته وجهده ومكتبته مما ذلل الكثير من العقبات التى كنت أواجهها ، جعل الله ذلك كله فى موازين حسناته ، وله منى الشكر والتقدير .

كما أشكر جامعة أم القرى ، وكلية الشريعة على التسهيلات التى قدمت لى منذ التحاقى بالكلية وحتى هذا التاريخ . كما أشكر كذلك والدى الكريمين اللذين وقفا الى جانبى وتحملا مشاق الغربة والسفر ليكونا الى جانبى أثناء مدة الدراسة والبحث . وأشكر كذلك كل من قدم لى مساعدة فى هذه الرسالة مهما كانت فللجميع منى الشكر والتقدير .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

التمهيد

ابن خلدون : حياته وعصره

ابن خلدون .. حياته وعصره

كانت حياة ابن خلدون مزيجا بين العلم والسياسة ، وانه لمن الذكاء النادر أن يجتمع فى حياة انسان علم وسياسة فى آن واحد .

وقد انغمس ابن خلدون فى غمار السياسة ردحا من الزمن خالط فيه الأمراء وتولى مناصب الدولة العليا ، وقام بسفارات عدة أدى فيها دورا متميزا . وفى هذه الأثناء كان ينصرف الى العلم والتأليف والتدريس مبتعدا بعض الوقت عن السياسة وهمومها .

وقد استطاع أن يثرى المكتبة العربية بعدد من المؤلفات القيمة كان أهمها وأشهرها مقدمته وتاريخه . بالاضافة الى عدد من الكتب الأخرى منها كتاب (لباب المحصل فى أصول الدين) وهو مختصر لكتاب فخر الدين محمد بن عمر الرازى المعروف بابن الخطيب (١)، (محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين) وقد طبع هذا الكتاب فى المغرب فى مطبعة دار الطباعة المغربية فى تطوان ، سنة ١٩٥٢م بتحقيق الأب لوسيانو روبيو ، وهناك مخطوطة لهذا الكتاب فى مكتبة الأسكوريال فى مدريد برقم : ١٦١٤ . وله كذلك كتاب موجز فى (وصف بلاد المغرب) الذى كتبه لتيمور لنك (٢) سنة (٨٠٣هـ/١٤٠٠م) ، وقد قيل أن تيمور لنك أمر

---

(١) هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمى البكرى ، امام مفسر ولد فى الرى سنة ٥٤٤هـ واليها نسبته ، توفى فى هراة سنة ٦٠٦هـ ، له مجموعة من المصنفات منها تفسير القرآن الكريم ومعالم أصول الدين وغيرها كثير .
الزركلى : الأعلام ، ج٦ ، ص٣١٣ .

(٢) تيمور لنك بن ايتمش قنلغ بن زنكى . ولد سنة ٧٢٨هـ بقرية خواجا وتقع فيما وراء النهر قرب سمرقند ، وكان من أسرة فقيرة لكنه كان شجاعا حازما ، تقرب من الملك محمود واستطاع أن يستولى على مملكته ثم الممالك المجاورة له ثم على فارس ودخل بغداد سنة ٧٩٤هـ ثم دخل دمشق سنة ٨٠٣هـ ، ثم أخذ بلاد الروم والهند ، وسار الى بلاد الصين فهلك فى الطريق وكان ذلك سنة ٨٠٧هـ . =

بترجمته إلى المغولية . ومن المرجح أن هذا الكتاب فقد مع مافقد من المخطوطات العربية (١).

وقد كتب ابن خلدون سيرة ذاتية عن نفسه شملت أهم مراحل حياته وهو بهذا العمل وفّر جهدا كبيرا على مترجمي سيرته ، حيث قدم لهم مايحتاجون اليه من معلومات عنه بصورة مفصلة تاركا لهم التعليق على هذه المعلومات واستخلاص بعض النتائج منها .

وسنتحدث هنا عن أهم مراحل حياة ابن خلدون معتمدين على ترجمته لنفسه فى كتابه "التعريف" ، وكذلك على بعض الكتب الأخرى .

ولد ابن خلدون وهو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون الحضرمى فى تونس فى غرة رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة ، هكذا أرخ مولده بنفسه (٢)، ووافقه فى ذلك بعض المؤرخين (٣). وهو من ولد

= ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج٧ ، ص٦٢ .
وعنه انظر : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ج١٢ ، ص٢٥٤-٢٧٠ ، ابن تغرى بردى : الدليل الشافى على المنهل الصافى ، ج١ ، ص٢٢٤ .

(١) عبد الرحمن بدوى : مؤلفات ابن خلدون ، (ط٢ ، نشر الدار العربية للكتاب ، ليبيا : ١٣٩٩هـ) ، ص٣٧،٢٨٦ . انظر فى الكتاب ماقيل عن بقية مؤلفات ابن خلدون .

(٢) عبد الرحمن بن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، حققه : محمد بن تاويت الطنجى ، (القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر : ١٣٧٠هـ) ، ص١،١٥ .

(٣) أحمد بن على بن حجر العسقلانى : رفع الاصر عن قضاة مصر ، تحقيق حامد عبد المجيد وآخرون ، (القاهرة ، المطبعة الأميرية ، نشر وزارة التربية والتعليم : ١٩٥٧م) ق١ ، ص٣٤٣ ؛ ابن تغرى بردى : الدليل الشافى على المنهل الصافى ، ج١ ، ص٤٠٤ ؛ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، (بيروت ، دار مكتبة الحياة) ، ج٢ ، ص١٤٥ ؛ الشوكانى : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، ج١ ، ص٣٣٧ .

وائل بن حجر ، اشبيلى الأصل(١).

وقد نعت ابن خلدون نفسه بالحضرمى حرصا منه على الحاق نسبه بحضرموت وقبائلها العربية(٢).

ولما أصبح يافعا حفظ القرآن الكريم بالقراءات السبع ، ثم درس علوم اللغة العربية والفقه والحديث والأدب وتتلمذ فى هذه العلوم على أشهر العلماء وأخذ منهم اجازات فيها(٣).

قال عنه السخاوى(٤): "وحفظ القرآن والشاطبتين(٥)، ومختصر ابن

---

(١) ابن الخطيب : الاحاطة فى أخبار غرناطة ، ج٣ ، ص٤٩٧ ؛ ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص١-٢ .

(٢) ساطع الحصرى : دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، (ط٣ ، نشر مكتبة الخانجى ، القاهرة ، دار الكتاب العربى ، بيروت : ١٣٨٧هـ) ، ص٤٢ .

(٣) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص١٥-٢٣ . وانظر كذلك عن شيوخه : ابن الخطيب : الاحاطة فى أخبار غرناطة ، ج٣ ، ص٤٩٨ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج٧ ، ص٧٦ .

(٤) هو الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبى بكر السخاوى ، ولد فى القاهرة سنة احدى وثلاثين وثمانمائة ، وكان عالما فى شتى فنون المعرفة ، لازم الحافظ ابن حجر العسقلانى وأخذ عنه وروى حديث الرسول الكريم وكان حجة فيه . له مصنفات فى التراجم والحديث والتاريخ ، توفى فى المدينة المنورة يوم الأحد الثامن والعشرين من شعبان سنة اثنتين وتسعمائة .
ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج٨ ، ص١٥-١٧ .
وعنه انظر : الشوكانى : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، ج٢ ، ص١٨٤-١٨٧ .

(٥) هما من أشهر قصائد أبى القاسم بن فيره بن خلف الرعينى الشاطبى فى القراءات والرسم ، وقد نسبتا اليه ، وهما "حرز الأمانى" و"عقيلة القصائد فى أسنى المقاصد" وقد انتفع بهما خلق كثير .
وأبو القاسم من مشاهير القراء ، فقيه ضرير ولد فى شاطبة سنة ٥٣٨هـ ، ورحل الى مصر ٥٧٢هـ وبقى فيها الى وفاته فى شهر جمادى الآخرة سنة ٥٩٠هـ .
التلمسانى : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج٢ ، ص٢٢ ومابعدها . =

الحاجب[(١)] الفرعى والتسهيل فى النحو وتفقه بأبى عبد اللـه محمد بن عبد الله الجيانى"[(٢)].

وفى العلوم العقلية تتلمذ ابن خلدون على شيخ هذه العلوم أبى عبد الله محمد بن ابراهيم الآبلى[(٣)] ـ وهو من أشهر شيوخه ـ وقد أثنى عليه ابن

= وعنه انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج٤ ، ص٧١-٧٣؛ الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى : بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، (ط١ ، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه : ١٣٨٤هـ) ، ج٢ ، ص٢٦٠ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج٤ ، ص٣٠١-٣٠٣ .

(١) هو أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبى بكر الفقيه المالكى المعروف بابن الحاجب . درس القرآن والفقه وعلوم العربية وكان متقنا لكل هذه العلوم ، ووضع فى علوم العربية مختصرا اشتهر بمختصر ابن الحاجب ، ولد فى اسنا فى صعيد مصر سنة سبعين وخمسمائة ثم انتقل الى دمشق فدرس فيها ثم عاد بعد ذلك الى الاسكندرية ومات فيها سنة ست وأربعين وخمسمائة .
ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج٣ ، ص٢٤٨-٢٥٠ .
وانظر كذلك : أبو محمد عبد الله بن أسعد بن على بن سليمان اليافعى اليمنى المكى : مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة مايعتبر من حوادث الزمان ، (ط٢ ، بيروت ، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات : ١٣٩٠هـ) ، ج٤ ، ص١١٤ ؛ ابن تغرى بردى : الدليل الشافى على المنهل الصافى ، ج١ ، ص٤٤٠؛ السيوطى : بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاه ، ج٢ ، ص١٣٤-١٣٥ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج٥ ، ص٢٣٤-٢٣٥ .

(٢) السخاوى : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ج٢ ، ص١٤٥ .
هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله الطائى الجيانى المشهور بـ"ابن مالك" إمام النحو فى عصره وله فيه مؤلفات مشهورة مثل "الألفية" و"الكافية الشافية" وغيرهما . توفى فى دمشق سنة اثنتين وسبعين وستمائة .
اليافعى : مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة مايعتبر من حوادث الزمان ، ج٤ ، ص١٧١-١٧٣ .

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن أحمد العبدرى الآبلى التلمسانى ، تتلمذ على فقهاء عصره ورحل الى الشام ومصر والحجاز والعراق ثم عاد بعد ذلك الى تلمسان ومنها خرج الى بلاد المغرب واستقر فيها .
التلمسانى : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج٥ ، ص٢٤٤ ومابعدها .

خلدون كثيرا وقال عنه : "ولما قدم على تونس فى جملة السلطان أبى الحسن(١)، لزمته ، وأخذت عنه الأصلين ، والمنطق ، وسائر الفنون الحكمية والتعليمية ، وكان رحمه الله ، يشهد لى بالتبريز فى ذلك"(٢).

وقد اشتهر عن ابن خلدون معرفته لعدد من العلوم واجادته فيها بصورة لفتت أنظار مترجمى حياته فى عصره وبعد عصره ، فقد نعته الغرناطى : بالفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلى . وقال عنه : "هو ممن لاينكر حقه فى ارتياض العلوم الشريفة ، واستئصال رتبها العالية المنيفة ، لما احتوت عليه ترجمة ذكره ، وخبيئة فكره ، من أساليب النظام الرائقة الحلاء ومجارى أقوال النثر البارعة فى الانشاء ... له باع واسع فى المنطق وعلم النجوم ، ومايتعلق بالعلوم النظرية والفهوم ، وطريقة رائقة الفروع والأصول ، كاد أن يصل بها الى درجة الاجتهاد غاية الوصول ومعرفة بالتواريخ الحديثة والقديمة"(٣).

---

(١) هو السلطان أبو الحسن على بن أبى سعيد المرينى سلطان مراكش وفاس ، توفى سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة . ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ج٦ ، ص١٧٢ .
وعنه انظر : تقى الدين أحمد بن على المقريزى : كتاب السلوك فى معرفة دول الملوك ، حققه : سعيد عبد الفتاح عاشور ، (القاهرة ، مطبعة دار الكتب : ١٩٧٠م) ٣/٢ ، ص٨٥٨ ؛ ابن تغرى بردى الاتابكى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ج١٠ ، ص٢٥١ ؛ ابن تغرى بردى : الدليل الشافى على المنهل الصافى ، ج٢ ، ص٨٢٦ ؛ أحمد بن أبى الضياف : اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ، تحقيق : لجنة من كتابة الدولة للشئون الثقافية والأخبار ، (تونس نشر كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار : ١٩٦٣م) ، ج١ ، ص١٧٦ ؛ أبو العباس أحمد بن خالد الناصرى : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق جعفر الناصرى ومحمد الناصرى ، (الدار البيضاء ، دار الكتاب : ١٩٥٤م) ، ج٣ ص٧ ومابعدها .

(٢) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص٢٢ .

(٣) أبو الوليد اسماعيل بن يوسف بن الأحمر الغرناطى الأندلسى : أعلام المغرب والأندلس فى القرن الثامن ، وهو كتاب نثير الجمان فى شعر من نظمنى واياه الزمان ، حققه : محمد رضوان الداية ، (ط١ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة : ١٣٩٦هـ) ، ص٢٩٧،٢٩٨ . =

وقال عنه ابن حجر [١]: "وأخذ القراءات عن محمد بن سعد بن براد [٢]، واعتنى بالأدب وأمور الكتابة والخط ، حتى مهر فى جميع ذلك"[٣].

أما ابن الخطيب فيصفه بأنه "الرجل الفاضل حسن الخلق ، جم الفضائل ، باهر الخصل ، رفيع القدر ، ظاهر الحياء ، أصيل المجد ، وقور المجلس ، خاصى الزى ، عالى الهمة ، عزوف عن الضيم ... متقدم فى فنون عقلية ونقلية ، متعدد المزايا ، سديد البحث ، كثير الحفظ ،صحيح التصور ، بارع الخط ، مغرى بالتجلة ، جواد الكف ، حسن العشرة ، مبذول المشاركة مقيم لرسوم التعين ، عاكف على رعى خلال الأصالة ، مفخرة من مفاخر التخوم المغربية"[٤].

كما أشار الحصرى الى نشاطه العلمى الذى كان يقترن أحيانا بطموحه السياسى فقال : "ولذلك نجد ابن خلدون ينكب فى بادىء الأمر على الدرس

= هو اسماعيل بن يوسف بن السلطان محمد بن الأحمر ، أمير غرناطى نزل فاس له عدة مصنفات فى التاريخ والتراجم ، توفى فى حدود سنة احدى وسبعين وسبعمائة اسماعيل باشا البغدادى : هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، (بيروت دار العلوم الحديثة) ، ج١ ، ص٢١٥ .

(١) هو أحمد بن على بن محمد بن محمد بن حجر العسقلانى ، ولد سنة ٧٧٣هـ وتوفى سنة ٨٥٢هـ . حافظ له مصنفات عديدة فى الحديث والتفسير والتراجم طبع كثير منها .
اسماعيل البغدادى : هدية العارفين ، ج١ ، ص١٢٨-١٣٠ ؛ ابن حجر العسقلانى : رفع الاصر عن قضاة مصر ، ق١ ، ص٨٥-٨٨ ؛ الشوكانى : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، ج١ ، ص٨٧-٩٢ .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن سعد بن بُرّال الأنصارى ـ وقد ورد اسمه محرفا فى كثير من الكتب اذ يجعلونه "براد" ـ قال عنه ابن خلدون أن أصله من جالية الأندلس وكان اماما فى القراءات ، وقد قرأ عليه ابن خلدون القراءات السبع .
ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص١٥-١٦ .

(٣) ابن حجر العسقلانى : رفع الاصر عن قضاة مصر ، ق٢ ، ص٣٤٣ .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة فى أخبار غرناطة ، ج٣ ، ص٤٩٧-٤٩٨ .

والتحصيل بكل نهم ، ولكنه بعد ذلك ، حالما يدخل الحياة العامة ، ينجرف بتيار حب المنصب والجاه ، ويخوض غمار الحياة السياسية بكل اندفاع ، ويعيش قرابة ربع قرن عيشة حافلة بشتى حوادث الطموح والمغامرة ، ولكنه خلال هذه الحياة السياسيةالمغامرة أيضا لايتخلى عن حب الدرس والعلم ، بل ينتهز كل الفرص للاستزادة من العلم ، بكل الوسائل الممكنة"(١).

بدأ ابن خلدون حياته السياسية ، بالاتصال بالسلطان أبى عنان(٢)فى تلمسان(٣)اذ وفد عليه فى أواخر سنة ٧٥٤هـ/١٣٥٣م وهو لايزال شابا ، وفى أوائل سنة ٧٥٥هـ/١٣٥٤م طلبه السلطان ليكون فى جملة جلسائه ، ويصف ابن خلدون قدومه على السلطان أبى عنان فى هذه السنة فيقول : "فقدمت عليه سنة خمس وخمسين ، ونظمنى فى أهل مجلسه العلمى وألزمنى شهود الصلوات معه ، ثم استعملنى فى كتابته ، والتوقيع بين يديه ، على كره منى ، اذ كنت لم أعهد مثله لسلفى ، وعكفت على النظر ، والقراءة ، ولقاء المشيخةمن أهل المغرب ، ومن أهل الأندلس الوافدين فى غرض السفارة ، وحصلت من الافادة منهم على البغية"(٤).

---

(١) ساطع الحصرى : دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص٥٠ .

(٢) هو أبو بكر بن أبى عنان بن أبى الحسن المرينى ، أحد سلاطين بنى مرين (دولة بنى مرين ٦٦٨-٩٥٦هـ/١٢٦٩-١٥٤٩م) ، توفى فى مدينة فاس بالمغرب سنة ٧٥٩هـ . الناصرى : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج٤ ، ص٣-٥٠،٧ ومابعدها . وعنه انظر : المقريزى : السلوك فى معرفة دول الملوك ، ٣/١ ، ص٤٥ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ج١٠ ، ص٣٢٩ .

(٣) تلمسان : بكسرتين ، وسكون الميم ، وسين مهملة ، وبعضهم يقول تنمسان ، بالنون عوض اللام : بالمغرب وهما مدينتان متجاورتان مسورتان ، بينهما رمية حجر ، احداهما قديمة والأخرى حديثة ، والحديثة اختطها الملثمون ملوك المغرب واسمها تافرزت ، واسم القديمة أقادير . شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى : معجم البلدان ، (بيروت ، دار صادر ودار بيروت : ١٤٠٤هـ) ، ج٢ ، ص٤٤ .
وعنها انظر : زكريا بن محمد بن محمود القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ، (بيروت ، دار بيروت للطباعة والنشر : ١٤٠٤هـ) ، ص١٧٢ .

(٤) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص٥٨-٥٩ .

ولكن هذه العلاقة الحسنة مع السلطان أبى عنان أفسدها الوشاة الذين حسدوا ابن خلدون على مكانته الطيبة عند السلطان فأوهموه أن ابن خلدون مطلع على مساعى صاحب[١]بجاية[٢]الذى كان يستعد لاستعادة بلده من السلطان وأنه أخفى هذه المعلومات عنه فقبض عليه وحبسه ، ومازال ابن خلدون فى حبسه حتى مات السلطان سنة ٧٥٩هـ/١٣٥٧م ، فأطلقه القائم بالدولة بعد موت أبى عنان[٣].

ويبدو أن ابن خلدون رأى أن مصلحته السياسية تقتضى تركه لفاس[٤]، واتجاهه لمكان آخر يحقق فيه طموحه وتطلعاته للمناصب والجاه ، فانتقل من فاس متوجها الى السلطان أبى سالم[٥]، وقد استعان هذا السلطان بابن خلدون ليكون سفيره الى أشياخ بنى مرين حيث تربطه بهم علاقة قوية وكان الهدف من هذه السفارة استمالة هؤلاء المشائخ ليكونوا فى صف

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن الأمير أبى زكريا بن أبى بكر بن يحي الحفصى ، ولاه أبو عنان اقليم بجاية ليقف - دونها - فى وجه ملوك تونس ، يومئذ .
ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، هامش ص٦٦ .

(٢) بجاية : مدينة على ساحل البحر بين افريقية والمغرب أول من اختطها الناصر بن علناس بن حماد بن زيرى بن مناد بن بلكين فى حدود سنة ٤٥٧هـ . ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج١ ، ص٣٣٩ .

(٣) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص٦٦-٦٨ ؛ الغرناطى أعلام المغرب والأندلس ، ص٢٩٧-٢٩٨ .

(٤) فاس : مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر وهى مدينتان مفترقتان مسورتان : عدوة الأندلسيين أسست فى سنة ١٩٢هـ ، وعدوة القرويين أسست فى سنة ١٩٣هـ . ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٢٣٠-٢٣١ .
وعنها انظر : القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص١٠٢-١٠٣ .

(٥) هو ابراهيم بن أبى الحسن المرينى ، كان جوادا كريما وقد أصبح سلطانا على فاس سنة ستين وسبعمائة ثم استولى على المغرب ، وقد قرب اليه ابن خلدون وجعله كاتب سره . الناصرى : الاستقصا ، ج٤ ، ص٧ ومابعدها .
وعنه انظر : ابن الخطيب : الاحاطة فى أخبار غرناطة ، ج١ ، ص٣٠٣-٣١٠ ؛ المقريزى : السلوك فى معرفة دول الملوك ، ١/٣ ، ص٧٢،٧٧ ؛ ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ج١١ ، ص١٢ .

السلطان أبى سالم ، وقد نجح ابن خلدون فى مهمته تلك ، ووصف رحلته لهم بقوله : "وتقدمت الى شيوخ بنى مرين وأمراء الدولة بالتحريض على ذلك ، حتى أجابوا ، وبعث ابن مرزوق(١)الى الحسن بن عمر(٢)يدعو الى طاعة السلطان أبى سالم ، وقد ضجر من الحصار ، فبادر الى الاجابة"(٣).

وقد استفاد ابن خلدون على المستوى الشخصى من تلك السفارة التى نجح فيها ، وقد وصف دخول السلطان أبى سالم الى فاس وهو معه بقوله : "ولقيه الحسن بن عمر بظاهرها ، فأعطاه طاعته ، ودخل الى دار ملكه وأنا فى ركابه ، لخمس عشرة ليلة من نزوعى اليه ، منتصف شعبان ستين وسبعمائة ، فرعى لى السابقة ، واستعملنى فى كتابة سره ، والترسيل عنه ، والانشاء لمخاطباته"(٤).

لكن الأمر لم يدم للسلطان أبى سالم حيث ثار عليه وزيره عمر بن

---

(١) هو محمد بن أحمد بن محمد بن أبى بكر بن مرزوق التلمسانى أثنى عليه لسان الدين ابن الخطيب وعده شيخه وأستاذه ، جالس السلاطين والأشراف ، وله باع طويل فى العلوم لاسيما التفسير وعلوم العربية ، وقد صاحب السلطان أبى عنان فى المغرب وكان من المقربين اليه ، ولد بتلسمان عام أحد عشر وسبعمائة ومات سنة احدى وثمانين وسبعمائة . التلمسانى : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ج٥ ، ص٣٩٠ ومابعدها .
وعنه انظر : السيوطى : بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ، ج١ ، ص٤٦-٤٧ ؛ الناصرى : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج٤ ، ص٢٦،٣٧ ومابعدها .

(٢) هو الوزير الحسن بن عمر الفودوى من وزراء السلطان أبى عنان ، كان على خلاف مع ولى العهد أبى زيان حيث أقصاه عن العرش وأقام عليه طفلا من أبناء أبى عنان وانفرد بشؤون الملك حتى تمكن السلطان أبو سالم من الحصول على عرش فاس فبايعه الحسن بن عمر وولاه السلطان أبو سالم ولاية مراكش سنة ٧٦٠هـ ، ولكنه ثار على السلطان وانتهى الأمر بمقتله سنة ٧٦١هـ . الناصرى : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج٤ ، ص٣،٨،٣٢ .

(٣) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص٦٨-٦٩ .

(٤) ابن خلدون : المصدر السابق ، ص٧٠ .

عبدالله[١]، وأخذ البيعة لنفسه فاستمر معه ابن خلدون على ماكان عليه من العز والاكرام ، الا أن طموحات ابن خلدون المتزايدة أغضبت الوزير فساءت الحالة بينهما فطلب ابن خلدون العودة الى بلده فأذن له على أن لايذهب الى تلمسان فاختار الأندلس ، وكان ذلك فى بداية سنة ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م[٢].

وصل ابن خلدون الى غرناطة[٣]فى أوائل ربيع الأول سنة ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢[٤]، وكان سلطانها ابن الأحمر[٥]ووزيرها ابن الخطيب ، ولما علم ابن الخطيب بقدومه قابله بالترحاب والاكرام ، وكذلك السلطان أكرمه كثيرا[٦].

ويذكر لنا ابن الخطيب جوانب هذا الاكرام حيث يقول عن دخول ابن خلدون غرناطة : "واهتز له السلطان ، وأركب خاصته لتلقيه ، وأكرم وفادته ، وخلع عليه ، وأجلسه بمجلسه الخاص ، ولم يدخر عنه برا ومؤاكلة ومطايبة وفكاهة"[٧].

---

(١) هو عمر بن عبد الله بن على بن سعيد الفودورى ، أحد كبار رجال الدولة المغربية وتلمسان فى عهد السلطان أبى سالم ، وقد ثار على السلطان المذكور سنة ٧٦٢هـ ، واستطاع قتله وأصبح هو المتصرف فى شئون الدولة لعدة سنوات حتى قتل سنة ٧٦٨هـ . الناصرى : الاستقصا لدول المغرب الأقصى ، ج٤ ، ص٣٧ ومابعدها .

(٢) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص٧٧-٧٩ .

(٣) غرناطة : هى من أقدم مدن الأندلس وأعظمها وأحسنها ومعنى غرناطة رمانة بلسان عجم الأندلس سمى البلد لحسنه بذلك . ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٤ ، ص١٩٥ .
وعنها انظر : القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص٥٤٧ .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة فى أخبار غرناطة ، ج٣ ، ص٤٩٩ ؛ ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص٨٤ ؛ السخاوى : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ج٢ ، ص١٤٥ .

(٥) محمد بن محمد بن يوسف بن نصر ، يكنى أبو عبد الله ثالث ملوك بنى الأحمر ، ولد عام ٦٥٥هـ ، وهو الذى بنى مسجد الحمراء بغرناطة ، توفى عام ٧١٣هـ . عنه انظر :ابن الخطيب : الاحاطة فى أخبار غرناطة ، ج١ ، ص٥٤٤-٥٥٦ .

(٦) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص٨٢،٨٤ .

(٧) ابن الخطيب : الاحاطة فى أخبار غرناطة ، ج٣ ، ص٤٩٩ .

بينما يصف ابن خلدون دخوله على السلطان بقوله : "وقد اهتز السلطان لقدومى ، وهيأ لى المنزل من قصوره ، بفرشه وماعونه ، وأركب خاصته للقائى ، تحفيا وبرا ، ومجازاة بالحسنى ، ثم دخلت عليه فقابلنى بما يناسب ذلك ، وخلع على وانصرفت . وخرج الوزير ابن الخطيب فشيعنى الى مكان نزلى ، ثم نظمنى فى علية أهل مجلسه ، واختصنى بالنجى فى خلوته ، والمواكبة فى ركوبه ، والمؤاكلة والمطايبة والفكاهة فى خلوات أنسه ، وأقمت على ذلك عنده"(١).

لكن هذه السعادة ـ التى نشعر بها فى وصف ابن خلدون لحالته ـ لم تدم طويلا ـ وسبحان مقلب القلوب ـ فلقد تغير عليه الوزير ابن الخطيب اذ خشى أن ينافسه عند السلطان فتؤثر هذه المنافسة على مكانته ، ولما لاحظ ابن خلدون هذا التغير آثر الانتقال الى مكان آخر فاستأذن فى السفر الى بجاية ، فأذن له السلطان ابن الأحمر وكان هذا سنة ٧٦٦هـ/١٣٦٤م(٢).

وفى بجاية استقبل ابن خلدون استقبالا حافلا أثلج صدره ، وأتاحت له مكانته الجديدة عند سلطان بجاية(٣) أن يتولى تدبير أمور السلطان(٤)، وأن يقوم كذلك بممارسة التدريس والخطابة فى الجامع(٥).

وتمضى الحياة بعد ذلك بابن خلدون متنقلا بين بلدان المغرب يمارس حياته السياسية المضطربة ومتنقلا بين أمرائها ، فهو تارة عند السلطان

---

(١) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص٨٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص٩١-٩٣ .

(٣) انظر ترجمته ص١٨ .

(٤) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص٨٤ . وانظر كذلك ابن حجر العسقلانى : رفع الاصر عن قضاة مصر ، ق٢ ، ص٣٤٣ ، السخاوى : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ج٢ ، ص١٤٥ .

(٥) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص١٣٥-١٣٩ ، ١٥٣-١٥٥ .

عبدالعزيز[١] صاحب المغرب يؤلف له القلوب ويدعو الناس لمناصرته[٢]، وتارةأخرى عند صاحب بسكرة[٣]، أحمد بن يوسف مزنى[٤]، وينتقل بعد ذلك الى فاس عند سلطانها أبى العباس[٥]. فلما تنكر له هذا السلطان عاد الى تلمسان ولحق به أهله وكان ذلك فى عيد الفطر سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٤م[٦].

بعد هذه المعاناة الطويلة ، والاضطراب الذى عاناه ابن خلدون ، نتيجة تنقله بين بلدان المغرب والخوض فى غمار الحياة السياسية ، ذهب

---

(١) هو عبد العزيز بن على بن عثمان أبو فارس المرينى ، سلطان المغرب . تولى السلطةسنة ثمان وستين وسبعمائة بعد وفاة أبيه واستمر سلطانا على المغرب حتى توفى سنة ٧٧٤هـ . ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج٦ ، ص٢٣٢ .

وعنه انظر : المقريزى : السلوك فى معرفة دول الملوك ، ٣/١ ، ص٢١١ ، العسقلانى : انباء الغمر بأبناء العمر ، ج١ ، ص٤٤-٤٥ ، ابن تغرى بردى : الدليل الشافى على المنهل الصافى ، ج٢ ، ص٨٣٢ ، الناصرى : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج٤ ، ص٧٦-٨١ .

(٢) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص١٣٥-١٣٩ ، ١٥٣-١٥٥ .

(٣) بسكرة : بلدة بالمغرب من نواحى الزاب فيها نخل وشجر وهى مدينة مسورة ذات أسواق وحمامات ، وأهلها علماء على مذهب أهل المدينة . ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج١ ، ص٤٢٢ .

(٤) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص٢١٦ .

(٥) هو أحمد بن أبى سالم ابراهيم بن أبى الحسن سلطان بنى مرين صاحب فاس وبلاد المغرب ملك من سنة ٧٧٥-٧٩٦هـ . تولى الملك مرتين ، توفى فى محرم وأقيم بعده ابنه أبو فارس . المقريزى : السلوك فى معرفة دول الملوك ، ٣/١ ، ص٣٠٢،٥٦٨،٨٢٣ .

وعنه انظر : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ج١٢ ، ص١٤٣ .

(٦) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص٢١٨ ، ٢٢٤-٢٢٧ .

الى أحياء أولاد عريف(١)، وأقام عندهم فى قلعة ابن سلامة(٢)، ولحق به أهله هناك . وفى هذه القلعة النائية البعيدة عن الناس هدأت نفس ابن خلدون فكتب فيها أعظم مؤلفاته وأهمها . يقول ابن خلدون : "فأقمت بها أربعة أعوام ، متخليا عن الشواغل كلها ، وشرعت فى تأليف هذا الكتاب ، وأنا مقيم بها ، وأكملت المقدمة منه على ذلك النحو الغريب ، الذى اهتديت اليه فى تلك الخلوة ، فسالت فيها شآبيب الكلام والمعانى على الفكر حتى امتخضت زبدتها ، وتألفت نتائجها"(٣).

وقد وصف الدكتور على عبد الواحد وافى شخصيةابن خلدون عندما كان فى قلعة ابن سلامة حيث تفرغ فيها لكتابة تاريخه ومقدمته فقال عنه : "وكان ابن خلدون حينئذ فى نحو الخامسة والأربعين من عمره ، وقد نضجت معارفه ، واتسعت دائرة اطلاعه ، وارتقى تفكيره ، وأفاد أيما فائدة من تجاربه ومشاهداته فى شئون الاجتماع الانسانى على العموم ، وخاصة لأنه قضى نحو ربع قرن فى غمار السياسة ، متقلبا فى خدمة القصور والدول المغربية والأندلسية ، يدرس أمورها ويستقصى سيرها ،ويتغلغل بين القبائل يتأمل طبائعها وأحوالها وتقاليدها"(٤).

---

(١) عرب من سويد ، ينتهى نسبهم الى زغبة ورثوا الرياسة على قومهم منذ القديم واتصل عريف ببنى مرين ملوك المغرب .
عبد الرحمن بن خلدون : تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر ، (ط٢ ، بيروت ، دار الفكر : ١٤٠٨هـ) ، ج٦ ، ص٥٨ ومابعدها .

(٢) تسمى قلعة تاوغزوت تقع فى مقاطعة وهران من بلاد الجزائر وتنسب الى سلامة ابن على بن نصر بن سلطان رئيس بنى يدللتن من بطون توجين ، سكن تاوغزوت واختط بها القلعة فنسبت اليه .
ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، هامش ص٢٢٨ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٧ ، ص٢١٦ ومابعدها .

(٣) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص٢٢٨-٢٢٩ .

(٤) على عبد الواحد وافى : عبقريات ابن خلدون ، (ط١ ، جدة ، عكاظ للنشر والتوزيع : ١٤٠٤هـ) ، ص٧٣ .

لقد استفاد ابن خلدون كثيرا من انقطاعه للتأليف فى قلعة ابن سلامة مدة أربع سنوات ، وقد استطاع أن يكمل المقدمة ويصل فى تاريخه الى أخبار العرب والبربر وزناته ، لكنه أدرك أنه لن يستطيع اكمال تاريخه وهو بعيد عن متناول المراجع والدواوين ، وهذه لاتوجد الا فى الأمصار ، وفوق هذا كله فقد تاقت نفسه للعودة الى تونس مقر آبائه وأجداده فبادر بالكتابة الى سلطانها أبى العباس يطلب منه الموافقة على عودته الى تونس ، ويقدم له الطاعة ، فوافق السلطان على ذلك ، وبدأ رحلة العودة فى رجب سنة ثمانين وسبعمائة ووصل الى تونس فى شهر شعبان من السنة نفسها ، وقد أكرمه السلطان واحتفى بقدومه كثيرا(١).

وكالعادة فقد بدأ الوشاة عملهم ، ويبدو أن طموحات ابن خلدون الواضحة ، وامكاناته العلمية الكبيرة هى التى كانت تغرى الوشاة به حرصا على مكانتهم لدى السلطان ، لكن هؤلاء لم يفلحوا هذه المرة ، ويبدو أن السلطان كان مدركا لما يجرى ، يقول ابن خلدون : "فاتفقوا على شأنهم فى التأليب على ، والسعاية بى ، والسلطان خلال ذلك معرض عنهم فى ذلك ، وقد كلفنى بالاكباب على تأليف هذا الكتاب لتشوقه الى المعارف والأخبار ، واقتناء الفضائل ، فأكملت منه أخبار البربر ، وزناته ، وكتبت من أخبار الدولتين وماقبل الاسلام ماوصل الى منها ، وأكملت منه نسخة رفعتها الى خزانته(٢).

وعندما أكمل ابن خلدون مهمته التى قضى فيها وقتا طويلا وهى اكمال تاريخه وتقديمه للسلطان ، هيأ نفسه للخروج من تونس قبل أن يتغير عليه السلطان لأنه لاحظ اشتداد حملات الوشاية به ، فاستأذن للسفر الى الحج ، فأذن له السلطان ، وكان ذلك فى منتصف شهر شعبان سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م ، وخرج لوداعه جمع كبير من أعيان الدولة وطلبة العلم(٣).

---

(١) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص٢٣٠-٢٣٢ .

(٢) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص٢٣٣ .

(٣) المصدر السابق : ص٢٤٤-٢٤٥ .

وصل ابن خلدون الى الاسكندرية[1] يوم الفطر من السنة نفسها، وغادرها الى القاهرة[2] فوصلها فى أول شهر ذى القعدة ، وكان سلطان مصر يومها الملك الظاهر برقوق[3]، وقد أعجب ابن خلدون بمصر كثيرا ، ويبدو أنه أخذ بجمالها وكثرة سكانها ، وعظمة مبانيها ، ويظهر هذا الاعجاب جليا فى وصفه لها اذ يقول عنها : "فرأيت حضرة الدنيا ، وبستان العالم ، ومحشر

---

(١) الاسكندرية العظمى بمصر فتحت سنة عشرين من الهجرة فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، على يد عمرو بن العاص بعد قتال وممانعة . ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج١ ، ص١٨٢-١٨٩ .
وعنها انظر : أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكنانى الأندلسى الشاطبى البلنسى : رحلة ابن جبير ، (بيروت ، دار بيروت للطباعة والنشر : ١٤٠٤هـ) ، ص١٣-١٧ ؛ القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص١٤٣-١٤٧ ؛ أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتى الطنجى : تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، تحقيق : محمد عبد المنعم العريان ، (ط١ ، بيروت ، دار احياء العلوم : ١٤٠٧هـ) ، ص٣٨-٧٢ .

(٢) القاهرة مدينة عظيمة أول من أحدثها جوهر غلام المعز الملقب بالقائم بن عبيد الله سنة ٣٥٨هـ . ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٣٠١ .
وعنها انظر : أبى معين الدين ناصر خسرو القبادياني المروزى : سفرنامه رحلة ناصر خسرو القبادياني ، ترجمة : أحمد خالد البدلى ،(ط١ ، الرياض ، مطابع جامعة الملك سعود ، نشر عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك سعود : ١٤٠٣هـ) ، ص٨٦-١١٦ ؛ ابن جبير : رحلة ابن جبير ، ص١٨-٣١ ؛ القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص٢٤٠ .

(٣) هو برقوق بن أنس بن عبد الله الجركسى العثمانى كان مملوكا عند أمراء مصر ، وعمل فى خدمة عدد منهم ثم آل الأمر اليه بعد مؤامرات قام بها وذلك فى شوال سنة أربع وثمانين وسبعمائة ولقب بالملك الظاهر برقوق وبايعه الناس . وكانت له محاسن كثيرة ويعد من أعظم ملوك الجراكسة وقد توفى فى شوال سنة احدى وثمانمائة فى القاهرة .ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج٧ ص٦ .
وعنه انظر : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ج١١ ، ص٢٢١-٣١٨ ، ج١٢ ، ص١-١١٩ ؛ ابن تغرى بردى : الدليل الشافى على المنهل الصافى ، ج١ ، ص١٨٧-١٨٨ ؛ الشوكانى : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، ج١ ، ص١٦٢-١٦٤ .

الأمـم ، ومدرج الذر من البشر ، وايوان الاسلام ، وكـرسى الملك ، تلوح القصـور والأواوين فى جوه ، وتزهر الخوانك ، والمدارس بآفـاقه ، وتضىء البدور والكواكب من علمائه"(١).

ولما استقـر به المقام بدأ عملـه العلمى بالتدريس فى الجامـع الأزهر ثم عمل مدرسا فى المدرسة القمحية(٢)، بعد هلاك أحد مدرسيها(٣).

وقد أشار المقريزى(٤)الى هذه الواقعة وهو يتحدث عن أحداث سنـة ٧٨٦هـ بقوله : "وفى خامس عشرينه ، درس شيخنا أبو زيد عبـد الرحمن بن خلـدون بالمدرسة القمحية بمصر ، عوضا عن علم الـدين سليمان البساطى(٥)

---

(١) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص٢٤٦ .

(٢) المدرسـة القمحية بناها السلطان صلاح الدين بجوار الجامـع العتيق بمصر وخصصها للفقهـاء المالكية ، وهذه المدرسة من أهم مدارس الفقهاء المالكيـة ، ولها وقف فى الفيوم عبارة عن مزارع للقمح يفرق على مدرسيها ولهذا عـرفت بالمدرسة القمحية تقى الدين أحمد بن على المقريزى : خطط المقريزى ، (طبعة بولاق ، مصر ، نشر دار التحرير : ١٩٧٠م) ، ج٣ ، ص٣١٦ .

(٣) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص٢٤٨،٢٥٣ .

(٤) أحمد بن على بن عبد القادر المقريزى ، فقيه مؤرخ ، ولـد سنة ٧٦٩هـ وتوفى سنة ٨٤٥هـ ، له مؤلفات كثيرة فى التاريخ والتراجم .
البغـدادى : هـدية العـارفين أسمـاء المؤلفين وآثار المصنفين ، ج١ ، ص١٢٧ .
وعنـه انظـر : الشـوكانى : البـدر الطـالع بمحاسن من بعـد القـرن السـابع ، ج١ ، ص٧٩-٨١ .

(٥) علم الـدين أبو الربيع سليمان بن خالـد بن نعيم بن مقدم الطائى البساطى المالكى قاضى قضاة المالكية بالديار المصرية ، كان فقيها فاضلا ولى قضـاء مصر فى الدولة الأشـرفية وباشر عمله بعفة وتقشف حتى عزل سنة ٧٨٣هـ ، ولـزم داره حتى مات سنة ٧٨٦هـ .
ابن تغـرى بردى : النجـوم الـزاهرة فى أخبـار مصر والقـاهرة ، ج١١ ، ص٣٠٠ .
وعنـه انظـر : ابن حجـر العسقلانى : رفـع الاصـر عـن قضـاة مصـر ، ق٢ ، ص٢٤٨-٢٤٩ ؛ المقريزى : السلوك فى معرفة دول الملوك ، ٢/٣ ، ص٥٢٦ ؛ ابن تغرى بردى : الدليل الشافى على المنهل الصافى ، ج١ ، ص٣١٧ .

بعد موته ، وحضر معه بها الأمير الطنبغا الجوبانى [١]، والأمير يونس الدوادار [٢]، وقضاة القضاة والأعيان [٣].

وبالاضافة الى مهنة التدريس تولى ابن خلدون قضاء المالكية فى القاهرة سنة ٧٨٦هـ/١٣٨٤م وهذا المنصب لايعطى الا لأكابر الفقهاء ، ويبدو أن علم ابن خلدون ومكانته أهلته لهذا المنصب الكبير ، ومع أن ابن خلدون ـ كما يذكر ـ لم يكن راغبا بهذا المنصب لأنه يدرك أن التهاون فى الأحكام الشرعية لايجوز للعلماء وبالتالى فان الحاكم سيغضبه هذا الموقف الصلب ، الا أن السلطان ألح عليه حتى قبل وبعث معه كبار خاصته حتى أجلسوه على مقعد الحكم فى المدرسة الصالحية [٤]،وبدأ يمارس عمله بحزم وعدل لايفرق بين الخصوم ولايقبل الشفاعات من أحد [٥].

---

(١) الطنبغا بن عبد الله الجوبانى ، نائب دمشق ، توفى قتيلا فى نيابته لدمشق الأخيرة ، فى وقعة منطاش سنة ٧٩٢هـ ، وحزن عليه الظاهر برقوق .
ابن تغرى بردى : الدليل الشافى على المنهل الصافى ، ج١ ، ص١٥٠-١٥١ .
وعنه انظر : المقريزى : السلوك فى معرفة دول الملوك ، ٣/٢ ، ص٧٢٩ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ج١١ ، ص٢٣٨ ومابعدها

(٢) الأمير شرف الدين يونس بن عبد الله النوروزى الدوادار ، أصله من مماليك الأمير جرجى الادريسى نائب حلب ، فلما ملك الظاهر برقوق جعله داودارا كبيرا قتل بيد عنقاء بن شطى فى حربه اللصوص بعد رجوعه من قتال الناصرى ومنطاش منهزما سنة ٧٩١هـ ، وكان خيرا وصاحب نسك ومحبا لأهل العلم والدين
المقريزى : السلوك فى معرفة دول الملوك ، ٣/٢ ، ص٦٨٨-٦٨٩ .
وعنه انظر : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ج١١ ، ص٢٢٧ ومابعدها ؛ ابن تغرى بردى : الدليل الشافى على المنهل الصافى ، ج٢ ، ص٨١٠ .

(٣) المقريزى : السلوك فى معرفة دول الملوك ، ج٣ ، ص٥١٣ .

(٤) تقع فى القاهرة بين القصرين ، بناها الملك الصالح أيوب سنة ٦٤٠هـ ، ورتب فيها دروسا فى الفقه .
المقريزى : خطط المقريزى ، ج٣ ، ص٣٣٣ .

(٥) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص٢٥٤-٢٥٥ .

لكن صلابة ابن خلدون فى أحكامه أوجدت له خصوما متعددين حتى من القضاة أنفسهم ، حيث كان هؤلاء يريدونه مثلهم فى مجاملة أكابر القوم يقول : "ولم يكن ذلك شأن من رافقته من القضاة ، فنكروه على ، ودعونى الى تبعهم فيما يصطلحون عليه من مرضات الأكابر ، ومراعاة الأعيان ، والقضاء للجاه بالصور الظاهرة ، أو دفع الخصوم اذا تعذرت ، بناء على أن الحاكم لايتعين عليه الحكم مع وجود غيره ، وهم يعلمون أن قد تمالئوا عليه "(١).

وقد أكد هذا المعنى ابن تغرى بردى(٢)فى المنهل الصافى حيث وصف ولاية ابن خلدون للقضاء بقوله : "فباشره بحرمة وافرة ، وعظمة زائدة وحمدت سيرته ، ودفع رسائل أكابر الدولة ، وشفاعات الأعيان"(٣).

ويذكر ابن خلدون أن الوشاة نشطوا فى الكيد له عند السلطان حتى أغروه به ، ووافق هذا مصابه بأهله الذين غرقت بهم السفينة وهم فى طريقهم اليه ، وجاء اعفاء السلطان له من منصبه ، فوافق ذلك ماكان يتطلع اليه ، وتفرغ مرة أخرى للعلم تدريسا وتأليفا(٤).

وفى منتصف رمضان سنة تسع وثمانين وسبعمائة خرج ابن خلدون من القاهرة متوجها الى مرسى الطور(٥)، ومنها ركب السفينة من

---

(١) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص٢٥٨ .

(٢) جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى ، أديب مؤرخ ولد سنة ٨١٣هـ وتوفى سنة ٨٧٤هـ ، له عدة تصانيف فى التاريخ والتراجم .
البغدادى : هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، ج٢ ، ص٥٦٠ .
وعنه انظر : الشوكانى : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، ج٢ ، ص٣٥١-٣٥٢ .

(٣) يوسف بن تغرى بردى الأتابكى جمال الدين أبو المحاسن : المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ، حققه : محمد محمد أمين ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب : ١٩٨٤م) ، ج٥ ، ص٤٧ .

(٤) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص٢٥٩-٢٦٠ .

(٥) الطور اسم للجبل فى لغة العرب وهناك جبل بعينه يسمى طور يطل على طبرية الأردن وهناك أيضا جبل بهذا الاسم فى مصر القبلية وهو المقصود هنا . =

السويس[١] عـاشر الفطر متوجها الى ينبـع[٢]، ومنهـا الى مكة حيث وصلهـا ثانى الحجة ، وقضى الفريضة وعاد مرة أخرى الى القاهرة فوصلها فى جمادى سنة ٧٩٠هـ/١٣٨٨م[٣].

وفى سنـة ٨٠١هـ/١٣٩٨م تولى ابن خلـدون قضاء المالكيـة مرة أخرى ، ثم قـام بزيارة بيت المقدس وبعـض مدن فلسطين سنة ٨٠٢هـ/١٣٩٩م ، وعنـد عودته عزل عن القضاء فعاد للاشتغال بالعلم والتدريس[٤].

وفى منتصـف شهر ربيع الأول سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م سـار ابن خلدون مع الجيـش المصرى قاصدا الشام لملاقاة جيش التتر ، ولكـن السلطان[٥] عاد الى مصـر فجـأة عندما بلغه أن هنـاك من يتآمر عليه فيهـا ، وعنـدما وجد أهل الشـام أنفسهـم وحدهـم فى مواجهـة جيـش التتر ، استقر رأيهـم على طلـب

= فالطور مدينة على الساحل الغربى لشبه جزيرة سيناء .
ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٤٧ .
وعنـه انظـر : أبى عبيـد عبـد اللـه بن عبـد العـزيز البكـرى الأندلسـى : معجم مااستعجم من أسماء البلاد والمواضـع ، حققه : مصطفى السقـا ، (بيروت ، عـالم الكتـب) ، ج٣ ، ص٨٩٧-٨٩٨ ، ابن خلـدون : التعريف بابن خلـدون ورحلته غربا وشرقا ، هامش ص٢٦١ .

(١) بلـد فى مصر على ساحل البحر الأحمر ، وهو ميناء أهل مصـر الى مكة والمدينة . ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٢٨٦ .

(٢) ينبع : تحتل موقعا هاما على الساحل الغربى للمملكة العربيـة السعودية اذ تميل الى الشمال غرب المدينة المنورة التى تبعد عنها بمسافة مائتين واثنين وأربعين كيلو مترا وتبعـد عن مدينة أملج شمالا بمسافة مائة وخمسين كيلو مترا ، وتبعـد عنها مدينة جدة جنوبا بثلاثمائة وخمسين كيلو مترا وترتبط ينبع اداريا بمنطقة المدينة المنورة . عنهـا انظر : عبد الكريم محمود الخطيب : ينبع ، (ط١ ، الـرياض ، الرئاسة العامة لرعاية الشباب : ١٤١٣هـ) ، ص١٣ .

(٣) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص٢٦١-٢٦٢ .

(٤) المصدر السابق ، ص٣٤٧ ،، ٣٤٩-٣٥٠

(٥) هـو الملـك النـاصر زين الدين أبو السعـادات فـرج بن الملـك الظـاهر مـن ملوك الجراكسة بمصر والشام ، بويع بالقاهرة سنة ٨٠١هـ وكان صغير السـن ، خلع وقتل سنة ٨١٥هـ .
الزركلى : الأعلام ، ج٥ ، ص١٤٠ .

الأمـان ، وكان ابن خلدون ممـن يؤيد هذا الرأى ، وقـد ذهـب بنفسه الى الزعيم التترى وأظهر له الطاعة[(١)]، ويبدو أن تيمور لنك زعيم التتر أعجب بابن خلـدون فطلـب منه أن يكتـب لـه كتابا مفصلا عـن المغـرب وأحوالـه فاستجاب له ، قال له السلطـان : "وأحب أن تكتب لى بلاد المغـرب كلهـا ، أقاصيها وأدانيها وجباله وأنهاره وقراه وأمصاره ، حتى كـأنى أشاهده . فقلت يحصل ذلك بسعادتك ، وكتبت له بعد انصرافى من المجلس لما طلب من ذلك وأوعبت الغرض فيه فى مختصر وجيز"[(٢)].

عـاد ابن خلـدون الى القاهـرة وتولى قضاء المالكيـة فيهـا سنة ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م[(٣)]، واستمر يصارع من أجل هذا المنصب الذى كان يبعد عنه أحيانا حتى وافاه الأجل يوم الأربعاء لأربع بقين من شهر رمضـان سنة ثمان وثمانمائة بعد الهجرة عن ست وسبعين سنة ودون شهر[(٤)].

لقـد عـاش ابن خلـدون فى عصـر ملىء بالثـورات والقلاقـل والفتن ، وقضى ربع قرن من حياته فى بلاد المغرب الأوسط وهـى البؤرة الأساسية فى التقلبات السيـاسية[(٥)]. وكـان مسـرح النزاع فى المغـرب يدور بين مملكـة الحفصيين (٦٢٥-٩٨٢هـ/١٢٢٧-١٥٧٤م)[(٦)]فى تونس والأقـاليم التى تتبعهـا ،

---

(١) ابن خلـدون : التعـريف بابن خلـدون ورحلتـه غـربا وشـرقا ، ص٣٦٦-٣٦٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٣٧٠ .
وانظر فى ملاقاته لتيمور لنك : ابن حجر العسقلانى : رفع الاصر عن قضاة مصر ، ق٢ ، ص٣٤٦ ، ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار مـن ذهب ، ج٧ ، ص٧٧

(٣) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص٣٨٣ .

(٤) السخـاوى : الضوء اللامع لأهـل القرن التاسع ، ج٢ ، ص١٤٦ ، محـمـود السعيد الكـردى : ابن خلـدون : مقـال فى المنهـج التجـريبى ، (ط١ ، طـرابلس ، المنشـأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان : ١٣٩٣هـ) ، ص٤٦ .

(٥) ساطع الحصرى : دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص٥٦ .

(٦) يعتبر أبو زكـريا يحي الحفصـى المؤسـس الحقيقـى لدولة الحفصيين بتـونس ، فقـد استقـل بامارة افريقية فى سنة ٦٧٥هـ ، وحكمت دولة بنى حفـص زهاء ثلاثة قرون ونصف على الرغم من الأحداث الخطيرة التى اجتازتها .
عنها انظر : ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٦ ، ص٣٧٠ ومابعدها .

وبين مملكــة بنى عبــد الــواد (٦٣٣-٩٥٧هـ/١٢٣٥-١٥٥٠م)(١) فى الـوسط وعــاصمتها تلمســان ، وكـذلــك بين مملكة المرينيين (٦٦٨-٩٥٦هـ/١٢٦٩-١٥٤٩م)(٢) وعاصمتها فاس فى المغرب الأقصى(٣).

فى هـذا العصـر المضطرب ، وفى هـذا المجتمـع المفكـك كـان على ابن خلـدون أن يشق طريقه ليصل بآماله العريضة الى تحقيـق مبتغاه ، وفى سبيل طموحه السياسى كان كلما لاح له طريق سلكه ، وكلمــا أزعجه أمير راسل غيره غير عــابىء بسيده الســابق(٤). وهكـذا تبرز نزعـة البحث عـن المناصب والجاه عنــد ابن خلـدون مـن كثرة تنقلاته فى الـوطـن الاسلامـى الـواحد بالإضافة إلى ماذكر من تحريض الوشاة ضده .

وقـد أثنى على ابن خلدون وتحدث عـن مكانته العلميــة عدد كبير من الكتــاب فى عصره وفى غير عصره مما أشرنا اليه فى بداية حديثنـا عنه ، قال عنـه الـدكتور الحاجرى : "وابن خلـدون ـ كمـا يعلم النــاس جميعـا ـ مـن الشخصيات الخالدة فى تاريخ الفكر الانسانى والأدب العـربى ، لاتبلى جدته ، ولاينضب معين الحديث عنه"(٥).

---

(١) قـامت هـذه الدولة بعد أن عين خليفـة الموحدين يغمـراسـن بن زيان عـاملا على تلمسان وبلاد زناتة سنة ٦٢٤هـ واستقل هذا الحاكم بالبلاد عقـب سقوط الموحدين وقد استمرت دولتهم مايقرب من ثلثمائة سنة تقريبا .
عنها انظر : ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٧ ، ص٩٧ ومابعدها .

(٢) قـامت دولـة مرين منذ أن تمكـن السلطـان أبو يوسف يعقـوب بن عبـد الحق من دخول مدينة مراكش عاصمة الموحدين فى سنة ٦٦٨هـ ، واستمـرت الى أن سقطت على أيدى الأشراف السعديين بسقوط مدينة فاس سنة ٩٥٦هـ .
عنهـا انظـر : النـاصرى : الاستقصـا لأخبـار دول المغـرب الأقصـى ، ج٣ ، ص٣ ومابعدها .

(٣) ايف لاكوست : ابن خلدون واضع علم ومقرر استقلال ، ترجمـة : زهير فتح الله (ط١ ، بيروت ، مكتبة المعارف : ١٩٥٨م) ، ص٢٢-٢٣ ؛ محمـد السعيد الكردى : ابن خلدون:مقال فى المنهج التجريبى ، ص٣٢ .

(٤) كمـال اليـازجى : معالم الفكـر العـربى فى العصر الوسيـط ، (ط٦ ، بيروت ، دار العلم للملايين : ١٩٧٩م) ، ص٣٢٣ .

(٥) محمـد طـه الحاجرى : ابن خلدون بين حيـاة العلم ودنيا السيـاسة ، (بيروت ، دار النهضة العربية) ، ص١٠ .

ووصفه الأستاذ ت.ج. دى بور بأنه "الرجل العجيب" الذى وضع أساس فلسفة التاريخ(١).

وكما أثنى عليه عدد من معاصريه وغيرهم فقد حمل عليه آخرون وتحدثوا عن مثالبه من هؤلاء ابن حجر العسقلانى فى كتابه رفع الاصر عن قضاة مصر ، فقد جعله مستكبرا عند توليه القضاء ونقل عن آخرين مايؤيد رأيه فيه ، كما نقل كذلك أنه "عُرِّىَ عن العلوم الشرعية ، له معرفة بالعلوم العقلية من غير تقدم فيها"(٢). كما ذكر عنه أنه كان يتبسط بالسكنى على البحر ويكثر من سماع المطربات ومعاشرة الأحداث(٣)، وأكد هذه الاتهامات السخاوى تلميذ ابن حجر ويبدو أنه نقلها عنه بنصها(٤).

ان ابن حجر من ثقات المحدثين لكنه هنا كان ينقل عن غيره ، ومعلوم أن من يتولى منصب القضاء يكثر خصومه لاسيما وقد ثبت أن ابن خلدون كان لايحابى فى عمله ولايجامل كبيرا ، فاذا نظرنا الى التهم التى وجهت اليه حصرناها فى أنه كان متغطرسا اذا ولى القضاء ، فاذا عزل عنه عاد متواضعا ، وهذه الصفة قد لاتكون صفة ذم لأن كثيرا من القضاة يحبون العزلة وعدم الاختلاط بالناس حتى لايؤثر اتصالهم بهم على أحكامهم ، وقد يفسر من لايعرف هذه النية بأن هذا الاعتزال انما هو من الكبرياء والغطرسة وهو شىء غير ذلك ، وقد يكون ابن خلدون من هذا الصنف لاسيما وقد أثر عنه الحزم فى عمله ، وقد أكد هذا ابن حجر نفسه نقلا عن جمال الدين البشبيشى(٥) الذى وصف ابن خلدون انه "لم يشتهر عنه فى منصبه الا

---

(١) ت.ج.دى بور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام ، ترجمة : محمد عبد الهادى أبو ريده (الجزائر ، الدار التونسية للنشر ، المؤسسة الوطنية للكتاب) ، ص٤٠٩ .

(٢) ابن حجر العسقلانى : رفع الاصر عن قضاة مصر ، ق٢ ، ص٣٤٤ .

(٣) المصدر السابق ، ج١ ، ص٣٤٦ .

(٤) السخاوى : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ج٢ ، ص١٤٦ .

(٥) عبد الله بن أحمد بن عبد العزيز ، جمال الدين البشبيشى الشافعى ، توفى سنة عشرين وثمانمائة بالاسكندرية ، وكان له نظم وفضل .
ابن تغرى بردى : الدليل الشافى على المنهل الصافى ، ج١ ، ص٣٨١ .

الصيانة"[١]. لقد أشار ابن خلدون الى سخط الناس عليه لكونه كان حازما فى قضائه ، لايحابى أحدا، ولايقبل شفاعة من أحد ، قال متحدثا عن نفسه : "لاتأخذنى فى الحق لومة ، ولايزعنى عنه جاه ولاسطوة ، مسويا فى ذلك بين الخصمين ، آخذا بحق الضعيف من الحكمين[٢]، معرضا عن الشفاعات والوسائل من الجانبين ، جانحا الى التثبت فى سماع البينات ، والنظر فى عدالة المنتصبين لتحمل الشهادات"[٣].

وكما كان هناك تساهل فى الأحكام عند القضاة الآخرين فى عهده فقد وقع التساهل أيضا فى ملكية الأوقاف ، لكن ابن خلدون وقف من هذه المسألة موقفا حاسما ليبطل الباطل فيقول : "فعاملت الله فى حسم ذلك بما آسفهم على وأحقدهم"[٤].

ولما رأى هؤلاء المنتفعون شدة ابن خلدون وحزمه لم يطيقوا صبرا وعقدوا العزم على ايذائه والنيل منه ، يقول ابن خلدون : "وانطلقوا يراطنون السفهاء فى النيل من عرضى ، وسوء الأحدوثة عنى بمختلف الافك وقول الزور ، يبثونه فى الناس ، ويدسون الى السلطان التظلم منى فلايصغى اليهم ، وأنا فى ذلك محتسب عند الله مامنيت به من هذا الأمر ، ومعرض فيه عن الجاهلين ، وماض على سبيل سواء من الصرامة ، وقوة الشكيمة ، وتحرى المعدلة ، وخلاص الحقوق ، والتنكب عن خطة الباطل متى دعيت اليها ، وصلابة العود عن الجاه والأغراض متى غمزنى لامسها ، ولم يكن ذلك شأن من رافقته من القضاة ، فنكروه على ، ودعونى الى تبعهم فيما يصطلحون عليه من مرضات الأكابر ، ومراعاة الأعيان ، والقضاء للجاه بالصور الظاهرة ، أو دفع الخصوم اذا تعذرت ، بناء على أن الحاكم لايتعين عليه الحكم مع وجود غيره ، وهم يعلمون أن قد تمالئوا عليه"[٥].

---

(١) ابن حجر العسقلانى : رفع الاصر عن قضاة مصر ، ق٢ ، ص٣٤٦ .

(٢) ذكر فى هامش كتاب التعريف لابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ص٢٥٥ مايلى : "كذا بالأصول ، والمراد المحتكمين" .

(٣) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص٢٥٥ .

(٤) المصدر السابق ، ص٢٥٦ .

(٥) المصدر نفسه ، ص٢٥٧-٢٥٨ .

وقد أضاف الدكتور على وافى سببا جديدا فى حقد بعض العلماء المصريين على ابن خلدون ، وهو توليه منصب قاضى القضاة فى مصر ، وهو منصب هام كان ينبغى أن يتولاه أحد المصريين وليس مغربيا قادما من بلد بعيد ، يقول : "وكان منصب قاضى القضاة فى مصر من أهم مناصب الدولة ومطمح أنظار الفقهاء والعلماء المصريين ، فكان من الطبيعى أن يثير حقدهم عليه وحسدهم اياه حظوته لدى السلطان وفوزه دونهم - وهو الأجنبى [الغريب] عن بلادهم - بهذا المنصب الجليل . لهذه الأسباب كلها مجتمعة اشتد السعى فى حقه ، والاغراء به ، واتهامه بجهل الاجراءات القضائية"(١).

أما أنه كان يكثر من سماع المطربات ومعاشرة الأحداث فهذه دعوى لم يقم عليها دليل قاطع يؤكدها ، لاسيما أن ابن حجر ذكر أن خصومه "ادعوا عليه بأمور كثيرة أكثرها لاحقيقة له"(٢). وعلى كل حال فالأصل فى المسلم البراءة حتى تثبت ادانته .

أما تبسطه بالسكن على البحر فلانعلم لماذا أورده ابن حجر فى معرض الذم ، غير أن على الوردى ذكر فى حاشية كتابه "منطق ابن خلدون" أنه سأل بعض المصريين عن هذه المسألة فذكروا له "بأن القاهرة كانت فى ذلك العهد بعيدة عن شاطىء النيل ، وكان الشاطىء لايسكنه الا المستهترون وأهل الخلاعة الذين يبتغون الابتعاد عن الأحياء المزدحمة بالسكان لئلا يراقبهم أحد"(٣).

ومن المستبعد أن يكون قاضى المالكية فى مصر ميالا الى الخلاعة ومعاشرة الأحداث ، ولو أن هذه المسائل اشتهرت عنه لما ولى القضاء أكثر من مرة ، ومع هذا كله ، فلاننفى أن يكون الرجل متساهلا فى بعض

---

(١) على عبد الواحد وافى : عبد الرحمن ابن خلدون حياته وآثاره ومظاهر عبقريته ، (نشر مكتبة مصر) ، ص٩٨ .

(٢) ابن حجر العسقلانى : رفع الاصر عن قضاة مصر ، ق٢ ، ص٣٤٦ .

(٣) على الوردى : منطق ابن خلدون فى ضوء حضارته وشخصيته ، (الشركة التونسية للتوزيع : ١٩٧٧م) ، هامش ص٢٣٠ .

المسائل الفرعية التى هى موضع خلاف بين الفقهاء ، والتى قد يستكثر الترخيص فيها على مثله .

لقدكان ابن خلدون من قلائل الرجال الذين أبدعوا فى مجالى العلم والسياسة ، وخلفوا وراءهم تراثا علميا ضخما لايزال مثار جدل من العلماء والباحثين ومازال الكثيرون ينهلون من معين تراثه ويخرجون منه كل يوم بجديد .

الفصل الأول

منهجية ابن خلدون في تدوين التاريخ

* منهج ابن خلدون التاريخي فى مقدمته .
* مميزات ابن خلدون عن المؤرخين الآخرين .
* مآخذ على بعض آراء ابن خلدون فى مقدمته ومدى تطبيقه لهذه الآراء .

المبحث الأول

منهج ابن خلدون التاريخي في مقدمته

منهج ابن خلدون التاريخي في مقدمته

يتحدث ابن خلدون عن أهمية علم التاريخ فيقول : "فان فن التاريخ من الفنون التى تتداولها الأمم والأجيال ، وتشد اليه الركائب والرحال ، وتسمو الى معرفته السوقة والأغفال ، وتتنافس فيه الملوك والأقيال ، ويتساوى فى فهمه العلماء والجهال . اذ هو فى ظاهره لايزيد على اخبار عن الأيام والدول ، والسوابق من القرون الأول. تنمو فيها الأقوال ، وتضرب فيها الأمثال ، وتطرف بها الأندية اذا غصها الاحتفال ، وتؤدى الينا شأن الخليقة كيف تقلبت بها الأحوال ، واتسع للدول فيها النطاق والمجال ، وعمروا الأرض حتى نادى بهم الارتحال ، وحان منهم الزوال . وفى باطنه نظر وتحقيق ، وتعليل للكائنات ومباديها دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق ، فهو لذلك أصيل فى الحكمة عريق ، وجدير بأن يعد فى علومها وخليق"(١).

وبعد أن يتحدث ابن خلدون عن أهمية التاريخ يقرر أن هناك نخبة من المؤرخين أجادوا فن الكتابة التاريخية ولكنهم قلة ، ومع هذا ففى كتبهم مطاعن يجب التنبه لها ، وهذه اشارة جيدة تدل على وعى ابن خلدون بقضية التحقق من الأخبار مهما كانت درجة كاتبها ، يقول : "وقد دون الناس فى الأخبار وأكثروا، وجمعوا تواريخ الأمم والدول فى العالم وسطروا والذين ذهبوا بفضل الشهرة والأمانة المعتبرة واستفرغوا دواوين من قبلهم فى صحفهم المتأخرة هم قليلون لايكادون يجاوزون عدد الأنامل ،

(١) عبد الرحمن بن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، تحقيق : على عبد الواحد وافى ، (ط٣ ، القاهرة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر) ، ج١ ، ص٢٨٢ .

ولاحركات العوامل ، مثل ابن اسحق[١]، والطبرى ، وابن الكلبى[٢]، ومحمد بن عمر الواقدى[٣]، وسيف بن عمر الأسدى[٤]، والمسعودى ، وغيرهم من المشاهير المتميزين عن الجماهير ، وان كان فى كتب المسعودى والواقدى من المطعن والمغمز ماهو معروف عند الأثبات ، ومشهور بين الحفظة الثقات الا أن الكافة اختصتهم بقبول أخبارهم ، واقتفاء سننهم فى التصنيف واتباع آثارهم . والناقد البصير قسطاس نفسه فى تزييفهم فيما ينقلون أو اعتبارهم ، فللعمران طبائع فى أحواله ترجع اليها الأخبار ، وتحمل عليها الروايات والآثار"[٥].

---

(١) محمد بن اسحاق بن يسار ، عالم فى الحديث والمغازى والسير ، كان جده يسار مولى قيس بن مخرمة بن عبد المطلب وقد توفى فى بغداد سنة احدى وخمسين ومائة .
ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج٤ ، ص٢٧٦ .
وعنه انظر : محمد بن سعد بن منيع البصرى الزهرى : الطبقات الكبرى ، (بيروت دار صادر) ، ج٧ ، ص٣٢١-٣٢٢ ؛ ابن النديم : الفهرست ، ص١٣٦ ؛ شهاب الدين أبى الفضل أحمد ابن على بن حجر العسقلانى : تهذيب التهذيب ، (ط١ ، حيدر آباد ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية : ١٣٢٥هـ) ، ج٩ ، ص٣٨-٤٦ .

(٢) محمد بن السائب بن بشر بن عمرو الكلبى ، كان اماما فى علم التفسير والأنساب ، وكان من أصحاب عبد الله بن سبأ الذى يقول ان الامام على بن أبى طالب لم يمت وأنه راجع الى الدنيا ، وقد توفى سنة ست وأربعين ومائة بالكوفة .
ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج٤ ، ص٣٠٩ .

(٣) محمد بن عمر بن واقد الواقدى ، كان اماما وعالما فى المغازى والسير ، وقد تولى القضاء فى بغداد وكان من المقربين للمأمون . ولد سنة ثلاثين ومائة ، وتوفى سنة سبع ومائتين .
ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج٤ ، ص٣٤٨-٣٥١ .
وعنه انظر : ابن النديم : الفهرست ، ص١٤٤-١٤٥ .

(٤) سيف بن عمر الأسدى التميمى ، أحد أصحاب السير ، له كتاب "الفتوح الكبير" و"الردة" وغيرهما .
ابن النديم : الفهرست ، ص١٣٧ .
وعنه انظر : البغدادى : هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، ج١ ، ص٤١٣ .

(٥) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج١ ، ص٢٨٣ .

ويمضى ابن خلدون ليضع القواعد التى يحتاج اليها المؤرخ ، وينبه الى الأخطاء الهامة التى يقع فيها معظم المؤرخين فيقول : "فهو محتاج الى مآخذ متعددة ، ومعارف متنوعة ، وحسن نظر وتثبت يفضيان بصاحبهما الى الحق ، وينكبان به عن المزلات والمغالط ، لأن الأخبار اذا اعتمد فيها على مجرد النقل ، ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال فى الاجتماع الانسانى ، ولاقيس الغائب منها بالشاهد ، والحاضر بالذاهب ، فربما لم يؤمن فيها من العثور ، ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق . وكثيرا ماوقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالط فى الحكايات والوقائع ، لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سمينا ، لم يعرضوها على أصولها ، ولاقاسموها بأشباهها ، ولاسبروها بمعيار الحكمة ، والوقوف على طبائع الكائنات ، وتحكيم النظر والبصيرة فى الأخبار . فضلوا عن الحق وتاهوا فى بيداء الوهم والغلط ، سيما فى احصاء الأعداد من الأموال والعساكر اذا عرضت فى الحكايات ، اذ هى مظنة الكذب ومطية الهذر ، ولابد من ردها الى الأصول وعرضها على القواعد"(١).

وبعد هذا التعريف ووضع القواعد الأصولية لمنهج الكتابة التاريخية التى ينبغى الأخذ بها يبدأ فى عرض بعض الوقائع التى جاءت فى كتب المؤرخين ويوضح مآخذه عليها بدقة متناهية .

فمن هذه الوقائع ماأورده المسعودى وغيره من أن جيوش بنى اسرائيل الذين كانوا مع موسى عليه السلام فى التيه كانوا ستمائة ألف أو يزيدون وهؤلاء كلهم فوق العشرين .

ويحدد ابن خلدون مآخذه على هذه الرواية ، وهى مآخذ متعددة اعتمد فيها على العقل والمنطق وعلم الاحصاء ، وكان مما أخذه على هذه الرواية أن هذا العدد الكبير تضيق به ساحة الأرض وبالتالى لايمكن أن يقع

---

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج١ ، ص٢٩١-٢٩٢ .

بينه وبين غيره قتال ، وكيف يقع قتال بين فئتين لايرى جانب منها الجانب الآخر؟ ثم ان دولة الفرس أعظم من دولة اليهود وقد تغلبت على دولة اليهود وخربتها ومع هذا فان أعظم جيوشهم فى القادسية كان عدده مائة وعشرين ألفا . وأهم من هذا أن بين موسى واسرائيل عليهما السلام أربعة آباء ومن المستحيل أن يتناسل هؤلاء فى فترة زمنية محدودة ليبلغ هذا العدد الهائل [(١)].

ويناقش ابن خلدون روايات أخرى أوردها المؤرخون منها رواية غزو التبابعة ملوك اليمن وجزيرة العرب لافريقيا وقصة مدينة ارم التى وردت فى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ . إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ . الَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى الْبِلَادِ﴾ [(٢)]، وقصة هارون الرشيد مع البرامكة [(٣)] وماقيل فى سبب قتله لهم ، ومارمى به يحيى بن أكثم [(٤)] من شرب الخمر ، وقصة اصهار

---

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج١ ، ص٢٩٢-٢٩٥ .

(٢) سورة الفجر : آية ٦-٨

(٣) البرامكة ينتسبون إلى برمك أحد كهان الدولة الفارسية . أسلم أحد أبنائه خالد وكان له دور بارز فى الحياة العسكرية فى الدولة العباسية ، قربهم العباسيون وأسندوا لهم ولايات كثيرة حتى طمعوا فى السيطرة على الدولة الاسلامية فقتلهم هارون الرشيد سنة ١٨٧هـ .
حسن أحمد محمود وأحمد ابراهيم الشريف : العالم الاسلامى فى العصر العباسى ، (ط٥ ، نشر دار الكتاب العربى ، بيروت) ، ص١٠٥-١٠٦ .

(٤) يحيى بن أكثم بن محمد التميمى ، كان عالما بالفقه والأحكام والعلوم ، وكان مقدما عند المأمون فولاه القضاء وتدبير أمور الدولة وكان قد تولى قضاء البصرة وعمره عشرون سنة واستمر فى القضاء زمنا طويلا حتى توفى فى الربذة سنة ٢٤٢هـ وعمره ثلاث وثمانون سنة .
ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج٦ ، ص١٤٧-١٦٥ .
وعنه انظر : ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج٢ ، ص١٠١-١٠٢ .

المأمون الى الحسن بن سهل[١] فى ابنته بوران[٢]. وقد كان يناقش كل رواية ويبين عللها وسبب فسادها ومأخذه عليها[٣].

ومن ثم يوضح بعد ذلك سبب ورودها فى بعض كتب المؤرخين فيقول : "وانما يبعث على وضعها والحديث بها الانهماك فى اللذات المحرمة ، وهتك قناع المخدرات ، ويتعللون بالتأسى بالقوم فيما يأتون من طاعة لذاتهم . فلذلك تراهم كثيرا مايلهجون بأشباه هذه الأخبار وينقرون عنها عند تصفحهم لأوراق الدواوين . ولو ائتسوا بهم فى غير هذا من أحوالهم وصفات الكمال اللائقة بهم المشهورة عنهم لكان خيرا لهم لو كانوا يعلمون"[٤].

ويمضى ابن خلدون فى مقدمته ليتحدث عن أسباب الكذب فى نقل الأخبار التاريخية ، فيعدد جملة أسباب منها : التشيعات للآراء والمذاهب "فان النفس اذا كانت على حال الاعتدال فى قبول الخبر أعطته حقه من التمحيص والنظر حتى تتبين صدقه من كذبه ، واذا خامرها تشيع لرأى أو نحلة قبلت مايوافقها من الأخبار لأول وهلة"[٥].

---

(١) الحسن بن سهل بن عبد الله السرخسى ، كان وزيرا للمأمون ، وكان صاحب علم وفضل وحسن بيان . وقد بقى فى وزارة المأمون ومقدما عنده حتى مرض فاستوزر المأمون غيره ، وقد مات بمرضه هذا سنة ٢٣٦هـ فى سرخس .
ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج٢ ، ص١٢٠-١٢٣ .
وعنه انظر : ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج٢ ، ص٨٦ .

(٢) بوران بنت الحسن بن سهل وزير المأمون ، وقد تزوجها المأمون وأقام لها والدها حفلة عظيمة ، وقد بقيت عند المأمون حتى وفاته . وقد كانت ولادتها سنة ١٩٢هـ ووفاتها سنة ٢٧١هـ .
ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج١ ، ص٢٨٧-٢٩٠ .
وعنها انظر : ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج٢ ، ص٣ ؛ ياسين الخطيب العمرى بن خير الله الخطيب العمرى الموصلى : الروضة الفيحاء فى تواريخ النساء ، (ط١ ، الدار العالمية : ١٤٠٧هـ) ، ص٣٥٠-٣٥٣ .

(٣) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج١ ، ص٢٩٥-٣٠٨ .

(٤) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج١ ، ص٣٠٨-٣٠٩ .

(٥) المصدر السابق ، ج١ ، ص٣٢٨ .

وهـذه ملاحظة نفسية دقيقة ، فالنفس البشرية اذا كـانت تميل الى شىء معين قبلـت الأخبار الطيبة التى تسمعها عنه ، ورفضـت ماسواها من الأخبار دون تمحيـص أو تدقيق ، والهوى فى مثل هذه الحالـة هو الذى يرجح قبول خبر أو رفضه وليس النظر الدقيق السليم .

والسبب الثانى كما يذكره ابن خلدون هو الثقة بالنـاقلين ، وهنا يرى ابن خلـدون أهميـة الأخذ بقـاعدة الجرح والتعـديل(١). ولكن متى ينبغـى الرجوع الى هذه القاعدة العلمية الهامة؟

يقـول : "ولايرجع الى تعديل الرواة حتى يعلم أن ذلـك الخبر فى نفسه ممكــن أو ممتنـع . وأمـا اذا كــان مستحيلا فلافـائدة للنظـر فى التعـديل والتجريح "(٢).

ولايخفى هنا أن قاعدة "الجرح والتعديل" أخذ بهـا رواة الحديث ، بل جعلوها أساسا هاما لكل مروياتهم من أحاديث الرسول الكريم ، ولانظن أن ابن خلـدون يعطـى هذه القاعـدة الأهمية نفسها عند المحـدثين ، لكنـه يرى أهميتهـا عنـد ادراك أن الخبر ممكـن الـوقوع وليـس مستحيلا ، فـالأخبار المستحيلـة لايمكـن أن يرويهـا ـ فى الغـالب ـ رواة ثقـات لـذلك ضرب ابن خلـدون عنهـا صفحا . وعلى كـل حال فـان تمحيص الرواية التـاريخية مهمـا كانت درجتها أمر هام .

والسبب الثالث هو : الذهول عن المقاصد "فكثير مـن الناقلين لايعرف القصـد بما عـاين أو سمـع وينقـل الخبر على مـافى ظنــه وتخمينـه فيقـع فى الكذب "(٣).

وهـذا السبب جائز الوقوع كذلك ، وهو مما يؤثر على رواية الحدث التـاريخى ، فقد ينقل أحدهم خبرا صحيحا كما شاهـده ويكون صادق النقل لكنه لايعرف مغزى هذا الحدث وظروف وقوعه ، ولاالمقصود منـه فيعتمد فى

---

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج١ ، ص٣٢٨ .
(٢) المصدر السابق ، ج١ ، ص٣٣٠ .
(٣) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٣٢٨ .

تفسيره له على تخميناته الخاصة فيقع فى الخطأ حيث يضع هذه التخمينات فى منقولاته دون أن يدرك حقائق الأمور وبواطنها .

والسبب الرابع توهم الصدق ، وهذا التوهم يحصل من الثقة بالناقلين(١)، ويبدو أن هناك فارقا دقيقا بين هذا السبب وبين السبب الثانى الذى ذكره ابن خلدون .

وقد حاول ساطع الحصرى تعليل تكرار هذا السبب فى موضعين حسب رأيه فقال : "وأما السبب الرابع : فهو غامض جدا ، ولاسيما والفرق بينه وبين السبب الثانى لم يكن واضحا أبدا ، فان ابن خلدون ردهما كليهما الى أمر الثقة بالناقلين . ربما كان القصد من تفريقهما ، وذكر كل واحد منهما على حدة ، هو الاشارة الى الرواية الاعتيادية من جهة ، والرواية المتواترة من جهة أخرى . ومما يقوى هذا الاحتمال ، أن ابن خلدون يبحث فى محل آخر فى "التناقل" كما سنذكره فيما بعد ، فلايبعد أن يكون قد أراد بذلك التنبيه الى عدم جواز الثقة بالناقلين من جراء كثرتهم فقط ، وعدم جواز قبول الخبر من جراء كونه متواترا فحسب"(٢).

أما الذى نراه فى السبب الرابع من قول ابن خلدون وهو "توهم الصدق" الذى يعنى أن المؤرخ يرى امكانية حدوث الواقعة التاريخية ويدخل فى روعه أن هذه الحادثة وقعت فعلا ، اذ أن امكانية حدوثها لايبدو مستحيلا فاذا أضيف على هذا التوهم الثقة بالناقلين تأكدت الحادثة عند راويها . والفرق واضح بين هذا السبب والسبب الثانى اذ أنه يقتصر عند حد الثقة بالناقلين فقط بعيدا عن توهم الصدق فى الحادثة التى يتضمنها النص التاريخى ، فالثقة بالراوى أكدت الثقة بالحادثة التاريخية دون النظر اليها .

أما السبب الخامس فهو "الجهل بتطبيق الأحوال على الوقائع لأجل مابداخلها من التلبيس والتصنع ، فينقلها المخبر كما رآها ، وهى بالتصنع

---

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج١ ، ص٣٢٨ .
(٢) ساطع الحصرى : دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص٢٦٩ .

على غير الحق فى نفسه"(١).

ويبدو أن ابن خلدون يريد الاشارة الى أن بعض الوضاع يتصنعون بعض الوقائع فيلبسون على الناس بهذا التصنع وقد يراهم بعض الناس فينقلون ماشاهدوه دون أن يعرفوا أنه لاحقيقة له ، فهم لايكذبون عامدين ولكنهم يخدعون بظاهر ماشاهدوه ، ومن هنا تكمن المشكلة ويأتى التزوير فى الأحداث .

أما السبب السادس فى وضع الأخبار الكاذبة كما يراه ابن خلدون فهو "تقرب الناس فى الأكثر لأصحاب التجلة والمراتب بالثناء والمدح وتحسين الأحوال واشاعة الذكر بذلك ، فتستفيض الأخبار بها على غير حقيقة ، فالنفوس مولعة بحب الثناء ، والناس متطلعون الى الدنيا وأسبابها من جاه أو ثروة"(٢).

وهذا السبب واضح أثره ومنتشر فى كل العصور ، فالتقرب الى أصحاب الجاه والسلطة مما تميل اليه بعض النفوس ، فيكون الحاصل منه ، افتعال أحداث وأخبار عن هؤلاء غير صحيحة واشاعتها بين الناس نفاقا ورياء ليحصل ناشرها على بعض المنافع الدنيوية ، وبهذا السبب تكثر الأخبار الكاذبة .

والسبب السابع والأخير ، وهو أهمها ـ كما ذكر ابن خلدون ـ فهو "الجهل بطبائع الأحوال فى العمران ، فان كل حادث من الحوادث ذاتا كان أو فعلا لابد له من طبيعة تخصه فى ذاته وفيما يعرض له من أحواله ، فاذا كان السامع عارفا بطبائع الحوادث والأحوال فى الوجود ومقتضياتها أعانه ذلك فى تمحيص الخبر على تميز الصدق من الكذب ، وهذا أبلغ فى التمحيص من كل وجه يعرض"(٣).

---

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج١ ، ص٣٢٨ .

(٢) المصدر السابق ، ج١ ، ص٣٢٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ج١ ،ص٣٢٨-٣٢٩ .

وكما هو واضح فان ابن خلدون وضح هذا السبب بشكل كبير حيث أنه جعله من أهم الأسباب السابقة ، وعلى كل حال فان المؤرخ اذا كان عالما بطبيعة كل حادث ومسببات حدوثه والملابسات التى أدت اليه أعانته هذه المعرفة على الحكم على الخبر ومعرفة صدقه من كذبه ، والحكم عليه بشكل دقيق ، وقد تحدث ابن خلدون عن هذه المسألة بشكل مفصل فى مقدمته .

وينتقل ابن خلدون بعد ذلك ليتحدث عن أخطاء بعض المؤرخين فى ايراد روايات تاريخية مستحيلة الوقوع ، ويضرب عدة أمثلة منها : ماذكره المسعودى عن قصة الاسكندر ودواب البحر(١)، ومنها ماذكره المسعودى عن تمثال الزرزور الذى برومة(٢)، ومانقله البكرى فى بناء المدينة المسماة ذات الأبواب ، ومنها مانقله المسعودى أيضا عن مدينة النحاس التى تقع فى صحراء سجلماسة(٣).

وقد رد ابن خلدون هذه الروايات ودحضها وبين وجهة نظره بشكل علمى دقيق ، ودعا الى الابتعاد عن ايراد مثل هذه الروايات الكاذبة(٤).

ان المعايير الدقيقة التى أشار اليها ابن خلدون وجعلها مقياسا لمنهجه التاريخى أهلته لأن يكون مؤسسا لعلم التاريخ ، ولقد كانت ملاحظاته على أخطاء المؤرخين سببا فى دفعه لوضع أسس جديدة لعلم التاريخ يسلم المؤرخ من الأخطاء اذا سار على هديها(٥).

---

(١) أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، (ط٣ ، بيروت ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع : ١٩٧٨م) ، ج١ ، ص٤١٢-٤١٤ .

(٢) المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج١ ، ص١٨٦ .

(٣) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٢٥٣ .

(٤) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج١ ، ص٣٢٩-٣٣٠ .

(٥) زنيب محمود الخضيرى : فلسفة التاريخ عند ابن خلدون ، (ط٢ ، بيروت ، دار التنوير للطباعة والنشر : ١٩٨٥م) ، ص٥٥ .

ولقد أثنى ساطع الحصرى على منهج ابن خلدون وأشاد بمكانته التاريخية ، فقال عنه : "ابن خلدون ، يتفوق بنظرته هذه على جميع المؤرخين الذين سبقوه فى الشرق والغرب ، بوجه عام ، وعلى جميع الذين أتوا بعده خلال أربعة قرون ، على أقل تقدير . ومن المعلوم أن هذه النظرة الشاملة فى موضوع التاريخ من النظرات الخاصة بما يسمى عادة باسم "تاريخ الحضارة" ، وهذا ماحدا ببعض الباحثين الى أن يعتبروا ابن خلدون "أول من حاول كتابة تاريخ الحضارة بمعناها الشامل"(١).

وكما كان ابن خلدون رائدا فى فلسفة التاريخ وتاريخ الحضارة فقد كان رائدا كذلك فى الاهتمام بالآثار التاريخية كوثيقة هامة تدل على تقدم الأمم وتعطى تصورا دقيقا عن تاريخها ، وقد نبه ابن خلدون "الى أن الآثار تكون على نسبة قوة الدولة ، مما يدل على ادراكه لقيمة الآثار فى فهم التاريخ ، وهى التى أصبحت فى عصرنا علما مساعدا للتاريخ ، له خطورته وأهميته بين علوم المعرفة الانسانية ، وان استقل علم الآثار بذاته كعلم مستقل على قدم المساواة ، مع العلوم الانسانية الأخرى"(٢).

وقد كان منهج ابن خلدون فى تنظيم كتابه متميزا عمن سواه ، فقد جعله مقسما الى كتب ، وقسم كل كتاب الى فصول ، وتحدث عن تاريخ كل دولة لوحدها من بدايتها حتى نهايتها . هذه الطريقة ليست من ابتداع ابن خلدون فقد سبقه اليها غيره كالمسعودى والبلاذرى وغيرهما ، لكنه تميز عن أسلافه ببراعة التنظيم وحسن سبك العبارات والدقة فى تبويب الموضوعات والفهارس(٣).

---

(١) ساطع الحصرى : دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص٢٦٤ .

(٢) عبد المنعم ماجد : "منهجية جديدة لابن خلدون فى علم التاريخ" ، (مجلة المؤرخ العربى ، ع١٣ ، ابريل ١٩٨٠م) ، ص٩٧ .

(٣) على عبد الواحد وافى : عبد الرحمن بن خلدون حياته وآثاره ومظاهر عبقريته ، ص٢٣٦ .

أحمد بن يحي بن جابر البلاذرى ، من أهل بغداد وكان شاعرا راوية ، له عدة مصنفات منها كتاب "البلدان الصغير" ، و"البلدان الكبير" ، و"الأنساب" .

ابن النديم : الفهرست ، ص١٦٤ .

المبحث الثاني

مميزات ابن خلدون عن المؤرخين الآخرين

مميزات ابن خلدون عن المؤرخين الآخرين

اذا تتبعنا كتابات ابن خلدون التاريخية وجدنا أن له رأيا متميزا فى بعض المسائل قد يخالف فيها جمهور المؤرخين ، وقد يخرج برأى مستقل ، أو يوضح فكرة غامضة ، أو يتبنى قضية معينة ويدافع عنها . هذا التميز أعطى تاريخه مذاقا خاصا ، وجعله صاحب منهج واضح يقول مايعتقد صحته دون النظر الى الآخرين .

ومن أمثلة ماأشرت اليه تأكيده على صحة نسب الفاطميين ودفاعه عن رأيه بحرارة وقوة دون أن يلتفت الى الآخرين الذين أنكروا هذا النسب وهم كثرة يعتد برأيهم .

فعندما تحدث عن الفاطميين قال : "ومن الأخبار الواهية مايذهب اليه الكثير من المؤرخين والأثبات فى العبيدين خلفاء الشيعة بالقيروان (١)، والقاهرة من نفيهم عن أهل البيت صلوات الله عليهم ، والطعن فى نسبهم الى اسماعيل الامام ابن جعفر الصادق (٢) . يعتمدون فى ذلك على أحاديث لفقت للمستضعفين من خلفاء بنى العباس تزلفا اليهم بالقدح فيمن ناصبهم ، وتفننا فى الشمات بعدوهم" (٣).

---

(١) القيروان مدينة عظيمة بافريقية بناها عقبة بن نافع فى أيام معاوية رضى الله عنه . ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٤٢٠-٤٢١ .
وعنها انظر : البكرى : معجم مااستعجم من أسماء البلاد والمواضع ، ج٣ ، ص١١٠٥-١١٠٦ ، القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص٢٤٢ .

(٢) اسماعيل الامام ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر ، واليه تنتسب الطائفة الاسماعيلية .
عنه انظر : ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٥٩٦ ومابعدها .

(٣) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج١ ، ص٣٠٩ .

وقد سرد ابن خلدون أدلته التى ذهب اليها فى اثبات نسب العبيديين[١]وهى أدلة عقلية اعتمد فيها على المنطق والحجة أكثر من اعتماده على الحقائق العلمية فى اثبات نسبهم .

وقد أنكر هذا النسب عدد من المؤرخين وأكدوا ادعاء الفاطميين للنسب العلوى[٢]. ومع هذا فان ابن خلدون مع اقراره بأن أكثر المؤرخين نفوا هذا النسب الا انه لم يلتفت الى هذه الأكثرية واكتفى بما يعتقد صحته وأثبته ودافع عنه على الرغم من عدم صحته .

ولقد ذكر ابن حجر العسقلانى فى كتابه "رفع الاصر عن قضاة مصر" ان ابن خلدون دافع عن العبيديين وأثبت نسبهم الى آل البيت وعلل هذا بكراهيته لآل البيت حيث قال عن ابن خلدون : "كان لانحرافه عن آل على يثبت نسبة الفاطميين اليهم ، لما اشتهر من سوء معتقد الفاطميين ، وكون بعضهم نسب الى الزندقة ، وادعى الألوهية كالحاكم ، وبعضهم فى الغاية من التعصب لمذهب الرفض ، حتى قتل فى زمانهم جمع من أهل السنة .

وكانوا يصرحون بسب الصحابة فى جوامعهم ومجامعهم ، فاذا كانوا بهذه المثابة وصح أنهم من آل على حقيقة ، التصق بآل على العيب ، وكان ذلك من أسباب النفرة عنهم"[٣].

---

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج١ ، ص٣٠٩-٣١٢ .

(٢) عز الدين أبى الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، (بيروت ، دار صادر : ١٤٠٢هـ) ، ج٨ ، ص٢٤،٢٥،٣٦،٣٧ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج٣ ، ص١١٧ ومابعدها ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله التركمانى الأصل الحافظ الذهبى : العبر فى خبر من غبر ، حققه : أبو هاجر محمد السعيد بن بسيونى زغلول ، (ط١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية : ١٤٠٥هـ) ، ج١ ، ص٤١٨ ، أبى الفداء الحافظ ابن كثير : البداية والنهاية ، (طبع ونشر دار الفكر ، بيروت ومكتبة الرياض الحديثة ، الرياض : ١٤٠٢هـ) ، ج١١ ، ص١٧٩،٣٤٥ .

(٣) ابن حجر العسقلانى : رفع الاصر عن قضاة مصر ، ق٢ ، ص٣٤٨ .

وقد أشار الى هذه المعلومة السخاوى فى كتابه الضوء اللامع لأهل القرن التاسع[(١)]، وعلق الشوكانى[(٢)] على ماذكره السخاوى بقوله : "واذا صح صدور تلك الكلمة عن صاحب الترجمة فهو ممن أضله الله على علم"[(٣)].

ولقد أشار (على الوردى) الى موقف ابن خلدون من آل البيت فذكر أنه يلمح عند ابن خلدون شيئا من أثر التشيع ، فهو يؤيد صحة نسب الأدارسة ويدافع عن رأيه هذا بقوة ، كما أنه يورد عبارة "صلوات الله عليهم" عند ذكره لأهل البيت ، فى حين أن هذه العبارة يندر أن يأتى بها أحد من غير الشيعة ، لكن (على الوردى) يبدى استغرابه من ابن خلدون الذى يذكر أهل البيت فى بعض المواضع من مقدمته بشىء من الذم ، ويعلل هذا التناقض ـ من وجهة نظره ـ بقوله : "يبدو أن ابن خلدون كتب فصول مقدمته وهو فى أطوار نفسية وفكرية مختلفة ، كشأن أكثر المفكرين العظام الذين يقعون تحت تأثير نزعات متناقضة ، فهم يندفعون فى احدى النزعات تارة وفى الأخرى تارة أخرى ، ولو أنهم كانوا متزمتين لنزعة واحدة لايعرفون غيرها لما استطاعوا أن يبدعوا شيئا جديدا ، اذ هم يسيرون فى تفكيرهم اذ ذاك على الطريق المطروق"[(٤)].

والحقيقة أن (على الوردى) لم يوفق فى حكمه على ابن خلدون ، بل نجده قد ناقض نفسه بصورة ملفتة للنظر ، فهو يجعله تارة يتحامل على آل البيت بينما يجعله تارة أخرى يميل الى مذهب التشيع ، ونحن نميل الى أن

---

(١) السخاوى : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ج٢ ، ص١٤٧-١٤٨ .

(٢) محمد بن على بن محمد بن عبد الله الشوكانى الصنعانى ، ولد فى هجرة شوكان باليمن سنة ١١٧٣هـ ، ونشأ فى صنعاء وطلب العلم على أكابر علمائها ، ودرس شتى فنون العلم وأجادها وله مصنفات كثيرة فى الحديث والفقه والتراجم ، وقد تولى قضاء صنعاء فترة طويلة وتوفى فى صنعاء سنة ١٢٥٠هـ .
الشوكانى : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، ج٢ ، ص٢١٤ .

(٣) الشوكانى : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، ج١ ، ص٣٣٩ .

(٤) على الوردى : منطق ابن خلدون ، ص١٣٦-١٣٨ .

ابن خلدون لم يحد عن منهجه الذى اتبعه اذ خالف غيره من المؤرخين فى أكثر من موضع .

ومما يتعلق بهذا الموضوع ماذكره ابن حجر نقلا عن شيخه الحافظ أبى الحسن بن أبى بكر أنه كان يبالغ فى الغض من قيمة ابن خلدون لكونه "بلغه أنه ذكر الحسين بن على رضى الله عنهما فى تاريخه فقال : قتل بسيف جده . ولما نطق شيخنا بهذه اللفظة ، أردفها بلعن ابن خلدون وسبه وهو يبكى"(١).

ولقد ناقش أحمد تيمور باشا هذه المسألة ، وأكد أن ابن خلدون نقلها عن أبى بكر بن العربى(٢) ونسب اليه الغفلة ، وهو بهذا لايستحق كل هذا التشنيع ، كما أنه ناقش كذلك مسألة اثبات نسب العبيديين وماتهم به ابن خلدون من جراء اثبات هذا النسب ، وقال فى معرض تعليقه على هذا الموضوع : "وهو استنتاج غريب فان من يطالع تاريخ ابن خلدون لايرى فيه انحرافا عن آل على وان كان خالف المؤرخين فى اثبات نسب الفاطميين فقد خالفهم فى كثير غيره . اما كونه فعل ذلك لالصاق العيب بآل على فحسبنا فى دحضه قوله "والعجب من القاضى أبى بكر الباقلانى(٣) شيخ النظار من المتكلمين يجنح الى هذه المقالة المرجوحة ، ويرى هذا الرأى الضعيف فان كان ذلك لما كانوا عليه من الالحاد فى الدين والتعمق فى الرافضية فليس ذلك بدافع فى صدر دعوتهم وليس اثبات منتسبهم بالذى يغنى عنهم من الله شيئا فى كفرهم فقد قال تعالى لنوح عليه السلام فى شأن

---

(١) ابن حجر العسقلانى : رفع الاصر عن قضاة مصر ، ق٢ ، ص٣٤٧ .

(٢) أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بابن العربى ، ولد سنة ٤٦٨هـ فى اشبيلية ورحل فى طلب العلم وأصبح من أشهر علماء الأندلس ، وقد توفى فى فاس سنة ٥٤٣هـ .
عنه انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج٤ ، ص٢٩٦ .

(٣) القاضى أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر المعروف بالباقلانى ، كان له طريقة الأشعرى ، سكن بغداد وله تصانيف فى علم الكلام وكان فى علمه أوحد زمانه ، وقد توفى فى بغداد سنة ثلاث وأربعمائة .
ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج٤ ، ص٢٦٩-٢٧٠ .

ابنـه : {إنه ليـس من أهلـك انه عمـل غير صالح فلاتسـألن مـاليس لـك به علم}"(١)(٢)، بل لم يفعل مع الفاطميين الا مافعله مع الأدارسـة أمراء المغرب فى رد فـرية من أنكر نسبتهـم الى الامـام الحسن بن على(٣)ولم يكن فى نحلـة القوم مايحمل على الريبة فى صحة معتقدهم"(٤).

والحقيقـة أن رأى أحمد باشا تيمور يوافق الرأى الـذى نرجحه ونميل اليه ، ولعل الرواية التى ذكرها الحافظ أبو الحسن بن أبى بكـر بصيغة "بلغه" ترجح أنه لم يسمعها مباشرة ، ولم يتأكد من صحتها بنفسه وهذا مايدفعنا الى القول بالتشكيك فيها .

وقـد علق (على الوردى) على كلام ابن حجـر الـذى نسبـه الى شيخه بقـوله : "ان صحت هذه الرواية فهى دليل على أن ابن خلـدون كان له فى أول أمـره رأى فى ثورة الحسين يشبـه رأيه فى جميـع الثـورات الفـاشلة ، ولكنـه تراجع عـن هذا الرأى بعـدئذ خوفا من الناس ، فمحـاه مـن مقدمته ووضع مكانه الرأى الذى أسلفنا ذكره . مما يلفت النظـر أن ابن خلدون لم يذكـر شيئـا عـن ثورة الحسين فى تاريخه العـام ، بل ترك مكـانها فـارغا . والغريب أن الذين قرأوا تاريخ ابن خلدون ، والذين اشتغلوا فى طبعه ، لم يفطنوا الى علة هذا الفراغ "الأبيض" فى صفحات الكتـاب . يخيل لى أن ابن خلـدون ، عندما أراد أن يكتـب عن ثورة الحسين فى تاريخه ، تملكتـه الحيرة وتوقـف عن الكتابة ، فهو لايدرى أيكتـب الرأى الـذى يؤمـن به فى قرارة نفسه ، أم يكتب الرأى الذى يريده الناس منه . والظاهر أنه خصص لحادثة الحسين صفحـات من تاريخه ، وتركها بيضاء لكى يعود اليهـا فيملأها بعد أن

---

(١) سورة هود : آية ٤٦

(٢) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج١ ، ص٣١١ .

(٣) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج١ ، ص٣١٣-٣١٧ .

(٤) شمـس الدين محمد بن عبد الرحمن السخـاوى : الاعلان بالتوبيـخ لمن ذم التاريخ (بيروت ، دار الكتاب العربى : ١٤٠٣هـ) ، هامش ص٧٢ .

يستقر فى أمر الحسين على رأى معين . ثم مرت به الأيام فنسى أمر تلك الصفحات البيضاء ، حيث بقيت على حالها الى يومنا هذا"(١).

ان (على الوردى) جانبه الصواب فى حكمه هذا على ابن خلدون ، فاذا كان ابن خلدون قد حذف من مقدمته رأيه فى ثورة الحسين رضى الله عنه الذى يشبه رأيه فى جميع الثورات الفاشلة ، ووضع بدلا منه رأيه الموجود حاليا فى مقدمته ، وهو أن الحسين رضى الله عنه مجتهد مأجور ، فما الذى أخره عن ملء الصفحات البيضاء فى تاريخه المتعلقة بمقتل الحسين رضى الله عنه ، مع أنه استقر على رأى واحد فى هذا الموضوع بدليل أنه أزال ماكتبه سابقا فى مقدمته ، ووضع بدلا منه رأيا آخر كما ذكر (على الوردى) . ومن خلال دراستنا لتاريخ الدولة الأموية عند ابن خلدون نجد أن الذى يقرأ المقدمة والتاريخ يدرك بداهة أن المقدمة هى التى تحمل آراء ابن خلدون التى تميز بها عن غيره من المؤرخين ، أما التاريخ فهو كغيره من التواريخ الا ماندر ، فمادام قد غير فى المقدمة فماالذى يمنعه من التغيير فى التاريخ ؟

وشىء آخر هو أن الصفحات البيضاء التى أشار اليها (على الوردى) لم تكن عن مقتل الحسين رضى الله عنه وحده ، مع أنه ذكر شيئا يسيرا عن مسير الحسين رضى الله عنه الى الكوفة ، وانما تتعلق بموضوعات أخرى كثيرة لاعلاقة لها بالحسين أو بآل البيت فهى تشمل الجزء المتبقى من مسير الحسين الى الكوفة ومقتله ، كما تشمل ولاية سلم بن زياد(٢) خراسان(٣)،

(١) على الوردى : منطق ابن خلدون ، ص٢٤٧ .

(٢) سلم بن زياد بن أبيه كان واليا على خراسان ، وكان كريما حسن السيرة ، وقد مات فى البصرة سنة ٧٣هـ .
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ج١ ،ص١٩٠ .
وعنه انظر : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٤ ، ص٩٥-١٠١،٩٧ ومابعدها .

(٣) بلاد واسعة فى المشرق مما يلى العراق باتجاه فارس ، وفيها مدن مشهورة مثل : هراة ، نيسابور ، ومرو . وكان بداية فتحها فى العهد الاسلامى سنة ٣١هـ فى زمن عثمان بن عفان وبقيادة عبد الله بن عامر ، وقد نبغ من أهلها عدد كبير من العلماء فى شتى فنون المعرفة . =

وسجستان (١)، وولاية الوليد بن عتبة (٢)على الحجاز ، وعزل عمرو بن ربيعة (٣)، وخلع أهل المدينة يزيد ووقعة الحرة وحصار مكة ووفاة يزيد وبيعة معاوية ابنه ومهلكه ، واظهار ابن الزبير البيعة وانتقاض أمر ابن زياد (٤)ورجوعه الى الشام وبيعة مروان ووقعة مرج راهط ، ومفارقة الخوارج لابن الزبير ، وخروج سليمان بن صرد (٥)فى التوابين من الشيعة ،

= ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٣٥٠-٣٥٤ .
وعنها انظر : البكرى : معجم ماستعجم من أسماء البلاد والمواضع ، ج٢ ، ص٤٨٩-٤٩٠ .

(١) سجستان : مدينة كبيرة فى المشرق من أرض فارس بينها وبين هراة مسيرة عشرة أيام ، اشتهرت قديما بكثرة نخيلها ومياهها . كما اشتهرت بتخريج عدد من العلماء فى فنون شتى .
ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٣ ، ص١٩٠-١٩٢ .

(٢) الوليد بن عتبة بن أبى سفيان ، كان جوادا كريما ، وقد تولى امرة المدينة أكثر من مرة ، مات بالطاعون سنة أربع وستين للهجرة .
اليافعى : مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة مايعتبر من حوادث الزمان ، ج١ ، ص١٤٠ .

(٣) ورد هكذا بالمخطوط . وعند ابن الأثير : عمرو بن سعيد بن العاص المعروف بالأشدق ، كان واليا لبنى أمية على المدينة ، قتله عبد الملك بن مروان سنة ٦٩هـ .
عنه انظر : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٤ ، ص١٨،٢٩٧ ومابعدها .

(٤) عبيد الله بن زياد ، كان واليا على العراقين وهو أول مسلم عبر نهر جيحون الى بخارى وافتتح بعض البلاد وقد قتل سنة سبع وستين ، قتله جيش المختار بن أبى عبيد .
ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج١ ، ص٦٠،٦١،٧٤ .
وعنه انظر : عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى : عيون الأخبار ، (ط١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية : ١٤٠٦هـ) ، ج١ ، ص٢٢٩ .

(٥) سليمان بن صرد بن الجون الخزاعى ، صحابى فاضل ، كان اسمه فى الجاهلية يسار فسماه الرسول صلى الله عليه وسلم سليمان ، كان مع على بن أبى طالب فى كل مشاهده وسكن الكوفة ، ثم خرج يطالب بدم الحسين فلقيه عبيد الله بن زياد فى جيش الشام وقاتله مع من معه حتى قتل . =

ووفاة مروان وبيعة عبد الملك وفتنة خراسان ، والجزء الأول من وثوب المختار[(١)] بالكوفة وأخباره . فهل كانت مثل هذه الموضوعات تحتاج الى أن يترك لها ابن خلدون صفحات بيضاء حتى يستقر له رأى معين فيها فيملؤها بعد ذلك؟؟

من ناحية أخرى فالمخطوط[(٢)] الذى بين أيدينا يغطى الموضوعات المشار اليها بما فيها مقتل الحسين رضى الله عنه والذى نهج فيه ابن خلدون نهجا يوافق ماذكره غيره من المؤرخين كالطبرى وابن الأثير .

ومن المسائل التى كان لابن خلدون رأى متميز فيها نفيه القاطع بأن خالد بن يزيد بن معاوية[(٣)] كان له اهتمام بالعلوم والصنائع رغم اثبات عدد من المؤرخين هذه الصنعة له ، فعندما تحدث عن هذه العلوم فى مقدمته

= عز الدين أبى الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن الأثير : أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، (بيروت ، دار احياء التراث العربى) ، ج٢ ، ص٣٥١ .
وعنه انظر : ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج٦ ، ص٢٥-٢٦ ، ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج١ ، ص٧٣ .

(١) المختار بن أبى عبيد بن عمر الثقفى ، كان أبوه صحابيا ، وولد عام الهجرة ، وكان من المطالبين بدم الحسين وقاد جمعا من الشيعة لهذا الغرض واستطاع قتل عدد ممن شاركوا فى قتل الحسين واستولى على الكوفة ، لكن مصعب بن الزبير استطاع هزيمته وقتله وكان ذلك سنة ٦٧هـ ، وله من العمر سبع وستون سنة .
ابن الأثير : أسد الغابة ، ج٤ ، ص٣٣٦ .
وعنه انظر : ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج١ ، ص٧٤-٧٥

(٢) عبد الرحمن بن خلدون : تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر ، (تاريخ ، خط نسخ واضح ، استنبول ، المكتبة السليمانية ، رقم ٨٦٤ ، نسخة مصورة) .

(٣) خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ، كان عالما بالطب والكيمياء وله مصنفات فى هذه العلوم . وكانت وفاته سنة خمس وثمانين للهجرة .
ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج٢ ، ص٢٢٤-٢٢٦ .
وعنه انظر : ابن النديم : الفهرست ، ص٤٩٧-٤٩٨ ، ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج١ ، ص٩٦ .

قال : "وربما نسبوا بعض المذاهب والأقوال فيها لخالد بن يزيد بن معاوية ربيب مروان بن الحكم . ومن المعلوم البين أن خالدا من الجيل العربى ، والبداوة اليه أقرب ، فهو بعيد عن العلوم والصنائع بالجملة ، فكيف له بصناعة غريبة المنحى مبنية على معرفة طبائع المركبات وأمزجتها ، وكتب الناظرين فى ذلك من الطبيعيات والطب لم تظهر بعد ولم تترجم . اللهم الا أن يكون هناك خالد بن يزيد آخر من أهل المدارك الصناعية تشبه باسمه فممكن"(١).

لقد أنكر ابن خلدون أن يكون لخالد بن يزيد أى صلة بالعلوم والصنائع اعتمادا على كونه بدويا بعيد الصلة بهذه العلوم التى لاتمت لمجتمعه بصلة ، وقد أغفل صلة العرب آنذاك بالأمم الأخرى واتصال الثقافات وبدء حركة الترجمة .

ان ابن خلدون لم ينظر الى أولئك الذين أثبتوا صلة خالد بن يزيد بهذا العلم كابن النديم(٢) الذى قال : "كان خالد بن يزيد بن معاوية يسمى حكيم آل مروان ، وكان فاضلا فى نفسه ، وله همة ومحبة للعلوم ، خطر بباله الصنعة ، فأمر باحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر ، وقد تفصح بالعربية ، وأمرهم بنقل الكتب فى الصنعة من اللسان اليونانى والقبطى الى العربى ، وهذا أول نقل كان فى الاسلام من لغة الى لغة"(٣).

وكذلك عندما تحدث المسعودى عن هذه الصنعة فانه قال عن خالد بن يزيد : "وماذكره خالد بن يزيد بن معاوية فى ذلك ، وهو عند أهل هذه الصنعة من المتقدمين فيهم"(٤).

---

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٣ ، ص١١٩٨ .

(٢) محمد بن اسحاق الوراق المعروف بابن النديم .. كاتب ، له كتاب "الفهرست" فى التراجم والأخبار ، توفى سنة ٣٨٥هـ .
البغدادى : هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، ج٢ ، ص٥٥ .

(٣) ابن النديم : الفهرست ، ص٣٣٨ .

(٤) المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج٤ ، ص١٦٩ .

بل ان ابن خلكان[١] جعله عالما فى هذه الصنعة ومتقدما فيها ، فيقول عنه : "أبو هاشم خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان الأموى ، كان من أعلم قريش بفنون العلم ، وله كلام فى صناعة الكيمياء والطب ، وكان بصيرا بهذين العلمين متقنا لهما ، وله رسائل دالة على معرفته وبراعته"[٢].

أما الطبرى فقد ذكر أن خالد بن يزيد كان يقال أنه أصاب علم الكيمياء ولم يؤكد، ولم ينف[٣].

أما ابن كثير فقد كان مترددا بين النفى والاثبات . فهو يقول تارة : "وخالد بن يزيد يكنى أبا هاشم كان يقال انه أصاب علم الكيمياء" ، وقال عنه فى موضع آخر : "كان أعلم قريش بفنون العلم ، وله يد طولى فى الطب ، وكلام كثير فى الكيمياء ، وكان قد استفاد ذلك من راهب اسمه مريانش ، وكان خالد فصيحا بليغا شاعرا منطقيا كأبيه"[٤].

وقد ألف (فاضل خليل ابراهيم) كتابا حول هذا الموضوع أسماه "خالد بن يزيد سيرته واهتماماته العلمية" أكد فيه صلة خالد بن يزيد بهذا العلم ، ورد على ابن خلدون فى نفيه لصلة خالد بعلم الكيمياء لكونه قريب العهد بالبداوة[٥].

والمهم فى الأمر أن ابن خلدون يؤكد مرة أخرى استقلاليته فى منهجه ودفاعه عن آرائه مهما كثر عدد مخالفيه .

---

(١) أحمد بن محمد بن ابراهيم بن أبى بكر بن خلكان ، قاضى قضاة دمشق وعالمها ومؤرخها ، ولد سنة ٦٠٨هـ فى اربل وتعلم فيها ، وكان محبا للعلم والأدب وهو صاحب التاريخ المشهور ، وقد توفى سنة ٦٨١هـ وله من العمر ثلاث وسبعون سنة ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ج٧ ، ص٣٥٣-٣٥٥

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج٢ ، ص٢٢٤ .

(٣) أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، (ط٤ ، القاهرة ، دار المعارف : ١٣٨٠هـ) ، ج٥ ، ص٥٠٠ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٨ ، ص٢٣٦ ، ج٩ ، ص٦٠ .

(٥) فاضل خليل ابراهيم : خالد بن يزيد ، سيرته واهتماماته العلمية ، (الجمهورية العراقية ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام) ص١٤٤-١٦٢ .

ومن الأشياء الحسنة التى نلاحظها عند ابن خلدون تعليله للأحداث فى كثير من الأحيان ، والدخول فى عمق الحدث التاريخى ، وربطه بزمنه ، وتحليل مفهوم الناس له آنذاك .

ومن أمثلة ذلك حديثه عن الحجاج بن يوسف[١] ومسألة تعليمه الصبيان ، فقد تحدث عن ظاهرة التعليم فى عصر صدر الاسلام والدولتين ، فذكر أن هذه المهنة لم تكن صناعة بل كانت مهنة يتولاها الأشراف وأهل القوة والعصبية بغرض تبليغ رسالة الاسلام للناس ، ولما انتشر العلم وتوسعت الدولة الاسلامية ظهر المعلمون وانقلبت هذه المهنة الى صناعة يمارسها معلمون من طبقات الناس العادية ، ولما كان أبو الحجاج من سادات ثقيف وأشرافها فلايتوقع أن يكون ابنه مجرد محترف لتعليم الصبية ، ولهذا فهو لايرى التقليل من شأنه لهذا السبب[٢].

ومايقال عن مهنة التعليم يقال كذلك عن مهنة القضاء ، فالقضاة كانوا قادة الجيوش ، وأهل الرياسة والزعامة بسبب عصبيتهم فى بداية الدولة الاسلامية ، لكن الأمر اختلف بعد ذلك لضعف العصبية فتولى القضاء سائر الناس ، ولهذا فالنظرة الى دور القضاة فى العصر الأول يجب أن تختلف عنها فى العصور التالية[٣].

ومن الأشياء التى تسترعى الانتباه فى منهج ابن خلدون العلمى احالته على المراجع المتخصصة فى بعض الأحيان ، فعندما تحدث عن مذاهب الشيعة قال : "وفى كل واحدة من هذه المقالات للشيعة اختلاف كثير ، الا أن هذه أشهر مذاهبهم ومن أراد استيعابها ومطالعتها فعليه بكتاب الملل والنحل

---

(١) الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبى عقيل الثقفى ، كان عاملا للوليد بن عبد الملك على العراق وخراسان ، وقد اهتم بوضع النقط على المصحف حينما رأى اختلاف الناس فى قراءته ، وكان ظالما فى معاملته للناس ، وقد توفى سنة ٧٥هـ وعمره ٥٤ سنة .

ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج٢ ، ص٢٩-٥٤ .

(٢) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج١ ، ص٣٢٢-٣٢٣ .

(٣) المصدر السابق ، ج١ ، ص٣٢٣ .

لابن حزم(١)، والشهرستانى(٢)، وغيرهما ، ففيها بيان ذلك"(٣).

وعندما تحدث عن وظائف السلطان والملك ورتبته بشكل عام برر استعجاله فى عرض هذه المسألة بقوله : "فليس من غرض كتابنا كما علمت فلانحتاج الى تفصيل أحكامها الشرعية ، مع أنها مستوفاة فى كتب الأحكام السلطانية مثل كتاب القاضى أبى الحسن الماوردى(٤)وغيره من أعلام الفقهاء فان أردت استيفاءها فعليك بمطالعتها هنالك"(٥).

ومنها كذلك منهجه المتميز فى عدالة الصحابة فهو لايتعرض لأحدهم بالقدح ولايقبل من غيره أن يفعل هذا ، وهذا المنهج يعتمد فيه على تعليمات الاسلام ووصايا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الذى يقول : "خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم فلاأدرى فى الثالثة أو فى الرابعة قال ثم يتخلف من بعدهم خلف تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته"(٦).

---

(١) أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم ، أصله من فارس ، ولد فى قرطبة سنة ٣٨٤هـ ، كان حافظا عالما بالفقه والحديث والسير والأشعار ، وقد توفى سنة ٤٥٦هـ
ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج٣ ، ص٣٢٥-٣٣٠ .
وعنه انظر : التلمسانى : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج٢ ، ص٧٧-٨٤ .

(٢) محمد بن أبى القاسم عبد الكريم بن أبى بكر الشهرستانى ، فقيه على مذهب الأشاعرة ، ولد سنة ٤٦٧هـ بشهرستان ، وتوفى فيها سنة ٥٤٨هـ .
ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج٤ ، ص٢٧٣-٢٧٥ .

(٣) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٥٩٨ .

(٤) أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى المعروف بالماوردى ، فقيه شافعى ، له تصانيف كثيرة فى الفقه والتفسير والأدب ، استوطن بغداد ومات فيها سنة ٤٥٠هـ ، وله من العمر ست وثمانون سنة .
ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج٣ ، ص٢٨٢-٢٨٤ .

(٥) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٦٥ .

(٦) أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى : الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم ، (بيروت ، دار المعرفة) ، ٧/٤ ، ص١٨٥ .

يقـول : "فـاياك أن تعـود نفسـك أو لسـانك التعـرض لأحد منهـم ، ولاتشوش قلبك بالريب فى شىء مما وقع منهم ، والتمس لهم مذاهب الحق وطـرقه مـاستطعت فهـم أولى النـاس بذلـك ، ومـااختلفـوا الا عـن بينـة ، وماقاتلوا أو قتلوا الا فى سبيل جهاد أو اظهار حق"(١).

ومنهـا كذلك نقده لبعض المؤرخين مـع حبه لهم وثنـائه عليهم ، هذا الاعجـاب لم يكـن يمنعه من ابداء رأيه الصـريح اذا رآهـم أخطـأوا ، ومـن هؤلاء المسعودى(٢)، فقد أورد اسمه عندما تحدث عن العرافين وكيـف أنهم يدعون علم الغيب فقال : "وقد تكلم عليها المسعودى فى مـروج الذهب ، فما صادف تحقيقا ولااصابة . ويظهر من كلام الرجل أنه كان بعيدا عن الرسوخ فى المعارف فينقل ماسمع من أهله ومن غير أهله"(٣).

وقـد نقـده فى مـوضع آخر عنـدما ادعـى أن القـدامى كـانوا طـوال الأجسـام أقوياء أشداء معتمـدا فى ادعائه هذا على آثارهـم . وقـد أنكر ابن خلـدون هـذا الادعاء ورده بشكـل علمى لايقبل الشـك فقـال : "وهذا رأى لاوجه لـه الا التحكـم كما تراه ، وليـس له علة طبيعيـة ولاسبـب برهانى . ونحن نشـاهد مسـاكن الأولين وأبوابهـم وطـرقهم فيمـا أحدثوه مـن البنيان والهيـاكل والديار والمساكـن ، كديار ثمود المنحوتة فى الصلـد مـن الصخر . بيوتا صغارا وأبوابها ضيقة. وقد أشار صلى الله عليه وسلم أنها ديارهم"(٤).

وكمـا نقد المسعودى فقد نقـد الطرطوشى(٥)فى كتـابه "سراج الملوك"

---

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٢٤ .

(٢) انظر فى ثناء ابن خلدون على المسعودى : ابن خلدون : مقـدمة ابن خلدون ، ج١ ص٢٨٣-٢٨٤،٣٢٥،٣٢٦ .

(٣) ابن خلـدون : مقدمة ابن خلـدون ، ج١ ، ص٤٢١ . وانظـر : المسعـودى : مروج الذهب ، ج٢ ، ص١٥١-١٦٠ .

(٤) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٥٥٨ .

(٥) محمـد بن الوليد بن محمد بن خلـف القرشى الأندلسى فقيـه مـالكى زاهد ، درس على أكابر علماء عصره فى الأندلس وبغداد ، وله مؤلفات عديدة ، ولد سنة ٤٥١هـ وتوفى سنة ٥٢٠هـ فى الاسكندرية .
ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج٤ ، ص٢٦٢-٢٦٥ .

حيث ذكر هذا أن حماية الدولة تعتمد على اعطاء الجند الأموال لأنهم حماة الدولة ، بينما يرى ابن خلدون أن هذه المسألة قد تصح عند هرم الدولة لأنها فى هذه الحالة تستظهر بالموالى والصنائع ، ثم الى المستخدمين من ورائهم بالأجر والموافقة ، بينما فى بداية الأمر تقوم الدولة على العصبية وحدها[١].

وهكذا نرى أن ابن خلدون صاحب رأى مستقل ، يدافع عن رأيه ، ويناقش الآخرين ، وينتقد من يعتقد بخطئه ، وهذه ـ فى رأينا ـ ميزة تحسب له . وان كنا نعتقد كذلك أن الدفاع عن الرأى الخاطىء يجب أن لايفعله المؤرخون أو غيرهم .

---

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٥٢٤ . وانظر : محمد بن الوليد الطرطوشى : سراج الملوك ، تحقيق : جعفر البياتى ، (ط١ ، رياض الريس للكتب والنشر : ١٩٩٠م) ، ص٣٦٦ .

المبحث الثالث

مآخذ على منهج ابن خلدون في مقدمته

ومدى تطبيقه لهذه الآراء

مآخذ على بعض آراء ابن خلدون فى مقدمته ومدى تطبيقه لهذه الآراء

ومع ذلك فهناك بعض المآخذ يمكن أن تحسب على ابن خلدون ، وقد كنا نود لو أنه كان أكثر دقة واستطاع تجنبها . ونحن هنا لانستقصى كافة المآخذ على تاريخه ، بل نذكر بعض الأمثلة فقط لنشير الى بعض سلبياته كما أشرنا سابقا الى بعض ايجابياته ، ليكون البحث أكثر شمولا وواقعية .

ذكر ابن خلدون أن بعض المؤرخين المتأخرين قلدوا سابقيهم فى منهجهم التاريخى عند الحديث عن الدول ، فعندما يتحدثون عن أحد الملوك يذكرون اسمه ونسبه وأباه وأمه ونساءه ووزراءه ... الخ "كل ذلك تقليد لمؤرخى الدولتين من غير تفطن لمقاصدهم . والمؤرخون لذلك العهد كانوا يضعون تواريخهم لأهل الدولة ، وأبناؤها متشوقون الى سير أسلافهم ومعرفة أحوالهم ليقتفوا آثارهم وينسجوا على منوالهم ، حتى فى اصطناع الرجال من خلف دولتهم ، وتقليد الخطط والمراتب لأبناء صنائعهم وذويهم . والقضاة أيضا كانوا من أهل عصبية الدولة وفى عداد الوزراء كما ذكرناه لك ، فيحتاجون الى ذكر ذلك كله . وأما حين تباينت الدول ، وتباعد مابين العصور ، ووقف الغرض على معرفة الملوك بأنفسهم خاصة ، ونسب الدول بعضها من بعض فى قوتها وغلبتها ، ومن كان يناهضها من الأمم أو يقصر عنها ، فما الفائدة للمصنف فى هذا العهد فى ذكر الأبناء والنساء ونقش الخاتم واللقب والقاضى والوزير والحاجب من دولة قديمة لايعرف فيها أصولهم ولاأنسابهم ولامقاماتهم؟! انما حملهم على ذلك التقليد والغفلة عن مقاصد المؤلفين الأقدمين والذهول عن تحرى الأغراض من التاريخ"(١).

والواقع أن ابن خلدون قد جانب الصواب فى رأيه هذا لأن دارس التاريخ قد يجد أهمية خاصة فى بعض الأحيان لمعرفة هذه التفاصيل ، فالنساء

---

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج١ ، ص٣٢٤ .

أحيانا يكون لهن دور بارز فى مجريات الأمور وكذلك الوزراء والحجاب وماشاكلهم من المقربين للحاكم ، فمعرفة هؤلاء وأدوارهم ومواقعهم فى الدولة تعين المؤرخ وترشده ليصدر حكما صائبا على الأحداث ، ولانعتقد أن هذه المسألة يمكن اغفالها بسهولة ، مع أن ابن خلدون عاد فاستدرك على نفسه ، اذ استثنى بعد ذلك من كان له أهمية خاصة كالحجاج وابن المهلب(١)، والبرامكة وأمثالهم(٢).

وتحدث ابن خلدون عن العمالقة ، فأشار فى معرض حديثه عنهم أن "الشمس فى نفسها لاحارة ولاباردة وانما هى جسم بسيط مضىء لامزاج له"(٣). وهذا خطأ علمى واضح فالشمس جسم حار ملتهب ، والغريب أن يقول ابن خلدون هذا الكلام مع انتشار العلوم فى عصره فى المجتمع الاسلامى (٤).

وقد أخطأ ابن خلدون كذلك فى جعله آثار الدولة دالة على قوتها ، وقد علل وجهته تلك بقوله : "والسبب فى ذلك أن الآثار انما تحدث عن القوة التى بها كانت أولا ،وعلى قدرها يكون الأثر . فمن ذلك مبانى الدولة وهياكلها العظيمة ، فانما تكون على نسبة قوة الدولة فى أصلها ، لأنها لاتتم الا بكثرة الفعلة واجتماع الأيدى على العمل والتعاون فيه ، فاذا كانت الدولة عظيمة فسيحة الجوانب كثيرة الممالك والرعايا ، كان الفعلة كثيرين

---

(١) يزيد بن المهلب ابن أبى صفرة الأزدى ، كان واليا على خراسان فى عهد سليمان بن عبد الملك ثم نشبت حروب بينه وبين مسلمة بن عبد الملك انتهت بمقتله سنة ١٠٢هـ .
عنه انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج٦ ، ص٢٧٨ ومابعدها .

(٢) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج١ ، ص٣٢٤-٣٢٥ .

(٣) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٥٥٧ .

(٤) انظر ماكتبه الامام الغزالى حول هذا الموضوع : أبى حامد الغزالى الطوسى : الحكمة فى مخلوقات الله ، تحقيق : محمد رشيد رضا قبانى ، (ط٢ ، بيروت ، دار احياء العلوم : ١٤٠٤هـ) ، ص١٩ ومابعدها .

جدا وحشروا من آفاق الدولة وأقطارها ، فتم العمل على أعظم هياكله"(١).

ورأيه هذا جانبه الصواب فليست قوة الدولة تقاس بآثارها المادية وهياكلها العظيمة ، فهذه دولة الاسلام فى عهد الرسول والخلفاء الراشدين بلغت قوة عظيمة واتسعت ممالكها ولم يكن بها آثار مادية ملحوظة . والمرجح أن الاتجاه لبناء الآثار العظيمة يحصل فى الدول الكبيرة المترفة .

وقد وقع ابن خلدون فى جملة أخطاء أنكرها على غيره ، وكان الأولى به أن يلتزم بما دعا غيره الى الالتزام به ، لكنه لم يفعل هذا .

فمن ذلك حديثه عن المعركة التى دارت بين يحيى بن زيد(٢) ومعه سبعون رجلا من أنصاره ، وبين جيش بنى أمية وعددهم عشرة آلاف رجل ، وانتهت المعركة - كما ذكر ابن خلدون - بانتصار يحيى على خصمه(٣).

ولعله من غير المعقول أن ينتصر سبعون رجلا على عشرة آلاف رجل مهما بلغت قوة هؤلاء السبعين ، ويدخل ضمن هذا السياق ماذكره ابن خلدون عند حديثه عن المعركة التى دارت بين جيش الدولة الأموية بقيادة عتاب بن ورقاء الرياحى(٤) ومعه خمسون ألفا ، وجيش الخوارج بقيادة

---

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٥٥٦ .

(٢) يحيى بن زيد بن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، كان من الخارجين على ولاة الدولة الأموية ، وقد قاتله ولاتها أكثر من مرة حتى تمكنوا من قتله فى مدينة جوزجان وصلبوه أياما حتى أنزله أبو مسلم الخراسانى ودفنه .
أبو الفرج على بن الحسين الأصفهانى : مقاتل الطالبيين ، تحقيق : أحمد صقر ، (بيروت ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع بمكة المكرمة) ، ص١٥٢-١٥٨ .
وعنه انظر : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى : تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمرى ، (ط١ ، بيروت ، دار الكتاب العربى : ١٤٠٧هـ) ، حوادث ١٢١-١٤٠هـ ، ص٢٩٩-٣٠٠ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص١٣٠ .

(٤) عتاب بن ورقاء الرياحى ، كان من قواد الحجاج قاتل شبيبا الخارجى وقتله شبيب وكان ذلك سنة ٧٧هـ .
عنه انظر : ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج١ ، ص٨٣ .

شبيب بن يزيد الشيبانى(١)ومعه ستمائة مقاتل وانتهت المعركة بانتصار شبيب على عتاب وقتله وهزيمة جيشه(٢).

هذه المبالغة ذاتها التى أنكرها ابن خلدون على المسعودى عندما تحدث الأخير عن جيوش بنى اسرائيل وكثرتهم ، وناقشه فى رأيه وجعله مخطئا(٣).

ومن الأشياء التى تؤخذ على ابن خلدون تناقضه فى رواية الحدث الواحد بين المقدمة والتاريخ مما يجعل القارىء فى حيرة من أمره لايدرى أين الرأى الحق الذى تبناه المؤلف .

من ذلك ماذكره بعد انقضاء أمر الجمل فقد خشى معاوية أن يتحد على بن أبى طالب مع قيس بن سعد(٤)ضده ويجتمع عليه أهل العراق ومصر فلايستطيع المدافعة عن نفسه ، فكتب الى قيس خطابا اتهم فيه عليا بدم عثمان ، ووعده بولاية العراقين وأن يولى بعض أهله على الحجاز ويعطيه ماشاء من الأموال . كل هذه الوعود مقابل أن يتخلى قيس عن على ويتجه الى معاوية(٥).

---

(١) شبيب بن يزيد بن نعيم الشيبانى ، من كبار الخوارج ، خرج فى خلافة عبد الملك بن مروان فى الموصل ثم فى الكوفة فحاربه الحجاج زمنا طويلا ، مات غرقا فى نهر دجيل بالأهواز سنة ٧٧هـ وكان مولده سنة ٢٦هـ .
عنه انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج٢ ، ص٤٥٤-٤٥٨

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص١٩٦ .

(٣) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج١ ، ص٢٩٢-٢٩٥ .

(٤) قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى الخزرجى . كان من فضلاء الصحابة وأحد دهاة العرب وشجعانهم ، وكان يحمل راية الأنصار مع النبى صلى الله عليه وسلم ، استعمله على على مصر ثم عزله بعد ذلك . روى عدة أحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم وتوفى سنة ٥٩هـ .
ابن الأثير : أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، ج٤ ، ص٢١٥-٢١٦ .
وعنه انظر : ابن تغرى بردى :النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ج١ ، ص٩٥-١٠١ .

(٥) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٢٣-٦٢٤ .

هـذه الرواية تشير صراحة الى أن معـاوية لم يكـن يطـالب بدم عثمان بقـدر حرصه على المطالبة بالخلافـة ، فالذى يملك اعطـاء هذه الوعود ويكون قادرا على تحقيقها هو الخليفــة . مـن جانب آخر نجد أن معــاوية يؤكـد أن المسئـول عن قتل عثمان هو على بن أبى طـالب ، وهــذا يتناقض مع ماذكره ابن خلـدون فى مقدمته من أن معـاوية كان يلوم عليـا على سكوته عن نصرة عثمان من قاتليه لافى الممالأة عليه(١).

ويذكر ابن خلدون فى موقع آخر أن الجنيد بن عبد الرحمن(٢)أهدى الى زوجة الخليفـة هشام قلادة فيها جواهر فأعجبت القلادة هشـاما فأهدى له أخرى فولاه خراسان وحمله على البريد(٣).

ولعله من المستبعد حدوث هذه الواقعة لأن الخليفة وزوجته ـ كما هو المتـوقع ـ اعتادا على رؤية الجواهر واستعمالها خصوصـا أن هذه القلادة غير نادرة ، بدليل أنه أهدى مثلها للخليفة كما تقول الرواية ، فهل من المعقول أن يجعله واليا على خراسان من أجل قلادتين حتى وان كانتا باهظتى الثمن . وقد كان بمقدور الخليفة أن يأخذ منه القلادتين دون أن يوليه شيئا لو أراد.

ان هـذه الرواية تظلم الخليفة وتدل على تسرع ابن خلـدون فى حكمه وعدم دقته .

ومن الأشياء التى تؤخذ على ابن خلدون تكرار الروايات لحدث واحد دون أن يرجح أحدهـا مخالفا بذلك منهجه الذى وضعـه للتحقق من الرواية التـاريخية ، ومـن أمثلـة ذلـك وصية معاوية لابنـه يزيد(٤)حيث أورد ابن خلـدون روايتين لهذه الـوصية دون أن يرجح احداهمـا(٥)، بينمـا نجد ابن

---

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦١٧-٦١٨ .

(٢) الجنيـد بن عبد الرحمن المرى الـدمشقى . ولى خراسان والسنـد وتوفى سنة ١١٥هـ. عنـه انظـر : ابن العماد : شـذرات الـذهب فى أخبار مـن ذهـب ، ج١ ، ص١٥١ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص١١٠ .

(٤) انظـر مايتعلق بهذا الموضوع فى الفصـل الثانى ، المبحث الأول "الفـرع السفيانى" ص

(٥) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص٢٣-٢٤ .

الأثير أورد الروايتين لكنه أنكر احداها بدليل أن أحد المذكورين فى الوصية كان ميتا قبل معاوية(١). وكان الأجدر بابن خلدون أن يفطن لما فطن له ابن الأثير وهو صاحب منهج متميز فى تحقيق الروايات ، ولاحق لابن الأثير فكان ينبغى أن يستفيد منه .

ومثل هذه روايةمقتل حجر بن عدى(٢)اذ أورد روايتين دون ترجيح احداهما(٣).

وكذلك عند حديثه عن هزيمة مروان(٤)بالزاب(٥)، ومقتله بمصر ، فقد ذكر أن ابراهيم بن الوليد(٦)المخلوع غرق ، لكنه قال مباشرة : "وقيل

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٤ ، ص٥-٦ .

(٢) حجر بن عدى بن معاوية الكندى ، المعروف بحجر الخير ، وفد على النبى صلى الله عليه وسلم مع أخيه هانىء ، وشهد القادسية وكان من فضلاء الصحابة . قاتل مع على بن أبى طالب فى صفين والنهروان والجمل وقد قتله معاوية بن أبى سفيان سنة احدى وخمسين .
ابن الأثير : أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، ج١ ، ص٣٨٥-٣٨٦ .
وعنه انظر : ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج٦ ، ص٢١٧-٢٢٠ ، ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج١ ، ص٥٧ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص١٣-١٧ .

(٤) مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبى العاص ، ولد سنة اثنين وسبعين وهو آخر خلفاء بنى أمية ، ويكنى بأبى عبد الملك ، يقال له مروان الحمار لشدة صبره على قتال الخوارج . وقد بويع بالخلافة سنة ١٢٧هـ ، وظهرت دعوة بنى العباس فى عهده وانقرضت بموته دولة الأمويين .
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ج١ ، ص١٩٦،٢٧٣، ٣٢٢ . وعنه انظر : الذهبى : تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، حوادث وفيات ١٢١-١٤٠هـ ، ص٥٣٣-٥٣٧ .

(٥) الزاب الأعلى بين الموصل واربل ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٣ ، ص١٢٣-١٢٤ . وانظر : البكرى : معجم ماستعجم من أسماء البلاد والمواضع ، ج٢ ، ص٦٩١-٦٩٢ .

(٦) ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك المروانى الأموى ، قام بالأمر بعد وفاة أخيه يزيد ابن الوليد سنة ١٢٦هـ وكان تارةيسلم عليه بالخلافة وتارة يسلم عليه بالامارة ، ثار عليه مروان بن محمد بن مروان وقتل مع من قتل من بنى أمية حين زالت دولتهم عنه انظر : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٥ ، ص٣٠٨ ومابعدها .

بل قتله عبد الله بن على[١] بالشام"[٢]، وفرق كبير بين الموت غرقا والموت قتلا .

ومن الأشياء التى تؤخذ عليه كذلك ايراد بعض الروايات الضعيفة ثم نفيها ، فعند حديثه عن اضطراب الأمور فى مصر على محمد بن أبى بكر[٣] ذكر أن عليا رضى الله عنه وجه الاشتر[٤] الى مصر "وبلغ الخبر الى معاوية وكان قد طمع فى مصر فعلم أنها ستمتنع بالأشتر ، وجاء الأشتر فنزل على صاحب الخراج بالقلزم[٥] فمات هنالك ، وقيل ان معاوية بعث الى صاحب القلزم فسمه على أن يسقط عنه الخراج وهذا بعيد"[٦]. وهكذا بعد أن أورد

---

(١) عبد الله بن على بن العباس ، وهو عم الخليفة أبى جعفر المنصور ، ولد سنة ثلاث ومائة ، وتوفى سنة سبع وأربعين ومائة وهو الذى هزم مروان الحمار فى معركة الزاب وتبعه الى دمشق وفتحها .
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ج٢ ، ص٧-٨ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص١٦٤ .

(٣) محمد بن أبى بكر الصديق ، ولد فى حجة الوداع لخمس بقين من ذى القعدة ، وأمه أسماء بنت عميس الخثعمية ، قاتل مع على بن أبى طالب فى صفين والجمل ثم ولاه على مصر فقتل فيها ، وهو يعد من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين
ابن الأثير : أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، ج٤ ، ص٣٢٤-٣٢٥ .
وعنه انظر : أبى عمر محمد بن يوسف الكندى : تاريخ ولاة مصر ، (ط١ ، بيروت مؤسسة الكتب الثقافية : ١٤٠٧هـ) ، ص٢٨-٣١ .

(٤) مالك بن الحارث بن عبد يغوث من قبيلة مذحج ، وكان من أصحاب على بن أبى طالب ، شهد معه الجمل وصفين ومشاهده كلها . ولاه على على مصر فلما خرج اليها مات فى بلدة العريش قبل أن يصل الى مصر .
ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج٦ ، ص٢١٣ .
وعنه انظر : الكندى : تاريخ ولاة مصر ، ص٢٥-٢٨ ، ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج١ ، ص٤٨ .

(٥) القلزم مدينة مبنية على البحر بينها وبين مصر ثلاثة أيام واليها ينسب البحر ، فيقال بحر القلزم ، وأما اليوم فهى خراب يباب ، وصار الميناء الى مدينة قربها يقال لها سويس . ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٣٨٧-٣٨٨ .

(٦) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٤١ .

ابن خلدون هذه الرواية الضعيفة استبعد حدوثها ، ولعله كان فى غنى عن ايرادها أصلا مادام قد استبعد حدوثها .

ومن الأشياء التى تؤخذ على ابن خلدون استخدامه لبعض الألفاظ فى غير موقعها الصحيح ـ وكان الأجدر ـ وهو المتمكن فى اللغة ـ أن يستعمل الكلمة فى موقعها المناسب . ومن أمثلة ذلك استخدامه لكلمة "المبايعة" عند حديثه عن موافقة عمرو بن العاص لمعاوية فى الطلب بدم عثمان[١]. وكان الأولى أن يستخدم كلمة موافقة عمرو بن العاص لمعاوية بدل مبايعة حتى لايلبس على القارىء ، اذ أن استخدام هذا اللفظ لايصح فى هذا الموقع لأن المعروف أن "البيعة" تعنى المبايعة بالخلافة العامة على المسلمين ، ومن المستبعد أن يقصد ابن خلدون المبايعة بالخلافة ، اذ من المعروف أنه لايجوز أن يكون فى الدولة الاسلامية خليفتان فى وقت واحد ، فاذا عرفنا أن هذا الأمر كان فى بداية عهد الدولة الاسلامية وفى زمن الصحابة أدركنا استحالة هذا الأمر وقبول الصحابة به .

واذا كان البعض يرى أن بيعة على رضى الله عنه لم تنعقد لعدم اجتماع أهل الحل والعقد وتفرقهم فى الأمصار فما بالك ببيعة معاوية ، ثم كيف يكون معاوية خليفة وهو يراود الحسن فى الصلح بعد مقتل على ويطلب منه التنازل له عن الخلافة ويستجيب لمطالبه .

وقد لايكون ابن خلدون معذورا فى استعماله هذا اللفظ الذى له صفة الشرعية الا اذا كان استعماله له لغويا بحتا اذ أن المبايعة تعنى فى اللغة الطاعة والتعاهد على الشىء[٢]، وكان ينبغى عليه أن يوضح هذا حتى لايقع القارىء فى التباس غير محمود .

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٢٣،٦٢٥ .

(٢) ابن منظور : لسان العرب ، تحقيق : عبد الله على الكبير وآخرون ، (القاهرة ، دار المعارف) ، ج١ ، ص٤٠٢ .

ومثل هذا استخدامه لكلمة "ترهب" عند حديثه عن زهير بن قيس(١) حيث قال عنه : "ثم ترهب زهير بعدها وقفل الى المشرق فاستشهد ببرقة(٢)كما ذكرناه"(٣).

ومن الكلمات التى استعملها ابن خلدون فى غير موضعها كلمة "فتح"(٤) عند حديثه عن معركة تدور بين مسلمين وتنتهى بأخذ بعض الأمصار الاسلامية وضمها للفريق المنتصر ، وهذا خطأ ماكان ينبغى لمثله أن يقع فيه ، فكلمة فتح تستعمل مجازا لافتتاح دار الحرب فيقال : فتح المسلمون دار الكفر . أما ديار الاسلام فلاينبغى أن تستعمل فيها هذه الكلمة(٥).

---

(١) زهير بن قيس البلوى ، يقال أن له صحبة ، شهد فتح مصر ، وقاتل الروم ببرقة سنة ست وسبعين وكان فى عدد قليل فقتل فى هذه المعركة .
شهاب الدين أحمد بن على بن محمد بن محمد بن على الكنانى العسقلانى المعروف بابن حجر : الاصابة فى تمييز الصحابة ، (بيروت ، دار الكتاب العربى) ، ج١ ، ص٥٣٧ .
وعنه انظر : ابن الأثير : أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، ج٢ ، ص٢١١-٢١٢ ، الناصرى : الاستقصا فى أخبار المغرب الأقصى ، ج١ ، ص٨١،٨٤،٩١-٩٢ .

(٢) اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الاسكندرية وافريقية وهى مما افتتح صلحا سنة ٢١هـ . وكانت تسمى قبل الاسلام انطابلس وكانت تضم خمس مدن بنيت على أنقاضها الآن بنى غازى والمرج .
ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج١ ، ص٣٨٨-٣٨٩ ، السيد عبد العزيز سالم تاريخ المغرب الكبير ، (دار النهضة العربية ، بيروت : ١٩٨١م) ، هامش ص١٤٢ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٦ ، ص١٤٣ .

(٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٤٣ . وانظر كذلك : ج٤ ، ص٦١ ج٦ ، ص٣١٢-٣١٧،٣٣٢،٥٥٤ .

(٥) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى : القاموس المحيط ، (بيروت ، دار المعرفة) ، ج١ ، ص٢٣٩ .

مدى تطبيق ابن خلدون لآرائه :

لقد أجمع معظم المؤرخين المعاصرين على أن ابن خلدون لم يلتزم بالقواعد التاريخية التى ذكرها فى مقدمته مخالفا بذلك منهجه العلمى [(١)].

---

(١) على عبد الواحد وافى : عبقريات ابن خلدون ، ص١٢٥ ، عبد الحليم عويس : تفسير التاريخ علم اسلامى .. نحو نظرية اسلامية فى تفسير التاريخ ، (القاهرة ، دار الصحوة للنشر : ١٤٠٦هـ) ، ص١٥٢ ، تيسير شيخ الأرض : ابن خلدون ، (ط١ ، بيروت ، دار الأنوار : ١٩٦٦م) ، ص٤٧ ، زينب الخضيرى : فلسفة التاريخ عند ابن خلدون ، ص٦١ ، على الوردى : منطق ابن خلدون ، ص١٦٠-١٦١ ، محمد الهادى العامرى : تاريخ المغرب العربى فى سبعة قرون بين الازدهار والذبول من القرن السابع هجرى الى ختام القرن الثالث عشر ، (تونس ، طبع شركة فنون الرسم والنشر والصحافة ، نشر الشركة التونسية للتوزيع بتونس : ١٩٧٤م) ، ص١٥١-١٥٢ ، حسن عثمان : منهج البحث التاريخى ، (ط٥ ، القاهرة ، دار المعارف) ، ص١٤٥ ، عثمان موافى : منهج النقد التاريخى الاسلامى والمنهج الأوربى ، (ط٢ ، الاسكندرية ، مؤسسة الثقافة الجامعية : ١٩٧٦م) ، ص٢٨٧ ، ملحم قربان : خلدونيات نظرية المعرفة فى مقدمة ابن خلدون ، (ط١ ، بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع : ١٤٠٥هـ) ، ص١٠٤ ، عبد الجبار ناجى : "تتبع تاريخى لمحاولة ابن خلدون فى اعادة كتابة التاريخ العربى" ، (مجلة المؤرخ العربى ، ع٢٢ ، ١٤٠٢هـ) ، ص١٢٦ ، خليل شرف الدين : ابن خلدون ، (بيروت ، منشورات دار ومكتبة الهلال) ، ص٥٥ ، ايف لاكوست : ابن خلدون واضع علم ومقرر استقلال ، ص٤٠ ، معن زيادة : "ابن خلدون بين الفكر والسياسة" ، (مجلة الفكر العربى ، س٧ ، ع٤٣ ، ١٩٨٦م) ، ص٢١٣ ، محمد السعيد الكردى : ابن خلدون مقال فى المنهج التجريبى ، ص٣١٧ ، محمد ماهر حماده : المصادر العربية والمعربة ، (ط٥ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة : ١٤٠٦هـ) ، ص٣٠٦ ، جورج لابيكا : السياسة والدين عند ابن خلدون ، ترجمة : موسى وهبى وشوقى دويهى ، (ط١ ، بيروت ، دار الفارابى : ١٩٨٠م) ، ص٥٠ ، محمد عزيز الحبابى : "أصالة المنهجية عند ابن خلدون"، (مهرجان ابن خلدون عام ١٩٦٢م ، نظمته كلية الآداب ، جامعة محمد الخامس بمشاركة اتحاد كتاب المغرب العربى وجمعية قدماء مولاى ادريس بفاس ، نشر وتوزيع دار الكتاب ، الدار البيضاء) ، ص١٩ .

غير أن بعضهم ناقش من وجهة نظره عدم التزام ابن خلدون بمنهجه العلمى ، من هؤلاء الدكتور معن زيادة الذى تحدث عن القواعد التى وضعها ابن خلدون لكتابة التاريخ ثم قال معلقا عليها : "ولكن ابن خلدون نفسه عندما يكتب التاريخ لايلتزم بهذه القواعد الالتزام المطلوب . لماذا؟ لأن ابن خلدون السياسى كان يطغى على ابن خلدون العالم والمفكر ، فقد كان ابن خلدون يعمل فى خدمة الحكام وكان هؤلاء يفيدون من علمه وخبرته ، كان مثقفا من مثقفى السلطة وضع خبرته وثقافته فى خدمتها ، وكان لابد لذلك من أن يوقعه فى الفخ الذى نصح المؤرخين بتجنبه وهو فخ التقرب من أصحاب السلطة"(١).

أما الباحث (ايف لاكوست) فيرى أن افتقار ابن خلدون الى مراجع دقيقة هو الذى وقف حائلا بينه وبين تطبيق تلك القواعد(٢).

وللدكتور على الوردى وجهة نظر أخرى حيث يقول : "يغلب على ظنى أن ابن خلدون لم يكتب مقدمته لغرض تمحيص الأخبار كما ادعى ، انما هو كتبها تحت تأثير دافع غامض انتفض به فجأة ، وكأنه وجد فى هذا الدافع علاجا للحيرة التى سيطرت على ذهنه زمنا طويلا"(٣).

أما الدكتور عبد الحليم عويس فيرى أن ابن خلدون وان لم يطبق كثيرا من آرائه فى كتاب العبر الا ان "ذلك لايسلبه فضل التعبير عنها بغاية الدقة والوضوح . فانه كان من المستحيل عمليا - لاسيما فى زمانه ، تطبيقها من طرف باحث واحد ، فى موسوعة فتحت صفحاتها لتاريخ العالم الاسلامى بأكمله - ولعل استعصاء تطبيق هذه الآراء فى كتاب (العبر) هو الذى جعل ابن خلدون يضمن خلاصة أفكاره وعبره واعتباراته خاصة فى (المقدمة)"(٤).

---

(١) معن زيادة : "ابن خلدون بين الفكر والسياسة" ، (مجلة الفكر العربى ، س٧ ، ع٤٣ ، ١٩٨٦م) ، ص٢١٣ .

(٢) ايف لاكوست : ابن خلدون واضع علم ومقرر استقلال ، ص٤٠ .

(٣) على الوردى : منطق ابن خلدون ، ص١٦١ .

(٣) عبد الحليم عويس : تفسير التاريخ علم اسلامى ، ص١٥٢-١٥٣ .

أما الدكتورة زينب الخضيرى فترى أن عذره فى ذلك أنه أول من وضع هذا المنهج ، وأول من حاول تطبيقه ، ومن الطبيعى أن المحاولات الأولى تتعثر وتحوى كثيرا من الثغرات[1].

ومع اعترافنا أن ابن خلدون لم يلتزم بمنهجه العلمى فى بعض المواضع وقد أوردنا شواهد متنوعة على هذه المخالفات ، الا أنه مع ذلك كله يبقى منظرا لتفسير التاريخ ، وواضع أقوى نظرياته ، ومتفوقا على غيره من المؤرخين .

---

(١) زينب الخضيرى : فلسفة التاريخ عند ابن خلدون ، ص٦١ .

الفصل الثانى

التقويم التاريخى لقيام الدول وسقوطها

* التقويم التاريخى لقيام الدول وسقوطها .
* رأى ابن خلدون فى قيام الدولة الأموية بين المؤيدين والمعارضين .

المبحث الأول

التقويم التاريخي لقيام الدول وسقوطها

* قيام الدول فى فكر ابن خلدون .

* أطوار الدولة فى فكر ابن خلدون وسقوطها .

التقويم التاريخى لقيام الدول وسقوطها

من الحقائق التى أصبحت مقررة فى الفكر التاريخى أن العلامة عبد الرحمن بن خلدون رائد من رواد تفسير التاريخ ، أو "فلسفة التاريخ" ان لم يكن فى المقدمة من هؤلاء الرواد فى العالم كله .

ومهما كان الخلاف حول بعض القضايا التى عرض لها ابن خلدون ، والنقد الموجه لبعض آرائه وتفصيلات نظرياته فان ريادته حقيقة لاشك فيها

وتفسير التاريخ أو "فلسفة التاريخ" يتصل اتصالا مباشرا بقضايا المسار الحضارى للأمم وللبشرية ، وليس عمله أن يقوم برصد الوقائع وجمعها وتمحيصها وبناء هيكلها التاريخى على نحو محكم - فحسب - فهذا عمل يقوم به المؤرخ ، وانما جوهر عمله أن يرقب عوامل النهوض وعوامل السقوط وعناصر القوة والضعف ، ومراحل الحضارة - أو الدولة - بصفة عامة ، ومن ثم يستخلص القوانين الاجتماعية التى يمكن أن تفيد فى ابعاد الحضارة أو الدولة عن الانزلاق الى أسباب التفكك ومراحل الانهيار(١).

وقد جمع عبد الرحمن بن خلدون بين الوظيفتين ، فهو مؤرخ ، ومفسر للتاريخ فى نسيج واحد ، وبهاتين الامكانيتين نجح ابن خلدون فى أن يقدم لنا اطارا متكاملا لنظرية سبقت عصرها بقرون طويلة هى النظرية الخلدونية فى تفسير التاريخ .

وهناك حقيقتان يجب أن نذكرهما ونحن بصدد الحديث حول نظرية ابن خلدون فى قيام الدول وسقوطها باعتبارها القضية الأساس فى "علم تفسير التاريخ أو فلسفة التاريخ"(٢)،بل ربما كانت هذه القضية - عند امعان

---

(١) انظر فى تأكيد المطابقة بين مصطلحى تفسير التاريخ وفلسفة التاريخ ، وأيضا فى "عملية فلسفة التاريخ" عبد الحليم عويس : تفسير التاريخ علم اسلامى ، ص١٣-١٥

(٢) انظر الفرق بين المؤرخ ومفسر التاريخ : عبد الحليم عويس : تفسير التاريخ علم اسلامى ، ص١٥-١٨ .

النظر - هى لحمة هذا العلم وسداه .

الحقيقة الأولى : أن التقويم الموضوعى للانتاج المعرفى والفكرى يخضع للمرحلة التاريخية التى مثلها هذا الفكر ، فبمقدار تفوقه على عصره يكون التقويم ، وليس من الموضوعية تقويم النظريات المعرفية أو الفلسفية بما انتهى اليه عصرنا - مثلا - والا لما كان لفلاسفة مثل سقراط (١)، وأرسطو (٢)، وأفلاطون (٣) أدنى قيمة ، بالنسبة لأخطائهم العلمية وللتطورات الهائلة التى وقعت بعدهم فى العلوم الطبيعية والرياضية والاجتماعية والسياسية ، "فمنزلة الباحث والمفكر فى تاريخ "العلوم والأفكار" لاتتعين بملاحظة "جميع الآراء الصائبة والخاطئة" المنبثة فى كتاباته ومؤلفاته المختلفة بل تتقرر بملاحظة "الآراء المبتكرة" التى يسمو بها على معاصريه ، "والحقائق الجديدة" التى يضيفها الى المكتسبات الفكرية البشرية ... وهذا مبدأ هام يجب ألا نهمله أبدا ، عندما نقرأ وندرس مقدمة ابن خلدون"(٤).

---

(١) فيلسوف يونانى من أثينا ولد سنة ٤٦٩ق.م وتوفى ٣٩٩ق.م محور فلسفته أن هنالك حقائق عقلية ثابتة يمكن استنباطها من الحالات الجزئية المتغيرة وأن الانسان اذا أدرك بعقله فضيلة سلك بمقتضاها ، فالعلم والفضيلة شىء واحد لايختلف باختلاف الأفراد .
عنه انظر : اشراف : محمد شفيق غربال : الموسوعة العربية الميسرة ، (بيروت ، دار نهضة لبنان للطبع والنشر) ، ج١ ، ص٩٨٥-٩٨٦ .

(٢) واسمه أرسطو طاليس ولد سنة ٣٨٤ق.م فى اليونان وتعلم الفلسفة فى أكاديمية أفلاطون فى أثينا ، وأصبح المعلم الأول للاسكندر الكبير ، له مؤلفات كثيرة فى شتى العلوم ، وقد مات سنة ٣٢٢ق.م
مايكل هارث : دراسة فى المائة الأوائل ، ترجمة : خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سبانو ، (ط٢ ، دمشق ، دار قتيبة : ١٣٩٩هـ) ، ص٥٨ .

(٣) ولد سنة ٤٢٧ق.م فى اليونان ، وتعلم من الفيلسوف سقراط وأصبح فيما بعد رائدا للفكر الأخلاقى والميتافيزيقى وأصبحت أفكاره ونظرياته تدرس لمئات السنين . أسس أفلاطون الأكاديمية التى استمرت ٩٠٠ سنة بعد وفاته . له مؤلفات عديدة فى السياسة والأخلاق . توفى سنة ٣٤٧ق.م وله من العمر ثمانون عاما .
مايكل هارث : دراسة فى المائة الأوائل ، ص١٢٩ .

(٤) ساطع الحصرى : دراسات عن مقدمةابن خلدون ، ص٦،٥ .

وقـد علق الدكتور ملحم قربان على هذا بقوله : "أن ملاحظـة "الآراء المبتكـرة" لـدى مفكـر مـا هـى عنصـر هـام من العناصـر التى لـو اجتمعـت وتنـاغمت ، تكـون المقيـاس الصحيـح والصـالح لتقـدير منزلـة المفكـر أو العالم[1].

والحقيقة الثانية : أن النظـر الموضوعى الثاقب يقتضـى منا أن ندرس ماجاء به الكاتب كما هو ، ثم يكـون حكمنا عليه تاليـا لـذلك ، وفى ضوء هذا فنحن ملزمون بدراسة (الـدولة) على أسـاس أنها الـوحدة التى اختـارها ابن خلـدون موضوعا لدراسته فى فلسفة التاريخ ، "فـابن خلدون كان يعالج الدول ـ لاالحضارات ـ فى نظريته"[2].

وحقيقـة أننـا كنا نأمل أن يمتـد حقـل الدراسة عنـد ابن خلـدون الى "الحضـارة" باعتبارها الوحدة الأشمـل والموضوع الأعـم . وليست الدولة الا كيـانا من كيانات الحضارة ، وغالبا ماتستوعب الحضارة أكثر مـن دولة ، بل قد تستوعب عشرات الدول ، بل قـد تسقـط دولـة وتقـوم أخرى بينمـا الحضارة باقية ، فالحضارة ـ كوحدة للدراسة ـ أهم وأشمل ، بل هى الوحدة الأكثر ملاءمة للسنن الاجتماعية .

لكن ابن خلدون رأى أن يجعـل (الدولة)[3] ـ بمفهومها التقليـدى ـ هى الوحدة التى يدرسها ومـن واجبنا أن ندرس ماجاء به واعتمـده ولاسيما وأن (الـدولة) التى درسهـا ابن خلـدون هـى النمـوذج العملى للحضـارة ، أوهـى ـ كما نفهم من دراستنـا له ـ الممثل الأرقى للحضـارة لكل مافيها من مظالم ومن ابداع وعطاء ، بل ان مساحة الدولة عنده تتسـع أحيانا لتعبر عن

---

(١) ملحـم قربان : خلدونيات ، قوانين خلـدونية ، (ط١ ، بيروت ، المؤسسـة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع : ١٤٠٤هـ) ، ص٢٩٧ .

(٢) عبـد الحليم عويس : فقه التاريخ وأزمة المسلمين الحضارية ، (ط١ ، القـاهرة ، دار الصحوة للنشر والتوزيع : ١٤٠٧هـ) ، ص٢٢ .

(٣) على الـوردى : منطق ابن خلـدون ، ص٢٨٢،٢٩٤-٢٩٥ ؛ عبـد الحليم عـويس : تفسير التاريخ علم اسلامى ، ص١٥ .

الحضارة ، كما مثلت دولة خلافة بنى أمية ـ مثلا ـ وكما مثل العباسيون فى مرحلتهم الأولى .

والمهم أننا من منطلق منهجية البحث يجب أن ندرس نظرية ابن خلدون فى ضوء ماعتمده هو ، ابتداء وليس فى ضوء ماينبغى أن يكون وان كان التقويم العام يجيز أن نستدرك عليه بعض مافاته من عناصر الشمول .

قيام الدول فى فكر ابن خلدون :

ان ابن خلدون لم يقدم لنا تحديدا اصطلاحيا للدولـة ، فقد كان يراها أمـرا شديد الظهور لايحتاج الى تعريف أو تحديد ، والـدولة موضوع دراسة ابن خلـدون هى الدولة بمفهـومها العام الشامل والذى أطلـق عليها "الدولة العامة"(١)الممتدة فى المكان وفى الزمان .

وقد اهتم ابن خلدون بالدولة اهتماما كبيرا على أنهـا لاغنى عنها وأنها مناط الاجتماع الانسانى بمعناه المنظم والراقى . وأن الانسـانية لاتستطيع تحقيق تطـورها دون "الـدولة" التى تقـوم على تحقيق الحاجات الأسـاسية للانسـان ، وتقوم على تحقيق العدل سواء بالاستناد الى شرع اللـه ـ وهو الآكد ـ وتارة بالاحتكـام الى سياسة عقلية ينقـاد الناس اليها بموجب مـايتوقعونه من النتائج ومايننظرونه من ثواب الحاكم وعقابه(٢).

ولئن كان قيام الدولة ضرورة انسانية لاتحتاج الى توضيـح فان عوامل قيامها أمر تختلف فيه نظريات تفسير التاريخ .

والـدولة فى منظـور ابن خلـدون لاتقـوم الا على عصبيـة "وذلـك أن الرياسة لاتكون الا بالغلب ، والغلب انما يكون بالعصبيـة كما قدمناه . فلابد فى الرياسة على القوم أن تكون من عصبية غالبة لعصبياتهم واحدة واحدة ، لأن كـل عصبية منهم اذا أحسـت بغلبة عصبية الرئيس لهـم أقـروا بالاذعان والاتبـاع والساقط فى نسبهم بالجملة لاتكون له عصبيـة فيهم بالنسب انما هو ملصـق لزيق ، وغاية التعصب له بالولاء والحلف ، وذلـك لايوجب له غلبا عليهـم ألبته . واذا فرضنا أنه قد التحم بهم واختلـط وتنوسى عهده الأول من الالتصاق ، ولبس جلدتهـم ودعى بنسبهم ، فكيف لـه الـرياسة قبل هذا الالتحام أو لأحد من سلفه . والرياسة على القوم إنما تكون متناقلة فى منبت

---

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٥٢١،٥٢٢،٥٢٦ .
(٢) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٧٧٣ .

واحد تعين له الغلب بالعصبية . فالأولية التى كانت لهذا الملصق قد عرف فيها التصاقه من غير شك ومنعه ذلك الالتصاق من الرياسة حينئذ ، فكيف تنوقلت عنه ، وهو على حال الإلصاق ، والرياسة لابد وأن تكون موروثة عن مستحقها لما قلناه من التغلب بالعصبية"(١).

وليس من الضرورى أن يقف مفهوم العصبية عند حدود القرابة والرحم ، فقد تتكون عصبيات تقوم مقام العصبية الأولى ، كما تتطور المعانى الحقيقية إلى معان مجازية ، فقد يكون هناك عصبية بالولاء تقوم مقام عصبية النسب ، "فإذا اصطنع أهل العصبية قوما من غير نسبهم أو استرقوا العبدان والموالى ، والتحموا بهم كما قلناه ، ضرب معهم أولئك الموالى والمصطنعون بنسبهم فى تلك العصبية ولبسوا جلدتهم كأنها عصبتهم"(٢).

وقد تتطور الدولة فتتسع مساحتها ويصبح الولاء لها كأنه جزء لايتجزأ من الولاء للدين بل يصبح الولاء لها ضرورة معاشية يألفه الناس ويشعرون أنهم لايستطيعون الخروج عنه . "والسبب فى ذلك أن الدول العامة فى أولها يصعب على النفوس الانقياد لها الا بقوة قوية من الغلب ، للغرابة وأن الناس لم يألفوا ملكها ولااعتادوه . فاذا استقرت الرياسة فى أهل النصاب المخصوص بالملك فى الدولة وتوارثوه واحدا بعد آخر فى أعقاب كثيرين ودول متعاقبة نسيت النفوس شأن الأولية ، واستحكمت لأهل ذلك النصاب صبغة الرياسة ، ورسخ فى العقائد دين الانقياد لهم والتسليم ، وقاتل الناس معهم على أمرهم قتالهم على العقائد الايمانية . فلم يحتاجوا حينئذ فى أمرهم الى كبير عصابة ، بل كأن طاعتها كتاب من الله لايبدل ولايُعلم خلافه . ولأمر ما يوضع الكلام فى الامامة آخر الكلام على العقائد الإيمانية ، كأنه من جملة عقودها . ويكون استظهارهم حينئذ على سلطانهم ودولتهم

---

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٤٨٨،٤٨٩ .
(٢) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٤٩٣ .

المخصوصة اما بالموالى والمصطنعين الذين نشئوا فى ظل العصبية وغيرها واما بالعصائب الخارجين عن نسبها الداخلين فى ولايتها"(١).

وقيام الدولة على عصبية الدين يغنيها عن عصبية الدم والرحم ، ومن شأن هذا الولاء أن يدفع الناس الى الذود عن صاحبه وبذل الغالى دفاعا عنه كأنما يدافعون عن دينهم ، ومع ذلك فهم "لايطمعون فى مشاركته فى شىء من سلطانه ، تسليما لعصبيته ، وانقيادا لما استحكم له ولقومه من صبغة الغلب فى العالم ، وعقيدة ايمانية استقرت فى الاذعان لهم ، فلو راموها معه أو دونه لزلزلت الأرض زلزالها"(٢).

ومن هذه الصورة الأخيرة من العصبية القائمة على العقيدة والايمان ، يصل ابن خلدون الى قانون آخر أعم وأشمل فى عوامل قيام الدول فيقرر "أن الدول العامة الاستيلاء العظيمة الملك أصلها الدين اما من نبوة أو دعوة حق وذلك لأن الملك انما يحصل بالتغلب ، والتغلب انما يكون بالعصبية واتفاق الأهواء على المطالبة . وجمع القلوب وتأليفها انما يكون بمعونة من الله فى اقامة دينه . قال تعالى :﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى الأَرْضِ جَمِيعاً مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾(٣). وسره أن القلوب اذا تداعت الى أهواء الباطل والميل الى الدنيا حصل التنافس وفشا الخلاف ، واذا انصرفت الى الحق ورفضت الدنيا والباطل ، وأقبلت على الله اتحدت وجهتها ، فذهب التنافس ، وقل الخلاف وحسن التعاون والتعاضد ، واتسع نطاق الكلمة لذلك ، فعظمت الدولة"(٤).

ولو أن ابن خلدون ذهب الى أن الدول العامة لابد لها من معتقد لكان كلامه أكثر قبولا ، فالحق أن هناك دولا عامة كثيرة قامت على عقائد بعضها باطل ، واستمرت بها ردحا من التاريخ . وقد كان ابن حزم الأندلسى

---

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٥٢٢ .
(٢) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٥٢٥ .
(٣) سورة الأنفال : آية ٦٣
(٤) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ .ص٥٢٦ .

أقرب الى الوعى التاريخى فى هذه النقطة من ابن خلدون حين قرر أن الدول لابد لهامن معتقد حقا كان هذا المعتقد أو باطلا ، يقول ابن حزم : "فلابدّ لكل أمة من معتقد ما ، إما إثبات وإما إبطال"(١). وهى رؤية أقرب الى الواقع التاريخى ، وقد انتهى اليها كثير من المفكرين الذين أصبحوا يسمون عصرنا هذا عصر "الأيديلوجيات" ـ العقائد ـ وليس معقولا أن تكون كل هذه "الأيديلوجيات" ـ العقائد ـ حقا ، فالحق واحد لايتعدد ، وقد ثبت أن أمة تملك عقيدة وفكرا ـ مهما كان الخطأ فى بعض تصوراتها ـ أقوى على الصمود والابداع من الأمة التى تعيش بلاعقيدة أو شريعة مهما كانت الأسباب المادية متوفرة لدى هذه الأمة(٢).

وهكذا يتضح لنا الرباط الوثيق الذى يحكمه ابن خلدون بين قيام الدولة والعصبية فى أشكالها المختلفة .

ولاتقف وظيفة العصبية فى فكر ابن خلدون عند هذا الحد ، أى عند قيام الدولة بل إنه يستمر فى توظيف العصبية عبر كل مراحل الدولة ، بحيث يبدو أن المعيار عنده لبقاء الدولة أو زوالها هو "بقاء العصبية أو زوالها"(٣)، كما أن الجيل الأول الذى أقام الدولة انما نجح عنده فى مهمته التاريخية بسبب وجود العصبية متأججة فيه "لأن الجيل الأول لم يزالوا على خلق البداوة وخشونتها وتوحشها من شظف العيش والبسالة والافتراس والاشتراك فى المجد ، فلاتزال بذلك سورة العصبية محفوظة فيهم فحدهم مرهف ، وجانبهم مرهوب ، والناس لهم مغلوبون"(٤).

---

(١) أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى : رسائل ابن حزم الأندلسى تحقيق : إحسان عباس ، (ط٢ ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر : ١٩٨٧م) ، ج٤ ، ص٧٨ .

(٢) عبد الحليم عويس : ابن حزم الأندلسى وجهوده فى البحث التاريخى والحضارى ، (ط٢ ، القاهرة ، الزهراء للاعلام العربى : ١٤٠٩هـ) ، ص١٣٦ .

(٣) حسن صعب : علم السياسة ، (ط٨ ، بيروت ، دار العلم للملايين : ١٩٨٥م) ، ص٣١٨ .

(٤) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٥٤٦ .

ابن خلدون قيام الدولة تشمل جوانب كثيرة فى الحياة الاجتماعية ، كما أنها لاتقف حائلا دون العوامل الفاعلة الأخرى . وهذا بطبيعة الحال يجعل هذه النظرية أكبر من النطاق الذى يحصرها فيه بعض الدارسين .

أما محدودية نظرية العصبية بالوقائع التاريخية التى اطلع ابن خلدون على تفاصيلها فهى وان كانت عيبا فى نظريته ، الا أن هذه المحدودية تكاد تكون ملازمة لأغلب النظريات الكبرى التى حاولت تفسير التاريخ والوصول الى قوانين للحركة التاريخية .

ان الأستاذ ساطع الحصرى وهو يقوم بمقارنته بين ابن خلدون وفيكو(١)لم يقدم لفيكو شواهد تخرج عن هذا النطاق ، فشواهده تدور فى نطاق التاريخ اليونانى الأسطورى والواقعى ، ومن ثم تاريخ الاغريق والعصور الوسطى الأوربية .

والأستاذ الحصرى الذى يأخذ على ابن خلدون استقراءه الناقص للوقائع التاريخية هو الذى يقول عن منهج فيكو فى بحثه التاريخى : "ان العلم الجديد يستند قبل كل شىء الى التاريخ القديم ، ويستمد عناصر بحثه فى الدرجة الأولى من تاريخ اليونان والرومان ، من غير أن يعير التفاتة ما الى تاريخ العرب والاسلام . فى حين أن مقدمة التاريخ ـ بعكس ذلك تماما ـ تستند الى تاريخ العرب والاسلام ، من غير أن تأخذ بنظر الاعتبار تاريخ اليونان والرومان . فلانغالى اذا قلنا ان كتاب فيكو بمثابة "تفلسف فى تاريخ اليونان والرومان" ، فى حين أن مقدمة ابن خلدون بمثابة "تفلسف فى تاريخ العرب والاسلام"(٢).

وهكذا يبدو فيكو محصورا هو الآخر فى نطاق بيئته التاريخية !!

---

(١) فيكو جيوفانى فيلسوف ايطالى ولد سنة ١٦٦٨م وتوفى سنة ١٧٤٤م ، له جهود علمية تاريخية وحاول تطبيق المنهج العلمى على التاريخ .
اشراف : محمد شفيق غربال : الموسوعة العربية الميسرة ، ج٢ ، ص١٣٤٩-١٣٥٠ .

(٢) ساطع الحصرى : دراسات فى مقدمة ابن خلدون ، ص١٩٤-١٩٥ .

{وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله}[(١)]. وهكذا نرى أن القرآن الكريم أرجع سبب الذلة التى وقع فيها بنو اسرائيل الى عصيانهم وبعدهم عن منهج الله .

وقد أخذ ابن خلدون شواهد من التاريخ الفارسى واليونانى والرومانى ومن البربر وقبائلهم فى المغرب[(٢)]. وأمم السودان وممالك الترك بالمشرق والعلوج من الجلالقة والافرنجة بالأندلس[(٣)].

أما أن نظرية العصبية ـ كما يرى الأستاذ الجابرى ـ لاتصلح الا مع "البدو"[(٤)]. فهذا قيد لامعنى له ، بل هو ما تنبو عن قيوده النظرية فى مستوياتها الدينيةوالاجتماعية والاقتصادية التى امتدت اليها ، والتى فسر بها ابن خلدون قيام الدولة وأطوارها فى شتى مراحلها وازدهارها ومن ثم انهيارها . وهكذا تقف نظرية العصبية صامدة قوية فى تفسيرها لقيام الدول فى الفكر الخلدونى .

ولاتقوم الدولة بالعامل الاجتماعى "العصبية" وحده ، بل ثمة عوامل طبيعية تؤازر العامل الاجتماعى ، "فالأمم تختلف فى ألوانها ونشاطها وشجاعتها وكثرة عددها أو قلته وفى مافطرت عليه من الطبائع باختلاف مساكنها من وجه الأرض بين جبل وسهل وبادية ، فى منطقة باردة أو حارة أو معتدلة ، وفى بقعة خصبة أو قاحلة"[(٢)]. ولذلك يقول ابن خلدون : "فلهذا كانت العلوم والصنائع والمبانى والملابس والأقوات والفواكه بل والحيوانات وجميع مايتكون فى هذه الأقاليم الثلاثة المتوسطة مخصوصة بالاعتدال وسكانها من البشر أعدل أجساما وألوانا وأخلاقا وأديانا . وأما الأقاليم البعيدة من الاعتدال .. فأهلها أبعد من الاعتدال فى جميع أحوالهم ... وفواكه بلادهم وأدمها غريبة التكوين مائلة الى الانحراف ... وأخلاقهم

---

(١) سورة البقرة : آية ٦١

(٢) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٥٠٩،٥١٢-٥١٣ .

(٣) محمد عابد الجابرى : فكر ابن خلدون العصبية والدولة ، ص٢٦١ .

(٤) عمر فروخ : عبقرية العرب فى العلم والفلسفة ، (ط٤ ، بيروت ، المكتبة العصرية ١٤٠٥هـ) ، ص١٩١ .

مع ذلك قريبة من خلق الحيوانات العجم ، حتى لينقل عن الكثير من السودان ... أنهم يسكنون الكهوف والغياض ، ويأكلون العشب ، وأنهم متوحشون غير مستأنسين يأكل بعضهم بعضا ... والسبب فى ذلك أنهم لبعدهم عن الاعتدال يقرب عرض أمزجتهم وأخلاقهم من عرض الحيوانات العجم ، ويبعدون عن الانسانية بمقدار ذلك .. قد رأينا من خلق السودان على العموم الخفة والطيش وكثرة الطرب ، فتجدهم مولعين بالرقص على كل توقيع ، موصوفين بالحمق فى كل قطر ، والسبب الصحيح فى ذلك ... الحرارة" .

ويلحق ابن خلدون بالسودان بمعناه الأفريقى العام أهل البلاد البحرية لأن هواءها متضاعف الحرارة بما ينعكس عليه من أضواء البحر وأشعته .

والى جانب المناخ يرى ابن خلدون أن للأغذية أثراكبيرا فى صفات الأمم وملكاتها وقدراتها ، فالافراط فى النهم وخصوصا فى أكل اللحم والآدم يترك فضلات فى المعدة فيؤدى الى قبح الأشكال وانكساف الألوان ، ثم ان المتنعمين فى المدن والمترفين . يكونون أقل احتمالا للأمراض من الذين تعودوا حياة التقشف والعيش فى البادية(١).

ولئن كنا نلاحظ أن ابن خلدون يبالغ فى أثر العوامل الجغرافية ، وعوامل التغذية(٢)الا أننا نرى أن هناك دولا صنعت حضارات مع وجود مناخات متباينة فيها ، وقد تغلبت بعض الدول الناهضة على العوامل الطبيعية من طقس ومناخ كما نشهد فى عصرنا فى دولة اليابان وان كنا لانستطيع انكار أثر المناخ بالجملة .

وهكذا تجتمع العوامل الاجتماعية مع العوامل الطبيعية فى قيام الدولة وفى تحديد مسارها وفاعليتها فى التاريخ ، ومع أن ابن خلدون جعل محور العصبية المرتبط بنظام الدولة هوجوهر نظريته فى نشوء الحضارة الا أنه مع ذلك ـ كما رأينا ـ لم يغفل العوامل الأخرى .

---

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج١ ، ص٣٨٧-٣٨٨،٣٩١،٣٩٢-٣٩٥ ، عمر فروخ : عبقرية العرب فى العلم والفلسفة ، ص١٩١،١٩٢ .

(٢) على عبد الواحد وافى : عبد الرحمن بن خلدون حياته وآثاره ومظاهر عبقريته ص٢١٣ .

أطوار الدولة فى فكر ابن خلدون وسقوطها :

استعمل ابن خلدون فى حديثه عن حياةالدولة بعد قيامها ثلاثة مصطلحات هى : "أعمار الدولة" و"انتقال الدولة" ، "أطوار الدولة" .

ويعنى المصطلح الأول الدورة التى تعيشها الدولة من وجهة نظر ابن خلدون وهو مصطلح يوحى بنظرية ابن خلدون من أول وهلة ، فاستعمال مصطلح "أعمار" الذى يطلق على الأشخاص يدل على تشبيه ابن خلدون للدولة بالانسان الفرد ، ولقد جاء عنوان مبحثه هذا واضحا فى دلالته المباشرة ، فالعنوان يقول : "فصل فى أن الدولة لهاأعمار طبيعية كما للأشخاص "(١).

أما المصطلح الثانى ، وهو انتقال الدولة فقد قصد به ابن خلدون انتقال الدولة بفعل التطور والنمو من البداوة الى الحضارة(٢)، ومايتبع ذلك من انتقال من حياة الشظف والخشونة الى حياة الدعة والسكون والترف.

وأما المصطلح الثالث فهو أطوار الدولة الذى قصد به ابن خلدون اختلاف أحوالها وخلق أهلها باختلاف الأطوار التى مرت بها ، "لأن الخلق تابع بالطبع لمزاج الحال الذى هو فيه"(٣).

ونظرية ابن خلدون فى أعمار الدولة والتى يربط فيها عمر الدولة بثلاثة أجيال ، ويحدد الجيل بأربعين سنة فى المتوسط وبالتالى يجعل متوسط عمر الدولة مائة وعشرين سنة ، نظرية يكاد ينعقد اجماع المفسرين للتاريخ على مخالفته فيها ، ولو أنه ترك الأمر دون تحديد بثلاثة أجيال ، وتحديد

---

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٥٤٥ . وانظر : مصطفى الشكعة : الأسس الاسلامية فى فكر ابن خلدون ونظرياته ، (ط١ ، القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية : ١٤٠٦هـ) ، ص٦٢ ومابعدها ؛ تيسير شيخ الأرض : ابن خلدون ، ص١١١،١١٥ .

(٢) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٥٤٨ . وانظر : تيسير شيخ الأرض : ابن خلدون ، ص١١٥،١١٦ .

(٣) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٥٥٣ .

الجيل بأربعين سنة فلربما كان الأمر مقبولا . ويبرر ابن خلدون نظريته فيقول "وأما أعمار الدول أيضا وان كانت تختلف بحسب القرانات ، إلا أن الدولة فى الغالب لاتعدو أعمار ثلاثة أجيال . والجيل هو عمر شخص واحد من العمر الوسط ، فيكون أربعين الذى هو انتهاء النمو والنشوء الى غايته . قال تعالى :﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾(١). ولهذا قلنا ان عمر الشخص الواحد هو عمر الجيل . ويؤيده ماذكرناه فى حكمة التيه الذى وقع فى بنى اسرائيل ، وأن المقصود بالأربعين فيه فناء الجيل الأحياء ونشأة جيل آخر لم يعهدوا الذل ولاعرفوه ، فدل على اعتبار الأربعين فى عمر الجيل الذى هو عمر الشخص الواحد" . ثم يقدم ابن خلدون أسبابا أخرى يبرر فيها نظريته ، لاداعى لاستقصائها إلى أن ينتهى الى القول : "وهذه الأجيال الثلاثة عمرها مائة وعشرون سنة على مامر . ولاتعدو الدول فى الغالب هذا العمر بتقريب قبله أو بعده ، إلا إن عرض لها عارض آخر من فقدان المطالب فيكون الهرم حاصلا مستوليا والطالب لم يحضرها ، ولو قد جاء الطالب لما وجد مدافعا ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾(٢)(٣).

"ولامجال للانكار أن الآراء التى يسردها ابن خلدون فى هذا الصدد ـ والنظرية التى يضعها على هذا المنوال ـ طريفةوممتعة جدا ، زد على ذلك ، أنها تنطوى على نظرة فلسفية أيضا ، لأنها تقرر أن الدولة كائن حى ، يتطور على الدوام وفق نظام ثابت ، كما تتطور جميع الكائنات الحية .

غير أن هذه النظرية ـ على الرغم من طرافتها ـ لاتنطبق على الحقائق الواقعة كثيرا ... وتقول بانقراض الدولة فى الجيل الرابع ، وتقرر أن عمر الدولة يكون فى الغالب مائة وعشرين سنة . ومن الواضح أن كل ذلك

---

(١) سورة الأحقاف : آية ١٥

(٢) سورة النحل : آية ٦١

(٣) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٥٤٥-٥٤٧ .

مما لاينطبق الا على بعض الدويلات البدوية وملوك الطوائف الصغيرة . وأما الدول الكبيرة ، فتواريخها لاتؤيد أبدا النتائج التى يتوصل اليها ابن خلدون فى نظريته هذه"(١).

وقد بين ابن خلدون ذلك فى بعض المواطن الأخرى بحيث يكاد تحديده القسرى لأعمار الدول ينحصر فى بعض الدويلات الانفصالية الصغيرة(٢). وأما انتقال الدولة من البداوة للحضارة فيكاد يتطابق مع ماأورده ابن خلدون فى أطوار الدولة ، الا أن حديثه عن أطوار الدولة وانتقالها من مرحلة الى مرحلة أكثر تفصيلا وتوضيحا .

ويقرر ابن خلدون أن "طور الدولة من أولها بداوة . ثم اذا حصل الملك تبعه الرفه واتساع الأحوال ، والحضارة إنما هى تفنن فى الترف واحكام الصنائع المستعملة فى وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمبانى والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله ، فلكل واحد منها صنائع فى استجارته والتأنق فيه تختص به ويتلو بعضها بعضا ، وتتكثر باختلاف ماتنزع اليه النفوس من الشهوات والملاذ والتنعم بأحوال الترف ، وماتتلون به من العوائد فصار طور الحضارة فى الملك يتبع طور البداوة ضرورة ، لضرورة تبعية الرفه للملك"(٣).

من ذلك يتضح لنا أن انتقال الدولة الى الحضارة - فى رأى ابن خلدون - يبدو أكثر طبيعية وكأنه أمر قدرى يشبه أعمار الناس ، ودور العنصر البشرى فيه محدود ، وهذا رأى يجانبه الصواب ، اذ أن انتقال الدولة من طور الى آخر يتكىء بالدرجة الأولى على قدرة العنصر البشرى فيها .

ويبدو من حديث ابن خلدون عن انتقال الدولة وكأنه تمهيد إجمالى عام لحديثه عن أطوار الدولة بدءً من قيامها ، ومروراً بازدهارها ، وحتى نهايتها .

---

(١) ساطع الحصرى : دراسات فى مقدمة ابن خلدون ، ص٣٦١ .
(٢) المرجع السابق ، ص٣٦١-٣٦٤ .
(٣) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٥٤٨ .

وأطوار الدولة عند ابن خلدون خمسة أطوار هى :

"الطور الأول : طور الظفر بالبغية وغلب المدافع والممانع ، والاستيلاء على الملك وانتزاعه من أيدى الدولة السالفة قبلها . فيكون صاحب الدولة فى هذا الطور أسوة قومه فى اكتساب المجد وجباية المال والمدافعة عن الحوزة والحماية ، لاينفرد دونهم بشىء ، لأن ذلك هو مقتضى العصبية التى وقع بها الغلب وهى لم تزل بعد بحالها .

الطور الثانى : طور الاستبداد على قومه والانفراد دونهم بالملك وكبحهم عن التطاول للمساهمة والمشاركة . ويكون صاحب الدولة فى هذا الطور معنيا باصطناع الرجال واتخاذ الموالى والصنائع ، والاستكثار من ذلك...

الطور الثالث : طور الفراغ والدعة لتحصيل ثمرات الملك مما تنزع طباع البشر اليه من تحصيل المال وتخليد الآثار وبعد الصيت فيستفرغ وسعه فى الجباية وضبط الدخل والخرج واحصاء النفقات والقصد فيها ، وتشييد المبانى الحافلة والمصانع العظيمة والأمصار المتسعة والهياكل المرتفعة ...

الطور الرابع : طور القنوع والمسالمة . ويكون صاحب الدولة فى هذا قانعا بما بنى أولوه ، سلما لأنظاره من الملوك وأقتاله(١)، مقلدا للماضين من سلفه ، فيتبع آثارهم حذو النعل بالنعل ...

الطور الخامس : طور الاسراف والتبذير . ويكون صاحب الدولة فى هذا الطور متلفا لما جمع أولوه فى سبيل الشهوات والملاذ والكرم على بطانته وفى مجالسه ، واصطناع أخدان السوء وخضراء الدمن ، ... وفى هذا الطور تحصل فى الدولة طبيعة الهرم ، ويستولى عليها المرض المزمن الذى لاتكاد تخلص منه ، ولايكون لها معه برء ، الى أن تنقرض"(٢).

وهذه الأطوار يتتبعها ابن خلدون بشرح الخصائص وتعليلها طورا طورا وفقا لتنظيره المعروف فى العصبية وصلتها ببناء الدولة ومسيرتها .

---

(١) أقتاله : أمثاله .

(٢) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٥٥٣-٥٥٦ .

ويبدأ سلم الدولة فى الهبوط بدءا من الطور الثالث الذى هو طور الاستهلاك فى ظل الفراغ والدعة والترف(١)، والعيش على ماضى الآباء العظماء والتمتع بالمبانى الفاخرة دون عطاء يذكر أو عمل له شأن .

ويرى ابن خلدون أن عوامل رقى الدولة وتحضرها هى فى الوقت ذاته عوامل انحدارها ، اذ أن الحضارة وان كانت غاية فى العمران فهى فى الوقت نفسه مؤشرا بنهاية عمره . وأول هذه العوامل هو العصبية التى بها تتم الرياسة والملك ، ولكن صاحب الرياسة يطلب بطبعه الانفراد بالملك والمجد ويدفعه ذلك الى الاستئثار بالسلطة والتخلص ممن يرى فيهم منافسا له من أهل عصبته وعشيرته ليتحقق له الانفراد بالملك ويعانى فى هذا الأمر أشد مما عانى فى اقامةملكه ، لأنه بذلك ينهج منهجا مغايرا فى اقصاء عصبيه الذين تم بهم الملك واصطناع عوضا عنهم الموالى والصنائع ، والذين يصبحون فيما بعد عاملا بارزا فى ضعف الدولة بتفرق عصابته عنه واستعدائهم له مما يدفعه إلى احتضان هؤلاء الصنائع والاغداق عليهم أملا فى كسب ولائهم الذى لن يكون له نفس درجة الحماس فى ولاء عشيرته له ، على أن العامل الحاسم فى ضعف الدولة هو الترف ، انه اذا كان قد زاد من قوة الدولة فى أولها فانه أشد العوامل أثرا فى ضعفها وانهيارها ، ويفسر ابن خلدون ذلك بأسباب اقتصادية وأخلاقية ونفسية"(٢).

ويوضح ابن خلدون أثر الترف على سقوط الدولة وهو بصدد الحديث عن العامل الاقتصادى فيؤكد أن الترف من طبيعةالملك(٣)، وان الترف بطبعه يحتاج الى نفقات باهظة ينفقها السلطان على نفسه وعلى جنده وعلى

---

(١) عبد الله شريط : الفكر الأخلاقى عند ابن خلدون ، (ط٣ ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب : ١٩٨٤م) ، ص٣٥١ ومابعدها ؛ تيسير شيخ الأرض : ابن خلدون ص١٢٠ ؛ يوحنا قمير : ابن خلدون ، (بيروت ، دار المشرق : ١٩٨٣م) ، ص٢٩-٣٠ .

(٢) أحمد محمود صبحى : فى فلسفة التاريخ ، ص١٤٦-١٤٧ . وانظر كذلك : ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٥٥٢،٧٥٥،٧٥٨-٧٥٩،٨٨٨ .

(٣) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٧٥٥ .

أهـل دولتـه ، ثم ينتشر حب الترف بين أوسـاط عـامة النـاس تقليـدا منهم لكبرائهـم ، وعندما يعظم الترف ويشتـد يجد الحاكم أن دخل الـدولة لايفى بكـل متطلباته ومتطلبات خاصتـه وجنده فيحاول جمع المال مـن رعيته قهرا وظلمـا فتفقـد الـدولة بذلـك هيبتهـا وسلطـانها فى نفـوس رعـاياها وجنـدها وتضعـف بذلـك شوكتها وعصبيتهـا فيطمع فيها أعداؤهـا ويتجـاسرون عليها فتنحل عراها عقدة عقدة الى أن تضمحل وتنتهى ويستولى عليها آخرون (١).

وقـد أشـار الـدكتور أحمـد صبحـى الى هـذا المعنى فـأكد أن مـن مستلـزمات الترف سعة الانفاق على النفس وعلى الآخرين ، وأن المبـالغة فيه تضعف السلطان وجنده ورعاياه فيحصل الضعف العام فى الدولة (٢).

وتبدأ الدولة تنقص من أطرافها ، لأن الدولة لاتستطيع أن تتابع هذه الأطـراف بالحراسة ، فعلى نسبـة الاتساع يكون أمد البقـاء "وكـل نقص يقع فلابد له من زمن ، فتكثر أزمان النقص لكثرة الممـالك واختصاص كل واحد منها بنقص وزمان فيكون أمدها طويلا" (٣).

وفى المرحلـة الأخيرة من عمر الدولة والذى نعتـه ابن خلدون بالجيل الثـالث يستبد ولاة الأعمال فى الـدولة بالقاصية عندمـا تضعف مراقبتها لهم فيكـون لكل واحد منهم دولـة يستمدها لقومه ولايكون بينهـم وبين الدولة الأصليـة حرب لأنهـم مستقـرون فى رياستهـم ولايطمعـون فى الاستيلاء على الـدولة المستقرة ، وانما الـدولة أدركها الهرم ، وتقلـص ظلهـا عن النواحى القاصية (٤).

---

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٧٥٨،٧٥٩ .

(٢) أحمـد محمود صبحى : فى فلسفة التاريخ ، (الاسكندرية، مـؤسسة الثقافة الجامعية) ص١٤٧-١٤٨ .

(٣) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٥٣٥-٥٣٦ .

(٤) ساطع الحصرى : دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص٣٧٩ .

وينسى هذا الجيل عهد البداوة والخشونة كأن لم تكن ، ويفقدون حلاوة العز والعصبية ، ويبلغ فيهم الترف غايته فيصيرون عيالا على الدولة وتسقط العصبية بالجملة ، وتخور عزائمهم "وانما همتهم النعيم والكسب وخصب العيش والسكون فى ظل الدولة الى الدعة والراحة والأخذ بمذاهب الملك فى المبانى والملابس ، والإستكثار من ذلك والتأنق فيه بمقدار ماحصل من الرياش والترف ومايدعو إليه من توابع ذلك فتذهب خشونة البداوة وتضعف العصبية والبسالة ، ويتنعمون فيما آتاهم الله من البسطة ، وتنشأ بنوهم وأعقابهم فى مثل ذلك من الترفع عن خدمة أنفسهم وولاية حاجاتهم ويستنكفون عن سائر الأمور الضرورية فى العصبية ، حتى يصير ذلك خلقا لهم وسجية ، فتنقص عصبيتهم وبسالتهم فى الأجيال بعدهم بتعاقبهم الى أن تنقرض العصبية فيأذنون بالانقراض"(١).

وبدخول الدولة مرحلة ضياع العصبية والنقص فى الأطراف وانتشار الترف تكون قد أخذت تشق طريقها بقوة نحو الهرم ، مالم تنقذ نفسها بدم جديد يستأنف بها مسيرتها لدور جديد بعصبية جديدة من الدم أو الدين .

وفى مرحلة الهبوط تبدأ عوامل الهدم الأخرى تعمل عملها فى الدولة محققه كل شروط الانهيار .

ومن هذه العوامل التى رصدها ابن خلدون ـ بالاضافة إلى ضياع العصبية والنقص فى الأطراف وظهور الترف والدعة ـ الارتباك الذى يحصل فى مالية الدولة والخلل بين المصروفات الكثيرة والايرادات القليلة "فتكثر عوائدهم وتزيد نفقاتهم على أعطياتهم ، ولايفى دخلهم بخرجهم ، فالفقير منهم يهلك ، والمترف يستغرق عطاءه بترفه ، ثم يزداد ذلك فى أجيالهم المتأخرة إلى أن يقصر العطاء كله عن الترف وعوائده ، وتمسهم الحاجة وتطالبهم ملوكهم بحصر نفقاتهم فى الغزو والحرب ، فلايجدون وليجة عنهاء

---

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٥٠١،٥٤٦ ، ٥٠١، ٥٤٦

فيـوقعون بهـم العقوبات ، وينتزعـون مافى أيدى الكثير منهـم يستـأثرون به عليهـم ، أو يؤثرون به أبنـاءهم وصنـائع دولتهم ، فيضعفـونهم لـذلك عن اقامة أحوالهم ، ويضعف صاحب الدولة بضعفهم . وأيضا اذا كثر الترف فى الـدولة وصـار عطاؤهم مقصـرا عـن حاجاتهم ونفقـاتهم ، احتـاج صـاحب الدولة الذى هو السلطان الى الزيادة فى أعطياتهم حتى يسد خللهم ، ويزيح عللهـم ، والجبـاية مقـدارهـا معلـوم ، ولاتزيد ولاتنقــص ، وان زادت بما يستحدث من المكوس فيصير مقدارها بعد الزيادة محدودا ... ثم يعظـم الترف وتكثر مقـادير الأعطيات لذلك ، فينقص عدد الحامية ، وثالثـا ورابعا الى أن يعود العسكر الى أقل الأعداد ، فتضعف الحماية لذلـك ، وتسقط قوة الدولة ويتجـاسر عليها من يجاورهـا من الدول أو من هو تحت يديهـا مـن القبائل والعصائب ، ويأذن الله فيها بالفناء الذى كتبه على خليقتـه . وأيضا فالترف مفســد للخلق بما يحصل فى النفس من ألوان الشر والسفسفـه وعوائدها"(١).

ومـن عوامل السقوط وظواهـره أيضاحجر السلطان والاستبــداد عليـه لصالح الموالى والمصطنعين والوزراء والأقربين المتسلطين ، وهذا المستبد الذى حجب السلطان لايحاول فى استبداده انتزاع الملك ظاهرا ، وانما يحاول انتزاع ثمراته مـن الأمر والنهى والحل والعقد والابرام والنقـض . وقد يتجرأ بعض هؤلاء المتسلطين فيطلب تحويل الخلافـة لنفسه فيكون فى ذلـك خراب الـدولة ووزرائها(٢).

ومـن عوامل السقوط كذلك شيـوع المراقبة والتجسـس بدرجة يسميها ابن خلـدون "إرهاف الحد" أى سوء الظن بالناس وتتبعهـم فى كل مايقولون وملاحقتهـم دون رفق "فإن الملـك اذا كان قاهرا ، باطشا بالعقـوبات ، منقبا

---

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٥٤٢-٥٤٣ .

(٢) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٥٧٠-٥٧٣،٧٤٩ .

عن عورات الناس وتغديد ذنوبهم ، شملهم الخوف والذل ، ولاذوا منه بالكذب والمكر والخديعة فتخلقوا بها ، وفسدت بصائرهم وأخلاقهم ، وربما خذلوه فى مواطن الحروب والمدافعات"(١).

ومايقوله ابن خلدون فى ارهاف الحد رؤية حضارية نافذة وقد دلت عليها شواهد كثيرة، وقد كانت من وراء سقوط الحكومات الشيوعية والدكتاتورية فى عالمنا الحديث والمعاصر .

ومن عوامل السقوط كذلك ضرب المكوس فى أواخر الدولة وذلك باستحداث أنواع جديدة من الضرائب وارهاق الناس وتعويض الفشل الادارى والمالى فى الدولة.

ومن عوامل السقوط التجارة من السلطان فهى مضرة بالرعية مفسدة للجباية ، لأنها نوع خفى من المكوس ، ومقاسمة للعمال والجباة وامتصاص للأرزاق(٢).

ومن عوامل السقوط - بل لعله أكبر العوامل - الظلم بالعدوان على الناس فى أموالهم أو أجسامهم أو أقضيتهم . "وعلى قدر الاعتداء ونسبته يكون انقباض الرعايا عن السعى فى الاكتساب . فاذا كان الاعتداء كثيرا عاما فى جميع أبواب المعاش كان القعود عن الكسب كذلك لذهابه بالآمال جملة بدخوله من جميع أبوابها . وإن كان الاعتداء يسيرا كان الانقباض عن الكسب على نسبته . والعمران ووفوره ونفاق أسواقه إنما هو بالأعمال وسعى الناس فى المصالح والمكاسب ذاهبين وجائين . فإذا قعد الناس عن المعاش وانقبضت أيديهم عن المكاسب كَسُدت أسواق العمران ، وانتقضت الأحوال وابذعر(٣)الناس فى الآفاق من غير تلك الإيالة فى طلب الرزق فيما خرج عن نطاقها . فخف ساكن القطر ، وخلت دياره ، وخربت أمصاره ، واختل

---

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٥٧٤،٥٧٥ .
(٢) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٧٣٢،٧٣٣ .
(٣) ابذعروا : تفرقوا وفروا .

باختلالـه حال الدولةوالسلطـان ، لما أنها صورة للعمـران تفسد بفساد مادتها ضرورة"(١).

ولايقف الظلم المؤذن بخراب البلاد وزوال الملك عند صورة واحدة أو عدد من الصور ، بل يمتد ـ كمـا أورد ابن خلدون ـ الى كـل أنواع الظلم ، "ولاتحسبن الظلم انما هـو أخذ المال أو الملـك مـن يد مـالكه مـن غير عوض ولاسبـب كمـا هو المشهور ، بل الظلم أعـم من ذلـك . وكـل من أخذ ملك أحد أو غصبـه فى عملـه أو طـالبه بغير حق أو فـرض عليـه حقـا لم يفرضه الشرع فقد ظلمه . فجباة الأموال بغير حقها ظلمة ، والمعتدون عليها ظلمة ، والمنتهبون لها ظلمة ، والمانعون لحقوق الناس ظلمة ، وغصـاب الأملاك على العموم ظلمة"(٢).

ولاشـك أن هذه نظرية حضـارية رائعة من ابن خلـدون وقـد استقاها فيمـا نتصور من عصره الذى عـانى المسلمون فيه أنواعا كثيرة مـن الظلم ناتج من تسلط الدول المتنازعة فى المغـرب والأندلس والمشـرق ، ومـن استبدادها بالـرعية ، ومـن هنا جاءت نظـرة ابن خلـدون الى أثر الظلم فى خراب البلاد نظرة عميقة تنم عن تجربة شخصية ورؤية حضارية فى آن واحد .

وحتى عندما تكون الدولة واسعة ، وقد يوجد فيها ظلم ولايقع خراب كمـا يبـدو لقاصرى النظر ضعيفـى الحس التـاريخى فـان ابن خلـدون يصف هؤلاء بأنهم لم يدركوا النسبـة بين الاعتداء وأحوال أهـل المصر . لكن ـ مع ذلـك ـ فان العاقبة وخيمة لابد منهـا "فحصول النقص فى العمـران عن الظلم والعدوان أمر واقع لابد منه"(٣).

ويتتبـع ابن خلـدون درجات الظلم وأثرهـا المتفـاوت فى خراب البلاد وذهـاب الدول . ولكأنه هنا يشير الى النظـم الثورية المعـاصرة التى اعتمدت

---

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٧٤١-٧٤٢ .
(٢) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٧٤٣ .
(٣) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٧٤٣ .

سياسة المصادرة والتأميم وأكل أموال الناس بالباطل ودمرت البلاد وأفقرت العباد . يقول ابن خلدون مصورا درجة كبيرة من درجات الظلم : "ومن أشد الظلمات وأعظمها فى افساد العمران تكليف الأعمال وتسخير الرعايا بغير حق ... لأن الرزق والكسب انما هو قيم أعمال أهل العمران . فاذا مساعيهم وأعمالهم كلها متمولات ومكاسب لهم ، بل لامكاسب لهم سواها ، فان الرعية المعتملين فى العمارة انما معاشهم ومكاسبهم من اعتمالهم ذلك . فاذا كلفوا العمل فى غير شأنهم واتخذوا سخريا فى معاشهم بطل كسبهم واغتصبوا قيمة عملهم ذلك ، وهو متمولهم ، فدخل عليهم الضرر ، وذهب لهم حظ كبير من معاشهم ، بل هو معاشهم بالجملة . وان تكرر ذلك أفسد آمالهم فى العمارة ، وقعدوا من السعى فيها جملة ، فأدى ذلك الى انتقاض العمران وتخريبه . والله سبحانه وتعالى أعلم . وبه التوفيق .

وأعظم من ذلك فى الظلم وافساد العمران والدولة التسلط على أموال الناس ، بشراء مابين أيديهم بأبخس الأثمان ، ثم فرض البضائع عليهم بأرفع الأثمان على وجه الغصب والاكراه فى الشراء والبيع ، وربما تفرض عليهم تلك الأثمان على التراخى والتأجيل ، فيتعللون فى تلك الخسارة التى تلحقهم بما تحدثهم المطامع من جبر ذلك بحوالة الأسواق فى تلك البضائع التى فرضت بالغلاء الى بيعها بأبخس الأثمان ، وتعود خسارة مابين الصفقتين على رؤوس أموالهم"(١).

وأخيرا يربط ابن خلدون بين الظلم والترف ربطا عقليا وعمليا يشبه أن يكون ربطا بين السبب والمسبب فيبين أن هذا المنحدر الذى أدى بالدولة ورجالها الى الظلم "انما هو حاجة الدولة والسلطان الى الاكثار من المال بما يعرض لهم من الترف فى الأحوال ، فتكثر نفقاتهم ويعظم الخرج ولايفى به الدخل على القوانين المعتادة ... ثم لايزال الترف يزيد ، والخرج بسببه يكثر والحاجة الى أموال الناس تشتد ، ونطاق الدولة بذلك يزيد ، الى أن

---

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٧٤٥-٧٤٧ .

تنمحى دائرتها ويذهب رسمهاويغلبها طالبها"(١).

اننا بحق أمام رصد كامل لعوامل السقوط الأساس ، وكل مايقال حول العوامل الأخرى المساعدة فالصحيح أنها عوامل فرعية تنبثق عن هذه العوامل الأصلية .

لكننا مع ذلك نرى أن ابن خلدون وان لم يقصر فى تشخيص الأمراض فى حدود امكاناته وعصره بل انه سبق عصره بمراحل كثيرة غير أنه قصر فى البحث عن العلاج للأمراض الحضارية عن طريق البدائل وعوامل النهوض والاستئناف التى تتيح للدولة القيام من وهدتها وتحقيق اقلاع حضارى جديد.

وقد حاول ابن خلدون أن يقدم بعض العلاج للسقوط ـ على استحياء لكنه أخفق فى ذلك ، فقاوم الفعل برد فعل مقابل ، يشترك معه فى المبالغة ، والفرق أن هذا تفريط وذاك افراط ، فقد أراد علاج الترف بما يشبه احياء الوجدان الصوفى(٢)، ومعروف أن التصوف ـ أيضا مرض ـ اذ هو ميل الى الانعزال والتقاعس فى غالب صوره التطبيقية ، وقد كان بامكانه أن يجد حلا آخر قائما على توازنية الاسلام وسلوك السلف الصالح .

وقد كان ابن خلدون ـ على الرغم من رأى من عارضه ـ(٣) يرفض أسلوب الثورة حلا لمشكلات الدولة أو علاجا لأمراضها ، وقد كتب فصلا كاملا فى أن الدعوة الدينية لاتتم من غير عصبية وأنها لاتنجح عن طريق الثورة(٤).

وأعتقد أن إطلاق هذا الحكم فى عدم نجاح الثورات فى تغيير الواقع السىء أمر غير صحيح على إطلاقه والا لما قامت دول كثيرة على أنقاض دول سابقة لها .

---

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٧٤٨ .

(٢) عبد الله شريط : الفكر الأخلاقى عند ابن خلدون ، ص٣٧٢ .

(٣) انظر مثلا : عبد الله شريط : الفكر الأخلاقى عند ابن خلدون ، ص٣٧٥-٣٧٦ ؛ على الوردى : منطق ابن خلدون ، ص٢٣٩-٢٤٢ .

(٤) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٥٢٨-٥٣١ .

ولكن ابن خلدون ـ كما ألمحنا ـ لم يوفق كثيرا فى تقديم البدائل والحلول ، وعلى سبيل المثال فان الزيادة فى نفقات الملك عن طريق العطاء الواجب نحو الجنود الذى يدفع الحاكم الى الاكثار من المكوس قد يؤدى الى العجز فى سد خلل الجنود وثورتهم . هذه المشكلة تجد لها كثير من الدول حلا فى عصرنا اذ تعمد الى استغلال الجنود ابان فترات السلم فى تعمير البلاد واستصلاح أرضها والاسهام فى بناء حضارتها فيصبح الجنود بهذا منتجين وليسوا عبئا على الدولة .

وعندما تحدث ابن خلدون عن نقص أطراف الدولة عن طريق نزو العمال عليها استهانة بالدولة المركزية كان من الممكن أن يشير ابن خلدون الى بعض الحلول التى تجمع بين المركزية واللامركزية فى الحكم ، ويجعل الخيوط بيد الدولة دون أن تتكلف أعباء تذكر أو تسمح للعمال بالخروج عليها . ولعل فى نماذج أمريكا وأوربا المتحدة بعد ١٩٩٢م صورا تسمح بالقياس عليها ، وقد كان من الممكن أن يكون الفكر السياسى الاسلامى سباقا اليها .

كما أن هناك حلا كنا نأمل أن يلتفت اليه ابن خلدون وأن يستقيه من تجربتنا الحضارية الاسلامية وهو الحل الذى لجأ اليه أبو بكر الصديق رضى الله عنه عند بروز فتنة الردة فعندما قضى عليها سرعان ماوجه طاقات الجزيرة العربية كلها الى الجهاد والدعوة الى الله فاتحد الناس فى معركة خارجية ووجهوا طاقاتهم للجهاد فى سبيل الله ونشر الدعوة الإسلامية فى أرجاء المعمورة كلها .

ولو أن الدول الجامعة بخاصة ـ كالأمويين فى المشرق (٤١-١٣٢هـ/ ٦٦١-٧٤٩م) والأندلس (١٣٨-٤٢٢هـ/٧٥٥-١٠٣٠م) والعباسيين (١٣٢-٦٤٠هـ/ ٧٤٩-١٢٤٢م) وكالفاطميين (٢٩٧-٥٦٧هـ/٩٠٩-١١٧١م) وجهوا طاقتهم إلى الدعوة إلى الله ووجهوا الخارجين عليهم إلى مجال الجهاد والدعوة لمنعوا كثيرا من الثورات ، وحالوا بالتالى دون تبديد طاقة الأمة ودون الاسراع بسقوط الدول وانهيارها .

وتبقى نظرية ابن خلدون فى قيام الدول وسقوطها نظرية متكاملة رائدة سبقت عصرها بقرون كثيرة وفتحت المجال أمام نظريات فلسفة التاريخ وقدمت للفكر التاريخى الاسلامى معالم فى الرؤية الاسلامية للتاريخ والحضارة.

المبحث الثانى

رأى ابن خلدون فى قيام الدولة الأموية

بين المؤيدين والمعارضين

* قيام دولة بنى أمية فى رأى ابن خلدون .
* المؤرخون المسلمون وموقفهم من بنى أمية .
* تقويم آراء ابن خلدون فى قيام دولة بنى أمية .

قيام دولة بنى أمية فى رأى ابن خلدون :

قام الخلفاء الراشدون الثلاثة الذين ولاهم المسلمون أمورهم بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بالأمر خير قيام ، وحتى سنة ٣٤هـ/٦٥٤م أى بعد وفاة الرسول الكريم بنحو ربع قرن كانت أمور المسلمين ماضية أحسن مايكون الأمر تآلفا وتعاونا على نشر دين الله فى الآفاق ، وعلى بناء الدولة الاسلامية والحضارة الاسلامية ، ولم يكن هناك مايؤخذ الا ماهو من طبيعة الاجتماع البشرى فى مستواه الرفيع .

فلما كانت هذه السنة ٣٤هـ/٦٥٤م ظهر أن ثمة انحرافا جنح اليه الناس بعد أن اتسعت دولة الاسلام وأصبح الثراء فاحشا ودخل فى الاسلام كثيرون ممن يحملون أفكارا مسبقة عن نظم الحكم ، وتقاليد جاهلية لايقرها الاسلام بالاضافة الى أن بعضا من هؤلاء الداخلين فى الاسلام كان دخولهم دخولا عاما مشوبا بشبه قريبامن بعض الاتجاهات التى سيطرت على حركة الردة وان لم يبلغ بهم الأمر انكار أمر معلوم من الدين بالضرورة .

وكان أكثر العرب الذين نزلوا الأمصار "جفاة لم يستكثروا من صحبة النبى صلى الله عليه وسلم ، ولاهذبتهم سيرته وآدابه ولاارتاضوا بخلقه، مع ماكان فيهم فى الجاهلية من الجفاء والعصبية والتفاخر والبعد عن سكينة الايمان . واذا بهم عند استفحال الدولة قد أصبحوا فى ملكة المهاجرين والأنصار من قريش وكنانة وثقيف وهذيل وأهل الحجاز ويثرب السابقين الأولين الى الايمان ، فاستنكفوا من ذلك وغصوا به لما يرون لأنفسهم من التقدم بأنسابهم وكثرتهم ، ومصادمة فارس والروم ،مثل قبائل بكر بن وائل وعبد القيس بن ربيعة ، وقبائل كندة والأزد من اليمن وتميم وقيس من مضر فصاروا الى الغض من قريش والأنفة عليهم ، والتمريض فى طاعتهم ، والتعلل فى ذلك بالتظلم منهم والاستعداء عليهم"(١).

---

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦١٩ .

وقد أكد هذا الانحراف الجديد أن الأمور قد تعقدت ولم يعد يصلح لها من كان على سيرة الخليفتين الراشدين كعثمان وعلى وعبد الله بن الزبير رضى الله عنهم . وانما يصلح للأمر قوم يحسنون الاغضاء عن بعض الأمور مجاراة للوقت ، ويحسنون اصطناع الناس والعفو عنهم ، واللين معهم(١).

وكما ذكر فانه الى جانب تغير الأوضاع فى مستواها المعنوى تغيرت الأوضاع كذلك فى مستواها المادى من الفقر الشديد الى الثراء الفاحش ، فبينما كان العرب يعيشون قبل الفتوحات فى مسغبة "يأكلون الحنطة بنخالها"(٢)، اذا بهم فى أيام عثمان رضى الله عنه يقتنون الضياع والدور والمال ، فقد خلف زيد بن ثابت من الفضة والذهب ماكان يكسر بالفؤوس غير ماخلف من الأموال والضياع بقيمة مائة ألف دينار . وكان على مربط عبد الرحمن بن عوف مائة فرس ، وله ألف بعير ، وعشرة آلاف شاة من الغنم ، وبلغ الربع من متروكه بعد وفاته أربعة وثمانين ألفا . وبنى الزبير داره بالبصرة تنزلها التجار وأرباب الأموال وأصحاب الجهاز من البحريين وغيرهم ، وابتنى أيضا دورا بمصر والكوفة والاسكندرية وبلغ ماله بعد وفاته خمسين ألف دينار . وكذلك بنى طلحة داره بالكوفة وشيد داره بالمدينة وبناها بالجص والآجر والساج . وبنى سعد بن أبى وقاص داره بالعقيق ، ورفع سمكها وأوسع فضاءها وجعل على أعلاها شرفات . وبنى المقداد داره بالمدينة وجعلها مجصصة الظاهر والباطن . وخلف يعلى بن منية خمسمائة ألف دينار وعقارا وغير ذلك ماقيمته ثلثمائة ألف درهم(٣).

اننا مع المسعودى فى حصول تغيير فى حياة المسلمين المادية بعد الفتوح الاسلامية ، ولكننا لسنا معه فى وصف المسلمين بالثراء الفاحش لأن من طبيعة المسلم أن يكون معتدلا فى أموره كلها .

---

(١) محمد أبو اليسر عابدين : أغاليط المؤرخين ، (دمشق ، دار العروبة للطباعة والنشر : ١٣٩١هـ) ، ص٧٩-٨٠ .

(٢) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٠٢ .

(٣) المسعودى : مروج الذهب ، ج٢ ، ص٣٣٢-٣٣٣ .

ولئن استطاع الصحابة رضى الله عنهم أن يبقوا فوق هذا المال يتحكمون هم فيه ولايتحكم هو فيهم ، ويقودونه ولايقودهم ، بل "كان حالهم قصدا ونفقاتهم فى سبل الحق ومذاهبه كان ذلك الاستكثار عونا لهم على طرق الحق واكتساب الدار الآخرة"(١). فان كثيرا ممن آمن بالاسلام فيما بعد لم يتأثر بتوجيهات الاسلام مباشرة ، فكان هذا البعد سببا فى حدوث مأساة الفتنة ، واضطراب أمور المسلمين ، ومقتل عثمان رضى الله عنه .

إنه تطور طبيعى عند تحليلنا للأمور فقد كان صعبا أن يستمر الناس فى مستوى العصر الراشدى مع هذا الانفتاح على العالم ، وحَسْب الخلفاء الراشدين أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم أن يبقوا نموذجا يجتهد الناس فى أن يقتربوا منه وليس شرطا أن يصلوا إليه ، وكيف يصلون إلى مستوى أبى بكر رضى الله عنه والرسول صلى الله عليه وسلم قد أثنى عليه فى أكثر من مناسبة وقال فيه : "لو كنت متخذاخليلا لاتخذت ابن أبى قحافة خليلا"(٢).

ولعل ابن خلدون كان موفقا غاية التوفيق وهو يرصد هذا التطور الطبيعى ويجعله تدرجا من تطبيق إسلامى يتعامل مع بادية الى تطبيق اسلامى يتعامل مع عواصم حضارية ومخزون ثقافى لأمم عريقة ، ولهذا كان ابن خلدون غاية مايكون فى عمق الرؤية وهو يرى أن تلحق دولة معاوية رضى الله عنه وأخباره بدول الخلفاء وأخبارهم فهو تاليهم فى الفضل والعدالة والصحبة(٣).

وهو يحتج لرأيه هذا بأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما لقى معاوية رضى الله عنهما عند قدومه الى الشام فى أبهة الملك وزيه "استنكر ذلك وقال : "أكسرويه يامعاوية ؟!" فقال : ياأمير المؤمنين إنا فى ثغر تجاه

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٠٣ .
(٢) مسلم بن الحجاج بن مسلم : الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم ، ج٧ ، ص١٠٩
(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٥٠ .

العدو وبنا الى مباهاتهم بزينة الحرب والجهاد حاجة" ، فسكت ولم يخطئه لما احتج عليه بمقصد من مقاصد الحق والدين . فلو كان القصد رفض الملك من أصله لم يقنعه هذا الجواب فى تلك الكسروية وانتحالها ، بل كان يحرض على خروجه عنها بالجملة . وانما أراد عمر [رضى الله عنه] بالكسروية ماكان عليه أهل فارس فى ملكهم من ارتكاب الباطل والظلم والبغى وسلوك سبله والغفلة عن الله ، وأجابه معاوية [رضى الله عنه] بأن القصد بذلك ليس كسروية فارس وباطلهم ، وانما قصده بها وجه الله ، فسكت"(١).

كان استشهاد عثمان رضى الله عنه نتيجة للدسائس والمؤامرات التى تحركها أياد خبيثة بدواف عقدية منتحلة تسعى الى زعزعة وتشتيت المسلمين.

وحاول على رضى الله عنه ، وهو خاتم حلقات هذا المنهج الراشدى أن يوقف زحف التيار الحضارى الجارف . وكان أهلا لذلك لاريب لكنه أصر على أن يحافظ على الأسلوب نفسه ، وأن يعالج الأمور بالمنهاج نفسه فتفلتت الأمور من بين يديه .

لقد كان الناس عند مقتل عثمان رضى الله عنه - كما يقول ابن خلدون - مفترقين فى الأمصار فلم يشهدوا بيعة على رضى الله عنه ، والذين شهدوا فمنهم من بايع ومنهم من توقف حتى يجتمع الناس ويتفقوا على امام والذين كانوا فى الأمصار عدلوا عن بيعته أيضا الى الطلب بدم عثمان رضى الله عنه وتركوا الأمر فوضى حتى يكون شورى بين المسلمين لمن يولونه . ثم اختلفوا بعد ذلك . فرأى على رضى الله عنه أن بيعته قد انعقدت ، ولزمت من تأخر عنها باجتماع من اجتمع عليها من أهل المدينة دار النبى عليه الصلاة والسلام ومواطن الصحابة ، وأرجأ الأمر فى المطالبة بدم عثمان رضى الله عنه الى اجتماع الناس واتفاق الكلمة ، ورأى آخرون أن بيعته

---

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٠٠-٦٠١ .

لم تنعقد لافتراق الصحابة فى الأمصار وهم أهل الحل والعقد(١).

وهكذا تفرقت الكلمة ، واختلفت العقول والقلوب ، وظهرت براهين تؤيد كلا الفريقين ، فهناك براهين نقلية تؤيد مبايعة على رضى الله عنه وهناك تفسيرات عقلية لاتؤيد هذه المبايعة ، حرص على الدعوة لها جمهور المحرضين على الفتنة ، فكان مقتل عثمان فتنة خطيرة تمثلت فى قيام الدهماء على الأئمة الثقات لمجرد شبهات لاتقوى أمام التحقيق ، ومن جانب آخر بروز أفكار سياسية جديدة بعيدة بعض الشىء عن التصور الاسلامى السليم .

لكن مع هذه الفتنة الكبرى التى بدأت تمتد من مقتل عثمان رضى الله عنه لتنتظم عهد على بن أبى طالب رضى الله عنه كله "فلايقعن عندك ريب فى عدالة أحد منهم ولاقدح فى شىء من ذلك ، فهم من علمت ، وأقوالهم وأفعالهم انما هى عن المستندات ، وعدالتهم مفروغ منها عند أهل السنة الا قولا للمعتزلة فيمن قاتل عليا لم يلتفت اليه أحد من أهل الحق ولاعرج عليه واذا نظرت بعين الانصاف عذرت الناس أجمعين فى شأن الاختلاف فى عثمان واختلاف الصحابة من بعد ، وعلمت أنها كانت فتنة ابتلى الله بها الأمة ، بينما المسلمون قد أذهب الله عدوهم وملّكهم أرضهم وديارهم ، ونزلوا الأمصار على حدودهم بالبصرة والكوفة والشام ومصر"(٢).

وفى موضع آخر من المقدمة يؤكد ابن خلدون هذا المعنى فيقول :

"ولما وقعت الفتنة بين على ومعاوية وهى مقتضى العصبية كان طريقهم فيها الحق والاجتهاد ، ولم يكونوا فى محاربتهم لغرض دنيوى أولإيثار باطل أو لاستشعار حقد كما قد يتوهمه متوهم وينزع إليه مُلحد . وانما اختلف اجتهادهم فى الحق وسفه كل واحد نظر صاحبه باجتهاده فى الحق فاقتتلوا عليه . وإن كان المصيب علياً فلم يكن معاوية قائماً فيها بقصد الباطل،

---

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦١٧-٦١٨ .

(٢) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٦١٨-٦١٩ .

إنما قصد الحق وأخطأ . والكل كانوا فى مقصدهم على حق"[١].

لقد أبدى ابن خلدون فى معالجته لهذه الأحداث قدرا كبيرا من الموضوعية والحذر اذ تجنب الأحكام والاتهامات المتطرفة[٢]. لكن هذه الموضوعية التى انتهجها ابن خلدون إقتداءً بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فى وصفه لصحابته ، جعلت بعض من تعرضوا للكتابة التاريخية من المحدثين يحملون عليه دون الاشارة الى اسمه صراحة بدعوى أن هذه الأحاديث التى تبرأ الصحابة انما تقولها أناس لتبرئة معاوية ومن على شاكلته[٣]. ومن الثابت أن الحق مع ابن خلدون لكونه اقتدى بالأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومع مايجب التنويه به من حياد واعتدال فى أحكام ابن خلدون ومن تقويمه الهادىء لوقائع الفتنة بعيدا عن التشيع أو النصب - أى العداء لآل البيت - وهو مايتفق مع ماورد فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فقد وصف القرآن المقتتلين عند ادلهام الفتنة وظهور البغى بالطائفتين المؤمنتين مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[٤] كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد عدّل أصحابه وأشاد بمآثرهم وبشر بعضهم بالجنة ، ووصفهم كذلك بأنهم خير القرون ، فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الناس خيّر قال : "قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين

---

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٠٣-٦٠٤ .

(٢) محمد محمود ربيع : النظرية السياسية لابن خلدون ، (ط١ ، مصر ، دار الهنا للطباعة : ١٤٠١هـ) ، ص١٣٧ .

(٣) محمد جواد فضل الله : صلح الامام الحسن ، (ط١ ، بيروت ، دار الغدير للطباعة والنشر والتوزيع : ١٣٩٢هـ) ، ص١٨٧-١٨٨ .

(٤) سورة الحجرات : آية ٩

يلـونهم ثم يجىء قـوم تبدر شهـادة أحدهـم يمينه وتبـدر يمينـه شهادته"(١).

مع هذا الذى نشير إليه فإن الصراع بين الطائفتين المؤمنتين قـد استمر على عهد على كله . وأثبت على بن أبى طالب التزامه بمنهجه بينما واجهه بنو أميـة وأشياعهم بمنهجهم . فعندما بويع على بالخلافة أشـار عليه المغيرة "لأول ولايتـه باستبقاء الزبير ومعـاوية وطلحة على أعمالهم حتى يجتمـع الناس على بيعتـه ، وتتفق الكلمة، وله بعد ذلك ماشاء من أمره وكـان ذلك من سياسة الملـك ، فأبى فرارا من الغش الذى ينافيه الإسلام . وغـدا عليـه المغيرة من الغـداة فقال لقد أشرت عليك بالأمس بما أشرت ثم عـدت إلى نظرى فعلمت أنه ليـس مـن الحق والنصيحـة ، وأن الحق فيمـا رأيتــه أنت . فقـال على : لاواللـه ، بل أعلم أنك نصحتنى بالأمـس وغششتنى اليـوم . ولكـن منعنى مما أشرت به ذائد الحق"(٢).

وتأكيـدا لهذا المنهج الذى سـار عليه على بن أبى طـالب وابناه الحسن والحسين فـإنك "إذا قـرأت تواريخ الاسلام ومـادار بين على والمغيرة وابن عبـاس رضى الله عنهم ، تعلم مـدى تمسك على بالحق الصـراح وعدم اتباعه السيـاسة التى لايمكن أن تمشى الأمور بدونها ، ولعلمـت صحة اجتهاد معاوية بتمسكه خوفا من سياسة على الصلبة التى لاتناسب ذلك الزمن"(٣).

ومـن ذلك قول ابن عباس لعلى تعقيبـا على رفض على لـرأى المغيرة : أنت رجل شجـاع لست صاحب رأى فى الحرب أما سمعـت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحرب خدعه . قال : بلى . فقال ابن عباس : أما والله ان أطعتنى لأتركنهم ينظرون فى دبر الأمور ولايعرفون ماكان وجهها من غير نقصـان عليك ولاإثم لك . فقـال : ياابن عباس لست مـن هنياتك ولاهنيات معاوية فى شىء. ولكن أشر على واذا خالفتك أطعنى . قال أيسر مالك عندى

---

(١) مسلم بن الحجـاج بن مسلم : الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم ، ج٧ ، ص١٨٤

(٢) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٠٧ .

(٣) محمد أبو اليسر عابدين : أغاليط المؤرخين ، ص٨٩ .

الطاعة (١).

ثم لازال على رضى الله عنه بهذا التشدد الى أن حصل ماحصل (٢)، كان على يقول : "تعالوا تحاكموا إلىّ فمن دانه الشرع دنته ، ومعاوية وأصحابه يقولون : ادفعوا لنا قتلته [قتلة عثمان] ، فلو أن عليا رضى الله عنه خلّى بينهم وبين من اشتبهوا بكونه قاتلا لانتهت حجتهم ، لكن أبى إلا المضى فى الدفاع عن اجتهاده الحق ، بأن يتحاكموا لديه مع المتهمين بقتله ، مع عدم قدرته على الايقاع بالجناة بدون حجة صريحة يتخذها سيفا فى وجه من يلوذ بعصبيتهم"(٣).

وفى موطن آخر من العبر نجد ابن خلدون يبرز طبيعة منهج على رضى الله عنه فيكرر ـ مرة أخرى ـ أن المغيرة أشار على على لأول ولايته باستبقاء العمال على أعمالهم حتى يجتمع الناس على بيعته وتستقر الأمور فأمهله ثم رجع من الغد وأشار بمعاجلة الاستبدال ، وعندما أخبر على رضى الله عنه ابن عباس بهذا قال : نصحك أمس وغشك اليوم .

ولقد نصح ابن عباس عليا رضى الله عنهما حيث قال : كان الرأى أن تخرج عند قتل الرجل الى مكة وأما اليوم فان بنى أمية يشبهون على الناس بأن يلجموك طرفا من هذا الأمر ويطلبون ماطلب أهل المدينة فى قتلة عثمان فلايقدرون عليهم . والأمر أن تقر معاوية . لكن عليا رضى الله عنه رفض ذلك كله فأشار عليه ابن عباس بالذهاب الى ينبع والبقاء فى ملك له هناك ، فان العرب لن تجد غيره بعدما تضطرب أمورها ، أما النهوض مع هؤلاء القوم فسوف يجعل الناس يحملونه دم عثمان غدا ، ولكنه رفض ذلك ثم أمر على ابن عباس بالتوجه إلى الشام وتولى أمورها ، ولكن ابن عباس

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٠٤ .
(٢) محمد أبو اليسر عابدين : أغاليط المؤرخين ، ص٩١ .
(٣) المرجع السابق ، ص٩٢ .

أوضح لـه أن معاوية قد يقتلـه بعثمـان أو يحبسه وأشـار عليـه بالكتابة الى معاوية وبذل الوعود له ولكن عليا رضى الله عنه رفض(١).

وهكـذا ترجم على عمليا ـ كمـا أوضح ابن خلدون ـ عـن منهجـه فى مواجهة الأحداث ورفض نصائح ابن عبـاس والمغيرة ومـال الى التشدد وفرق عمـاله فى الأمصـار وخلع عمـال عثمان وهو مالم تكـن الظـروف مهيأة له ، فكان هذا إيذانا ببدء الصراع الواضح بين الفريقين .

وكـانت موقعة الجمل هى الحرب الأولى ، وكـانت صفين هـى المعركة الثانية . وفى معركة الجمل انتصر على وأصحابه ولاذ النـاس بجمل عائشة ثم انهـزموا آخر النهـار ، وعقـر الجمل ، واحتمل عائشة أخوهـا محمـد فأنزلها وضـرب عليها قبة ووقف عليها على يعاتبها ، ثم استعتبـت له واستعتب لها وودعها ومشى معها أميالا وشيعها بنوه مسافة(٢).

وعن أمر صفين يذكر ابن خلدون أنه لما رجع على بن أبى طـالب بعد وقعـة الجمـل بعـث رسولا الى معـاوية يعلمـه ببيعته ونكـث طلحـة والـزبير وحزبهما ويدعوه الى الدخول فيما دخل فيه الناس ، ولكن رسول على رجع بتصميم أهل الشام على الثأر لعثمان وعزمهم على قتل من يحول دون ذلك .

وقـد ذكر ابن خلدون باسهـاب تفصيلات المعركـة حين خرج على من الكوفة والتقى مع معاوية وأنصاره واحتدم القتال بين الفـريقين تخلله تبادل الرسل بينهما ولكن بدون نتيجة ، وبعد أن كادت كفـة على وأصحابه ترجح أشـار عمـرو على معاوية أن يأمـر النـاس برفع المصـاحف على الـرماح وأن يقـولوا كتاب الله بيننا فاذا قبلـوا ذلك ارتفع عنا القتـال ، وان أبى بعضهم وجدنا فى افتراقهـم راحة ، ففعلـوا ذلك ، وافترق أصحـاب على حيـث كان يرى رضى الله عنه عدم الاجابة لذلك والاستمرار فى القتال ، ولكنه اضطر للنزول عن رأى جماعته الذين فرضوا عليه اختيار أبى موسى بعد أن اختار

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٠٤ .

(٢) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٦٢٠-٦٢٢ .

معاوية عمرو بن العاص . وحدد رمضان زمن اللقاء بينهما فى مكان عدل بين أهل الكوفة وأهل الشام . ولما انقضى الأجل التقى الحكمان بأذرح[١] من دومة الجندل[٢] وانتهى الأمر بأن خلع أبو موسى عليا ومعاوية بناء على اتفاقه مع عمرو على أن يولى الناس أمرهم من أحبوا ولكن عمرو أخلف الاتفاق وأثبت معاوية ، وانصرف عمرو وأهل الشام الى معاوية فسلموا عليه بالخلافة[٣].

ومن دلالات موقعة صفين بالاضافة إلى دهاء معاوية فى احتواء عمرو ابن العاص على أن يكون الأمر شركة بينهما[٤]، ونجاح معاوية - كذلك - فى الايقاع بين على وواليه على مصر قيس بن سعد ، حيث أشاع معاوية أنه شيعة له وأن كتب قيس ورسائله ونصائحه تصل إليهم وأنه ضد على ، فانخدع على وعزل قيسا[٥].

قدمت موقعة صفين الى جانب النموذجين وغيرهما طبيعة المنهج المضاد الذى يواجه به معاوية أسلوب على ، ففى صفين وبعد أن أوشكت الهزيمة أن تحيق بجيش معاوية أشار عليه عمرو بن العاص برفع المصاحف ، ففرق بذلك صفوف على ، وقال أتباع على : نجيب إلى كتاب الله ، فقال لهم على ياعباد الله امضوا على حقكم وقتال عدوكم فإن معاوية ومن معه ليسوا بأصحاب دين ولاقرآن ، ويحكم والله مارفعوها إلا مكيدة وخديعة .

---

(١) اسم بلد فى أطراف الشام فتحت فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم سنة تسع . ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج١ ، ص١٢٩-١٣٠ .

(٢) حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبلى طىء افتتحها خالد بن الوليد عنوة فى سنة تسع للهجرة .
ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٤٨٧-٤٨٩ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٢٥-٦٣٧ .

(٤) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٦٢٥ مع ملاحظة أن تعبير "شراكه" غير منسجم مع الحقائق التاريخية فقد عاش عمرو بن العاص واليا لمعاوية وليس شريكا .

(٥) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٢٣-٦٢٤ .

فقالوا : لايسعنا أن ندعى الى كتاب الله فلانقبل وأصروا على موقفهم واضطر على الى قبول التحكيم[(١)].

وهكذا نجح تخطيط معاوية رضى الله عنه وتفرقت الآراء والاتجاهات فى جيش على رضى الله عنه وظهر الخوارج[(٢)].

وفى موقف آخر نرى كيف انتهت حادثة التحكيم بين عمرو بن العاص وأبى موسى الأشعرى رضى الله عنهما[(٣)].

وقد اختلفت الأمور على أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه بعد ذلك حتى انتهت الأمور بمقتله على يد عبد الرحمن بن ملجم[(٤)] سنة أربعين لسبع عشرة من رمضان[(٥)].

وبمقتله بويع لابنه الحسن رضى الله عنه وكان يشترط عليهم انكم سامعون مطيعون تسالمون من سالمت وتحاربون من حاربت[(٦)].

وفى الوقت نفسه بايع معاوية رضى الله عنه أصحابه بالخلافة ولقبوه بأمير المؤمنين عندما بلغهم مقتل على رضى الله عنه . ويذكر ابن خلدون أنه كان قد بويع بها بعد اجتماع الحكمين[(٧)]. ثم يروى ابن خلدون موقف

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٣٢ .

(٢) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٦٣٧ .

والخوارج : من الأحزاب التى خرجت على الأمويين ، كانوا بالأمس من أشياع على بن أبى طالب رضى الله عنه ثم خرجوا عليه بعد التحكيم وكانوا يقولون بصحة خلافة أبى بكر وعمر وعثمان فى سنيه الأولى وعلى بن أبى طالب الى أن حكم الحكمين ويعتقدون أن الخلافة حق لكل عربى حر .

حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى : (ط٧ ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية : ١٩٦٤م) ، ص٣ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٣٦-٦٣٧ .

(٤) عبد الرحمن بن ملجم الخارجى ، قاتل على بن أبى طالب ، وقد مات سنة ٤٠هـ . عنه انظر : ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج١ ، ص٤٩ .

(٥) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٤٥ .

(٦) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٦٤٨ .

(٧) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٦٤٨ .

أتباع الحسن رضى الله عنه عندما نزل فى المدائن[٢]وشاع فى العسكر أن قيس بن سعد قتل ، كيف اهتاج الناس وماج بعضهم فى بعض ونهبوا سرادق الحسن رضى الله عنه واستلبوه رداءه وطعنه بعضهم فى فخذه ، حتى قامت ربيعة وهمدان دونه واحتملوه على سرير الى المدائن ودخل الى القصر وكاد أمره أن ينحل ، فكتب إلى معاوية رضى الله عنه يذكر له النزول عن الأمر على أن يعطيه بعض المطالب التى ذكرها[٢].

وأياً كان الأمر فإن الأمور لم تستقم للحسن رضى الله عنه ، وبدأ يعانى مما كان أبوه قد عانى منه من خلاف الذين معه عليه وجرأتهم ضده فكتب الحسن الى معاوية رضى الله عنه فى أمر التنازل وشرط شروطا ، فأرسل له معاوية رضى الله عنه صحيفة بيضاء ختم فى أسفلها وبعد أن خطب الحسن رضى الله عنه أهل الكوفة وأمضى الصلح بايع معاوية رضى الله عنه لستة أشهر من بيعته ودخل معاوية رضى الله عنه الكوفة وبايعه الناس وكان ذلك سنة ٤١هـ/٦٦١م وهو العام الذى سمى عام الجماعة[٣].

---

(١) سمتها العرب المدائن لأنها سبع مدائن بين كل مدينة الى الأخرى مسافة قريبة أو بعيدة . وكان فتحها كلها على يد سعد بن أبى وقاص سنة ١٦هـ فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه .
ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٥ ، ص٧٤-٧٥ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٤٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٦٤٩-٦٥٠ .

المؤرخون المسلمون وموقفهم من بنى أمية :

عندما تحدث ابن خلدون عن بيعة الامام على أكد أن طلحة والزبير كانا فى مقدمة المبايعين(١)، لكنه أورد رواية أخرى أشار فيها الى أن مبايعة طلحة والزبير كانت كرها ، وأنهما دخلا عليه بعد هذه البيعة وقالا له : "قد اشترطنا اقامة الحدود فأقمها على قتلة هذا الرجل ، فقال : لاقدرة لى على شىء مما تريدون حتى يهدأ الناس وننظر الأمور فتؤخذ الحقوق ، فافترقوا عنه"(٢).

أما عن موقف المهاجرين والأنصار من البيعة فيذكر ابن خلدون "وبايعت الأنصار وتأخر منهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك ومسلمة بن مخلد(٣)وأبو سعيد الخدرى ومحمد بن مسلمة(٤)والنعمان بن بشير وزيد بن ثابت ورافع بن خديج(٥)وفضالة بن عبيد(٦)وكعب بن عجرة(٧)ومسلمة

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٠٢ .

(٢) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٦٠٢-٦٠٣ .

(٣) مسلمة بن مخلد بن الصامت ، ولى امرة مصر وهو أول من جمعت له مصر والمغرب وذلك فى خلافة معاوية . توفى بمصر سنة اثنتين وستين .
عنه انظر : العسقلانى : الاصابة فى تميز الصحابة ، ج٣ ، ص٣٩٨-٣٩٩ .

(٤) محمد بن مسلمة بن سلمة الأنصارى ، صحابى من أهل المدينة شهد بدرا ومابعدها الا غزوة تبوك . مات فى المدينة سنة ٤٣هـ .
عنه انظر : العسقلانى : الاصابة فى تميز الصحابة ، ج٣ ، ص٣٦٣-٣٦٤ ؛ أبى العباس أحمد بن حسن بن على بن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطينى : كتاب الوفيات ، تحقيق : عادل نويهض ، (الطبعة الرابعة ، بيروت ، دار الآفاق الجديدة ١٤٠٣هـ) ، ص٦٠ .

(٥) رافع بن خديج بن رافع الأنصارى صحابى ولد سنة ١٢ قبل الهجرة ، وقد توفى فى المدينة سنة ٧٤هـ .
عنه انظر : العسقلانى : الاصابة فى تميز الصحابة ، ج١ ، ص٤٨٣-٤٨٤ .

(٦) فضالة بن عبيد بن نافذ الأنصارى . صحابى شهد أحدا والخندق والمشاهد كلها . توفى سنة ٥٣هـ .
عنه انظر : العسقلانى : الاصابة فى تميز الصحابة ، ج٣ ، ص٢٠١ .

(٧) كعب بن عجرة بن أمية بن عدى شهد عمرة الحديبية ونزلت فيه قصة الفدية . مات بالمدينة سنة احدى وقيل ثنتين وقيل ثلاث وخمسين للهجرة .
عنه انظر : العسقلانى : الاصابة فى تميز الصحابة ، ج٣ ، ص٢٨١-٢٨٢ .

ابن سلامة بن وقش ، وتأخر من المهاجرين عبد الله بن سلام[(١)]، وصهيب بن سنان[(٢)]وأسامة بن زيد وقدامة بن مظعون[(٣)]والمغيرة بن شعبة"[(٤)].

ثم يتحدث ابن خلدون عن نصائح المقربين من الامام على له بمداراة معاوية وابقائه على ماهو عليه حتى تهدأ الأمور ويتمكن من مقاليد الحكم وبعدها يستطيع فعل مايشاء ، لكن عليا رضى الله عنه يرفض هذه النصائح من منطلق الجهر بالحق وعدم المداراة فيما يعتقد حرمته فيقول مخاطبا ابن عباس عندما نصحه باقرار معاوية على ولاية الشام : "والله لاأعطيه الا السيف"[(٥)].

وقد ذهب مذهب ابن خلدون فى مبايعة طلحة والزبير لعلى بن أبى طالب عدد من المؤرخين منهم ابن جرير الطبرى الذى أورد عدة روايات تشير الى اجماع المسلمين على مبايعة الامام على[(٦)]، ثم أورد روايات أخرى تشير أنهما بايعا مكرهين فقال : "وقال آخرون انما بايع طلحة والزبير عليا كرها"[(٧)]. كما وافقه فى رفض اقرار معاوية ولاة عثمان الآخرون على

---

(١) عبد الله بن سلام بن الحارث الخزرجى ، كان من أحبار اليهود ثم أسلم ، كان من فقهاء الصحابة . توفى فى المدينة سنة ٤٣هـ .
عنه انظر : العسقلانى : الاصابة فى تمييز الصحابة ، ج٢ ، ص٣١٢-٣١٣ .

(٢) صهيب بن سنان بن مالك . صحابى شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها . كان يعرف بصهيب الرومى . توفى سنة ٣٨هـ .
عنه انظر : العسقلانى : الاصابة فى تمييز الصحابة ، ج٢ ، ص١٨٨-١٨٩ .

(٣) قدامة بن مظعون بن حبيب . من سادات قريش . مات فى المدينة سنة ٣٦هـ فى خلافة على بن أبى طالب .
عنه انظر : محمد بن حبان البستى : مشاهير علماء الأمصار ، (دار الكتب العلمية) ص٩٢ .

(٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٠٢-٦٠٣ .

(٥) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٦٠٤ .

(٦) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، ص٤٢٧-٤٢٩،٤٣٤ .

(٧) المصدر السابق ، ج٤ ، ص٤٢٩-٤٣٥ .

ولاياتهم ، وأورد مقولة على : "والله لو كان ساعة من نهار لاجتهدت فيها رأيي ، ولاوليت هؤلاء ولامثلهم يولى"(١).

ومن هؤلاء ابن كثير الذى قال عن بيعة على : "وخرج على الى المسجد فصعد المنبر وعليه ازار وعمامة خز ونعلاه فى يده ، يتوكأ على قوسه فبايعه عامة الناس"(٢). لكنه كذلك يورد ماقاله ابن الزبير رضى الله عنه من أنه بايع عليا رضى الله عنه والسيف على عنقه(٣). وهو كذلك يذهب مذهب ابن جرير فى رفض على ابقاء ولاة عثمان حتى يستتب له الأمر(٤).

ومن هؤلاء ابن الأثير فى الكامل حيث تحدث عن مبايعة طلحة والزبير رضى الله عنهما فذكر أنها تمت برضاهما(٥)، ثم أورد الرواية الأخرى التى تزعم أنهما بايعا مكرهين(٦)، ثم ذكر رفض الإمام على رضى الله عنه لابقاء ولاة عثمان رضى الله عنه على ماكانوا عليه(٧). ولقد وافق ابن خلدون ابن الأثير فيما ذكره عن موقف المهاجرين والأنصار من بيعة على(٨)، كما وافق كذلك ابن جرير الطبرى وابن كثير حيث ذكرا عدة روايات حول من تخلف عن بيعة على(٩).

أما المسعودى وهو من مؤرخى الشيعة فقد أورد رواية رفض الامام على رضى الله عنه لابقاء عمال عثمان رضى الله عنه خاصة معاوية ، وقال "والله لاأداهن فى دينى ، ولاأعطى الرياء فى أمرى"(١٠).

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، ص٤٣٨-٤٤١ .
(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٧ ، ص٢٢٥ .
(٣) المصدر السابق ، ج٧ ، ص٢٢٦ .
(٤) المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٢٨ .
(٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٣ ، ص١٩٠-١٩١ .
(٦) المصدر السابق ، ج٣ ، ص١٩٢-١٩٤ .
(٧) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص١٩٧-١٩٨ .
(٨) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص١٩١-١٩٢ .
(٩) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، ص٤٢٩-٤٣١ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٧ ، ص٢٢٦ .
(١٠) المسعودى : مروج الذهب ، ج٢ ، ص٣٥٥-٣٥٦ .

وممن وافقهم ابن خلدون فى مبايعة طلحة والزبير رضى الله عنهما وعدم قبول الامام على رضى الله عنه الابقاء على ولاة عثمان بن أعثم الكوفى [(١)] فى (الفتوح) [(٢)]، فى حين أن اليعقوبى فى تاريخه [(٣)] وابن العبرى [(٤)] فى (مختصر تاريخ الدول) عللا خروج طلحة والزبير برفض على اعطاءهما ولاية البصرة والكوفة [(٥)]، أما السيوطى [(٦)] فى تاريخ الخلفاء فقد ذكر الروايتين المتعلقتين بمبايعة طلحة والزبير [(٧)]، بينما أكد صاحب مآثر

---

(١) أبى محمد أحمد بن أعثم الكوفى مؤرخ ، كتب تاريخا قصصيا عن الخلفاء الأول وغزواتهم ، توفى نحو سنة ٣١٤هـ .
عنه انظر : الموسوعة العربية الميسرة ، ج١ ، ص٩ .

(٢) أبى محمد أحمد بن أعثم الكوفى : كتاب الفتوح ، (بيروت ، دار الندوة الجديدة) ج٢ ، ص٢٤٣ ومابعدها .

(٣) أحمد بن اسحاق بن جعفر اليعقوبى ، مؤرخ ، له عدة كتب فى التاريخ ، توفى سنة ٢٨٤هـ .
عنه انظر : عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ، ج١ ، ص١٦١ .

(٤) غريغوريوس بن هارون الملطى المعروف بابن العبرى ، طبيب ومؤرخ ولد فى ملطيه سنة ٦٢٣هـ ودرس الطب والعلوم اللاهوتية ، وتوفى فى مراغه من أذربيجان ودفن فى الموصل سنة ٦٨٥هـ .
عنه انظر : عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ، (بيروت ، نشر مكتبة المثنى ودار احياء التراث العربى) ، ج٨ ، ص٣٩-٤٠ .

(٥) أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح المعروف باليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، (بيروت ، دار صادر) ، ج٢ ، ص١٧٩-١٨٠ ؛ غريغوريوس أبى الفرج ابن أهرون المعروف بابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، (لبنان ، دار الرائد اللبنانى : ١٤٠٣هـ) ، ص١٨٠-١٨١ .
مع الاشارة إلى أن هؤلاء لايعتد برأيهم فى مثل هذه المسألة إذ لايعقل أن يخرج كبار الصحابة على أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه بسبب دنيوى .

(٦) عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد السيوطى ، ولد فى القاهرة سنة ٨٤٩هـ وشارك فى عدة أنواع من العلوم . وقد توفى فى القاهرة سنة ٩١١هـ .
عنه انظر : عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ، ج٥ ، ص١٢٨ .

(٧) الامام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى : تاريخ الخلفاء ، (ط ٤ ، دار مصر للطباعة : ١٣٨٩هـ) ، ص١٧٤ .

الانافـة أن طلحة كان أول من بايع عليـا بالخلافة(١). وكذلك الذهبى(٢)فى تاريخ الاسلام الذى أكد مبايعة الجميع ، لكن خروج الثلاثة طلحـة والزبير وأم المؤمنين عـائشة رضى الله عنهم كان سببه احساسهـم بالتقصير فى نصرة عثمان وأن واجبهم المطالبة بدمه(٣).

وكما وافق ابن خلدون بعض المؤرخين فقد خالف بعضهم كذلك وان كان هؤلاء قلة وأحيانا تكون المخالفة فى جزئية واحدة ، فابن خلدون وافق ابن العربى فى مسألة مبايعة طلحة والزبير لكنه نفى الـرواية التى أوردها ابن خلـدون وهى : اشتراط اقـامـة الحدود(٤)، وقـال : "هـذا لايصح فى شـرط البيعة ، وانما يبايعونه على الحكم بالحق"(٥).

أما ابن سعد(٦)واليعقـوبى والسيوطى فقد أجمعوا على أن جميـع من كان بالمدينة من أصحاب الـرسول صلى الله عليه وسلم قـد بايعوا عليا(٧) .

---

(١) القلقشنـدى : مـآثر الانافة فى معـالم الخلافـة ، تحقيق : عبـد الستـار أحمد فراج ، (بيروت ، عالم الكتب) ، ج٣ ، ص٣٤١ .

(٢) محمـد بن أحمد بن عثمان الـذهبى الدمشقى ، محدث مؤرخ . ولـد فى دمشق سنة ٦٧٣هـ وتوفى بدمشق فى شهر ذى القعدة سنة ٧٤٨هـ .
عنه انظر : عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ، ج٨ ، ص٢٨٩ .

(٣) الذهبى : تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، ج٣ ، ص٤٨٣ .

(٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٠٣ .

(٥) الامـام القـاضى أبى بكر بن العـربى المالكـى : العواصم مـن القـواصم ، تحقيق : العلامـة محب الـدين الخطيـب ، (ط٢ ، بيروت ، دار الجيـل : ١٤٠٧هـ) ، ص١٥٠ .

(٦) محمـد بن سعد بن منيع الزهـرى . محدث حافظ ولد بالبصـرة سنـة ١٦٨هـ ، وتوفى سنة ٢٣٠هـ .
عنه انظر : عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ، ج١٠ ، ص٢١ .

(٧) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص٣١ ؛ اليعقوبى : تاريخ اليعقـوبى ، ج٢ ، ص١٧٨-١٧٩ ؛ السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص١٧٤ .

أما ابن قتيبة(١)فيذكر فى الامامة والسياسة المنسوب اليه أن عليا سمع نصيحة ابن عباس والمغيرة فى اعطاء معاوية ولاية الشام حتى تهدأ الأمور وأنه كتب الى معاوية يقول له : "أما بعد فقد وليتك ماقبلك من الأمر والمال ، فبايع من قبلك ، ثم أقدم إلىّ فى ألف رجل من أهل الشام . فلما أتى معاوية كتاب على دعا بطومار فكتب فيه :

ليس بينى وبين قيس عتاب غير طعن الكلى وضرب الرقاب(٢)

ومما تجدر الاشارة اليه أن ابن خلدون قد تفرد فى تعليله لتخلف بعض الصحابة عن بيعة على رضى الله عنه ، ففى الوقت الذى نجد بعض المؤرخين يصرون على أن تخلف هؤلاء الصحابة كان عن المشاركة فى القتال مع على رضى الله عنه وليس تخلفا عن بيعته(٣). نجد آخرين ينظرون الى هؤلاء المتخلفين على أنهم (عثمانية) ويعللون تخلف بعضهم ، حيث يذكرون أن حسانا كان شاعرا لايبالى مايصنع ، وأن زيد بن ثابت ولاه عثمان رضى الله عنه الديوان وبيت المال ، أما كعب بن مالك فلأن عثمان استعمله على صدقة مزينة وترك له ماأخذ منهم(٤).

أما ابن قتيبة فعند حديثه عن اعتزال عبد الله بن عمر وسعد بن أبى وقاص ومحمد بن مسلمة عن مشاهدة على وحروبه يعلل هذا الاعتزال على لسان على رضى الله عنه وهو يقول لعمار بن ياسر : "دع هؤلاء الرهط ،

---

(١) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى النحوى اللغوى له مصنفات عديدة . ولد سنة ٢١٣هـ وتوفى سنة ٢٧٦هـ .
عنه انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج٣ ، ص٤٢ .

(٢) أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى : الامامة والسياسة ، تحقيق : طه محمد الزينى ، (بيروت ، دار المعرفة) ، ج١ ، ص٤٨-٤٩ .

(٣) أبى حنيفة بن داود الدينورى : الأخبار الطوال ، (بيروت ، دار الفكر الحديث للطباعة والنشر : ١٩٨٨م) ، ص١٠٨-١١٠ ؛ ابن العربى : العواصم من القواصم ، ص١٥٠ .

(٤) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، ص٤٢٩-٤٣٠ ؛ ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٣ ، ص١٩١ .

أمـا ابن عمر فضعيف ، وأمـا سعد فحسود ، وذنبي الى محمـد بن مسلمـة أني قتلت أخاه يوم خيبر : مرحب اليهودي"(١).

لكن ابن خلدون يرى أن تخلف هؤلاء الصحابة انما هو اجتهاد منهم ، حيـث توقفوا عن بيعة على لافتراق الصحابة أهل الحل والعقـد بالآفاق ، ولم يحضـر الا قليل ولاتكون البيعة الا باتفاق أهل الحل والعقـد ، فتخلفوا حتى يجتمـع الناس ويتفق أهل الحل والعقد على امام . وأنهـم كانوا معذورين فى شأن الاختلاف ولكل منهم عذر فيما وقع ، فكلهم كانوا مهتمين بأمـر الدين نظروا واجتهدوا ، ولانظن بهم إلا خيرا(٢).

وقد كانت معركة صفين وماتلاها من حادثة التحكيم من أهم الأحداث التى أدت الى قيـام الـدولة الأمـوية ، فهذه الحادثة هـى التى مكنـت لمعاوية وجعلته يتسلم مقاليد الخلافة ، كما أنها أضعفت جانب الامـام على رضى الله عنـه وجعلته وأصحابه يقعون فى خلاف شديد انتهى بمقتلـه رضى الله عنه .

وقـد أسهب ابن خلدون فى مقدمته وفى تاريخه فى الحديث عـن معركة صفين ومـاتلاها من أحداث شهدتها الساحة الاسلامية ، فهنـاك رسل متبادلة بين على ومعـاوية هدف كل منهما إقناع الآخر بأن صـاحبه على حق ، فعلى يؤكـد على أحقيته فى الخلافة ، وأن على معاوية أن يبـايعه ، ومعاوية يؤكد على أن عثمـان قتـل مظلوما وأنه كـى يبايع يجب على على أن يسلمـه قتلـة عثمان ليقتلهم به(٣).

---

(١) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، ص٥٢-٥٣ .
هكـذا ورد النـص عند ابن قتيبـة ، والصحة أن مرحبا ليـس أخو محمـد وانما هو قاتل أخيه وقد قتله على بن أبى طـالب . انظـر كامل القصـة فى كتـاب المغـازى : محمـد بن عمـر الـواقدى : كتـاب المغازى ، تحقيـق : مـارسدن جونس ، (ط٣ ، بيروت ، عالم الكتب : ١٤٠٤هـ) ، ج٢ ، ص٦٥٥-٦٥٦ .

(٢) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦١٧-٦٢١ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٢٥-٦٢٨ .

كـان الامـام على يرى أن على معـاوية أن يدخل فيمـا دخل فيـه المسلمون من بيعته ثم لاضير بعد ذلك من اجابة طلبه فى محاكمة قتلة عثمان وعـرضهم على الشريعة الاسلاميـة . "وقد أكثرت فى قتلـة عثمان فأدخل فيما دخل فيه المسلمون ثم حاكم القوم الى أحملك واياهـم على كتاب الله"(١). وهكـذا تفشل الرسل وتصبح المعـركة أمرا لازما . وبدأت المعـركة شـرسة ، ورجحت كفة على وأصحابه ، وهنا جاء دور عمرو بن العـاص داهية العرب حيـث أشار على معاوية برفـع المصاحف وطلب جعلها تحكـم بين الفـريقين ، وكـان يدرك أن هذا العمل سيفـرق جماعة على أو يرفـع عنهـم القتال على أقـل تقدير . وتحقق ماكان يتوقعه عمرو ، واختلف على رضـى الله عنه مع أصحابه فقد عرف أنها خدعة لكنهم أرغموه على قبول التحكيم(٢).

واختـار على أبا موسى الأشعـرى مرغما عليه ، واختـار معاوية عمرو ابن العـاص ، واجتمع الحكمان ، وحاول عمرو رشوة أبى مـوسى الأشعرى بالولاية فى سبيل تثبيت معاوية فقال له أبو موسى : "وأما تعريضك بالولاية فلـو خرج لى معـاوية عن سلطانه مـاوليته ومـاأرتشـى فى حكـم اللـه"(٣).

---

(١) نصر بن مزاحم المنقرى : وقعة صفين . تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، (ط٣ القاهرة ، مكتبة الخانجى بمصر ، المؤسسة العربية الحديثة للنشر والتوزيع : ١٤٠١هـ) ص٢٩ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٢٥-٦٢٨،٦٣٢ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٣٣-٦٣٦ .

ثم يؤكد ابن خلدون الرواية التى تذكر أن عمرو بن العاص خدع أبا موسى الأشعرى ولم يفعل ماتفقا عليه من خلع على ومعاوية ، فلما أعلن أبو موسى خلع الاثنين ـ حسب الاتفاق ـ قال عمرو : "ان هذا قد خلع صاحبه وقد خلعته كما خلعه وأثبت معاوية فهو ولى ابن عفان وأحق الناس بمقامه"(١).

وبعد سرد هذه الأحداث يكرر ابن خلدون فى أكثر من موقع عدالة الصحابة ، وأنهم مجتهدون فيقول : "فلايقعن عندك ريب فى عدالة أحد منهم ، ولاقدح فى شىء من ذلك ، فهم من علمت ، وأقوالهم وأفعالهم انما هى عن المستندات ، وعدالتهم مفروغ منها عند أهل السنة الا قولا للمعتزلة فيمن قاتل عليا لم يلتفت اليه أحد من أهل الحق ولاعرج عليه"(٢).

ثم يقول فى موضع آخر من المقدمة : "فلكل من هؤلاء عذر فيما وقع وكلهم كانوا مهتمين بأمر الدين ولايضيعون شيئا من تعلقاته . ثم نظروا بعد هذا الواقع واجتهدوا . والله مطلع على أحوالهم وعالم بهم . ونحن لانظن بهم الا خيرا لما شهدت به أحوالهم ، ومقالات الصادق فيهم"(٣).

وعن صفين والتحكيم تحدثت كتب التاريخ وكان حديثها قريبا الى حد كبير الى ماذهب اليه ابن خلدون فى تاريخه ، لكن تعليلات ابن خلدون كان ينفرد بها دون غيره(٤).

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٣٦ .

(٢) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦١٨ .

(٣) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٦٢٠-٦٢١ .

(١) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق : أكرم ضياء العمرى ، (ط٢ ، الرياض ، دار طيبة للنشر والتوزيع : ١٤٠٥هـ) ، ص١٩١-١٩٦ ، ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، ص٧٤-١١٨ ، الدينورى : الأخبار الطوال ، ص١١٩-١٥٣ ، اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ج٢ ، ص١٨٤،١٨٧-١٩٠ ، الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، ص٥٦١-٥٧١ ، ج٥ ، ص٥ ومابعدها ، ابن أعثم : كتاب الفتوح ، ج٢ ، ص٣٧٣ ومابعدها ، ج٣ بأكمله ، ج٤ ، ص١-١٣ ، المسعودى : مروج الذهب =

لكن بعض المؤرخين انفردوا كذلك بروايات وآراء خالفت ماذهب إليه ابن خلدون ، فابن كثير جعل الحق مع الإمام على رضى الله عنه وجعل حادثة مقتل عمار ابن ياسر دليلا على صحة ماذهب إليه فقال : "وبان وظهر بذلك سر ماأخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من أنه تقتله الفئة الباغية وبان بذلك أن عليا محق وأن معاوية باغ ، ومافى ذلك من دلائل النبوة"(١).

كما أنه علل لفعلة عمرو بن العاص رضى الله عنه والتمس العذر له فلم يجعله مخادعا وانما مجتهدا فقال : "وكان عمرو بن العاص رأى أن ترك الناس بلاامام والحالة هذه يؤدى الى مفسدة طويلة عريضة أربى مما الناس فيه من الاختلاف ، فأقر معاوية لما رأى ذلك من المصلحة ، والاجتهاد يخطىء ويصيب"(٢).

وقد ذهب العسقلانى كذلك مذهب ابن كثير فقال : "وظهر بقتل عمار أن الصواب كان مع على واتفق على ذلك أهل السنة بعد اختلاف كان فى القديم ولله الحمد"(٣). وأيدا بذلك ابن العربى فى العواصم الذى قال : "وأما الصواب فيه فمع على ، لأن الطالب للدم لايصح أن يحكم ، وتهمة الطالب للقاضى لاتوجب عليه أن يخرج عليه ، بل يطلب (الحق) عنده ، فإن ظهر له قضاء والإ سكت وصبر"(٤).

= ج٢ ، ص٣٧٢-٣٩٩ ؛ ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، ج٣ ، ص٢٧٦ ومابعدها؛ محمد بن على بن طباطبا المعروف بابن الطقطقا : الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، (بيروت ، دار بيروت للطباعة والنشر : ١٤٠٠هـ) ، ص٨٩-٩٣؛ الذهبى : تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، ج٣ ، ص٥٣٨-٥٥٠ .

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٧ ، ص٢٦٦ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٧ ، ص٢٨٣ .

(٣) ابن حجر العسقلانى : الاصابة فى تمييز الصحابة ، ج٢ ، ص٥٠٢ .

(٤) ابن العربى : العواصم من القواصم ، ص١٦٨ .

أمـا حادثة التحكيم فقد ذكر ابن العربى كما ذكر غيره أن هـذه الحادثة وهميـة لاصحـة لهـا على الاطلاق فقـال عنهـا : "هـذا كلـه كـذب صراح ، ماجرى منه حرف قط وانما هو شىء (اخترعته) المبتدعة ، ووضعته التاريخية للملوك ، فتوارثته أهل المجانة والجهارة بمعاصى الله والبدع"(١).

وهكـذا نرى أن ابن خلـدون حاول أن ينصف الفـريقين بحاسته الاسلاميـة الصافية ، وحسه التاريخى الرقيق غير أنه فى حادثة التحكيم ذهـب الى مـاذهب اليه غيره دون دقـة أو تمحيص ، أو حتى تعليـل لهـذه الحادثة .

ومـن الأمور التى انفرد بهـا ابن خلدون عن غيره مـن المؤرخين عـدم اتهـامه لعمرو بن العاص رضـى الله عنه فى دينه عنـدما سـاند معاوية رضى اللـه عنه فى مطالبته بدم عثمـان رضى الله عنه ثم تطلعـه الى الخلافة ، فقد ذكـر أن عمرا خرج من فلسطين مـع ابنيه ولحق بمعاوية فى الشـام "فوجدهم يطلبـون دم عثمـان ، فقـال : أنتم على الحق اطلبـوا بدم الخليفـة المظلـوم . فأعرض معاوية قليلا ثم رجع اليه وشركه فى سلطانه"(٢).

أمـا المؤرخون الآخرون فقـد طعنوا بشدة فى دين عمـرو بن العاص ، وجعلوه يبيع دينه بعرض من الدنيا . فابن قتيبة فى كتـابه المنسوب اليه يشير بصراحة الى الصراع الدائر فى نفس عمرو بن العاص فهـو يعرف أن الآخرة مع على وأن الدنيا مع معاوية ، وهـو حائر فى ولائه بينهمـا لكنـه يختار بعد ذلـك معاوية مقدما دنياه على أخراه ، ويورد ابن قتيبـة الحوار الذى دار بين عمـرو بن العـاص وبين غلامـه وردان حول هـذه القضيـة ، فعنـدما يلاحظ وردان تردد عمـرو وعدم استقراره على شىء وهو يفكـر فيما هو مقدم عليه يقـول لـه : "أما انك ان شئـت نبـأتك بما فى نفسك ، فقـال عمـرو : هـات ياوردان ، فقـال : اعتركـت الـدنيا والآخرة على قلبــك ، فقلـت : مع على الآخرة بلادنيـا ، ومع معاوية الـدنيا بغير آخرة ، فأنت واقـف بينهما . فقال

---

(١) ابن العربى : العواصم من القواصم ، ص١٧٩ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٢٥ .

عمـرو : ماأخطأت مافى نفسى ، فمـا ترى ياوردان؟ فقـال : أرى أن تقيم فى منزلك ، فان ظهر أهل الدين عشت فى عفو دينهم ، وان ظهـر أهل الدنيا لم يستغنـوا عنـك ، فقـال عمـرو : الآن حين شهـرتنى العـرب بمسيرى الى معاوية"!!(١)

وقـد أكـد هذا المعنى عـدد مـن المؤرخين (٢)منهـم اليعقـوبى ـ المائل للتشيـع ـ الذى أورد عدة روايات تدل على هذا المعنى منهـا أن معاوية قال لعمـرو : "مد يدك فبايعنى! قـال : لا ، لعمر الله ، لاأعطيـك دينى حتى آخذ من دنياك . قال له معاوية : لك مصر طعمة"(٣).

إن هذه الروايات التى تجعل عمرو بن العاص رضى الله عنه يميل إلى الدنيا ويترك الآخرة بوقوفه الى جانب معاوية رضى اللـه عنه لايمكن التسليم بهـا ، فعمرو رضى الله عنه مـن الصحابة الكرام وهو مجتهـد فيمـا فعل وله أجر اجتهـاده ، لاسيمـا وأن بعـض الذين اتهموه بهـذه التهمـة من مؤرخى الشيعـة المعروفين بحقدهم على الصحـابة ومن هنا رأينـا أن ابن خلدون كان كثير التأنى عندما يتحدث عن صحابة الرسول الكريم فهو لايذكرهم الا بخير أو يحاول على أقـل تقدير أن يعلـل مافعلوه وأنه بحسـن نيـة وعن اجتهاد .

وتحدث ابن خلـدون عـن حادثة مقتـل الامـام على رضـى اللـه عنه ، وعـن المؤامرة التى دبرها ثلاثة مـن الخوارج لقتل رؤوس الفتنـة كا أطلقوا عليهـم ، وكيـف أن ابن ملجـم نجح وحده فى مهمتـه وأخفـق الآخران (٤).

وقـد ذكـر ابن خلدون أن ابن ملجـم بعد أن قبـض عليـه عرض على الحسـن بن على رضى الله عنهما اطلاق سراحه ليقتل معـاوية ثم يرجع اليه

---

(١) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، ص٨٧ .

(٢) الدينورى : الأخبار الطوال ، ص١٢١-١٢٢،١٦٩ ؛ ابن أعثم : كتاب الفتوح ، ج٢ ص٣٨٧-٣٨٨ ؛ المسعـودى : مـروج الـذهب ، ج٢ ، ص٣٥٤ ؛ ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٣ ، ص٢٧٥-٢٧٦ .

(٣) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ج٢ ، ص١٨٦ .

(٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٤٥-٦٤٧ .

بعد هذه المهمة . لكن الحسن رضى الله عنه رفض هذا العرض وقتله بأبيه(١).

أما البرك ـ وهو الذى ذهب ليقتل معاوية ـ فقد قعد له فلما خرج لصلاة الفجر ضربه فى إليته ثم قبض عليه ، وقد علل البرك عدم نجاحه فى قتل معاوية بأن معاوية عليه حرس وأن عليا لاحرس لديه(٢).

والملاحظ أن ابن خلدون لم يسهب كثيرا فى ايراد الروايات المتعددة حول كيفية مقتل الامام على والدوافع المتعددة لذلك ـ كما أوردها الآخرون ـ وكيف مثل بابن ملجم وهو حى وكيف حرق وهو ميت . فابن الأثير وابن كثير يذكران الحادثة لكنهما يذكران أن ابن ملجم حرق بعد قتله(٣)، أما الذهبى فيؤكد أن التمثيل بالقاتل تم قبل قتله(٤).

أما الديار بكرى فيورد نفس الرواية غير أنه يضيف اليها جديدا هو أن الامام عليا رضى الله عنه كان يعرف أن ابن ملجم سيقتله لكنه لم يفعل شيئا لأن المعرفة وحدها لاتكفى لاقامة الحد(٥). وهو لايتحدث عن مصدر معرفة على هذا الخبر ولامن أطلعه عليه ، ومعرفة الامام بالأمور الغيبية لم يقل بها أحد غير الشيعة .

أما الإشارة الى أتخاذ الحرس ـ وهى الرواية التى أوردها ابن خلدون على لسان البرك ـ فقد أشار اليها الدينورى حيث ذكر أن معاوية رضى الله عنه أمر باتخاذ المقاصير والحرس فى المسجد وكذلك حراس الليل وهذا بعد محاولة قتله(٦).

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٤٧ .
(٢) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٦٤٧ .
(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٣ ، ص٣٩٢ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٧ ، ص٣٢٨،٣٣٠ .
(٤) الذهبى : تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، ج٣ ، ص٦٥٠ .
(٥) حسين بن محمد بن الحسن الديار بكرى : تاريخ الخميس فى أحوال انفس نفيس ، (بيروت ، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع) ، ج٢ ، ص٢٨٠ .
(٦) الدينورى : الأخبار الطوال ، ص١٦٤ .

ولعل الجمع بين رواية ابن خلدون التى ذكر أن اتخاذ الحرس كان قبل المحاولة التى قام بها البرك وبين رواية الدينورى التى يؤكد فيها أن اتخاذ الحرس بكل أشكاله كان بعد محاولة اغتيال معاوية هو أن معاوية اتخذ المقاصير وشدد الحراسة عليه بعد هذه المحاولة مع وجود حارس أو أكثر قبل الحادثة . وممن أيد رأى الدينورى ابن قتيبة فى الامامة والسياسة (١).

وقد تحدث ابن خلدون عن بيعة الحسن رضى الله عنه وتسليمه الأمر لمعاوية رضى الله عنه بعد ذلك حقنا للدماء وحرصا على جمع كلمة الأمة الاسلامية ، فالحسن رضى الله عنه اشترط على مبايعيه أن يكونوا سلما لمن سالم وحربا لمن حارب (٢). وعندما رأى الحسن انفلات الأمر من يده ورغبة أصحابه فى الصلح كتب الى معاوية يخبره برغبته فى مبايعته لقاء اعطائه بعض المطالب . وبلغت صحيفته الى معاوية فأمسكها وكان قد أرسل له صحيفة بيضاء ختم فى أسفلها وكتب اليه أن اشترط فى هذه الصحيفة ماشئت فهو لك فاشترط فيها أضعاف ماكان فى الصحيفة الأولى ، فلما سلم له أعطاه مافى الصحيفة الأولى وقال هو الذى طلبت (٣).

ويوافق ابن خلدون ابن الأثير فى مسألة تنازل الحسن لمعاوية عن الخلافة وأنها كانت سنة ٤١هـ/٦٦١م ، وأن هذه السنة سميت عام الجماعة (٤). بينما يرى آخرون انها كانت سنة ٤٠هـ/٦٦٠م (٥). وهذا يخالف

---

(١) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، ج١ ، ص١٣٩ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٤٨ .

(٣) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٦٤٨-٦٤٩ .

(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٣ ، ص٤٠٤-٤٠٦ .

(٥) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ج٢ ، ص٢١٦ ؛ ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص١٨٧ ؛ ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، ص١٠٣.

ماأجمع عليه المؤرخون(١).

وقد وافق ابن خلدون غيره من المؤرخين الذين أكدوا أن هدف الحسن رضى الله عنه كان حرصه على حقن دماء المسلمين(٢).

---

(١) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ص٢٠٣ ؛ الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص١٦٢ ؛ المسعودى : مروج الذهب ، ج٢ ، ص٤٢٦ ؛ أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى : التنبيه والاشراف ، (بيروت ، دار مكتبة الهلال : ١٩٨١م) ، ص٢٧٦ ؛ الفقيه الحافظ القرطبى المالكى : الاستيعاب فى أسماء الأصحاب ، (بيروت ، دار الكتاب العربى) ، ج١ ، ص٣٧١ ؛ ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٣ ، ص٤٠٤ ؛ ابن الأثير : أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، ج٢ ، ص١٤ ؛ الذهبى : العبر فى خبر من غبر ، ج١ ، ص٣٤ ؛ ابراهيم بن محمد ابن ايدمر العلائى المعروف بابن دقماق : الجوهر الثمين فى سير الخلفاء والملوك والسلاطين ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، (مكة ، مركز البحث العلمى واحياء التراث الاسلامى بجامعة أم القرى) ، ص٥٧ ؛ القلقشندى : مآثر الانافة فى معالم الخلافة ، ج١ ، ص١٠٦ ؛ السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص١٩٢ ؛ ابن العماد شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج١ ، ص٥٢ .

(٢) ابن الأثير : أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، ج٢ ، ص١٣-١٤ ، ج٤ ، ص٣٨٦-٣٨٧ ؛ الذهبى : العبر فى خبر من غبر ، ج١ ، ص٣٤-٣٦ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٨ ، ص١٤-١٦ ؛ ابن حجر العسقلانى : الاصابة فى تمييز الصحابة ، ج١ ، ص٣٢٩ ؛ ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص١٨٥-١٨٦ .

تقويم آراء ابن خلدون فى قيام دولة بنى أمية :

لقد استمدت آراء ابن خلدون التاريخية حول قيام دولة بنى أمية من رافدين أساسيين :

أولهما : نظريته الفلسفية حول قيام الدولة بعامة وهى تلك النظرية التى تتكىء بالدرجة الأولى على نظريته فى العصبية والدولة.

ثانيهما : الفكر التاريخى الاسلامى الذى سبق ابن خلدون أو عاصره واطلع عليه سواء ذلك التراث الذى ذكر ابن خلدون صراحة أنه أفاد منه أو ذلك الذى لم يذكره ، ولكن قرائن كثيرة تؤكد أنه لابد أن يكون قد عرفه وتأثر به ايجابا أو سلبا .

ومما لاشك فيه أن مرحلة التألق فى الكتابة التاريخية وهى المرحلة التى مثلها خليفة بن خياط (ت٢٤٠هـ/٨٥٤م) ومن ثم الطبرى (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م) والمسعودى (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) فى المشرق ، وابن حيان (ت٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م)[١]، وابن عبد البر (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م)[٢]، وابن حزم فى الأندلس (ت٤٥٦هـ/١٠٦٤م) ، هذه المرحلة التى تتميز بالاجتهاد فى جمع الأخبار وبالصدق والأمانة وبالعالمية والعمومية[٣] كان لها الأثر الأكبر فى الفكر التاريخى لدى ابن خلدون .

لقد كان ابن خلدون واضحا فيما يتصل بتأثره بالطبرى والمسعودى ، فقد ذكر فى تاريخه العبر غير مرة أن فى تاريخه تلخيصا لبعض ماكتبه محمد ابن جرير الطبرى ، ففى نهاية تأريخه للدولة الأموية أشار الى أنه لخص آراء

---

(١) حيان بن خلف بن حسين القرطبى مؤرخ أديب ، ولد سنة ٣٧٧هـ وتوفى سنة ٤٦٩هـ .
عنه انظر : عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ، ج٤ ، ص٨٨ .

(٢) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبى ، كان إماماً فى الحديث والفقه والأنساب ، ولد سنة ٣٦٨هـ وتوفى سنة ٤٦٣هـ .
عنه انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج٧ ، ص٦٦ .

(٣) محمد عابد الجابرى : فكر ابن خلدون العصبية والدولة ، ص١٣٨ بتصرف .

الطبرى فى الدولة الأموية . ولم يقف ابن خلدون عند هذا بل امتدح الطبرى وجعل كتابه أوثق كتب التاريخ التى اعتمد عليها ومن هنا جاء اعتماده عليه(١).

أما تأثر ابن خلدون بالمسعودى فيتضح إذا ماعلمنا أن الأمثلة التاريخية التى ذكرها ابن خلدون فى مقدمته ليبين بهاأوهام المؤرخين ومغالطهم قد ناقش فيها المسعودى ، وفند منهجه فى تحليلها ، وكان مانقله المسعودى وكثير من المؤرخين حول عدد جيوش بنى اسرائيل وأن موسى عليه السلام أحصاهم فى التيّه بعد أن أجاز من يطيق حمل السلاح خاصة من ابن عشرين فما فوقها فكانوا ستمائة ألف أو يزيدون(٢). وقد فند ابن خلدون صحة هذا العدد معتمدا على منهجه فى النقد التاريخى ، فلاريب أن يكون ابن خلدون الذى تتبع أمثلة المسعودى وناقشها قد اطلع على تراث المسعودى واتخذ منه موقفا.

أما أبو بكر بن العربى وكتابه "العواصم من القواصم" فهو بلاريب واحد من أبرز المؤثرين فى ابن خلدون والموجهين لأفكاره فى تقويم الحوادث التاريخية وفى الاعتدال فى النظر والميل إلى تبرئة الصحابة وإلى حب على وإنصاف معاوية .

ويعتبر كتاب "العواصم من القواصم" من أوفى المصادر وأقواها فى تحليل الفترة الحرجة التى تعرضت لها الأمة الاسلامية فى عصر انبشاقها وعظمتها ٣٥-٤١هـ/٦٥٥-٦٦١م ، ومع أن ابن العربى كأكثر المسلمين كان متعاطفا مع على وقد جعل الحق معه لأن الطالب للدم لايجوز أن يحكم(٣)، بل ذكر أن معاوية لم يستطع أن يقتل أحدا عندما تولى(٤)، إلا أن ابن العربى كان منصفا للجميع باحثا عن الحق ، وقد رفض قصة التحكيم وقال

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٥٠ ، ج٣ ، ص١٧٨ .
(٢) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج١ ، ص٢٩٢ .
(٣) ابن العربى : العواصم من القواصم ، ص١٦٨ .
(٤) المصدر السابق ، ص١٧١ .

انهـا كـذب صراح مـاجرى منـه حرف[(١)]، مـع أن خليفـة بن خيـاط[(٢)]، والطبرى[(٣)]، وابن كثير[(٤)]، وابن أعثم[(٥)]، وغيرهم[(٦)]، قالوا بها .

لقد تباينت المصادر قبل ابن خلدون وبعده فى عـرضها لأحداث الفتنة التى ولدت فى معتركها الدولة الأمـوية ، بيد أن هذا التبـاين ـ اذا مااستثنينا المراجع الشيعية ـ كان محدودا .

وابن خلدون ينتمى الى مدرسة المحايدين وهو مسبـوق فيها بخليفة بن خياط ، والطبرى ، وابن عبد البر ، وابن حزم ، وأبى بكر بن العربى ، كما أن كثيرين جاءوا بعـده حتى العصر الحديث تأثروا بمنهجـه القويم فى عرض الأحداث وتحليلها .

وعنـد النظـر الموضوعى لآراء ابن خلـدون نجده قـد سـرد من منظور معتدل ، وفى ضوء منهج شديد الحياد والاعتدال الأحداث التى أدت الى قيام الخلافة الأموية .

وقـد استطرد ابن خلدون الى تفصيلات كثيرة تتصـل بالأقـاليم والولاة الـذين كانوا عليها ، وماحدث من صراع على هذه الأقـاليم بين على ومعاوية ولاسيما الصراع على حكم مصر .

وقـد اتكأ ابن خلدون فى هذه الوقائع كثيرا على ابن جرير الطبرى فى كتابه "تاريخ الرسل والملوك" بل كان يتبع منهجه فى سرد الروايات المختلفة ولكنـه زاد عليـه قدرته على الترجيـح والنقـد ، وان كان ذلـك لم يحل دون

---

(١) ابن العربى : العواصم من القواصم ، ص١٧٩ .

(٢) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ص١٩١-١٩٢ .

(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٦٧-٧١ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٧ ، ص٢٧٥-٢٧٧ .

(٥) ابن أعثم : كتاب الفتوح ، ج٤ ، ص١-٣١ .

(٦) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، ج١ ، ص١١٣-١١٨ ، الدينورى : الأخبار الطوال ، ص١٤٨-١٥٤ ، الـذهبى : تاريخ الاسلام ووفيـات المشـاهير والأعلام ، ج٣ ، ص٥٤٧-٥٥٠ .

وقوعه فى بعض الأخطاء منها أنه ضعّف حديث "الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكا عضوضا"(١)، ثم عاد فاستشهد به(٢).

ونحن نلاحظ أن ابن خلدون عند حديثه عن مقتل على يذكر أن ثلاثة من الخوارج تعاهدوا على قتل على ومعاوية وعمرو بن العاص فنجح ابن ملجم فى قتل على ، أما البرك بن عبد الله التميمى الصريمى فقد قعد لمعاوية فلما خرج ضربه فى اليته ولكنهم أمسكوا به ، وقد حاول أن يساوم معاوية بابلاغه بشرى مقتل على على أن يعفو عنه ولكن معاوية أمر بقتله ، وقد خير الطبيب معاوية بين الكى أودواء يقطع النسل فاختار الأخير(٣).

ولقد أورد ابن خلدون رواية أخرى عن مقتل البرك ولكنها ضعيفة حيث شكك فيها إذ يقول ان معاوية أمر بقطع البرك فقطع وأقام إلى أيام زياد فقتله بالبصرة .

ولقد كانت هذه الحادثة سببا لكى يتخذ معاوية المقصورة وحرس الليل وقيام الشرط على رأسه اذا سجد .

ولكنه يورد رواية أخرى ويضعفها بأن مروان بن الحكم أول من اتخذ المقصورة سنة ٤٤هـ/٦٦٤م حين طعنه اليمانى(٤).

والصحيح حسب ماذكر ابن الأثير أن مروان أول من عمل المقصورة فى المدينة بينما كان معاوية أول من عملها فى الشام(٥). فيكون كل منهما

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٥٠ .
وقد ورد الحديث فى سنن الترمذى بلفظ "الخلافة بعدى ثلاثون عاما ثم تكون ملكا بعد ذلك" .
عنه انظر : محمد بن عيسى بن سورة الترمذى : الجامع الصحيح المسمى سنن الترمذى ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، (بيروت ، دار الكتب العلمية) ، ج٤ ، ص٤٣٦ .

(٢) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٨١٤ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٤٥-٦٤٧ .

(٤) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٦٤٧ .

(٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٣ ، ص٤٤٦ .

الأول ولكن واحدا فى الشام والآخر بعده فى المدينة ، ولعل ابن خلدون عندما ضعف الرواية يقصد الأول فى عملها[(١)].

ان ابن خلدون يذكر قصة التحكيم وخديعة عمرو لأبى موسى وأن معاوية حصل على هذا الأمر بالخديعة[(٢)]، وكأنها حقيقة مسلمة مع أن حادثة التحكيم كلها أصبحت موضع شك أمام منهج النقد التاريخى الحديث .

ونجد ابن خلدون يشكك فى بعض الروايات بعد أن يذكرها ثم يذكر مايراه هو صحيحا[(٣)]. كما أننا نجد إشارة الى اتفاق معاوية وعمرو رضى الله عنهما على الشراكة[(٤)]فى السلطان فكأن ابن خلدون يؤيد هذا الاتفاق الذى ليس له دليلا من تطور الأحداث وانفراد بنى أمية بالأمر .

وفى موضع آخر نلمح إشارة إلى طمع معاوية بالخلافة قبل مقتل عثمان وأن مطالبته بقتل قتلته كان ستارا يخفى وراءه رغبته فى الخلافة وهو أمر كان يحتاج الى مزيد تحليل[(٥)].

ومع أننا ـ كما أثبت ابن خلدون ـ نرى معاوية رضى الله عنه يرفض الحلول التى يقترحها الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه فإننا نجد كذلك فى سرد الأحداث عموما إنصافاً من ابن خلدون لعلى بن أبى طالب ، إلا أنه مع ذلك برأ معاوية من الكثير من التهم التى ألصقت به ، فهو ـ كما يتجلى بحق ـ كان محايداً غير متحيز ، وهذه ملاحظة يجب أن تسجل له فى مقام تقويم سرده لقيام دولة بنى أمية .

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٤٧ .
(٢) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٦٣٦-٦٣٧ .
(٣) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٦٢٢-٦٢٣ .
(٤) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٦٢٥ .
(٥) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٦٢٧ .

الفصل الثالث

العرض التاريخي للدولة الأموية

في رأي ابن خلدون

* الفرع السفيانى .
* الفرع المروانى .
* سياسة خلفاء بنى أمية ازاء القوى المعارضة لهم .
* الفتوحات الاسلامية والسياسة الخارجية لخلفاء بنى أمية .

المبحث الأول

الفرع السفياني

الفرع السفيانى

سبق أن استعرضنا ماأورده ابن خلدون عن قيام الدولة الأموية ، حيث ذكر خروج معاوية بن أبى سفيان على على رضى الله عنهما والتقائهما فى صفين ، وماتم من أمر التحكيم الى أن انتهت الأحداث بمقتل على رضى الله عنه ، ومبايعة ابنه الحسن بالخلافة وتنازله عن ذلك لمعاوية بن أبى سفيان حيث تم الأمر له واتفقت الجماعة على بيعته فانفرد بخلافة المسلمين .

وقد أثنى ابن خلدون على المقدرة السياسية للحكم التى تفرد بها معاوية بن أبى سفيان حيث يقول : "وأقام فى سلطانه وخلافته عشرين سنة ينفق من بضاعة السياسة التى لم يكن أحد من قومه أوفر فيها منه يدامن أهل الترشيح من ولد فاطمة وبنى هاشم وآل الزبير وأمثالهم ويصانع رؤوس العرب وقروم مضر بالاغضاء والاحتمال والصبر على الأذى والمكروه وكانت غايته فى الحلم لاتدرك وعصابته فيها لاتنزع ومرقاته فيها تزل عنها الأقدام"(١).

ان هذه المقدرة السياسية هى التى جعلت معاوية بن أبى سفيان ـ كما يرى ابن خلدون ـ يعهد بولاية العهد لابنه يزيد ، حيث ان من طبيعة الملك ـ كما ذكرنا سابقا ـ الانفراد بالمجد واستئثار الواحد به ، فلم يكن لمعاوية أن يدفع ذلك عن نفسه وقومه ، فهو أمر طبيعى ساقته العصبية بطبيعتها ، واستشعرته بنو أمية ، ولو أن معاوية حملهم على غير تلك الطريقة وخالفهم لوقع فى افتراق الكلمة التى كان جمعها وتأليفها أهم عليه من أمر ليس وراءه كبير مخالفة ، فعهد معاوية الى يزيد كان خوفا من افتراق الكلمة اذ أن بنى أمية لن يرضوا بتسليم الأمر الى سواهم(٢).

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص٥ .

(٢) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٠٤ .

ان ولاية العهد ليزيد ـ كما يذكر ابن خلدون فى تاريخه نقلا عن الطبرى ـ كان أساسها مشورة طرحها المغيرة بن شعبة عندما قدم على معاوية فشكا اليه الضعف ، فاستعفاه فأعفاه ، وأراد أن يولى سعيد بن العاص[(١)] "وقال أصحاب المغيرة للمغيرة : ان معاوية قلاك ، فقال لهم : رويدا ونهض الى يزيد وعرض له بالبيعة . وقال ذهب أعيان الصحابة وكبراء قريش ورادوا أسنانهم ، وانما بقى أبناؤهم وأنت من أفضلهم وأحسنهم رأيا وسياسة ، ومأأدرى مايمنع أمير المؤمنين من العهد لك فأدى ذلك يزيد الى أبيه واستدعاه وفاوضه فى ذلك . فقال : قد رأيت ماكان من الاختلاف وسفك الدماء بعد عثمان ، وفى يزيد منك خلف ، فاعهد له يكون كهفا للناس بعدك فلاتكون فتنة ولايسفك دم وأنا أكفيك الكوفة ويكفيك ابن زياد البصرة ، فرد معاوية المغيرة الى الكوفة ، وأمره أن يعمل فى بيعة يزيد فقدم الكوفة وذاكر من يرجع اليه من شيعه بنى أميه فأجابوه ، وأوفد منهم جماعة مع ابنه موسى فدعاه الى عقد البيعة ليزيد . فقال : أوقد رضيتموه؟ قالوا : نعم! نحن ومن وراءنا . فقال : ننظر ماقدمتم له ويقضى الله أمره ، والأناة خير من العجلة ثم كتب الى زياد يستنير بفكره"(٢).

ان جواب زياد على كتاب معاوية وماحدث بعد ذلك من أمور ترتب عليها استخلاف يزيد ، والمعارضة التى واجهت معاوية لانجد لها ذكرا فى تاريخ ابن خلدون المطبوع ، وحاولنا البحث عنها فيما تحت يدنا من مخطوط ولكن للأسف لم نعثر على غايتنا فيها .

أما ابن الأثير فقد اختلف عن ابن خلدون فى تفصيلات الرواية السابقة ، حيث ذكر أن معاوية أراد أن يعزل المغيرة عن الكوفة ويستعمل عوضه سعيد بن العاص ، فلما بلغه ذلك شخص الى معاوية واستعفاه ليظهر

---

(١) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص ، صحابى من الولاة الفاتحين ، توفى وهو وال على المدينة وذلك سنة ٥٣هـ على الأرجح .
عنه انظر : العسقلانى : الاصابة فى تمييزالصحابة ، ج٢ ، ص٤٥-٤٦ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص١٩ .

للناس كراهيته للولاية ، ثم عرض على يزيد فكرة ولايته للعهد ، ونسق مع معاوية على أن يكفيه أهل الكوفة ويكفيه زياد أهل البصرة ، فرد معاوية المغيرة الى الكوفة وبعث المغيرة اليه وفدا عليهم ابنه موسى زينوا له بيعة يزيد ودعوه الى عقدها . ولقد سأل معاوية موسى : بكم اشترى أبوك من هؤلاء دينهم؟ فقال : بثلاثين ألفا . وقيل بأربعمائة دينار . فقال معاوية : لقد هان عليهم دينهم . وفى رواية لقد وجد دينهم عندهم رخيصا(١).

ان ماذكره ابن الأثير فى بداية روايته من أن تفكير معاوية فى عزل المغيرة كان دافعا له للمسير الى معاوية وعرض فكرة ولاية العهد على ابنه يزيد قد تكون أقرب الى القبول من رواية الطبرى التى أوردها ابن خلدون وذكر فيها أن المغيرة قد ذهب الى معاوية يستعفيه من الولاية ثم يطرح فكرة ولاية العهد ليستعيد ولايته التى طلب هو نفسه من معاوية أن يعفيه منها .

ولقد أغفل ابن خلدون ذكر مارواه ابن الأثير من حديث جرى بين معاوية وموسى بن المغيرة ، ولعل اغفاله هذا يعزز رأيه فى أن معاوية ماتحرى الا خير هذه الأمة حين أسند ولاية العهد ليزيد .

فقد ذكر فى مقدمته أن حقيقة الإمامة "النظر فى مصالح الأمة لدينهم ودنياهم ، فهو وليهم والأمين عليهم ينظر لهم ذلك فى حياته ، ويتبع ذلك أن ينظر لهم بعد مماته ، ويقيم لهم من يتولى أمورهم ، كما كان يتولاها فى حياته ، ويثقون بنظره لهم فى ذلك كما وثقوا به فيما قبل . وقد عرف ذلك من الشرع باجماع الأمة على جوازه وانعقاده ، اذ وقع بعهد أبى بكر رضى الله عنه لعمر ، وكذلك عهد عمر فى الشورى إلى الستة ليختاروا واحدا منهم خليفة للمسلمين فوقع الاختيار على عثمان رضى الله عنه ، والملأ من الصحابة لم ينكروا عهد أبى بكر لعمر رضى الله عنهما ولاعهد

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٣ ، ص٥٠٣-٥٠٥ .

عمـر فى الشورى الى الستة لاختيـار أحدهم خليفة . فـدل على أنهم متفقون على صحـة هـذا العهد عارفـون بمشـروعيته والاجمـاع حجـة كما عرف"(١).

ويؤكـد ابن خلـدون أن الامـام لايتهم فى هذا الأمـر ، وان عهـد الى أبيـه أوابنه ، "لأنه مأمون على النظـر لهم فى حياته ، فـأولى ألا يحتمل فيها تبعـة بعد مماته ، خلافا لمن قال باتهامه فى الولد والـوالد ، أو لمن خصص التهمـة بالولد دون الوالد ، فـانه بعيد عن الظنة فى ذلـك كلـه ، لاسيما اذا كانت هناك داعية تدعو إليـه ، مـن إيثـار مصلحة أو توقـع مفسـدة فتنتفـى الظنة عند ذلك رأسا ، كما وقع فى عهد معاوية لابنـه يزيد ، وان كان فعل معـاوية مع وفاق الناس له حجـة فى الباب . والذى دعـا معاوية لإيثار ابنه يزيد بالعهـد دون مـن سواه انما هـو مـراعاة المصلحـة فى اجتمـاع النـاس ، واتفـاق أهوائهم باتفاق أهل الحل والعقد حينئذ من بنى أميـة ، إذ بنو أمية يومئذ لايرضون سواهم ، وهم عصابة قريش وأهل الملة أجمع وأهل الغلب منهـم : فآثره بذلك دون غيره ممن يظن أنه أولى بهـا ، وعدل عن الفاضل الى المفضـول حرصـا على الاتفـاق واجتمـاع الأهواء الـذى شـأنه أهـم عند الشارع ، وان كان لايظن بمعاوية غير هذا فعدالته وصحبتـه مانعة من سوى ذلـك . وحضور أكابر الصحابة لذلك وسكوتهم عنه دليـل على انتفاء الريب فيه ، فليسوا ممن يأخذهم فى الحق هوادة ، وليس معاوية ممن تأخذه العزة فى قبـول الحق ، فإنهم كلهـم أجل من ذلك ، وعدالتهـم مانعه منه ، وفرار عبـد الله بن عمر من ذلك إنما هو محمول على تورعـه من الدخول فى شىء من الأمور مباحا كان أو محظورا ، كما هو معروف عنه ولم يبـق فى المخالفة لهـذا العهـد الـذى اتفـق عليـه الجمهـور إلا ابن الـزبير وندور المخـالف معروف"(٢).

---

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦١١-٦١٢ .

(٢) المقدمة ، ج٢ ، ص٦١٢-٦١٣ .

ونود أن نشير هنا الى أنه بالرغم من أن معظم المؤرخين قد ذكروا موقف الحسين بن على وابن عمر وابن الزبير وعبد الرحمن بن أبى بكر وابن عباس رضى الله عنهم من ولاية العهد ليزيد ، ومعارضتهم لذلك ، الا أننا نرى ابن خلدون ـ كما ذكرنا ـ يعلل موقف ابن عمر بتورعه من الدخول فى شىء من الأمور مباح أو محظور ، ويعزو موقف ابن الزبير رضى الله عنه لمخالفته بنى أمية فى أشياء ، ويغفل تعليل موقف الآخرين المعارض من تولية يزيد للعهد ، مما يجعلنا نستنتج أنه مجرد اجتهاد(١).

ثم نجد ابن خلدون يشير الى موقف معاوية (٤١-٦٠هـ/٦٦١-٦٨٠م) ومن جاء بعده من الخلفاء الذين كانوا يتحرون الحق ويعملون به ممن عرفوا بعدالتهم وحسن رأيهم للمسلمين فى ايثار أبنائهم وإخوانهم ، وخروجهم عن سنن الخلفاء الأربعة فى ذلك . فهو يرى أن شأنهم غير شأن أولئك الخلفاء ، ففى عهد الخلفاء الذين سبقوا معاوية كان وازع العهد دينيا فقد كانوا يعهدون إلى من يرتضيه الدين فقط ويؤثرونه على غيره ، أما من جاء بعدهم من لدن معاوية فقد كانت العصبية قد أشرفت على غايتها من الملك ، والوازع الدينى قد ضعف واحتيج الى الوازع السلطانى والعصبية . فلو عهد إلى غير من ترتضيه العصبية لما تم له الأمر ، ولصارت الجماعة الى الفرقة والاختلاف أقرب . ويستشهد ابن خلدون بموقف على رضى الله عنه عندما سئل : "مابال المسلمين اختلفوا عليك ، ولم يختلفوا على أبى بكر وعمر فقال : لأن أبا بكر وعمر كانا واليين على مثلى وأنا اليوم وال على مثلك ، وهو يشير الى وازع الدين ...اذ لابد من اعتبار ذلك فى العهد ، فالعصور تختلف باختلاف مايحدث فيها من الأمور والقبائل والعصبيات ، وتختلف باختلاف المصالح ، ولكل واحد منها حكم يخصه ، وأما أن يكون القصد بالعهد حفظ التراث على الأبناء فليس من المقاصد الدينية ، إذ هو أمر من

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٣٠٣-٣٠٤ ؛ ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٣ ، ص٥٠٦-٥١١ .

ليزيد إلا أنه لم يذكر عبد الرحمن بن أبى بكر[(١)].

لقد أورد ابن خلدون الروايتين السابقتين عن الطبرى[(٢)]، بينما نجد ابن الأثير ينفى الرواية الأولى ويستشهد على صحة نفيها بأن عبد الرحمن ابن أبى بكر مات قبل معاوية بن أبى سفيان ، ويؤكد ماذكر فى الرواية الثانية[(٣)].

ومن الملاحظ أيضا أن ابن خلدون ذكر خطبة معاوية قبل موته وأورد خطبته مثلما هى موجودة عند ابن الأثير "قال معاوية رضى الله عنه "انى كزرع مستحصد وقد طالت إمارتى عليكم حتى مللتكم ومللتمونى ، وتمنيت فراقكم وتمنيتم فراقى ولن يأتيكم بعدى إلا من أنا خير منه ، كما أن من كان قبلى خير منى . وقد قيل من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه . اللهم انى قد أحببت لقاءك فاحبب لقائى وبارك لى" . فلم يمض الا قليل حتى ازداد به مرضه[(٤)].

ويتضح لنا من هذه الخطبة ايمان معاويةومعرفته بفضل من سبقه من الصحابة ، وحبه للقاء الله وفضله . ولقد كانت وفاته خسارة كبيرة للمسلمين ويكفى أن ندرك مدى هذه الخسارة حين نعرف أن الصوائف تعطلت من الشام منذ وفاة معاوية ، وأن باب الفتن انفتح على مصراعيه بعد وفاته مما كان له أكبر الأثر فى تاريخ الاسلام والمسلمين[(٥)].

وعلى كل حال فانه بوفاة معاوية رضى الله عنه وتولى يزيد خلافة المسلمين جرت أحداث كثيرة خلال خلافته التى استمرت ثلاث سنين وستة أشهر ، وقيل ثمانية أشهر .

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص٢٤ .
(٢) الطبرى ، ج٥ ، ص٣٢٢-٣٢٣ .
(٣) ابن الأثير ، ج٤ ، ص٥-٦ .
(٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص٢٣ .
وانظر : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٤ ، ص٥ .
(٥) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص٨٨ .

ومن الملاحظ أن تاريخ ابن خلدون المطبوع لم يرد به ذكر وفاةيزيد ، بينما تاريخه المخطوط ذكر وفاة يزيد وبيعة معاوية ابنه ومهلكه ، وقد وافقت المعلومات الواردة فيه ماأوردته بعض المصادر التاريخية(١)، يقول ابن خلدون : "ثم مات يزيد منتصف ربيع الأول سنة أربع وستين وبويع بعده ابنه معاوية فمكث ثلاثة أشهر ثم خطب الناس وقال انى ضعفت عن أمركم وطلبت لكم مثل عمر بن الخطاب حين استخلفه أبو بكر فلم أجده فطلبت ستة مثل أهل الشورى فلم أجدهم فأنتم أولى بأمركم اختاروا له ودخل منزله فمات ويقال مسموما وصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبى سفيان وهلك ليومه بالطاعون وقيل ان معاويةبن يزيد أوصى الضحاك بن قيس أن يصلى بالناس حتى يجتمع الناس على امام"(٢).

وقد أكد ابن خلدون فى عرضه التاريخى لعهد معاوية على نجاح معاوية نجاحا متميزا جعل كثيرا من المؤرخين يذهبون الى أنه رجل الدولة المناسب لتحديات مرحلة مابعد الراشدين ، وأوضاع الدولة الاسلامية الجديدة بعد قضائها على نفوذ الفرس والروم .

وكان من أبرز معالم سياسته الداخلية أنه أرضى جميع الطوائف ، عن طريق انزال كل طبقة منزلتها ، وعن طريق تأليف القلوب ، وسخائه المعروف ، كما أنه نجح فى سياسته الخارجية فانطلقت الفتوحات الاسلامية من جديد بعد أن توقفت خلال سنوات الفتنة (٣٥-٤١هـ/٦٥٥-٦٦١م) .

وسوف ترد فى الفصول القادمة باذن الله نماذج دالة على سياسة معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه الداخلية والخارجية ، من خلال حديثنا عن سياسة بنى أمية ازاء القوى المعارضةلهم ، والفتوحات الاسلامية ، والتطور الحضارى للدولة الأموية عند ابن خلدون .

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٤٩٩،٥٠٣،٥٣٠-٥٣١ ؛ ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٤ ، ص١٢٥،١٣٠ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، مخطوطة ، ج٣ ، ق٢٣ .

ولم نشأ تقديم سرد تاريخى تقليدى لأعمال معاوية أو لأعمال غيره من الخلفاء فى العصرين السفيانى والمروانى ، حتى لايقع تكرار ، وآثرنا معالجة حياتهم وأعمالهم فى اطار المنهج الذى ذكرناه والقائم على رصد أعمالهم جميعا ضمن منهجية موضوعية ، لامنهجية ذاتية خاصة بكل خليفة تشبه أن تكون كتابة غير تحليلية ولانقدية .

المبحث الثاني

الفرع المرواني

الفرع المروانى

كانت وفاة يزيد بن معاوية (٦٠-٦٤هـ/٦٨٠-٦٨٣م) حدثا يوشك أن يؤدى إلى انتهاء خلافة بنى سفيان ، إذ أن ابنه معاوية (٦٤هـ/٦٨٣م) لم يلبث إلا قليلا ثم اعتزل الخلافة وتوفى بعدها دون أن يعين خليفة من بعده وقد مثل هذا العمل منعطفا خطيرا فى مسار دولة بنى أمية التى ظلت مايقرب من خمسة أشهر أو يزيد تعانى من فترة عصيبة تعتبر من أحرج الفترات التى مرت بها ، اذ أصبح مكان الخلافة شاغرا فى الشام ، فى الوقت الذى أعلن ابن الزبير رضى الله عنه نفسه خليفة للمسلمين فى مكة ، وبايعته معظم الأمصار الاسلامية ، وكاد الأمر أن يخرج من بنى أمية ويكفى دلالة على ذلك أن مروان بن الحكم نفسه كان ينوى التوجه إلى مكة لمبايعة ابن الزبير بالخلافة . ولكن كانت رغبة بعض أنصار بنى أمية فى بقاء هذا الأمر فيهم ، بالاضافة الى عوامل أخرى ، دافعا لهم لتوحيد صفوفهم ، واجتماعهم بالجابية(١)، ثم اتفاقهم بعد التشاور على البيعة لمروان بن الحكم (٦٤-٦٥هـ/ ٦٨٤-٦٨٥م) ، ثم لخالد بن يزيد ، ثم لعمرو بن سعيد بن العاص ، ثم انتهى الأمر بمبايعة مروان بن الحكم أول ذى القعدة سنة ٦٤هـ/٦٨٣م . وهكذا كان إعلان مروان بن الحكم خليفة للمسلمين البداية الحقيقية لخلافة بنى مروان التى انطلقت من مؤتمر الجابية . وبعد هذه البيعة اتجه مروان الى مرج راهط(٢)، حيث التقى مع الضحاك بن قيس وأعوانه من مؤيدى ابن

---

(١) قرية من أعمال دمشق من ناحية الجولان قرب مرج الصفر فى شمالى حوران وبالقرب منها تل يسمى تل الجابية ومعناها فى اللغة الحوض الذى يجبى فيه الماء للأبل .
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٩١ .

(١) موضع فى الغوطة من دمشق فى شرقيه بعد مرج عذراء وراهط اسم رجل من قضاعة ويقال له مرج راهط ، كانت به وقعة مشهورة بين قيس وتغلب .
عنه انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٢١ .

الزبير واقتتلوا قتالا شديدا ، وقد دعم موقف مروان استيلاء أعوانه على دمشق ، واخراج عامل الضحاك منها ، والاستيلاء على الخزائن ، وبيت المال وامداد مروان بالأموال والرجال والسلاح ، فكان هذا أول نصر يحققه الأمويون . واستمر القتال عشرين ليلة وانتهى بهزيمة الضحاك ومقتله مع جماعة كبيرة من أشراف أهل الشام من القيسيين . وكانت الوقعة آخر سنة ٦٤هـ/٦٨٣م ، وقيل فى المحرم من سنة ٦٥هـ/٦٨٤م . وبعد أن استوثق الأمر لمروان فى الشام ، وترضية للفرع السفيانى وللشاميين تزوج بأم خالد بن يزيد ، ولقد اتفقت روايات الطبرى وابن الأثير وابن خلدون فيما جرى من أحداث فى الجابية ، ومرج راهط(١)، وعلى أن عبيد الله بن زياد(٢)جاء الى بنى أمية فى تدمر(٣)بعد أن طردهم ابن الزبير من مكة والمدينة ، ومروان عازم على المضى الى مكة لكى يبايع ابن الزبير فثناه عن ذلك ، وأشار عليه أن يسير بأهل تدمر الى الضحاك فيقاتله فوافق على ذلك وجمع بنى أمية فبايعوه وبايعه أهل تدمر وسار الى الضحاك فى جمع عظيم حتى هزمه وقتله(٤).

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٥٣٠-٥٣٧ ؛ ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٤ ، ص١٤٥-١٤٨ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، مخطوطة ، ج٣ ق٢٥ .

(٢) عبيد الله بن زياد بن أبيه وال فاتح ، جبار ، خطيب ولد بالبصرة سنة ٢٨هـ ، ولاه معاوية خراسان سنة ٥٣هـ ففتح عدة مدن ثم نقله معاوية الى البصرة أميرا عليها سنة ٥٥هـ وكانت الفاجعة بمقتل الحسين رضى الله عنه فى أيامه وعلى يده وكان مقتله سنة ٦٧هـ على يد ابراهيم بن الأشتر ثأرا للحسين رضى الله عنه . الزركلى : الأعلام ، ج٤ ، ص١٩٣ .

(٣) مدينة فى الشام بينها وبين حلب خمسة أيام ، وتعتبر من الأعاجيب فى بنائها ، فتحها المسلمون صلحا على يد خالد بن الوليد .
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٢ ، ص١٨ .

(٤) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٥٣٠-٥٤١ ؛ ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٤ ، ص١٤٥-١٥١ ؛ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، مخطوطة ، ج٣ ، ق٢٥ .

ونود هنا أن نقف قليلا لكى نشير الى بعض النتائج التى استقيناها مما سبق ، منها :

* أن إخراج بنى أمية من الحجاز من قبل ابن الزبير والحاقهم بالشام كان خطوة تدل على العجز السياسى والتسرع والبت فى الأمور دون روية ، اذ أن اخراج بنى أمية من الحجاز أدى إلى تجمعهم بالشام ، ولم شملهم ، وتكاتفهم ، وتشاورهم فيما بينهم ، حتى اتفقوا على بيعة مروان ، وربما لو أن بنى أمية ظلوا متفرقين ، فكان منهم جماعة فى المدينة وعلى رأسهم مروان بن الحكم وأخرى فى الشام وعلى رأسهم خالد بن يزيد لما استطاعوا الاتحاد والاتفاق على اختيار واحد منهم ولكان الأمر بيد الحجازيين ، اذ كان بوسعهم أن يحولوا دون هذا الاتحاد .

* وهناك أيضا نقطة تحسب لمروان بن الحكم فى هذا السياق وهى زواجه من أم خالد بن يزيد ، فلقد كانت لفتة ذكية منه سهلت له الأمور ووطنت له النفوس فخالد بن يزيد شاب صغير ، أخواله يمثلون قوة لايستهان بها فى الشام ، وهو المرشح للخلافة ، لذا فان زواج مروان من أم خالد بن يزيد يجعل هذا الشاب فى حجره ، كما ذكر الطبرى فى تاريخه(١)، ويكون هو بمنزلة أبيه، فيكسب قبولا عند من يرى أحقية خالد بن يزيد .

* كما أن انتصار مروان بن الحكم فى موقعة (مرج راهط) يشكل مرحلة هامة جدا فى اثبات الوجود الأموى واستمراره فى تولى خلافة المسلمين . فلو أن موقعة مرج راهط انتهت بهزيمة مروان أو مقتله لكان لهذا أثر فى تغيير مجريات الأحداث ـ على مانعتقد ـ اذ يكفى أن يخوض مروان هذه المعركة وليس معه الا بعض القبائل اليمنية بينما كان عدد كبير من القيسيين مع الضحاك بن قيس وهو أمير دمشق الذى كان يمثل

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٥٤١ .

الحجازيين حيث كان معه أهل قنسرين[(١)] وفلسطين وحمص[(٢)]، فأقاليم الشام الكبرى ، دمشق وفلسطين وحمص وقنسرين معه ، بينما لايقف مع مروان الا قومه وبعض القبائل اليمنية من جند الأردن .

فهل كان لسقوط دمشق فى أيدى أعوان مروان أثر فى الهزيمة؟ أو أن غياب ابن الزبير عن أنصاره ومؤيديه فى بلاد الشام كان سببا فى هذه النتيجة التى تمخضت عنها هذه المعركة الحاسمة؟!

ثم لماذا لم يرسل ابن الزبير لهؤلاء من يشد أزرهم من أتباعه فى الحجاز أو مصر أو غيرها من الأقاليم التى بايعته؟

ان هذا مع ماذكرناه سابقا من اخراجه لبنى أمية من الحجاز ، يدل على عدم وعى ابن الزبير بأبعاد الصراع وافتقاده لاستراتيجية واضحة له ، فاذا ماأضفنا اليه هذا الحوار الذى دار بين ابن الزبير والحصين بن نمير[(٣)] قائد يزيد بن معاوية بعد أن علم بموت يزيد تأكد لنا هذا الذى نقوله ، فقد "بعث الى ابن الزبير وواعده الأبطح[(٤)] ليلا فالتقيا فقال له الحصين هلم نبايعك فأنت أحق وهذا الجند الذى معى هم وجوه أهل الشام وفرسانهم وأخرج معنا فلايختلف عليك اثنان على أن تؤمن الناس وتهدر لهم

---

(١) مدينة فتحها أبو عبيدة بن الجراح سنة ١٧هـ ، وهى فى الشام قريبةمن حمص . عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٣-٤ .

(٢) بلد مشهور فى الشام بين دمشق وحلب ، يقال بناه رجل يقال له حمص بن مكنف العمليقى ، فتحها المسلمون بقيادة خالد بن الوليد ومات فيها .
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٣٠٢ .

(٣) الحصين بن نمير بن نائل ، أبو عبد الرحمن الكندى ثم السكونى قائد من قواد بنى أمية من أهل حمص من القساة الأشداء ومن المقدمين فى العصر الأموى ، هو الذى حاصر عبد الله بن الزبير بمكة ورمى الكعبة بالمنجنيق ، قتل سنة ٦٧هـ على مقربة من الموصل .
الزركلى : الأعلام ، ج٢ ، ص٢٦٢ .

(٤) الأبطح أثر المسيل ضيقاً كان أو واسعاً والأبطح يضاف إلى مكة وإلى مِنى ، لأن المسافة بينه وبينهما واحدة ، وربما كان الى مِنىً أقرب .
عنه انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج١ ، ص٧٤ .

ماأصابوا من الدماء فأبى من اهدارها وكان الحصين يكلمه سرا وهو يجهر ويقول والله لاأفعل فقال الحصين قبح الله من يعدك بعد هذا داهية ، ثم ارتحل الى المدينة وراجع ابن الزبير رأيه فأرسل اليه لاأسير الى الشام ولكن بايعوا لى هناك وانا مؤمنكم فقال الحصين لايتم الا بحضورك فهناك بنو أمية يطلبون الأمر"(١).

هذا الحوار مع ماذكرنا سابقا يؤكد ماسبق أن أشرنا اليه من أن الأمور قد تعقدت ، ولم يعد يصلح لها من كان على شاكلة ابن الزبير رضى الله عنه ، وانما يصلح للأمر من كان مثل معاوية ومروان رضى الله عنهما وغيرهم ممن يحسنون القيادة ويتقنون فنون السياسة ، واصطناع الناس ، والعفو عنهم فى سبيل جمع الكلمة ، وتجنيب المسلمين ويلات الفرقة والانقسام(٢).

وهكذا استطاع مروان (٦٤-٦٥هـ/٦٨٤-٦٨٥م) خلال فترة حكمه القصيرة التى لاتزيد عن تسعة أشهر أن يسيطر على الأمور ، وأن يوطنها لخلفه من بعده حيث أبعد خالد ابن يزيد وعمرو بن سعيد عن ولاية العهد وجعلها لابنيه من بعده عبد الملك ثم عبد العزيز .

وبعد وفاة مروان بايع الناس عبد الملك الذى يقول عنه ابن خلدون فى مقدمته : "أعظم الناس عدالة ، وناهيك بعدالته احتجاج مالك بفعله وعدول ابن عباس وابن عمر الى بيعته عن ابن الزبير وهم معه بالحجاز"(٣).

وان الذى ينظر الى وصيتى عبد الملك بن مروان لأخيه عبد العزيز ولأبنائه يشعر أنه أمام رجل أوتى حظا كبيرا من العلم والحنكة السياسية والقدرة الفائقة على إدارة أمور الدولة .

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، مخطوطة ، ج٣ ، ق٢٣ .
(٢) انظر المبحث الثانى من الفصل الثانى ، ص .
(٣) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٢٣ .

وعنـدما يركز عبد الملك على القضايا الأخلاقية فى وصيتـه لأخيه عبد العزيز فانه يدرك أن هذه القضايا هى التى تحبب الراعـى الى الرعية ، وهى كذلك أقرب الى سياسة الملك لأنهـا تجمع بين سياسة الـدنيا وتعـاليم الدين .

ولايغفل عبد الملك فى هذه الوصية الحث على مبـدأ الشورى وعلى أن يتـولى الحاكم بنفسه قضاء مصالح الناس بعيدا عن تحكـم الحاشية المقربين(١).

وتبرز ملامح شخصيـة عبد الملـك مرة أخرى وهو يتحـدث لأبنـائه فى آخر أيامـه فى الـدنيا وهـو يقترب مـن الـدار الآخرة ، لقـد كـان وفيـا لمن أخلص له كالحجاج ، بارا بأخيه مسلمة ، متسامحا الى أبعد الحدود مع أعدائه حازما فى معاركه وفى بناء دولته(٢).

لم يكن ابن خلدون وحده هو الذى امتدح عبد الملـك بن مروان فقد سبقـه ابن الأثير لذلك ، غير أن ابن خلـدون كان أكثر اعتـدالا من غيره ، كما كان واضحا فى طرحه لأفكاره ومعتقداته .

فـابن الأثير يذكـر أن عبـد الملـك كـان "عـاقلا حازمـا أديبـا لبيبـا عالما"(٣).

كما يورد رواية الشعبى(٤)عن عبد الملك اذ يقول : "ماذاكـرت أحدا الا وجدت لى الفضل عليه الا عبد الملك ، فانى ماذاكرته حديثا الا زادنى فيه ولاشعرا الا زادنى فيه"(٥).

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص٧٣ .

(٢) المصدر السابق ، ج٣ ، ص٧٣-٧٤ .

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٤ ، ص٥٢٠ .

(٤) عـامر بن شـراحيل بن عبـد ذى كبـار ، الشعبى الحميرى ، راوية مـن التـابعين ، يضرب المثل بحفظه ولد سنة ١٩هـ بالكوفة ومات بها سنة ١٠٣هـ ، اتصل بعبد الملك بن مـروان وهو من رجال الحديث الثقـات ، استقضاه عمـر بن عبد العزيز رضى الله عنه .
الزركلى : الأعلام ، ج٣ ، ص٢٥١ .

(٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٤ ، ص٥٢٠ .

ونراه بعد هذا الاطراء يعود فيورد رواية سعيد بن بشير[١]: "ان عبد الملك حين ثقل جعل يلوم نفسه ويضرب يده على رأسه ، وقال : وددت أنى كنت أكتسب يوما بيوم مايقوتنى وأشتغل بطاعة الله"[٢].

ولايكتفى بهذه الرواية التى تحتمل التأويل بل يؤكد الجانب السىء فيها فيقول : "ويحق لعبد الملك أن يحذر هذا الحذر ويخاف ، فان من يكن الحجاج بعض سيئاته يعلم على أى شىء يقدم عليه"[٣].

ويصفه كذلك بأنه كان أول من غدر فى الاسلام وأول خليفة بخل وأول من نهى عن الأمر بالمعروف[٤].

وهذه الصفات نستبعد الصاقها بعبد الملك فكيف يكون أديبا وعالما وحازما ومن فقهاء المدينة الأربعة ثم يقال فيه كل هذا . بل ان عبد الملك نفسه نفى تهمة البخل عنه برواية أوردها ابن الأثير فقال : قال عبد الملك : "ماأعلم أحدا أقوى على هذا الأمر منى ، ان ابن الزبير لطويل الصلاة ، كثير الصيام ، ولكن لبخله لايصلح أن يكون سائسا"[٥].

فمادام هو يصلح للسياسة - على حد قوله - فهو ليس ببخيل كمنافسه ابن الزبير الذى أثبت له بعض الصفات الطيبة .

ويمضى ابن خلدون متمسكا بمنهجه المعتدل فى الحكم على خلفاء بنى أمية فعندما يتحدث عن الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٥م) يقول عنه : "كان من أفضل خلفاء بنى أمية وبنى المساجد الثلاثة : مسجد المدينة ، ومسجد القدس ، ومسجد دمشق"[٦].

---

(١) سعيد بن بشير الأزدى ، بالولاء ، أبو عبد الرحمن من رجال الحديث . تعلم فى البصرة ، وهو دمشقى المولد والوفاة ، له تصانيف منها كتاب فى التفسير ، ولد سنة ٩٨هـ وتوفى سنة ١٦٨هـ .
الزركلى : الأعلام ، ج٣ ، ص٩٢ .

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٤ ، ص٥٢١ .

(٣) المصدر السابق ، ج٤ ، ص٥٢١ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٤ ، ص٥٢٢ .

(٥) المصدر نفسه ، ج٤ ، ص٥٢٠ .

(٦) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص٨٦ .

ويصفه بالتواضع وبالمحافظة على تلاوة القرآن فى رمضان وغيره[١].

وعندما نتصفح ماكتبه الطبرى وابن الأثير عن الوليد نجد أن الثانى أخذ عن الأول وكان منهجهما فى الحكم عليه مضطربا . فالوليد كما يذكر الطبرى وابن الأثير أمر بتوسعة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وبنى مسجد دمشق وأمر بحفر الآبار فى المدينة[٢].

وهو كذلك لم يغضب من سعيد بن المسيب[٣]عندما لم يقف له بمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وعامله بخشونة بل أثنى عليه وبادره بالسلام[٤] مما يدل دلالة واضحة على احترام خلفاء بنى أمية للعلماء العاملين . كما أنه كذلك كان ـ كما يقول ابن الأثير ـ يختم القرآن كل ثلاث وكان يقرأ فى رمضان كل يوم ختمة[٥]. وان كنا نستبعد هذا مع مشاغل الحكم!!

ومع هذا الاطراء الواضح للوليد نجد الطبرى وابن الأثير يقولان عن الوليد انه "كان جبارا عنيدا"[٦]. ويصر كل منهما على أن الوليد كان من أفضل خلفاء بنى أمية عند أهل الشام وحدهم[٧]. وكأنه من هذا التخصيص لم يكن فاضلا عند سائر أقطار الخلافة ، وكأن أهل الشام كانت لهم معاملة

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص٨٦ .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٤٣٥،٤٣٧،٤٩٦ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٤ ، ص٥٣٢،٥٣٣ ، ج٥ ، ص٩ .

(٣) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبى وهب المخزومى القرشى سيد التابعين وأحد الفقهاء السبعة فى المدينة . توفى سنة ٩١هـ .
عنه انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج٢ ، ص٣٧٥-٣٧٨ .

(٤) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٤٦٥-٤٦٦ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٤ ، ص٥٥٤-٥٥٥ .

(٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٥ ، ص١١ .

(٦) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٤٢٣ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج٤ ، ص٥٢٣ .

(٧) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٤٩٦ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج٥ ، ص٩ .

خاصة ليست لغيرهم ، وهذا مالم يثبت ، فاصلاحات الوليد العامة كالطرق وحفر الآبار والمحافظة على هيبة الدولة الاسلامية كانت لكل المسلمين فى كل أقطارهم .

ومرة أخرى نجد أن ابن خلدون كان بعيد النظرة معتدل المنهج متميزا عن غيره من المؤرخين .

ويمضى ابن خلدون فى عرضه للدولة الأموية فلانجد عنده تميزاً أو تفردا عن غيره من المؤرخين حتى يصل الى الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧٢٠م) فيوفيه حقه من الثناء بما هو أهل له ، ويورد وصيته ليزيد بن عبد الملك التى تدل على زهده وتمسكه بالآخرة ومعرفته بتفاهة الخلافة رغم بهرجها الزائف(١).

ولاينفرد ابن خلدون بشىء عن غيره من المؤرخين حيث أجمع هؤلاء على عدالة عمر بن عبد العزيز وأوردوا روايات عدة كلها تدور فى هذا الفلك(٢).

ويواصل ابن خلدون عرضه لخلفاء بنى أمية حتى يصل الى الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥-١٢٦هـ/٧٤٣-٧٤٤م) ، فنجده يوافق غيره من المؤرخين فى نسبة بعض التهم اليه كشرب الخمر والمجون(٣).

غير أنه أغفل الروايةالتى اتفق فيها الطبرى وابن الأثير وهى استخفاف الوليد بالدين وتهاونه فيه(٤). وفى هذا دلالة على عدم اعترافه بها.

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص٩٦ .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٥٦٦-٥٧٣ ؛ ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٥ ، ص٤١،٦٠-٦٦ .

(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٢٠٩ ؛ ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج٥ ، ص٢٦٤ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص١٢٩ .

(٤) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٢٠٩ ؛ ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج٥ ، ص٢٦٤ .

ولقد أورد المؤرخون الثلاثة : الطبرى وابن الأثير وابن خلدون عدة روايات تتجه الى تبرئة الوليد من بعض التهم التى نسبت اليه وان اختلفت روايات كل مؤرخ فى دقة اثبات براءته بشكل أو بآخر .

فالمؤرخون الثلاثة أوردوا رواية محاصرة ابن عنبسة لقصر الوليد ، وأشاروا الى المحاورة التى تمت بين الخليفة وبينه وان الوليد قال : "أما فيكم رجل شريف له حسب وحياء أكلمه؟ قال يزيد بن عنبسة السكسكى كلمنى . قال : ياأخا السكاسك ، ألم أزد فى أعطياتكم؟ ألم أرفع المؤن عنكم؟ ألم أعط فقراءكم؟ ألم أخدم زمناكم؟ فقال : انا مانقم عليك فى أنفسنا انما ننقم عليك فى انتهاك ماحرم الله وشرب الخمر ونكاح أمهات أولاد أبيك واستخفافك بأمر الله! قال : حسبك ياأخا السكاسك ، فلعمرى لقد أكثرت وأغرقت ، وان فيما أحل الله سعة عما ذكرت . ورجع الى الدار وجلس وأخذ مصحفا فنشره يقرأ فيه وقال : يوم كيوم عثمان"(١).

كما أن ابن خلدون اتفق مع ابن الأثير فى ايراد رواية ابن علانة الفقيه والتى برأ فيها الوليد أمام الخليفة المهدى عندما وصفه بالزندقة ، فقال ابن علانة : "ياأمير المؤمنين ان الله عز وجل أعدل من أن يولى خلافة النبوة وأمر الأمة زنديقا ، لقد أخبرنى عنه من كان يشهده فى ملاعبه وشربه ويراه فى طهارته وصلاته فكان اذا حضرت الصلاة يطرح الثياب التى عليه المصبية المصبغة . ثم يتوضأ فيحسن الوضوء ويؤتى بثياب بيض نظيفة فيلبسها ويشتغل بربه . أترى هذا فعل من لايؤمن بالله؟ فقال المهدى : بارك الله عليك يابن علانة(٢)وانما كان الرجل محسوداً فى خلاله ومزاحماً بكبار عشيرة بيته من بنى عمومته مع لهوٍ كان يصاحبه ، أوجد لهم به السبيل على نفسه"(٣).

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٥ ، ص٢٨٧-٢٨٨ . وانظر كذلك : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٢٤٦ ; ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ص١٣٤ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص١٣٢ .
وانظر كذلك : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٥ ، ص٢٩١ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص١٣٢ .

اننــا ونحن نستعـرض هـذه الــروايات التى قيلـت فى الــوليد نجد أن المؤرخين الثلاثة تفــاوتوا فى الحكــم على الــوليد ، فــالطبرى أورد بعــض الــروايات التى ترجح تبرئة الوليد . لكن ابن الأثير كـان أكثر جرأة فى نفى التهم عن الوليد فقال "وقد نزه قوم الوليد مما قيل فيه وأنكروه ونفوه عنه وقالوا : إنه قيل عنه وألصق به وليس بصحيح"(١).

أمـا ابن خلدون فقد تميز عـن هؤلاء بأنه حلل بدقـة أسباب هذه التهم وردهـا من خلال هذا التحليـل المنطقى مما يوحى بأنه يريد اقنـاع القارىء برأيه وحمله على تصديق ماذكره ، فبدأ أولا بقوله : "وكثير من الناس نفوا ذلـك عنه وقالوا : انهـا من شناعات الأعـداء ألصقوها به"(٢). وهذا الحكم يشبـه الى حد كبير الحكم الـدى انتهى اليه ابن الأثير كمـا ذكرنا آنفا ، ثم أشـار إلى خلافه مع أبناء عمومته وأنه حبسهم فلفقوا لـه بعض التهم ، كما أن لهـوه الثابت عليه كان مـدخلا واسعا لأعدائه ولجوا عليـه منـه وأكثروا القول فيه(٣).

ولاننســى ونحن نذكـر دقة ابن خلـدون فى تحليله لما نسـب للـوليد أن نشير الى أن اغفـاله رواية تهـاون الـوليد بالدين توحى بأنه لم يكـن مقتنعـا بهذه الرواية وهذا صحيح ، وهو يتفق مع توجهه العام ونظرته للوليد نظرة محايدة . وان التحليل الذى ذهب اليه ابن خلدون حول شخصيـة الوليد بن يزيد تحليـل يقـوم على الوسطيـة والاعتدال فى الحكم على الخليفـة الـوليد ، وهــى من وجهة نظرى الأقرب الى الصحـة والى الواقع التـاريخى والى تحكيم العقل والمنطق كذلك .

وبعد مقتل الوليد يتولى الخلافة يزيد بن الوليـد (١٢٦هـ/٧٤٤م) الذى يستمـر فى الخلافة خمسة أشهر ،ثم يتولاها بعده أخوه ابراهيم (١٢٦هـ/٧٤٤م)

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٥ ، ص٢٩٠-٢٩١ .
(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص١٣٢ .
(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص١٣٢،١٣٣ .

غير أنه يواجه برفض الناس له وقيامهم عليه ، فيتولى هذا الأمر مروان بن محمد (١٢٧-١٣٢هـ/٧٤٥-٧٥٠م) آخر خلفاء بنى أمية .

لقد استعرض ابن خلدون هذه الأحداث كغيره من المؤرخين ، ولم نجد له موقفا يميزه عن سواه ، غير أنه وقف قليلا عند اللقب الذى ذكره المؤرخون ونسبوه الى مروان بن محمد وهو "الجعدى" نسبة الى الجعد بن درهم[١] الذى يقول بخلق القرآن[٢]. فأكد أن هذا اللقب من صنع أعدائه، وليس من صميم اعتقاده فقال : "وكان مروان يلقب بالحمار لحرنه فى مواطن الحرب . وكان أعداؤه يلقبونه الجعدى نسبة الى الجعد بن درهم كان يقول بخلق القرآن ويتزندق"[٣].

ولقد أغفل المؤرخون الآخرون هذه الاشارة ، وهى أن أعداء مروان هم الذين نسبوا اليه تهمة الزندقة والقول بخلق القرآن فجعلوه على مذهب الجعد بن درهم ، قال عنه ابن كثير : "وكان يقال له مروان الجعدى ، نسبة الى رأى الجعد بن درهم ، وتلقب بالحمار"[٤].

---

(١) الجعد بن درهم من كبار الجهمية وكان زنديقا وقد مات مقتولا .
عنه انظر : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبى : سير أعلام النبلاء تحقيق :شعيب الأرناؤوط وآخرون ، (ط٢ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة : ١٤٠٢هـ) ، ج٥ ، ص٤٣٣ .

(٢) أول من نادى بخلق القرآن المعتزلة وكان زعيمهم واصل بن عطاء الذى توفى سنة ١٣١هـ وذلك فى بداية الدولة العباسية ثم تبنى هذه الدعوة عدد من الخلفاء العباسيين كان منهم المأمون الذى حاول اجبار الجميع على اعلان القول بخلق القرآن . وقد امتحن الامام أحمد بن حنبل بهذه المحنة ولكن الله ثبته على الحق وكانت هذه الوقفة سبب فى عودة الناس عن القول بخلق القرآن .
عبد الحليم الجندى : أحمد بن حنبل امام أهل السنة ، (دار المعارف ، مصر) ، ص٣٥٤-٣٥٦ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص١٦٥ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٠ ، ص٤٦ .

أمـا ابن الأثير فقال : "وكان مروان يلقب بالحمار والجعـدى لأنه تعلم من الجعد بن درهم مذهبه فى القـول بخلـق القرآن والقـدر وغير ذلـك"(١).

أمـا الطبرى فلم يذكر شيئـا عن انتساب مروان الى الجعـد بن درهم فى مذهبه الباطل واكتفى بايراد رواية تصفه بالحمار(٢).

لقـد كـان ابن خلدون منصفـا أكثر من غيره ، متحـريا لأوجه الحق ، غير ميـال الى اطلاق التهم دون أدلةتؤكدها ، والأصل فى المسلم البراءة حتى يثبـت العكس بالدليل . لقـد كان حديث ابن خلدون عـن خلفاء بنى مروان حديثـاً معتـدلاً حاول فيـه إبراز الحقيقـة دون تحيز ، وكـان مـذهبه فى ذلـك مذهب أهل الفقه الذين يجعلـون الإنسان المسلم بريئـاً كـل البراءة حتى يثبـت بالدليل القاطع ادانته .

فمروان بن الحكم وابنه كانوا ملوكاً ، غير أن مـذهبهم فى الملك كان تحرى الحق ، وكانت أفعالهم التى يظن البعض أنها تخالف هذا التوجه بدافع الحرص على مصلحة المسلمين وجمع شملهم ، يقول ابن خلـدون : "وكذلك كان مروان بن الحكم وابنـه وان كـانوا ملـوكاً فلم يكـن مـذهبهم فى الملـك مذهب أهل البطالة والبغى ، انما كـانوا متحرين لمقاصد الحق جهـدهم إلا فى ضرورة تحملهم على بعضها مثـل خشية افتراق الكلمـة الـذى هو أهم لديهم من كل مقصد . يشهد لذلك مـاكانوا عليـه مـن الاتباع والاقتـداء ، ومـاعلم السلف من أحوالهم ومقاصدهم"(٣).

ثم يتحدث ابن خلدون عن بقية خلفاء بنى أمية ممـن جاءوا بعد أبناء عبـد الملك الذين توسطهم عمر بن عبد العزيز وكانت نهـاية الدولة الأموية على أيديهـم فوصفهم باستغلال ملكهـم لأغراضهم الـدنيوية وتركهـم لسيرة سلفهم فلم يتحروا الحق فى أفعالهم ، وهذا الذى مكـن لغيرهم منهم يقول :

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٥ ، ص٤٢٩ .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٤٤٣ .

(٣) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٠٥ .

"ثم جاء خلفهم واستعملوا طبيعة الملك فى أغراضهم الدنيوية ومقاصدهم ونسوا ماكان عليه سلفهم من تحرى القصد فيها واعتماد الحق فى مذاهبها . فكان ذلك مما دعا الناس الى أن نعوا عليهم أفعالهم وأدالوا بالدعوة العباسية منهم"(١).

وعندما نتأمل ماكتبه ابن خلدون عن العصبية نجد أنه أولاها جل اهتمامه ، فجعلها فى المرتبة العليا لتولى مناصب الدولة العليا لاسيما الخلافة فقد أورد مسألة عبد الله بن الزبير مع مروان بن الحكم ومطالبة كل منهما بالخلافة لنفسه فجعل الحق مع مروان باعتباره أقوى عصبية ، وباعتبار أن بنى أميةلن يقبلوا بغيرهم بديلا ، يقول : "وأما ابن الزبير فانه رأى فى قيامه مارآه الحسين وظن كما ظن ، وغلطه فى أمر الشوكة أعظم ، لأن بنى أسد لايقاومون بنى أمية فى جاهلية ولااسلام"(٢).

ولئن كان ابن الزبير قد بويع بالخلافة من أكثر الأقطار الاسلامية ، فهل انعقدت بيعته هذه فى رأى ابن خلدون؟

لقد اعترض ابن خلدون على هذه البيعة ، ورأى رأى بعض الصحابة فى عدم صحتها لأن أهل العقد والحل لم يحضروا هذه البيعة ، أو لم يبايعوا على الأصح . ومع أن مروان بن الحكم كان أقل حظا من منافسه ابن الزبير فى اجماع معظم الأقطار الاسلامية على بيعته ، الا أن ابن خلدون من المنطلق السابق جعله أحق بالبيعة لاجماع أهل الحل والعقد عليه ، يقول "مع أن الكثير من الصحابة كانوا يرون أن بيعة ابن الزبير لم تنعقد ، لأنه لم يحضرها أهل العقد والحل كبيعة مروان ، وابن الزبير على خلاف ذلك"(٣).

ومادام أهل الحل والعقد هم الذين تنعقد الخلافة بحضورهم فمن هم هؤلاء فى رأى ابن خلدون؟

---

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٠٥ .
(٢) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٦٢٣ .
(٣) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٦٢٣ .

لقد وجدنا من دراسة أقوال ابن خلدون أنه جعل بنى أمية هم أهل الحل والعقد لأن الشوكة والقوة كانت لهم فى حينه ، فهو يقول فى مقدمته "وكان أمر بنى أمية نافذا فى جميع العرب بعصبية بنى عبد مناف ، حتى لقد أمر سليمان بن عبد الملك من دمشق بقتل عبد العزيز[١] بن موسى بن نصير بقرطبة فقتل ولم يرد أمره . ثم تلاشت عصبية بنى أمية بما أصابهم من الترف فانقرضوا"[٢].

والحقيقة أننا نذهب مذهب ابن خلدون فى أن بنى أمية هم أهل الحل والعقد آنذاك ، ولكن هل كان الأمويون أثناء نزاع ابن الزبير ومروان هم أهل القوة والرأى ولهم الحل والعقد كما يقول ابن خلدون؟

ان الحقائق التاريخية لاتساعد ابن خلدون فى اثبات رأيه ، بل هى على العكس تكاد تجمع على ضعف شوكة الأمويين وتفرقهم ، وهوان شأنهم حتى أن كبيرهم مروان بن الحكم نفسه كان يزمع التوجه لمبايعة ابن الزبير لما يراه من قوته واقبال المسلمين على بيعته . يقول الطبرى فى تاريخه : "ويقال انه لما قدم عبيد الله بن زياد من العراق ، فنزل الشام أصاب بنى أمية بتدمر قد نفاهم ابن الزبير من المدينة ومكة ، ومن الحجاز كله ، فنزلوا بتدمر ، وأصابوا الضحاك بن قيس أميرا على الشام لعبد الله بن الزبير ، فقدم ابن زياد حين قدم ومروان يريد أن يركب الى ابن الزبير فيبايعه بالخلافة ، فيأخذ منه الأمان لبنى أمية ، فقال له ابن زياد : أنشدك الله ألا تفعل ، ليس هذا برأى أن تنطلق وأنت شيخ قريش الى أبى خبيب بالخلافة ، ولكن ادع أهل تدمر فبايعهم ، ثم سربهم وبمن معك من بنى أمية الى الضحاك بن قيس حتى تخرجه من الشام"[٣].

---

(١) عبد العزيز بن موسى بن نصير ، أمير فاتح ولاه أبوه امارة الأندلس عند عودته الى الشام سنة ٩٥هـ فضبطها وحمى ثغورها وافتتح مدائن وكان شجاعا حازما فاضلا فى أخلاقه وسيرته ، قتل سنة ٩٧هـ .
الزركلى : الأعلام ، ج٤ ، ص٢٨-٢٩ .

(٢) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٧٥٧ .

(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٥٤٠-٥٤١ .

ويؤكـد هـذا المعنى ابن الأثير فى تاريخه [١]، أما ابن خلدون نفسه فيقول فى تاريخه : "ولما بويع ابن الزبير بمكة بيعتـه الظاهره ولى على مصر عبد الرحمن بن جحدر الفهرى ، وعلى المدينة عبيدة بن الزبير ، وأخرج بنى أمية فلحقوا بالشام وفيهم مروان بن الحكم فأقام هنالك ومر به الحصين ابن نمير مرجعه من مكة بعد موت يزيد فأخبره بمادار بينه وبين ابن الزبير وحرض بنى أمية على طلب الأمر وكان رأى مروان أن يسير الى ابن الزبير فيبايع له بالخلافة فقدم ابن زياد من العراق حين انتقضوا عليه وأخرجوه فسفه رأى مروان فى ذلك وحثه على طلب الأمر لنفسه"[٢].

ان الذى يتتبع هذه النصوص التى أورد بعضها ابن خلدون يلمس بوضوح ضعف موقف الأمويين ، وأنهم لم يستطيعوا أن يدافعوا عن أنفسهم عندما أخرجهم ابن الزبير من الحجاز ونفاهم الى الشام فمثل هؤلاء لايصلح أن يكونوا أهل حل وعقد فى تلك الظروف على الأقل!! وكان ينبغى على ابن خلدون أن يدرك هذه الحقيقة فلاينفى بيعة ابن الزبير ويجعل الأحقية لمروان معتمدا على مسألة لم تصح ولم يكن لها شأن آنذاك .

وعندما ننظر الى موضوع العصبية بشكل عام عند ابن خلدون نجد أن لهذه المسألة جذورا واضحة فى أحداث التاريخ الاسلامى فى الدولة الأموية مما يوحى بأن نظرية ابن خلدون فى العصبية كانت مستوحاة من أحداث التاريخ الاسلامى مما يؤكد أنه كان يستوعب أحداث هذا التاريخ ويحاول تقعيد هذه الأحداث وجعلها فى بوتقة صالحة لكى تكون ظاهرة يمكن اطلاق بعض المسميات الشاملة عليها ، وبناء بعض الفرضيات والأحكام عليها .

وبالعودة الى التاريخ الأموى نجد أن سليمان بن عبد الملك عندما همّ بتولية عمر بن عبد العزيز لم يستطع أن يعلن عن رأيه هذا خشية الفتنة ، والفتنة التى كان يعنيها سليمان هى ثورة الأمويين عليه واعتراضهم ـ بدافع العصبية ـ على هذا الترشيح الذى سيجعل الخلافة تخرج عن دائرة أبناء

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٤ ، ص١٥١ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، مخطوطة ، ج٣ ، ق٢٥ .

عبد الملك ، ولم يجد سليمان حلا لهذا الإشكال الا أن يولى واحداً منهم بعد عمر لعل الفتنة ـ التى كان يتوقعها ـ تهدأ أو تزول .

ويذكر ابن خلدون فى تاريخه أن سليمان قال لكاتبه ومستشاره رجاء ابن حيوة(١) عندما أراد أن يولى عمر بن عبد العزيز : "انى والله لأعلم أنها تكون فتنة ولايتركونه أبداً يلى عليهم إلا أن أجعل أحدهم بعده ، وكان عبد الملك قد جعل ذلك له وكتب بعد البسملة هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز : انى قد وليتك الخلافة من بعدى ومن بعدك يزيد بن عبد الملك فاسمعوا له وأطيعوا واتقوا الله ولاتختلفوا فيطمع فيكم"(٢).

وعمر بن عبد العزيز على صلاحه وتقواه وشدته فى الحق كان يقدر مسألة العصبية الأموية وخطورتها فلم يستطع ازاء هذه العصبية أن يولى القاسم بن محمد بن أبى بكر ، وكان يقول اذا رآه : "لو كان لى من الأمر شىء لوليته الخلافة" . ولو أراد أن يعهد اليه لفعل ، ولكنه كان يخشى من بنى أمية أهل الحل والعقد لما ذكرناه ، فلايقدر أن يحول الأمر عنهم لئلا تقع الفرقة"(٣).

ان ابن خلدون ـ فيما أعتقد ـ كان على حق فى إدراك أهمية العصبية التى جعلت سليمان يوصى لعمر سرا ، وجعلت عمر يحجم عن تولية من رأى أحقيته بالخلافة خشية فرقة الأمة واختلافها .

ان الحديث عن العصبية يجرنا بطبيعة الحال الى الحديث عن ولاية العهد ، فابن خلدون ـ كما مر ـ يجعل العصبية هى المحك الرئيسى فى اختيار ولى عهد المسلمين ، وقد عقد فصلاً فى مقدمته بعنوان "فى ولاية العهد"ولم ير بأساً فى تولية الأب لابنه مع وجود من هو أفضل منه اذا كان

---

(١) رجاء بن حيوة الكندى . من عباد أهل الشام وفقهاء التابعين وعلمائهم . مات سنة ١٢٢هـ .
عنه انظر : البستى : مشاهير علماء الأمصار ، ص١١٧ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص٩٣-٩٤ .

(٣) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٠٤ .

ذلك لمصلحة الأمة وللحفاظ على وحدتها ، فالذى دعا معاوية رضى الله عنه لايثار ابنه يزيد بالعهد دون من سواه إنما هو مراعاة المصلحة فى اجتماع الناس ، واتفاق أهوائهم باتفاق أهل الحل والعقد حينئذ من بنى أمية ، اذ بنو أمية يومئذ لايرضون سواهم ، وهم عصابة قريش وأهل الملة أجمع وأهل الغلب منهم : مآثره بذلك دون غيره ممن يظن أنه أولى بها ، وعدل عن الفاضل إلى المفضول حرصا على الاتفاق واجتماع الأهواء الذى شأنه أهم عند الشارع"(١). ثم يصل به الحديث عن هذا الأمر الى سليمان وعبد الملك فيقول : "ثم انه وقع مثل ذلك من بعد معاوية من الخلفاء الذين كانوا يتحرون الحق ويعملون به مثل عبد الملك وسليمان من بنى أمية"(٢).

ان ابن خلدون كان يؤكد أن هدف الخلفاء من بنى أمية كان تحرى الحق والعمل به دون النظر الى الأهواء الخاصة ، والحقيقة أن الوقائع التاريخية فى مسألة ولاية العهد عند عبد الملك وسليمان اللذين ضرب بهما المثل فى تحرى الحق تخالف كل المخالفة ماذهب اليه ابن خلدون بل تؤكد عكس ذلك . فعبد الملك بن مروان حاول خلع أخيه عبد العزيز من ولاية العهد والبيعة لابنه الوليد مع وجود بيعة سابقة لعبد العزيز لكن وفاة عبد العزيز حالت دون ذلك(٣).

وسليمان بن عبد الملك كان قد عهد بولاية العهد الى ابنه أيوب لكنه توفى فى حياة والده(٤)، فلما أصابه المرض عهد فى كتاب كتبه لبعض بنيه وهو غلام لم يبلغ ، فأشار عليه رجاء بن حيوة أن لايفعل ، فعرض عليه أن يولى ابنه داود ، فقال له رجاء : هو غائب عنك بقسطنطينية وأنت لاتدرى

---

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦١٣ .
(٢) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٦١٣ .
(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص٧٢-٧٣ .
(٤) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٥٣١ ؛ ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٥ ، ص٣٦ .

أحى هـو أم ميت ، فعزم بعد ذلك على تولية عمر بن عبـد العزيز ثم أخيه يزيد بن عبد الملك(١).

إن الـذى ينظر الى هذه الـوقائع لابد أن يقف عنـدها ويتساءل : أين تحرى الحق فى الاصـرار على توليـة الصغار الذين لم يبلغـوا الحلم بعد؟ كيف يستطيـع الخليفة أن يتكهن بصلاح هـؤلاء الصبية وأنهـم سيكـونون حريصين على مصلحة الأمة الاسلامية فيما بعد؟؟

إن حادثة العهـد بالخلافـةلعمر بن عبـد العـزيز لم تكـن الاحالـة اضطراريةاستثنائية ساعدت عليها ظروف ما ، وليست بمحض اختيار سليمان ابن عبـد الملـك ، لأنه لم يجد أحداً مـن أبنـائه يوليـه الخلافـة ، فقـد مـات أحدهـم وكـان الآخر غائبا عنـه لايدرى أحى هـو أم ميـت وآخر صغير لم يبلـغ الحلم بعـد ، وهذه الحالـة ـ رغـم جودتها ـ إلاّ أنهـا لاتدل على حرص سليمان على تحرى الحق والعدل لأنها لم تقع إلا بعد أن يئس من تولية أحد أبنـائه فتحرى الحق فى تولية عمر بن عبد العزيز لفضلـه ثم لأخيه يزيد من بعده .

ومثـل هذا حدث مع يزيد بن عبـد الملك حين أراد أن يعهـد بالخلافة الى ابنه الوليد لولا أنه كان صغيرا ، ابن إحدى عشـرة سنة مما جعله يعهد بالخلافة الى أخيه هشام ، اذ هو أقرب اليه من غيره ، ثم يجعـل ابنه الوليد خليفة بعد أخيه ، فقد ذكر ابن الأثير أنه لما وجه يزيد بن عبد الملك الجيوش إلى يزيد بن المهلب "واستعمل على الجيش مسلمـة بن عبد الملك(٢) أخاه والعبـاس بن الـوليد بن عبـد الملك وهو ابن أخيـه ، قـالا له : ياأمير

(١) الطبرى : تاريخ الـرسل والملـوك ، ج٦ ، ص٥٥٠ ؛ ابن الأثير : الكـامل فى التاريخ ، ج٥ ، ص٣٩ .

(٢) مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، قائد الجيوش ، له مواقف مشهورة مع الروم ، وهو الذى غزا القسطنطينية ، ويلقب بالجرادة الصفراء . مات سنة ١٢٠هـ . عنه انظر : الذهبى : سير أعلام النبلاء ، ج٥ ، ص٢٤١ .

المؤمنين ان أهل العراق أهل غدر وارجاف ، وقد توجهنا محاربين والحوادث تحدث ولانأمن أن يرجف أهل العراق ويقولوا مات أمير المؤمنين فيفت ذلك فى أعضادنا ، فلو عهدت عهد عبد العزيز بن الوليد لكان رأياً صواباً .

فبلغ ذلك مسلمة بن عبد الملك ، فأتى أخاه يزيد فقال : ياأمير المؤمنين إنما أحب اليك أخوك أم ابن أخيك؟ فقال : بل أخى . فقال : فأخوك أحق بالخلافة . فقال يزيد : اذا لم تكن فى ولدى فأخى أحق بها من ابن أخى كما ذكرت . قال : فابنك لم يبلغ فبايع لهشام بن عبد الملك ثم بعده لابنك الوليد ، وكان الوليد يومئذ ابن احدى عشرة سنة ، فبايع بولاية العهد لهشام بن عبد الملك أخيه وبعده لابنه الوليد بن يزيد ، ثم عاش يزيد حتى بلغ ابنه الوليد ، فكان اذا رآه يقول : الله بينى وبين من جعل هشاما بينى وبينك"(١).

لقد كان على ابن خلدون أن يركز على أهمية العصبية وتحكمها فى اختيار ولى العهد ، وكان عليه أن لايبالغ فى مدح هؤلاء الخلفاء وكونهم جميعا يتحرون الحق والعدل ، فلو تحدث عن العصبية ودورها فقط لكان قوله أقرب شىء الى الحق والواقع ، لكنه بالغ بعض المبالغة فى الوصف العام لبنى أمية بأنهم كانوا يتحرون الحق وهو ماأنكر بعض صوره الواقع التاريخى الذى تحدث ابن خلدون عنه فى تاريخه .

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٥ ، ص٩١ . وانظر كذلك : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٢٠٩ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص١٠١ .

المبحث الثالث

سياسة خلفاء بنى أمية

ازاء القوى المعارضة لهم

* حركة الحسين بن على .
* حركة عبد الله بن الزبير .
* حركة أهل المدينة بقيادة حنظلة بن عبدالله الغسيل.
* حركة الخوارج على الدولة الأموية فى المشرق .
* حركات شيعة آل البيت .
* حركة الزنج .
* حركات أخرى فى المشرق .
* حركات البربر فى العهد الأموى

سياسة خلفاء بنى أمية
ازاء القوى المعارضة لهم

على امتداد تاريخ الدولة الأموية قامت عدة محاولات للخروج على نظام هذه الدولة ، وقد اختلفت أهداف هؤلاء الخارجين لكنهم كانوا متفقين على عدم الرضا بمنهج الدولة الأموية فى ادارة شئون البلاد الاسلامية .

وجذور هذا الاختلاف لم تولد ابان الخلافة الأموية فى معظمها ولكنها كانت موجودة أيام الخلفاء الراشدين ، وامتدت بظهور الخلافة الأموية واستمرت حتى أيام الخلافة العباسية .

فالشيعة مثلا كانوا يرون أحقية آل البيت بالخلافة وأن كل ماعداهم مغتصبون للخلافة التى جعلها الله حقا ثابتا لآل البيت وهم : على بن أبى طالب وبنوه من نسل فاطمة رضى الله عنها .

والخوارج كذلك بدأت حركاتهم أيام على بن أبى طالب عندما رفضوا نتيجة التحكيم وأعلنوا أن البشر لايحكمون فى شرع الله ، وأن وراثة الحكم ليست من الدين الاسلامى فى شىء وأن الحاكم هو الأصلح دينا مهما كان نسبه . ولما كانت أوضاع الخلفاء الأمويين لاتتمشى وهذه النظريات فقد وجد ثائرون مرات متعددة على تلك الأوضاع التى عدوها مخالفة للشرع الاسلامى.

وفى المغرب قام البربر [(١)] بعدة ثورات كان سببها اقتناع بعضهم بمذهب الخوارج ، ورؤية بعضهم الآخر للظلم الذى وقع عليهم من ولاة الدولة الأموية ، اذ عاملوهم معاملة سيئة فثاروا على أولئك الولاة وحدثت بينهم معارك طاحنة .

---

(١) البربر وهو اسم أطلقه الرومان على سكان المغرب ، لأنهم كانوا يعتبرونهم أعاجم على حضارتهم ، فسموهم برابرة وعربت الى بربر وبرابر ، والبربر هم سكان المغرب الأصليون ، وقد اختلف المؤرخون فى إثبات وطنهم الأصلى ، فمنهم من يزعم أنهم وفدوا من أوروبا ، ومنهم من يزعم أنهم قدموا من آسيا فى عصر ماقبل التاريخ .

السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج٢ ، ص١٣٣-١٣٤ .

والزنج كذلك ثاروا على الدولة الأموية فى البصرة فى زمن عبد الملك ابن مروان لكن ثورتهم أخمدت بسرعة ولم يكن لها شأن يذكر .

وفى أنحاء الدولة الأموية المترامية الأطراف قامت ثورات متفرقةهنا وهناك كانت تنتهى بهزيمة قاسية لأولئك الثائرين وقتل معظم قادتهم .

ومع أن الدولة الأموية استطاعت أن تقضى على كل الثائرين ضد نظامها الا أن هؤلاء استنزفوا طاقات عظيمة من جهد الدولة ومن مالها ورجالها .

وكما كانت هناك حركات اتخذت الطابع الجماعى شعارالها ، فقد حدثت حركات أخرى لاتقل عنها أهمية وخطرا فى حياة الدولة الأموية قادها بعض الأفراد الذين انضم اليهم الكثير من المؤيدين وقاتلوا معهم حتى قتلوا كحركة الحسين بن على ، وحركة عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما.

واذا كان لنا أن نتساءل عن جدوى مثل هذه الثورات مع ماندركه من المآسى التى تخلفها فإننا نرى أنها قد تكون فى بعض الأحيان الضرورية ظاهرة صحية تدل على وعى الأمة وعلى تلمسها الطريق الذى تراه سليما لطرح وجهات نظرها وتأكيد أحقيتها فى التعبير عن رأيها عندما تغلق كل الطرق الأخرى الحكيمة والهادئة .

إن طريقة الطرح الموضوعى للحوار الهادف قد يكون بديلاً صالحاً لهذه الثورات على ماسنرى عند عمر بن عبد العزيز فى حواره مع الخوارج والذى انتهى باقتناعهم بعمق وصدق الرؤية عند عمر ، وأنه أحق منهم وأدق فهما لمرامى الشريعة الاسلامية وأهدافها ، لكن هذا الحوار الصادق اذا انعدم وجوده قد يلجأ البعض الى لغة الحرب والدمار وهذا مارأيناه يمثل تلك الثورات المتعددة التى حدثت إبان الخلافة الأموية والتى أحدثت شرخا عميقا فى جسمها مما قد يكون سببا من أسباب سقوطها المبكر وهى لاتزال فى ريعان شبابها .

لقد تحدث ابن خلدون عن هذه الثورات فى تاريخه ، وتتبعها الواحدة تلو الأخرى ، وكان يسير فى معظم ماكتبه على سيرة سابقيه من المؤرخين ، ولم نجد له تميزاً واضحاً عن سواه إلا فى إدانته العقلية للمنهج الثورى ، فضلا عن تميزه فى بعض الأحداث القليلة التى سنتعرض لها فى الصفحات القادمة ان شاء الله عند حديثنا عن معظم الثورات التى حدثت فى العهد الأموى .

حركة الحسين بن على رضى الله عنه (٦١هـ/٦٨٠م) :

كان معاوية رضى الله عنه قد أدرك بثاقب بصيرته أن أمر الخلافة لن يستتب لابنه يزيد بسهولة ويسر ، فكبار الصحابة كانوا لايزالون على قيد الحياة ومنهم نفر من أكابر قريش ولهم سابقة فى الاسلام ليست ليزيد ، واذا كانوا قد قبلوا بمعاوية خليفة عليهم فليس معاوية كيزيد ، بل أين هذا من ذاك ؟

وقد صدق ماتوقعه معاوية ، فقد ثار الحسين رضى الله عنه كما ثار عبد الله بن الزبير رضى الله عنه من بعده .

ولقد حاول يزيد أن يأخذ البيعة لنفسه من الحسين وابن الزبير رضى الله عنهما فكلف واليه على المدينة بهذه المهمة لكنهما احتالا عليه وغادرا المدينة إلى مكة(١).

ولما وصل الحسين رضى الله عنه الى مكة كاتبه أهل الكوفة ليقدم اليهم ووعدوه بأخذ البيعة له ومناصرته(٢).

ان ابن خلدون لم يشر فى تاريخه المطبوع الى حادثة مقتل الحسين رضى الله عنه لكنها وردت مفصلة فى مخطوطة التاريخ التى بين أيدينا حيث ذكر فيها أن مقتل الحسين رضى الله عنه فى كربلاء(٣) كان فى عاشر محرم سنة احدى وستين(٤).

ورواية ابن خلدون عن مقتل الحسين رضى الله عنه لم تخرج عن الروايات التى ذكرها غيره من المؤرخين(٥)، غير أنه علل سبب خروجه

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص٢٥-٢٦ .

(٢) المصدر السابق ، ج٣ ، ص٢٧ .

(٣) فى طرف البرية عند الكوفة وهو الموضع الذى قتل فيه الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما .
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٤٤٥ .

(٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، مخطوطة ، ج٣ ، ق١٣-٢٠ .

(٥) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٣٤٧ ومابعدها ؛ ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٤ ، ص١٩-٤٣،٤٦ ومابعدها .

والتمس له الأعذار ، فالحسين رضى الله عنه - فى نظر ابن خلدون - يرى أهليته وقدرته على مقاومة يزيد ، كما يرى وجوب الخروج على يزيد لكونه فاسقاً(١)، لكن ابن خلدون رأى تخطئة الحسين رضى الله عنه فى اعتقاده بامكان تحقيق نصر على يزيد لأن عصبة يزيد كانت أقوى ، الا أنه لم يخطئه فى اجتهاده الآخر "وأما الحكم الشرعى فلم يغلط فيه لأنه منوط بظنه ، وكان ظنه القدرة على ذلك"(٢).

وكما تحدث ابن خلدون عن رأيه فى موقف الحسين رضى الله عنه وثورته ، فقد تحدث كذلك عن رأيه فى موقف الصحابة من هذه الثورة ومن أقطابها . فالصحابة الذين كانوا موجودين فى الحجاز والشام والعراق لم يروا الخروج على يزيد مع فسقه لما سيحدثه هذا الخروج من إراقة دماء المسلمين واحداث الخلل فى صفوفهم ، كما أنهم فى الوقت نفسه لم يخطئوا الحسين لأنهم يدركون أنه انما خرج مجتهداً ومجتهد مثل الحسين لاإثم عليه(٣).

ولم يقف ابن خلدون عند هذا الحدث وانما تابع بدقة عجيبة موقف الصحابة الذين لم يخرجوا مع الحسين فرأى كذلك أنهم غير آثمين لقعودهم عن نصرة الحسين لأنهم إنما فعلوا ذلك عن اجتهاد منهم فكما اجتهد الحسين فى محاربة يزيد فقد اجتهدوا هم كذلك فى اتخاذ موقف الحياد من هذه الفتنة ولكل مجتهد نصيب من اجتهاده(٤).

وهؤلاء الصحابة وان كانوا قد قعدوا عن نصرة الحسين فانهم لم يوافقوا يزيد على قتله "وإنما انفرد بقتاله يزيد وأصحابه"(٥)، فى حين قعد الصحابة عن نصرة يزيد لأنهم يرون أن قتال البغاة يجب أن يكون مع الإمام العادل ويزيد لايتمتع بهذه الصفة(٦).

---

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٢١ .
(٢) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٦٢١ .
(٣) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٦٢١ .
(٤) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٢٢ .
(٥) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٦٢٢ .
(٦) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٦٢٢ .

ومن هذا المنطلق حمل ابن خلدون على ابن العربى الذى ذكر فى كتابه "العواصم من القواصم" أن الحسين قتل بشرع جده[(١)]، وأكد أن هذا الحكم الذى أطلقه ابن العربى على الحسين لايرقى الى درجة الصحة وانما "هو غلط حمله عليه الغفلة عن اشتراط الامام العادل فى قتال أهل الآراء"[(٢)].

ويبدو أن الموقف المعتدل الذى تبناه ابن خلدون فى ثورة الحسين لم يرق لابن الوردى الذى كان يناقش مسألة الثورات الفاشلة والثوار الفاشلين الذين خطأهم ابن خلدون وحمل عليهم بعنف[(٣)]، فلماذا وهم قد شابهوا الحسين فى اجتهاده ـ كما يرى ابن الوردى ـ لايكون لهم أجر المجتهدين مع أن فيهم صلحاء "وأنهم انما قاموا بثوراتهم رجاء فى ثواب الله"[(٤)]. ولعلنا نقول لابن الوردى : ان ابن خلدون عندما أنصف الحسين واتخذ منه موقفا معتدلا فانه كان يرى الفسق فى يزيد وأنه ليس إماما عادلاً لايجوز الخروج عليه .

ويبقى أن نتساءل نحن : هل كل خلفاء بنى أمية أئمة عدول؟ وهل كل الذين خرجوا عليهم بغاة؟ ولماذا لم يشر ابن خلدون الى هذه الناحية فيذكر رأيه بصراحة عن هؤلاء كما ذكره عن الحسين وابن الزبير؟

لعلنا نتلمس العذر لابن خلدون فى هذه المسألة ، فالكل يعلم أن ثورة الحسين وابن الزبير لهما طابع مميز عن غيرهما من الثورات اللاحقة لما لهما من مكانة وصحبة وعصبية وأن هذا الطابع جعل الناس يختلفون كثيرا فى الحكم عليهما وفى تقويمهما، ولعله أراد أن يؤكد وجهة نظره بدقة فيهما لئلا يكون هناك غموض أو التباس فى فهم رأيه وليكون المسلمون بعد ذلك على درجة كبيرة فى فهم هاتين الثورتين اللتين قادهما اثنان من كبار الصحابة رضى الله عنهما .

---

(١) ابن العربى : العواصم من القواصم ، ص٢٤٤-٢٤٥ .
(٢) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٢٣ .
(٣) سيأتى الحديث عن هذا فى نهاية المبحث .
(٤) ابن الوردى : منطق ابن خلدون ، ص٢٤٧ .

حركة عبد الله بن الزبير رضى الله عنه (٦٤-٧٣هـ/٦٨٤-٦٩٢م):

وجاءت حركة ابن الزبير رضى الله عنه وكانت أقوى وأعنف بكثير من حركة الحسين رحمه الله ، فقد استطاع ابن الزبير رضى الله عنه أن ينتصر على جيش يزيد الذى كان بقيادة أخيه عمر عندما توجه هذا الجيش لقتاله أثناء إقامته بمكة(١).

وكانت العراق وخراسان تدينان بالولاء لابن الزبير رضى الله عنه ، فلما صفا الأمر فى الشام لعبد الملك أرسل جيوشه للاستيلاء على هذه المدن وانهاء سيطرة ابن الزبير رضى الله عنه عليها واستطاع بعد قتال مرير أن يحقق غايته ودانت هذه الممالك له(٢).

ولم يبق عند ابن الزبير رضى الله عنه إلا مكة المكرمة فأرسل عبد الملك الحجاج بن يوسف الثقفى لإنهاء أمر ابن الزبير وكان ذلك فى جمادى سنة ٧٢هـ/٦٩١م ، واستطاع الحجاج فى جمادى الآخرة سنة ٧٣هـ/٦٩٢م ، أن يدخل مكة ويقتل ابن الزبير رضى الله عنه وينهى بذلك حركته التى أقضت مضجع الخلافة الأموية مدة من الزمن(٣).

لقد كان حديث ابن خلدون عن ثورة ابن الزبير رضى الله عنه يماثل الى حد كبير حديث الطبرى وابن الأثير عن هذه الثورة(٤)، غير أنه علل فى مقدمته سبب قيام ابن الزبير رضى الله عنه بهذه الثورة ، حيث ذكر أن ابن الزبير "رأى فى قيامه مارآه الحسين وظن كما ظن"(٥). لكن ابن الزبير أخطأ فى مسألة العصبية "لأن بنى أسد لايقاومون بنى أمية فى جاهلية

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص٢٦-٢٧ .
(٢) المصدر السابق ، ج٣ ، ص٤٣-٤٨ .
(٣) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٤٩-٥١ .
(٤) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٣٤٣ ومابعدها ، ج٦ ، ص٧١ ومابعدها ؛ ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٤ ، ص١٨ ومابعدها .
(٥) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٢٣ .

ولااسلام"(١). ويبـدو أن ابن خلدون يميـل هنا الى تخطئة ابن الـزبير ، فهو يعقـد مقارنة سريعة بين الحسين وابن الزبير وبين يزيد وعبـد الملك فشوكة الحسين كـانت أقـوى من شوكـة ابن الـزبير ، والحسين انما خرج على حاكـم فاسق ، وأما عبد الملك الـذى خرج عليـه ابن الزبير فهـو مـن أعظم الناس عدالة ، كما أن بيعة ابن الـزبير فى رأى كثير من الصحـابة لم تنعقـد لأنه لم يحضرها أهل الحل والعقد وبالتالى فان هذه المبررات جميعـا تجعل ابن الزبير متسرعا فى ثورته غير محق فيها(٢).

اننا وان كنا مع ابن خلدون فى أن شوكة ابن الزبير لاترقى الى شوكة الأمـويين وأن عبد الملك امام عادل لاينبغى الخروج عليـه ، الا أننا نعارضه فى مسألة انعقاد البيعة لمروان وعدم انعقـادها لابن الزبير(٣). ومع ذلك فان ابن خلدون يرى أن الجميع مجتهدون مأجورون ، وان ابن الـزبير مع خطئه الذى أشار اليه "شهيد مثاب باعتبار قصده وتحريه الحق"!!(٤)

---

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٢٣ .
(٢) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٢٣ .
(٣) انظر بالتفصيل مبحث قيام الـدولة الأموية فى رأى ابن خلـدون ، ص١٠٨-١٤٠ .
(٤) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٢٤ .

حركة أهل المدينة بقيادة عبدالله بن حنظلة الغسيل(١) (٦٣هـ/٦٨٣م) :

وكان سبب هذه الثورة أن أهل المدينة نقموا على يزيد بن معاوية بعض أفعاله التى عدوها مخالفة للدين فاجتمعوا على عبد الله بن حنظلة الغسيل ، وأعلنوا الخروج على يزيد ، فبعث اليهم جنده والتقى الجمعان قرب الحرة(٢)، وهزم عبد الله وقتل جمع كبير من الصحابة فى هذا اليوم(٣).

وكان قائد جيش يزيد فى هذه المعركة مسلم بن عقبة المرى ، وقد خرج الى المدينة على رأس جيش كبير لمقاتلة الخارجين على حكم يزيد . وكان يزيد قد أوصاه أن يدعوهم إلى الطاعة فإن استجابوا تركهم وإلا قاتلهم فإذا تحقق له النصر عليهم فله أن يستبيح المدينة ثلاثة أيام ، وقد حاول مسلم أن يقنع أهل المدينة بالاستسلام وترك القتال والدخول فى طاعة يزيد لكنهم أصروا على موقفهم ، وقسموا جيشهم الى أربعة أقسام كان على قسم الأنصار منها عبد الله بن حنظلة الغسيل . وقد انتهت هذه المعركة بانتصار مسلم ومقتل كثير من أهل المدينة ، وفى مقدمتهم عبد الله بن حنظلة الغسيل . وهكذا استباح مسلم المدينة لجيشه وفتك بكثير من رجالها واستعد لمواصلة زحفه الى مكة المكرمة(٤).

لقد تحدث ابن الأثير ـ كما تحدث الطبرى قبله(٥)ـ عن هذه الوقعة

---

(١) عبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصارى ، صحابى قتل فى وقعة الحرة سنة ٦٣هـ . عنه انظر : ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج١ ، ص٧١ .

(٢) حرة واقم احدى حرتى المدينة ، وهى الشرقية سميت برجل من العماليق اسمه واقم وقيل واقم اسم أطم من آطام المدينة اليه تضاف الحرة .
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٢٤٩-٢٥٠ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، مخطوطة ، ج٢ ، ق٢١-٢٣ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج٤ ، ص١١١ ومابعدها .

(٥) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٤٧٨-٤٩٥ .

بشيء من التفصيل فذكرا وصفاً دقيقاً لها إبتداءً من خروج أهـل المدينة على يزيد وانتهاء بتعداد قتلى هذه المعركة من كبار أهل المدينـة . ولم يستطع ابن خلـدون أن يجاريهمـا فى الحديث عـن هـذه المعـركة بالتفصيـل المطلـوب بل اختصر أحداثها ولم يذكر شيئاً يستحق الاهتمام .

حركات الخوارج على الدولةالأموية فى المشرق :

بدأت أفكار الخوارج فى الظهور بعد حادثة التحكيم ، اذ عندما أعلنت نتيجة التحكيم أخذ الأشعث بن قيس(١)يمر على الناس لاعلامهم بهذه النتيجة "فلما مر على طائفة من بنى تميم ، قام عروة بن أدية(٢)وأعلن اعتراضه على فكرة التحكيم بقوله : تحكمون أمر الله عز وجل الرجال؟ لاحكم الا الله"(٣). وكان هذا القول بداية فتنة الخوارج فى التاريخ اسلامى .

لقد تتبع ابن خلدون حركة الخوارج ورصد تطورها التاريخى بدقة كبيرة ، وأشار الى معظم قادة هذه الحركة والأدوار التى قاموا بها على امتداد الدولة الأموية وحتى ظهور الخلافة العباسية . فقد أشار ابن خلدون الى أن الخوارج كفروا أولئك الذين قبلوا التحكيم "وجعلوا شعارهم النداء بلاحكم الا لله"(٤)، وقاتلوا عليا ، ثم تآمروا عليه حتى قتلوه(٥). وقاتل معاوية بن أبى سفيان الخوارج ، كما قاتلهم ابن الزبير فى أكثر من موقع وعلى فترات متباعدة ، ثم انقسم هؤلاء على أنفسهم فأصبحوا أربع فرق : الأزارقة(٦) ،

---

(١) الأشعث بن قيس بن معدى كرب بن معاوية ، كان أبدا أشعث الرأس فغلب عليه . له صحبة ورواية ، كان أكبر أمراء على يوم صفين ، توفى سنة ٤٠هـ ودفن فى داره .
عنه انظر : الذهبى : سير أعلام النبلاء ، ج٢ ، ص٣٧-٤٢ .

(٢) عروة بن أديه أخو أبى بلال مرداس بن أديه ، طلبه ابن زياد فأتى الكوفة فأخذ بها فقدم به على ابن زياد فأمر به فقطعت يداه ورجلاه ثم قتله سنة ٥٨هـ .
عنه انظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٣١٢-٣١٣ .

(٣) محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية فى الدولة العربية الاسلامية خلال القرنين الأول والثانى بعد الهجرة ، (القاهرة ، دار الفكر العربى : ١٣٨٠هـ) ، ص٧٩ .

(٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص١٧٨ .

(٥) المصدر السابق ، ج٣ ، ص١٧٨ .

(٦) الأزارقة أشد فرق الخوارج تطرفا وزعيمهم نافع بن الأزرق بن قيس البكرى ت٦٥هـ . من أصولهم : تكفير من لايؤمن بما ينادون به وقتل كل من يخالفهم ، والقعود عن القتال كفر ، ومرتكب المعاصى كافر ، وتكفير على بن أبى طالب رضى الله عنه وغيره . =

والنجدية [١]، والإباضية [٢]، والصّفرية [٣].

وقد تمكن الخوارج من الاستيلاء على اليمامة [٤] سنة (٦٥هـ/٦٨٤م) والبحرين [٥] وعمان وحضرموت والطائف ونجران سنة (٦٧هـ/٦٨٦م)، وكانوا يأخذون الصدقات من أهالى هذه المناطق ويعينون عليها ولاة من قبلهم [٦].

= أبو الفتح محمد بن أبى القاسم عبد الكريم الشهرستانى : الملل والنحل ، (مكتبة السلام العالمية) ، ج١ ، ص١٢٧-١٣٠ .

(١) النجدية : أتباع نجدة بن عامر الحنفى ت٧٢هـ ، وقد خرج على نافع بن الأزرق واستقل باليمامة سنة ٦٦هـ أيام عبد الله بن الزبير رضى الله عنه ثم خرج عليه أتباعه وقتل وانقسم أتباعه الى ثلاث فرق .
الشهرستانى : الملل والنحل ، ج١ ، ص١٣٠-١٣١ .

(٢) الإباضية : أتباع عبد الله بن إباض ، كان معاصراً لمروان بن محمد ، وهذه الفرقة من أخف فرق الخوارج وأكثرها اعتدالاً إذ لم يكفروا المسلمين ولامرتكبى الكبائر، وكانوا أكثر مايكونون فى المغرب وشمال أفريقيا .
الشهرستانى : الملل والنحل ، ج١ ، ص١٤١-١٤٢ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص١٧٩-١٨٣ .
الصفرية : نسبة الى مؤسسها زياد بن الأصفر ، وخالفت الصفرية الأزارقة فى عدم تكفير مرتكب الكبيرة أو القاعد عن القتال ، ولم يقولوا بتكفير أطفال المشركين وقتلهم .
الشهرستانى : الملل والنحل ، ج١ ، ص١٤١ .

(٤) من أرض نجد سميت كذلك نسبة الى اليمامة بنت سهم بن طسم ، فتحت أيام أبى بكر الصديق سنة ١٢هـ عنوة . فتحها خالد بن الوليد وقتل مسيلمة الكذاب .
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٥ ، ص٤٤٢ .

(٥) قصبة هجر ويطلق هذا الاسم على البلاد الواقعة على ساحل بحر الهند بين البصرةوعمان بعث اليها الرسول العلاء الحضرمى لدعوة أهلها الى الاسلام فأسلموا وكان ذلك سنة ٨هـ .
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج١ ، ص٣٤٨ .

(٦) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص١٨٤-١٨٥ .

وفى عهد عبد الملك عهد الى المهلب بحرب الخوارج وتتبعهم ، كما أمر واليه على العراق الحجاج بن يوسف بمساعدة المهلب على هذه المهمة والوقوف الى جانبه فيها . ودارت معارك بين الفريقين كانت سجالا بينهما(١). وبلغ من قوة الخوارج فى عهد الحجاج أنهم استطاعوا الاستيلاء على الكوفة وهزيمة جيش الحجاج أكثر من مرة(٢). وبلغ الأمر بالحجاج أنه استنجد بالخليفة عبد الملك وطلب منه المدد لأن الخوارج كانوا قد أوشكوا على دخول المدائن فاستجاب له عبد الملك وأمده بجيش كبير لهذا الغرض(٣). ويتقابل جيش الدولة الأموية بقيادة عتاب بن ورقاء الرياحى ومعه خمسون ألفا وجيش الخوارج بقيادة شبيب بن يزيد الشيبانى ومعه ستمائة مقاتل . ويؤكد ابن خلدون أن شبيبا انتصر على عتاب وقتله وهزم جيشه(٤)، ولكن هذا التأكيد يحتاج الى اعادة نظر ، فقد يصعب تصديق هذا الخبر من الناحية العقلية حتى وان ذكره بعض المؤرخين(٥).

وفى أيام عمر بن عبد العزيز خرج شوذب(٦)فطلب منه عمر المناظرة لمعرفة صاحب الحق واستطاع عمر اقناعهم بوجهة نظره حتى لقبوه بعد ذلك بالرجل الصالح(٧).

ويستمر الخوارج فى تمردهم فهذا أبو حمزة الخارجى(٨)يدعو الى

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص١٨٨-١٩٣ .

(٢) المصدر السابق ، ج٣ ، ص١٩٣-١٩٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص١٩٦ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص١٩٧ .

(٥) انظر مثلا : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٢٦٢-٢٦٤ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٤ ، ص٤٢٢-٤٢٣ .

(٦) اسمه بسطام من بنى يشكر خرج على عمر عام ١٠٠هـ فى جوخى فى ثمانين رجلا . عنه انظر : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٥ ، ص٤٥ .

(٧) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص٢٠٣-٢٠٤ .

(٨) هو المختار بن عوف الأزدى السلمى البصرى وكان أول أمره أنه كان من الخوارج الاباضية وكان يدعو الى خلاف مروان بن محمد ، قتل سنة ١٣٠هـ . عنه انظر : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٥ ، ص٣٥١،٣٩١ .

الخروج على مروان ، ويطلب من عبد الله بن يحيى[(١)] الذهاب معه الى حضرموت لمبايعته على الخلافة وذلك سنة ١٢٨هـ/٧٤٥م ، ويهاجم المدينة ويدخلها ويعلن دعوته على منبرها ، ولكن مروان يتمكن بعد ذلك من هزيمته وقتله ، وبموته تهدأ حركة الخوارج حتى ظهور الخلافة العباسية[(٢)].

إن رصد ابن خلدون لحركات الخوارج فى العهد الأموى لم تتميز عن غيره من المؤرخين كثيراً - كما ذكرنا - وانما وجدناه يتابع هذه الحركات ويرصدها بدقة أكثر ، فالطبرى مثلا أغفل ذكر الأسباب المتعددة لخلاف الخوارج ، كما أغفل ذكر بعض حركاتهم ، والتى أولاها ابن خلدون اهتماما أكبر واحتلت حيزاً من تاريخه للدولة الأموية . وسنرى أن ابن خلدون ينفرد بذكر بعض حركات الخوارج التى أهمل ابن الأثير ذكرها ، وأهمها الحركات الخارجية فى المغرب العربى ، ولعل هذا يعود الى اهتمام ابن خلدون الخاص بتلك المنطقة التى عاش فيها وانتسب إليها .

لقد كبدت الحركة الخارجية - التى تعتبر من أقوى الحركات ضد الدولة الأموية - الدولة الكثير من الرجال والمال والجهد لأنها بدأت مع الدولة منذ قيامها واستمرت حتى سقوطها .

ومن خلال هذا السرد يتضح لنا أن ابن خلدون قدم أوضح صورة تاريخية موضوعية حظيت بالنقد والتحليل ، ولئن شارك السابقين ، ولاسيما الطبرى وابن الأثير فى السرد التاريخى إلا أن ابن الأثير أهمل بعض الحركات التى ذكرها ابن خلدون ، إضافة الى نظرات ابن خلدون النقدية والتحليلية .

---

(١) عبد الله بن يحيى الملقب بطالب الحق ، خلع طاعة مروان بن محمد واستولى على صنعاء . قتل على يد الجيش الأموى سنة ١٣٠هـ .
عنه انظر : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٥ ، ص٣٥١،٣٩٢ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص٢١٠-٢١١ .

حركات شيعة آل البيت :

والشيعة هم أولئك النفر الذين اعتقدوا بوجوب امامة آل البيت من نسل على بن أبى طالب ، وهؤلاء انقسموا الى قسمين : "فطائفة قالت : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نص على على بن أبى طالب أنه الخليفة بعده ، وأن الصحابة بعده عليه السلام اتفقوا على ظلمه ، وعلى كتمان نص النبى صلى الله عليه وسلم ، وهؤلاء المسمون الروافض ، وطائفة قالت لم ينص النبى صلى الله عليه وسلم على على لكنه كان أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحقهم بالأمر ، وهؤلاء هم الزيدية نسبوا الى زيد بن على(١) بن الحسين بن على بن أبى طالب(٢).

وقد نص مؤرخو الشيعة على وجوب حصر الامامة فى ولد الحسين بن على ، والاعتقاد بالعصمة والكمال لكل هؤلاء الأئمة(٣). وعصمة الأئمة عند الشيعة لاتختلف عن عصمة الأنبياء فالأئمة هم "القائمون مقام الأنبياء عليهم السلام فى تنفيذ الأحكام واقامة الحدود وحفظ الشرائع وتأديب الأنام معصومون كعصمة الأنبياء ، وانهم لايجوز منهم صغيرة الا ماقدمت ذكر جوازه على الأنبياء وانه لايجوز منهم سهو فى شىء فى الدين ولاينسون شيئا من الأحكام ، وعلى هذا مذهب سائر الامامية الامن شذ منهم"(٤).

---

(١) زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب . من أفاضل أهل البيت وعبادهم. قتل فى الكوفة سنة ١٢٢هـ .
عنه انظر : البستى : مشاهير علماء الأمصار ، ص٦٣ .

(٢) ابن حزم الظاهرى الأندلسى : الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، (مكتبة السلام العالمية) ، ج٤ ، ص١٥٦-١٥٧ .

(٣) محمد بن محمد بن النعمان : أوائل المقالات فى المذاهب والمختارات ، (بيروت ، دار الكتاب الاسلامى : ١٤٠٣هـ) ، ص٤٢ ؛ محمد الحسين آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها ، (ط٤ ، بيروت ، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات : ١٤٠٢هـ) ، ص٥٩ ؛ محمد حسين المظفر : تاريخ الشيعة (بيروت ، دار الزهراء : ١٣٨٥هـ) ، ص١٣ .

(٤) محمد بن محمد النعمان : أوائل المقالات فى المذاهب والمختارات ، ص٧١-٧٢ .

ومـن منطلق هذا المفهوم للامـامة قام مجموعة من النـاس بالثـورة على الحكـام باعتبارهم مغتصبون لحق ليس لهم ، وكان بعـض آل البيت يقودون هذه الثورات فى بعض الأحيان ، ولعل ثورة الحسين بن على رضـى الله عنه ارتكـزت على قوة اعتقاده فى أحقيته بالخلافةمن يزيد بن معـاوية فكانت هذه الثورة بما انتهت اليه من مقتل الحسين مثلا يحتذيه أولئك النفر الذين ساروا على هـديه ودعـوا للاستشهـاد والموت فى سبيـل تحقيـق مـايدعون اليـه مـن مبادىء .

وكان من أوائل الخارجين على الدولة الأموية ـ بعد الحسين ـ سليمان ابن صـرد الخزاعـى فى التوابين مـن الشيعـة وذلك بعـد مـوت يزيد ، وكان هؤلاء القوم قد ندموا على خذلانهم للحسين ، وتأكدوا أن توبتهم لن تكون الا اذا أخذوا بثأره فاما أن يتمكنوا مما أرادوا أو يموتوا دون ذلك ، ولهذا السبـب سمـوا بـ"التوابين" ، وقـد قـاتل هؤلاء أهل الشـام ولكنهـم هـزموا وتفـرق مـن بقـى منهـم فى البلاد . وقـد ذكـر ابن خلـدون هـذه الحادثة فى المخطوطةالتى بين أيدينا(١)، ولم نجد له مايميزه عن غيره(٢)، وانما كان يميل الى الاختصـار فيمايرويه ، فقد أغفل ذكر خطاب سليمـان بن صرد الى المثنى بن مخربة (٣)فى البصـرة والـذى يعلمـه فيـه بما عـزموا عليـه ويدعـوه الى مساعدتهم ومن معه من الشيعة بالبصرة بينما نجده مذكورا عند الطبرى وابن الأثير (٤).

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، مخطوطة ، ج٣ ، ق٢٧-٢٩ .

(٢) انظـر مثلا : الطبرى : تاريخ الـرسل والملـوك ، ج٥ ، ص٥٥١-٥٦٣،٥٦٩-٦٠٩ ؛ ابن الأثير : الكـــامل فى التــاريخ ، ج٤ ، ص١٥٨-١٦٥،١٦٨-١٧٣،١٧٥-١٨٩ .

(٣) المثنى بن مخربة العبـدى ، دعـا الى بيعة المختار ، كان ممـن شهـد عين الورده مع سليمان بن صرد .
عنه انظر : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٤ ، ص٢٤٤ .

(٤) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٥٥٨ ؛ ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج٤ ، ص١٦١-١٦٢ .

وفى حديث ابن خلدون عن هذه الثورة نراه يتفق مع ابن الأثير فى أن ابن الزبير دس عباس بن سهل للمختار ، لكى يعرف سبب انصراف المختار عنه عند دخوله الى المسجد الحرام ، كما اتفق معه فى ايراد روايتين تعللان خروج المختار للكوفة ، نصت احداهما الى أن سبب خروجه كان لايجاد شيعة لابن الزبير هناك ، الا أن من الملاحظ أنها جاءت عند ابن خلدون وابن الأثير بصيغة التضعيف بلفظ قيل ، والرواية الأخرى التى وردت بصورة الاثبات عندهما تشير الى أن المختار خرج مغاضبا لابن الزبير الى الكوفة واتخذ منها قاعدة للخروج على ابن الزبير(١). وهذه الرواية هى التى اكتفى بذكرها الطبرى(٢)وهو الأقرب الى الصواب منهما .

حركة المختار (٦٦-٦٨هـ/٦٨٥-٦٨٧م) :

بعد مقتل سليمان بن صرد وثب المختار بالكوفة مدعيا أن الذى بعثه ابن الحنفية(٣)لطلب ثأر الحسين رضى الله عنه(٤)، وانما كانت حقيقة خروجه أن الشيعة كانت تسبه لما بدر منه فى حق الحسن بن على رضى الله عنهما ومشورته لعمه بالقبض عليه وتسليمه لمعاوية بعد أن طعن قبل عقد الصلح مع معاوية . ولعل ماواجهه المختار من اعراض ورفض لمشورته تلك دافعا لاعلان عزمه المطالبة بدم الحسين اثباتا لولائه لآل البيت ، وقد ارتاب أصحاب المختار فى حقيقة تكليف ابن الحنفية له بأخذ الثأر وأنه خليفته فى ذلك فذهبوا الى ابن الحنفية فى مكة للتأكد من حقيقة تلك الدعوى التى قالها المختار ، فقال لهم ابن الحنفية : "وددت أن الله انتصر لنا من عدونا

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٤ ، ص١٧٠،١٧١-١٧٣ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، مخطوطة ، ج٣ ، ق٢٨ .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٥٧٧-٥٧٨ .

(٣) أبو القاسم محمد بن على بن أبى طالب الهاشمى ابن الحنفية كان نهاية فى العلم غاية فى العبادة ، توفى سنة ٨١هـ وقيل ٨٢هـ .
عنه انظر : ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج١ ، ص٨٨-٨٩ .

(٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، مخطوطة ، ج٣ ، ق٢٩ .

بمن يشاء من خلقه . فرجعوا وأخبروا بذلك المختار وقالوا له قد أمرنا بنصرك فجمع الشيعة وأخبرهم بما قدم به أصحابهم من عند ابن الحنفية وأنه أخبرهم أنى وزيره وظهيره ورسوله وأمركم باتباعى وطاعتى فيما دعوتكم اليه من قتال المخلين والطلب بدماء أهل البيت وشهد الوافدون بذلك فاجتمعت الشيعة"(١).

وكانت بداية خروج المختار فى منتصف ربيع سنة ٦٦هـ/٦٨٥م(٢)، واستطاع أن يدخل الكوفة ودعا أهلها لمبايعة ابن الحنفية فبايعوه على الكتاب والسنة ، ثم قاتل أهل الموصل(٣)واستولى عليها كما قاتل جيوش الشام وانتصر عليهم(٤)، ثم انتصر على أهل مصر واليمن وتتبع قتلة الحسين وكل من شهد مقتله فقتلهم بما فيهم شمر بن ذى الجوشن(٥)وكان ذلك آخر سنة ٦٦هـ/٦٨٥م .

ثم تابع المختار مناوشاته وقتاله مع جند بن الزبير ، وكانت الكوفة أثناءها مقرا لقيادته . وانتهت هذه المسألة بمقتله على يد مصعب بن الزبير رضى الله عنه(٦).

لقد تحدث ابن خلدون عن هذه الثورة كما تحدث عنها الطبرى وابن

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، مخطوطة ، ج٣ ، ق٣٠ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، مخطوطة ، ج٣ ، ق٣٠ .

(٣) الموصل : مدينة مشهورة احدى قواعد الاسلام فهى باب العراق ومفتاح خراسان وهى مدينة قديمة وأول من عظمها وألحقها بالأمصار العظام مروان بن محمد آخر ملوك بنى أمية .
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٥ ، ص٢٢٣-٢٢٥ .

(٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص٣١،٣٢ .

(٥) شمر بن ذى الجوشن واسمه شرحبيل بن قرط الضبابى الكلابى من كبار قتلة الحسين رضى الله عنه ، كان فى أول أمره من ذوى الرياسة فى هوازن ، شهد يوم صفين مع على رضى الله عنه ثم أقام فى الكوفة الى أن كانت الفاجعة بمقتل الحسين رضى الله عنه ، قتله المختار ثأرا للحسين سنة ٦٦هـ .
الزركلى : الأعلام ، ج ٣ ، ص١٧٥-١٧٦ .

(٦) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص٣٨،٤٠ .

الأثير لكنه كان أقل اسهابا منهم فى ذكر تلك التفصيلات ، وبهذا لم نجد له تميزا يستحق الاشارة[١].

ويستمر ابن خلدون فى حديثه عن ثورات الشيعة فيتحدث عن خروج زيد بن على ، اذ رفع لواء الدعوة الى الكتاب والسنة والى جهاد الظالمين وحماية المستضعفين ورد المظالم ونصرة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢].

وقد ظهر زيد فى الكوفة ، وبايعه من أهلها حوالى خمسة عشر ألفا ، لكن هؤلاء سرعان ماتخلوا عنه عندما سمعوا أن والى الحيرة[٣]طلبه فلم يبق معه الا مائتان وعشرون فقط مما سهل أمر قتله ، وبعد مقتله بعث والى الكوفة رأسه الى هشام فى الشام منهيا بذلك أمر هذه الثورة التى ولدت ميتة كما يقال[٤].

وبعد مقتل زيد قام ابنه يحيى وجمع حوله بعض الرجال واتجه الى سرخس[٥]ومنها الى نيسابور[٦]فقاتله عمر بن زرارة وكان معه عشرة آلاف مقاتل ومع يحيى سبعون رجلا واستطاع يحيى أن يهزم جيش عمر ويقتله ،

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٧-٦٦،٨١-٨٣،٨٦-٩٢ ؛ ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٤ ، ص١٦٨-١٧٣،٢١١-٢٤٤،٢٥٧-٢٥٩،٢٦١-٢٦٥ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص١٢٢ .

(٣) مدينة على بعد ثلاثة أميال من الكوفة حكمها الفرس ثم المسلمون بعد ذلك . عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٣٢٨ .

(٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص١٢٣-١٢٥ ، وانظر كذلك : الطبرى تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص١٦٠-١٧٣،١٨٠-١٨٩ ؛ ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٥ ، ص٢٢٩-٢٣٦،٢٤٢-٢٤٦ .

(٥) مدينة قديمة نواحى خراسان تخرج منها عدد كبير من العلماء فى شتى العلوم . عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٢٠٨ .

(٦) مدينة فارسية مشهورة ، فتحها المسلمون أيام عثمان صلحا سنة ٣١هـ . عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٥ ، ص٣٣١ .

واتجه يحيى بعد ذلك إلى هراه[(١)]، فأرسل له نصر بن سيار[(٢)] جيشا لحقه فى الجوزجان[(٣)]، وأصيب يحيى بسهم فى جبهته أثناء المعركة ومات[(٤)]. هذه الحادثة وان كانت مذكورة عند الطبرى وابن الأثير[(٥)] كما هى عند ابن خلدون الذى لجأ الى الاختصار هذه المرة فاننا نجد صعوبة فى قبول رواية انتصار يحيى ذى السبعين رجلا على عشرة آلاف مقاتل ، ولانجد تفسيرا معقولا لهذه الرواية التى تكررت عند ابن خلدون وغيره الا أن نقول : انهم لايحققون مثل هذه الروايات وانما يكتفون بايرادها كما وصلت اليهم دون تمحيص ، أو ربما نقلوها عن بعض كتب الشيعة التى تحرص على ابراز بطولات وهمية لآل البيت وشيعتهم معتقدين أن مثل هذه الروايات التى تطفح بالمبالغة تجعلهم فوق الناس ، فى الوقت الذى على الباحث أن ينظر الى هذه الموضوعات بتجرد تام ويخضع مثل هذه النصوص للمنهجية العلمية من مقابلة ومقارنة ، اذ أن آل البيت كغيرهم من سائر الناس يجوز عليهم مايجوز على غيرهم وأنهم لايستطيعون أن يفعلوا أكثر مما يفعله غيرهم .

وتنتهى حركات الشيعة فى العهد الأموى بظهور عبد الله بن معاوية[(٦)] فى الكوفة داعيا لآل البيت ، فبايعه أهلها واستطاع الاستيلاء على

---

(١) من أشهر مدن خراسان وأكثرها علما وأجلها بناء وقد خربها التتر سنة ٦١٨هـ .
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٥ ، ص٣٩٦ .

(٢) نصر بن سيار المروزى أمير خراسان ، حاربه أبو مسلم وانتصر عليه وقد مات سنة ١٣١هـ .
عنه انظر : الذهبى : سير أعلام النبلاء ، ج٥ ، ص٤٦٣ .

(٣) بلد بين مرو وبلخ وهى من كور خراسان فتحت عنوة سنة ٣٣هـ .
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٢ ، ص١٨٢ .

(٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص١٣٠ .

(٥) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٢٢٨-٢٣٠ ؛ ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٥ ، ص٢٧١-٢٧٢ .

(٦) عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب . طلب الخلافة فى أواخر دولة بنى أمية سنة ١٢٧هـ بالكوفة وأتته بيعة المدائن فقاتله والى الكوفة فخرج الى المدائن واستفحل أمره حتى قاتله أمير العراق فانهزم الى هراة ، وقبض عليه عاملها وقتله خنقا بأمر أبى مسلم الخراسانى سنة ١٢٩هـ .
الزركلى : الأعلام ، ج١ ، ص١٣٩ .

حلوان (١) وقومس (٢)، وأصبهان (٣)، والرى (٤)، واصطخر (٥)، وشيراز (٦). وقد أرسل له والى العراق يزيد بن هبيرة (٧) جيشا لقتاله ، واستطاع هذا الجيش الانتصار عليه وأسر عدد من قواده . وانتقل عبد الله بن معاوية الى خراسان ومنها الى هراة ، ولما عرف أبو مسلم الخراسانى (٨) بخبره أمر بالقبض عليه وقتله (٩).

لقد وافق ابن خلدون الطبرى وابن الأثير الا أن الطبرى لم يشر الى مقتل عبد الله بن معاوية بأمر أبى مسلم الخراسانى وكان استعراض المؤرخين الثلاثة لهذا الحدث متقاربا (١٠).

---

(١) مدينة عامرة بأرض العراق بين الكوفة والبصرة فتحها المسلمون صلحا وينسب اليها عدد كبير من أهل العلم .
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٢٩٠ .

(٢) مدينة بين الرى ونيسابور وقصبتها دامغان ، فيها قرى كثيرة ومزارع واسعة .
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٤١٤ .

(٣) مدينة مشهورة فى فارس فتحت زمن خلافة عمر بن الخطاب سنة ٢٣هـ .
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج١ ، ص٢٠٦ .

(٤) مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن كثيرة الفواكه والخيرات .
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٣ ، ص١١٦-١٢٢ .

(٥) اصطخر : بلد بفارس مشهورة ، نسب اليها جماعة من العلماء .
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج١ ، ص٢١٠ .

(٦) بلد عظيم فى وسط فارس تكثر فيها الخيرات .
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٣٨٠ .

(٧) يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى أمير العراقين لمروان . قتل وهو ساجد سنة ١٣٢هـ
عنه انظر : ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج١ ، ص١٩٠ .

(٨) عبد الرحمن بن مسلم الخراسانى ، هو الذى أقام الدولة العباسية وهزم الدولة الأموية ، ولد سنة ١٠٠هـ وقتله المنصور سنة ١٣٧هـ .
عنه انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج٣ ، ص١٤٥ ومابعدها .

(٩) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص١٥١-١٥٢ .

(١٠) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٣٠٢-٣٠٩،٣٧١-٣٧٤ ؛ ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٥ ، ص٣٢٤-٣٢٧،٣٧٠-٣٧٣ .

لقد لاحظنا أن أكثر حركات الشيعة كانت تنطلق من العراق ، وأنها لم تحقق أهـدافها وانتهت بمقتـل معظم قادتها ، كما لاحظنـا كـذلك أن جمهور الشيعـة لم يكـونوا كجمهور الخوارج مثلا فى اندفـاعهـم وقتـالهم دفـاعا عن عقائدهم ، اذ نراهم سرعان ماينفضون عن قادتهم اذا ادلهمت الخطوب وهذا مما سهل شأن القضاء عليهم باستمرار .

حركة الزنج (٧٥هـ/٦٩٤م) :

ومن الثورات التى تحدث عنها ابن خلدون ثورة الزنج بقيادة رياح الملقب بشير زنجى ، ولم تكن هذه الثورة ذات شأن فهؤلاء كانوا قد خرجوا أيام مصعب بن الزبير فأفسدوا الثمار والزروع ثم خرجوا أيام الحجاج بقصد الافساد فقاتلهم الحجاج وهزمهم وأبادهم[١].

ولم يأت ابن خلدون بجديد فى هذه الحركة التى أهملها الطبرى وذكرها ابن الأثير[٢]، وكنا نود أن يتحدث عن دوافعها لاسيما وهى حركة قام بها مجموعة من الناس الذين لاشأن لهم فى المجتمع الأموى ، اذ كان هدفها الافساد ، كما أنها لم تنطلق من منطلق فكرى أو سياسى معين .

والراجح أن الوضع السىء لهذه الفئة دفعها للتعبير عن رفضها بتلك الطريقة الدموية العشوائية .

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص٥٦ .

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٤ ، ص٣٨٨ .

حركات أخرى فى المشرق :

بالاضافة الى الثورات التى تبنت أفكارا جماعيةكثورات الشيعة والخوارج كانت هناك ثورات دعا لها أفراد من سائر الناس بدعوى فساد الحكم القائم وضرورة تغييره الى وضع أفضل يتمشى مع كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

ولم تكن هذه الثورات مدروسة الخطى بحيث تعرف موازين الهزيمة أو الانتصار ، ولهذا كانت كلها تنتهى بالفشل الذريع مع القضاء على قادتها وتشتيت أتباعهم .

وسنتحدث مع ابن خلدون عن أهم هذه الثورات ونتائجها .

أولا : حركة المطرف بن المغيرة بن شعبة (٧٧هـ/٦٩٦م) .

وكان المطرف واليا للحجاج بن يوسف على المدائن ، وقد اتصل به شبيب الخارجى وأرسل له بعض أصحابه ، زعموا أنهم دعاة الى كتاب الله وسنة رسوله ، وانهم نقموا على الدولة الأموية الاستئثار بالفىء وتعطيل الحدود والتسلط بالجزية ، فوجدت هذه الأفكار هوى فى نفس مطرف ، فطلب منهم أن يبايعوه على قتال هؤلاء الظلمة ، ودعى أصحابه الى خلع الحجاج وعبد الملك والدعوة الى كتاب الله وسنة رسوله .

ولما سمع الحجاج بهذا الخبر أرسل له جيشا لقتاله واستطاع قتله وتفريق أصحابه (١).

وكان ماذكره ابن خلدون موافقا لما ذكر عند الطبرى وابن الأثير (٢).

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص٢٠٠-٢٠١ .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٢٨٤-٣٠٠ ؛ ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٤ ، ص٤٣٣-٤٣٧ .

ثانيا : حركة عبد الرحمن بن الأشعث[1]**(٨١-٨٤هـ/٧٠٠-٧٠٤م)**

كان "رتبيل" ملك الترك مصالحا للمسلمين ويؤدى الخراج ولما امتنع عن تأدية الخراج أصر الحجاج على قتاله وجهز أربعين ألف مقاتل جعل عليهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث مع شدة كراهيته له ، وقد حذره بعضهم منه فلم يمتنع . وقد استطاع ابن الأشعث أن ينجح فى مهمته[2]، وأجل التوغل فى البلاد الى السنة القادمة فأمره الحجاج بالاسراع فى دخول تلك المناطق والا فيعطى الولاية لأخيه . وقد استشار ابن الأشعث جماعته فثاروا على الحجاج وطالبوا بخلعه وتولية ابن الأشعث مكانه .

ويبدو أن ابن الأشعث استحسن رأى أتباعه ـ اذ يبدو أنه قد أعد نفسه لذلك ـ فبادر من فوره فعين عمالا على بعض المدن مثل : بست[3]، وكرمان[4]، وغيرهما وتوجه الى العراق بعد أن بايعه الناس على "السنة وعلى جهاد أهل الضلالة والمحلين وخلعهم"[5].

وفى شهر ذى الحجة سنة ٨١هـ/٧٠٠م قاتل ابن الأشعث الحجاج وهزمه ثم دخل البصرة فبايعه أهلها كراهة منهم للحجاج لأنه شدد عليهم فى أخذ الجزية ، وفى محرم سنة ٨٢هـ/٧٠١م تقاتل ابن الأشعث مع الحجاج فهزمه مرة أخرى[6]. لكن دارت الدائرة على ابن الأشعث ، اذ قاتله الحجاج قرابة

---

(١) عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندى ، القائد الأموى الخارج على عبد الملك والحجاج ، كانت بينه وبين الدولة الأموية حروب انتهت بمقتله سنة ٨٤هـ .
عنه انظر : ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج١ ، ص٨٧ ومابعدها .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص٦٠-٦١ .

(٣) مدينة بين سجستان وغزنين وهراة كثيرة الأنهار والبساتين وقد خرج منها جماعة من أعيان الفضلاء .
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج١ ، ص٤١٤-٤١٩ .

(٤) ولاية مشهورة معمورة ذات بلاد وقرى واسعة تقع بين فارس ومكران وسجستان وخراسان تكثر فيها التمور ، فتحت فى خلافة عمر بن الخطاب .
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٤٥٤ .

(٥) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص٦١ .

(٦) المصدر السابق ، ج٣ ، ص٦١-٦٢ .

مائة يوم وهزمه وفتك بجماعته ، وقد توجه ابن الأشعث الى البصرة فبايعه أهلها ومن معهم على الموت ، وتقابل مع الحجاج لكن دون جدوى اذ هزم وقتل من جماعته عدد كبير . واتجه ابن الأشعث بعد هذه الهزائم المتلاحقة الى "رتبيل" ملك الترك[١] للصلح الذى كان بينهما اذ صالح عبد الرحمن رتبيل على أنه ان ظهر فلاخراج على رتبيل مابقى من الدهر وان هزم منعه ممن يريده[٢]، لكن الحجاج كتب اليه يطلب منه تسليم ابن الأشعث فاشترط عليه أن يكف عن أرضه سبع سنين فوافق الحجاج فبعث اليه برأس ابن الأشعث وقيل : بل مات ابن الأشعث بالسل فقطع رأسه وأرسله له[٣].

لقد تحدث ابن خلدون عن هذه الثورة كما تحدث عنها الطبرى وابن الأثير[٤]، ولانجد عنده تميزا عنهما سوى ميله للاختصار .

ثالثا : حركة قتيبة بن مسلم[٥] (٩٦هـ/٧١٤م)

كان قتيبة واليا على خراسان من قبل الوليد بن عبد الملك فلما تولى سليمان بن عبد الملك خافه قتيبة لسوء العلاقة بينهما لموافقته الوليد على خلع سليمان ، فكتب له يطلب منه أن يبقيه على ولاية خراسان ويؤمنه فوافق سليمان غير أن بعض المقربين من قتيبة حذروه من سليمان ونصحوه بمعاجلته ، فدعا الناس الى خلعه لكن معظمهم لم يجيبوه وتخلوا عنه ، وذلك مثل الأزد الذين استطاعوا أن يقاتلوا قتيبة بقيادة وكيع[٦] الذى بايعته

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص٦٣-٦٤ .

(٢) المصدر السابق ، ج٣ ، ص٦١ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٦٦ .

(٤) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٣٢٦ ومابعدها ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٤ ، ص٤٥٤ ومابعدها .

(٥) قتيبة بن مسلم الباهلى ، من قادة المسلمين ، قتل سنة ٩٦هـ بخراسان وكان قد وليها عشرون سنة .
عنه انظر : ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج١ ، ص١١٢ .

(٦) هوأبو مطرف وكيع بن حسان بن قيس بن أبى سود التميمى غلب على خراسان فى أيام سليمان بن عبد الملك وظل بها تسعة أشهر بعد قتله قتيبة بن مسلم حتى وليها يزيد بن المهلب سنة ٩٧هـ .
عنه انظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٥١٠ ومابعدها .

الأزد لمقاتلة قتيبة ، فقد استطاع تحقيق نصر ساحق عليه انتهى بمقتله (١). وماذكره ابن خلدون هنا يوافق ماعند الطبرى وابن الأثير (٢).

رابعا : حركة يزيد بن المهلب (١٠١-١٠٢هـ/٧١٩-٧٢٠م)

كان يزيد واليا على خراسان فلما استقرت البيعة لعمر بن العزيز طلب منه القدوم عليه ، كما طلب فى الوقت نفسه من عامله على البصرة عدى بن أرطأه (٣) أن يقبض على يزيد ويرسله اليه مقيدا ، ولما تم له هذا سجن يزيد بدعوى أخذه أموالا ليست له (٤)، لكن يزيد احتال لنفسه حتى خرج من السجن وجمع حوله بعض مؤيديه وقاتل عدى بن أرطأه والى البصرة وهزمه ودخل البصرة وهرب وجهاؤها منها . وازاء هذا الموقف بعث يزيد ابن عبد الملك أخاه مسلمة على رأس جيش قوامه حوالى سبعون ألف مقاتل وقد استطاع هذا الجيش بعد قتال عنيف أن يهزم ابن المهلب ويقتله (٥).

لقد عمد ابن خلدون الى الاختصار فى الحديث عن هذه الثورة قياسا بالطبرى وابن الأثير ، كما أنه أغفل بعض الروايات التى تتعلق بهذه الحادثة حيث ذكرها الطبرى وابن الأثير (٦).

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص٨٦-٨٨ .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٥٠٦-٥١٨ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٥ ، ص١٢-١٩ .

(٣) عدى بن أرطأة الفزارى الدمشقى . تولى أمارة البصرة فى زمن عمر بن عبد العزيز وقد مات مقتولا سنة ١٠٢هـ .
عنه انظر : الذهبى : سير أعلام النبلاء ، ج٥ ، ص٥٣ .

(٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص٩٤-٩٥ .

(٥) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص٩٦-٩٩ .

(٦) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٥٥٦ ومابعدها ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٥ ، ص٤٨ ومابعدها .

خامسا : حركة الحرث بن شريح[1] بخراسان (١١٦-١٢٨هـ/٧٣٤-٧٤٥م)

كان الحرث من عظماء الأزد فى خراسان وقد تبنى فى بداية أمره الدعوة لآل البيت ولبس شعارهم وهو اللون الأسود ، وكان ذلك سنة ١١٦هـ/٧٣٤م .

وقد سار الى بلخ[2] وقاتل نصر بن سيار أميرها وهزمه ، ثم سار الى مرو[3] فهزمه عاصم أميرها وقتل عددا من رجاله[4].

وفى سنة ١١٧هـ/٧٣٥م عزل هشام عاصما بن عبد الله بن يزيد الهلالى عن خراسان وولى عليها أسد بن عبد الله القسرى[5]، فساء هذا التصرف عاصم وحاول أن ينضم الى الحرث فى المطالبة بتحكيم الكتاب والسنة لكن الحرث رفض هذا العرض فقاتله عاصم وهزمه[6].

ولما ضاق الأمر بالحرث انضم الى خاقان وكان كافرا وأغراه بغزو خراسان فلما علم أسد القسرى بذلك حرض الناس على القتال وبين لهم

---

(١) ورد الاسم هكذا عند ابن خلدون . والصحيح كما ورد فى كتب التاريخ الأخرى هو الحارث بن سريج . انظر مثلا : ابن الأثير : الكامل ، ج٥ ، ص١٨٣-١٨٤ .
وهو الحارث بن سريج التميمى ، ثائر من الأبطال ، كان من سكان خراسان وخرج على أميرها سنة ١١٦هـ ، فلبس السواد خالعا طاعة بنى مروان وعظم أمره ، تقاتل مع نصر بن سيار وقتل أمام سور مرو سنة ١٢٨هـ .
الزركلى : الأعلام ، ج٢ ، ص١٥٤ .

(٢) مدينة عظيمة بخراسان ، افتتحها الأحنف بن قيس فى خلافة عثمان بن عفان . عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج١ ، ص٤٧٩ .

(٣) مدينة قريبةمن مرو الشاهجان تقع على نهر عظيم ، خرج منها جمع عظيم من أهل العلم .
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٥ ، ص١١٢ .

(٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص١١٥-١١٦ .

(٥) أسد بن عبد الله القسرى ، أخو خالد بن عبد الله ، كان خالد على العراق ومايليه من الأهواز وفارس والجبال ، وأخوه أسد على خراسان ، وكان بدء ولايتيهما فى سنة ١٠٦هـ وعزلا سنة ١٢٠هـ .
ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٥ ، ص١٢٤ ومابعدها .

(٦) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص١١٦ .

بشاعة عمل الحرث الذى يوالى أعداء الله ضد اخوانه المسلمين . وقد استطاع أسد أن ينتصر على الحرث وحليفه خاقان وأسر منهم عددا كبيرا (١). وعاد الحرث بعد هذه الهزيمة الى بلاد الترك وبقى عندهم حتى أخرجوه الى فاراب (٢) اثر اشتراط ذلك عليهم بعد أن هزمهم المسلمون (٣).

واستمر الحرث عند الترك قرابة اثنى عشر عاما ولما وقعت الفتنة فى خراسان خشى نصر بن سيار أن يستظهر الكرمانى (٤) عليه بالحرث فكتب اليه بالأمان وأن يعطيه مالا ويوليه وكان ذلك سنة ١٢٧هـ/٧٤٤م فأجابه الحرث بقوله : "لست من الدنيا واللذات فى شىء ، وانما أسأل كتاب الله والعمل بالسنة وبذلك أساعدك على عدوك ، وانما خرجت من البلاد منذ ثلاث عشرة سنة انكارا للجور فكيف تريدنى عليه؟ وبعث الى الكرمانى : ان عمل نصر بالكتاب عضدته فى أمر الله ولأعتبك ان ضمنت لى القيام بالعدل والسنة" (٥). فلما تولى مروان خشى الحرث على نفسه لأنه لم يأخذ الأمان من مروان فخرج وطلب من نصر أن يجعل الأمر شورى فأبى نصر فقاتله الحرث ودخل مرو . ولما اختلف الحرث بعد ذلك مع الكرمانى تحاربا واستطاع الكرمانى أن ينتصر على الحرث ويقتله وكان ذلك سنة ١٢٨هـ/٧٤٥م منهيا بذلك هذه الثورة التى أقضت مضجع الدولة الأموية سنوات طويلة (٦).

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص١١٨ .

(٢) ولاية وراء نهر سيحون فى تخوم بلاد الترك . اليها ينسب الفارابى ومجموعة من العلماء .
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٢٢٥ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص١٢٢ .

(٤) الكرمانى ، هو على بن جديع الكرمانى . لمزيد من التفاصيل عنه انظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص ٣٦٧ ومابعدها ، أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى : جمهرة أنساب العرب ، (بيروت ، دار الكتب العلمية) ص٣١٧ .

(٥) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص١٣٩ .

(٦) المصدر السابق ، ج٣ ، ص١٤٤-١٤٥ .

ولما قتل الكرمانى الحرث بن شريح خلصت له مرو فقاتله عليها نصر ابن سيار حتى ضعف الفريقان .

وفى هذه الأثناء كان أبو مسلم الخراسانى يرقب هذا القتال فلما تأكد من ضعف الفريقين استمال اليه ابن الكرمانى ثم انتصر على نصر ودخل مرو معلنا بذلك بداية قيام الدولة العباسية(١).

وكعادته فقد وافق ابن خلدون ماذكره الطبرى وابن الأثير عن هذه الثورة الا أنه كان يميل الى الاختصار بينما أسهب الآخران(٢).

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص١٤٨،١٤٩ .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٩٤ ومابعدها ؛ ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٥ ، ص١٨٣ ومابعدها .

حركات البربر فى العهد الأموى :

بدأت علاقة المسلمين بالمغرب وأهله فى عهد مبكر من انتشار الاسلام اذ قامت حملات متتابعة الى تلك البلاد لتبليغ دعوة الاسلام الى أهله ، وكان مجموعة من الصحابة يشاركون فى تلك الفتوحات ولعل عقبة بن نافع الذى استشهد فى تلك البلاد أحد أشهر هؤلاء الصحابة .

ثم مارس هذا الدور أناس آخرون ممن كانوا يحرصون على متابعة طرق أسلافهم ، ومنهم تابعيون كثر كان منهم القائد الكبير زهير بن قيس البلوى الذى استشهد فى تلك البلاد .

ولقد كان البربر فى بداية أمرهم نصارى أووثنيين وبدأت دعوة الاسلام تسرى بينهم حتى أصبحت بلادهم كلها تدين بالاسلام وأصبح منهم قادة أجلاء شاركوا فى تلك الفتوحات .

وقد تحدث ابن خلدون عن علاقة المسلمين بالبربر بالتفصيل ، وفى هذا الباب سبق غيره من المؤرخين القدامى ، ولعل المنهج الذى اتبعه فى كتابه من تخصيص جزء هام منه للمغرب كان له أثر واضح فى تميزه عن غيره من المؤرخين الذين تحدثوا عن التاريخ الاسلامى بشكل عام .

ومن تتبع ماكتبه ابن خلدون عن الأحداث التى قام بها البربر ابان العهد الأموى وجدنا أنه أشار الى بعض الأحداث التى أغفلها الآخرون كالطبرى وابن الأثير ، وهذه الأحداث وهى وان لم تكن فى صلب الثورات بمفهومها العام والذى التزمناه فى حديثنا عن الثورات التى قامت ضد الدولة الأموية الا أننا سنشير اليها لتميز ابن خلدون بالحديث عنها دون سواه .

وكان بعض قادة البربر قد ارتدوا عن الاسلام فحاربهم أبو المهاجر [١]، وأسر كبيرهم كسيلة [٢] وأبقاه أسيرا لديه حتى

---

(١) أبو المهاجر مولى مسلمة بن مخلد ولاه أفريقية سنة خمس وخمسين فغزا المغرب ، وبلغ الى تلمسان ثم عزل بعد ذلك .
عنه انظر : ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤ ، ص٢٣٧-٢٣٨ .

(٢) كسيلة بن أغز البرنسى من أهل المغرب الأقصى ومن عظماء البربر أسلم له وقعات مع بعض قادة المسلمين فى المغرب .
عنه انظر : الناصرى : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج١ ، ص٨٠ .

أسلم . وقد كان عقبة يستهين بكسيلة ويستخف به وأمره يوما بسلخ شاة بين يديه فقام اليها مغضبا وهو يتوعد ، فلما بلغ ذلك أبا المهاجر نهى عقبة عنه وخوفه فتكه فتهاون عقبة بقوله (١).

وقد كان هذا التصرف من عقبة دافعا لكسيلة ولجماعته البربر أن يثوروا على عقبة واستطاعوا أن ينتهزوا الفرصة ويقتلوه ومن معه ، ودخل كسيلة القيروان وملكها مدة خمس سنين . وقد استمر كسيلة يحكم القيروان حتى جاء زهير بن قيس البلوى فحاربه سنة ٦٧هـ/٦٨٦م وقتله (٢).

لقد فشت دعوة الخوارج فى البربر أيام ميسرة المظفرى (٣) سنة ١٢٣هـ/٧٤٠م (٤)، وقد قام ميسرة بالانتفاض على الدولة الأموية عندما أساء حاكم طنجة (٥) السيرة فى البربر ، فقد أراد أن يأخذ الخمس منهم زاعماأنه الفىء ، فقاتله ميسرة وقتله ودخل طنجة وبايعه البربر بالخلافة ولقبوه بـ"أمير المؤمنين" ، لكن ميسرة أساء السيرة فى البربر فقتلوه وولوا مكانه خالد بن حبيب الزناتى (٦) فقاتل العرب الذين كان يقودهم خالد بن حبيب

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٦ ، ص١٤٢ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٦ ، ص١٩٣ . وردت هكذا عند ابن خلدون والصحيح ماورد عند ابن الأثير أنها سنة ٦٩هـ/٦٨٨م . ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٤ ، ص١٠٨ .

(٣) ميسرة المعروف بالخفير ، من البربر وعلى مذهب الصفرية من الخوارج وكان اماما فى هذا المذهب ، مات مقتولا .
عنه انظر : الناصرى :الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج١ ، ص١٠٨ .

(٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص٢١٣ . وعند ابن الأثير نجد أن هذا الحدث كان سنة ١١٧هـ/٧٣٥م . ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٥ ، ص١٩١ .

(٥) مدينة مشهورة على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء ، ينسب اليها مجموعة من أهل العلم .
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٤٢ .

(٦) ورد عند ابن الأثير : خالد بن حميد الزناتى ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٥ ، ص١٩٢ .

وهـزمهم . وفى سنـة ١٢٣هـ/٧٤٠م [١] ولى هشـام على أفـريقية كلثـوم بن عياض [٢]، فقاتله البربر وقتلوه ، ولما بلغ خبر مقتل كلثـوم بن عياض هشام ابن عبد الملك بعث حنظلة الكلبى [٣] الى افريقية سنة ١٢٤هـ/٧٤١م [٤].

وفى سنة ١٢٧هـ/٧٤٤م تولى عبد الرحمن بن حبيب أمر أفريقية فثارت عليـه خوارج المغـرب من كـل جهـة وذلك سنة ١٣١هـ/٧٤٨م واستطـاع أن يهزمهم جميعا ويقتل معظم قادتهم [٥].

وقـد حفـظ لنا ابن خلدون نصـوصا تاريخيـة تشير الى وجود حركـات اصطبغـت بصبغـة دينيـة وسياسيـة بين أبنـاء البربر أنفسهـم وان لم يشـر الى موقف الدولة الأموية منها الا أنه انفـرد بذكرها عن غيره مـن المؤرخين مثل الطبرى وابن الأثير ، ومـن هـذه الحركات حركة طـريف أبو صبيـح والذى كان يعرف بأبى صالح أيضا ، وقـد كان من قواد ميسرة المظفـرى الذى تقلد أمـر الدعوة الى مذهب الصفـرية من الخوارج الا أنه بعـد انقراض أمره قام طريف هذا بنفس الدور ثم ادعى النبوة فيمابعد وشرع بعض الشرائع ، ولما هلـك حل مكانه ابنه صالح وكان من أهل العلم المغشـوش ، كما كان مرافقا لميسرة فى حروبه ، وقد سار على سيرة أبيه فادعى النبوة كذلك وادعى نزول القرآن عليه وكان يتلو عليهم سورا منه ، منها سورة الـديك وسورة الجمل وسـورة الفيل وسورة آدم وسـورة نوح وسور أخرى منسـوبة الى كثير مـن

---

(١) عنـد ابن الأثير هذا الحدث سنـة ١١٧هـ . ابن الأثير : الكـامل فى التـاريخ ، ج٥ ، ص١٩٢ .

(٢) كلثـوم بن عيـاض القشيرى، قتـل فى المغـرب سنة ١٢٣هـ وكـان يحارب الخوارج . عنـه انظـر : ابن العماد : شـذرات الـذهب فى أخبار مـن ذهـب ، ج١ ، ص١١٦ .

(٣) حنظلـة بن صفوان الكلبى ، تولى امـارة المغرب ، وانتصر على البربر فى أكثر مـن موقعة .
عنـه انظـر : الناصرى : الاستقصـا لأخبار دول المغرب الأقصـى ، ج١ ، ص١١٣ .

(٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤ ، ص٢٤١ ، ج٦ ، ص١٤٥ .

(٥) المصدر السابق ، ج٤ ، ص٢٤٢-٢٤٣ .

الأنبيـاء ، وسورة هاروت ومـاروت وابليس ، وسورة غـرائب الدنيا ، وفيها العلم العظيم بزعمهم ، حرم فيها وحلل ، وشرع وقص ، وكـانوا يقرؤونه فى صلواتهم ، وكانوا يسمونه صالح المؤمنين (١).

وقـد ظهر صالح هذا فى خلافـة هشام بن عبد الملـك سنة ١٢٧هـ/٧٤٤م وادعـى ـ اضافة الى ماسبق ـ أنه المهدى ، وأن عيسـى عليه السلام سيكون صاحبه وسيصلى خلفه .

وعهد بالأمر من بعده لابنه الياس وقد أظهر هذا الاسلام وأبطن دعوة والده ، وولى من بعده ابنه يونس "فأظهر دينهم ودعـا الى كفرهم وقتل من لم يدخل فى أمره حتى حرق مدائن تامسنا وماوالاها ، يقال انه حرق ثلثمائة وثمانين مـدينة ، واستلحم أهلها بالسيف لمخالفتهم اياه ، وقتـل منهم بموضع يقـال له تاملوكاف ، وهو حجـر عال نابت وسط الطـريق فقتل سبعة آلاف وسبعمائة وسبعين"(٢).

وبعد هلاك يونس انتقل الأمر عن بنيه وولى هذا الأمر أبو غفير محمد ابن معـاد بن اليسع بن صالح بن طريف واستولى على ملـك برغواطة وأظهر دين آبائه ، وذهـب ابن خلـدون الى القول بأن أبى غفير قـد استفحـل أمره وخاض معارك عدة مع البربر (٣). وبعد هلاكه ظل الأمر فى عقبه الى أن تم القضاء عليهم فى القرن الخامس الهجرى (٤).

كمـا أشار ابن خلدون كذلك الى حادثة صولات بن وزمـار وكان من كبـار البربر ، وقد أسلم فى زمـن عثمان بن عفان ووفـد عليـه فأكرمه عثمان وأحسـن اليه وعقد له على عملـه . وقد بقى صولات مـواليا لآل عثمان من بنى أمية ولهذا ظاهر الدعوة المروانية فى الأندلس رعاية لولائه .

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٦ ، ص٢٧٦ .
(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٦ ، ص٢٧٦-٢٧٧ .
(٣) المصدر السابق ، ج٦ ، ص٢٧٧ .
(٤) المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٢٧٩ .

ولما هلك صولات قام ابنه حفص بالأمر من بعده ، ثم خزر ابن حفص ، وقد أدرك خزر هذا ثورة ميسرة فظهر أمره على المضرية فى القيروان ، ولما ضعف شأن بنى أمية فى المشرق ازدادت قوته وعظم جبروته وظل الأمر كذلك حتى قامت دولة الأدارسة[1](١٧٢-٣٧٥هـ/٧٨٨-٩٨٥م) .

لقد انفرد ابن خلدون بذكر هاتين الحادثتين أما ماسواهما فقد تقارب مع ابن الأثير فى معظم الأحداث واختلف عن الطبرى الذى أغفل جزءا من هذه الأحداث بالكلية[2].

من خلال الاستعراض التاريخى للحوادث والحركات التى حدثت ابان حكم الدولة الأموية تبرز لنا بعض ملامح وجهة نظر ابن خلدون فى طرحه لهذه القضايا الفكرية والسياسية اذا كان لابن خلدون وجهة نظر خاصة حول مسألة الثورة والثائرين ، فهو يرى أن الثورة لابد لها من مقومات وأنها بدون هذه المقومات تكون خاسرة ، ويكون أصحابها مأزورين غير مأجورين ، وهو يعتقد أن هذه المقومات منصوص عليها شرعا ، ولهذا لايصح تجاوزها بأى حال من الأحوال ، يقول فى مقدمته :

"ومن هذا الباب أحوال الثوار القائمين بتغيير المنكر من العامة والفقهاء . فان كثيرا من المنتحلين للعبادة وسلوك طرق الدين يذهبون الى القيام على أهل الجور من الأمراء داعين الى تغيير المنكر والنهى عنه ، والأمر بالمعروف ، رجاء فى الثواب عليه من الله ، فيكثر أتباعهم والمتشبثون بهم من الغوغاء والدهماء ، ويعرضون أنفسهم فى ذلك للمهالك ، وأكثرهم يهلكون فى تلك السبيل مأزورين غير مأجورين ، لأن الله سبحانه لم يكتب ذلك عليهم ، وانما أمر به حيث تكون القدرة عليه ، قال صلى الله عليه وسلم : "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٧ ، ص٣٤ .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، ص٢٥٤-٢٥٥ ، ج٥ ، ص٢٤٠ ، ج٦ ، ص٦١٧ ، ج٧ ، ص١٩١ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٣ ، ص٤٦٦-٤٦٧ ج٤ ، ص١٠٥ ومابعدها ، ج٥ ، ص١٩٠ ومابعدها .

يستطع فبقلبه"(١). وأحوال الملوك والدول راسخة قوية لايزحزحها ويهدم بناءها الا المطالبة القوية التى من ورائها عصبية القبائل والعشائر كما قدمناه وهكذا كان حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فى دعوتهم الى الله بالعشائر والعصائب ، وهم المؤيدون من الله بالكون كله لو شاء ، لكنه انما أجرى الأمور على مستقر العادة ، والله حكيم عليم"(٢).

أما ماحدث من هذه الثورات بين الصحابة والتابعين فله فيه رأى آخر فهو يقرر "أن اختلافهم انما يقع فى الأمور الدينية وينشأ عن الاجتهاد فى الأدلة الصحيحة والمدارك المعتبرة . والمجتهدون اذا اختلفوا : فان قلنا ان الحق فى المسائل الاجتهادية واحد من الطرفين ، ومن لم يصادفه مخطىء ، فان جهته لاتتعين باجماع ، فيبقى الكل على احتمال الاصابة ، ولايتعين المخطىء منهم ، والتأثيم مدفوع عن الكل اجماعا ، وان قلنا ان الكل على حق وان كل مجتهد مصيب ، فأحرى بنفى الخطأ والتأثيم . وغاية الخلاف الذى بين الصحابة والتابعين أنه خلاف اجتهادى فى مسائل دينية ظنية وهذا حكمه .

والذى وقع من ذلك فى الاسلام انما هو واقعة على مع معاوية ومع الزبير وعائشة وطلحة ، وواقعة الحسين مع يزيد ، وواقعة ابن الزبير مع عبد الملك"(٣).

وهذا الرأى الذى تبناه ابن خلدون هو الرأى الشرعى الصحيح فالصحابة كلهم عدول وماوقع منهم اجتهاد فى تحرى موقع الحق ومن ثم الدفاع عنه .

لكن ابن الوردى لايرى مايراه ابن خلدون فى مسألة الثورات ، ويؤكد أن هذا الاتجاه ذو نزعةواقعية "لايخلو من غرابة وغلو" . وأن الذين قالوا بهذا الرأى الفقهاء المتأخرون بسبب ارتباطهم بالدولة القائمة "فقد كانوا فى الغالب موظفين لدى الحكومة يعتمدون عليها فى رزقهم ويأملون منها

---

(١) مسلم بن الحجاج بن مسلم : الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم ، ج١ ، ص٥٠ .
(٢) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٥٢٩ .
(٣) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٦١٧ .

الترفيع والمكافأة ، ولهذا كانوا يشجبون كل ثورة من شأنها تهديد الحكومة القائمة التي يرتزقون منها"(١).

ويرى ابن الوردى كذلك أن ابن خلدون "يمجد الثورة الناجحة بغض النظر عما ينتج عنها من فوضى وسفك دماء"(٢)، كما أنه يشجب "من الجانب الآخر كل ثورة فاشلة"(٣). ويخلص ابن الوردى فى النهاية الى الرأى الذى يتبناه وهو أن "الثورات لاتخضع للحساب الدقيق كما يريد ابن خلدون منها أن تكون ، انها ليست كمثل الصفقة التجارية حيث لايقوم التاجر بها الا بعد أن يحسب حسابه . كثيرا مايكون الثائر مؤمنا بالمبدأ الذى يثور من أجله ، وهو يندفع به فلايبالى أوقع الموت منه أم وقع عليه . ورب ثائر يثور دون أن يكون لديه مايؤهله للنجاح ، ثم يأتيه النجاح من حيث لايحتسب . فالمسألة أعظم من أن تخضع لحساب التجار"(٤).

والواقع أن الخلاف بين ابن خلدون وابن الوردى خلاف فى أصل المنهج ، هذا الخلاف الذى يؤدى بالتالى - على الأرجح - الى خلاف فى النتائج .

فابن خلدون ينطلق من القاعدة الشرعية وهى أن تغيير المنكر بحسب القدرة عليه ، وأن المجازفة التى تتضح من الأساس لاتجوز لما يحصل فيها من سفك الدماء ومن الخراب الشامل دون الوصول الى الهدف المتوخى منها .

أما ابن الوردى فهو لاينظر الى النتائج لأنها ليست مهمة فى نظره ، وقد تأتى - كما يقول - دون أن يحسب لها الانسان حسابا ، وانما المهم التعبير عن السخط والثورة على المنكر مهما كانت التضحيات ، اذ أن الدولة التى قامت بفضل ثورة أوصلتها الى مركزها القيادى فانه لامحالة سوف تكون الثورة نفسها عاملا فى زوالها .

ونحن نعتقد أن مسألة القيام على الحكومات الظالمة يجب أن يكون

---

(١) ابن الوردى : منطق ابن خلدون فى ضوء حضارته وشخصيته ، ص٢٣٩،٢٤٠ .
(٢) ابن الوردى : منطق ابن خلدون فى ضوء حضارته وشخصيته ، ص٢٤٠ .
(٣) المرجع السابق ، ص٢٤١ .
(٤) المرجع نفسه ، ص٢٤١-٢٤٢ .

بحساب دقيق يتمشى وروح الشريعة الاسلامية بعيدا عن العواطف والانفعالات الطارئة .

والحقيقة التى نؤمن بها أن الأفعال الظاهرة للانسان قد لاتفسر النوايا التى تقف وراء هذه الأفعال اذ قد يجتهد صاحب الفعل فى الوصول الى هدف سام قد رسمه واتخذ له أسبابا غير مقنعة ، لكن يبقى هنا الهدف الذى ترمى له الحركة سليما ولكن الخطأ نبع من الخطوات التى اتخذت للوصول اليه أو تحقيقه . ان الأهداف اذا كانت سليمة والخطط التى اتخذت لتحقيقها واضحة متقنة تكون النتيجة فى الغالب نجاحها . وفى هذا المعنى يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : "اذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران واذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر"(١).

ومن هنا فقد يكون أولئك الذين تبنوا هذه الحركات ذوى نيات حسنة يبتغون الاصلاح ويسعون اليه وقد ضحوا بحياتهم فى سبيله ، ونحن حينما نحكم على ثوراتهم اليوم نقول انهم أخطأوا الطريق وسلكوا السبيل المعوج وألقوا بأنفسهم وبمن معهم الى الهلاك . فالحكم النهائى يحتاج الى دقة كبيرة ومعرفة شاملة للدوافع والنتائج .

أما أن هذه الثورات أثرت على الدولة فهذا مالاشك فيه ، ولعلها من أسباب التعجيل بسقوطها .

لقد تحدث عن هذه الثورات أحد المؤرخين المعاصرين فأشار الى أنهاكانت من أسباب ضعف الدولة الأموية ، كما أكد أن هؤلاء الثائرين يلامون على تصرفاتهم أكثر من الدولة الأموية بكثير لأنهم - كما يقول - ثاروا لأطماع شخصية وأن المبادىء التى نادوا بها كانت شعارا لهذه الأطماع الا عددا قليلا منهم(٢).

---

(١) أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادى : عون المعبود شرح سنن أبى داود ، تحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان ، (ط٢ ، المدينة المنورة ، المكتبة السلفية : ١٣٨٨هـ) ، ج٩ ، ص٤٨٨ .

(٢) عبد الحليم عويس : بنو أمية بين الضربات الخارجية والانهيار الداخلى ، ص٧٩ .

المبحث الرابع
الفتوحات الإسلامية
والسياسة الخارجية لبنى أمية

* منهج الطبرى وابن الأثير وابن كثير فى عرض فتوحات بنى أمية .
* خصائص المنهج الخلدونى فى عرض فتوحات بنى أمية وسياستهم الخارجية .

منهج الطبرى وابن الأثير وابن كثير فى عرض فتوحات بنى أمية .

يتسم منهج خليفة بن خياط فى عرض الفتوحات ومايستفاد فى طبيعة العلاقات الخارجية الأموية بالايجاز الشديد ، نظرا للاختصار الشديد الذى التزمه ابن خياط فى تاريخه كله .

ولم يقدم لنا خليفة مادة كافية نستطيع مقارنتها بما كتبه الطبرى أو ابن الأثير ، فضلا عن أن نقارنها بما كتبه ابن خلدون .

وحسب كتابه أنه يتضمن اشارات فى سطور معدودة حول الفتوحات والحروب التى وقعت فى العصر الأموى . ومع ايجازها فلاشك أنها مما استفاد منه واعتمد عليه الطبرى ، وبنى فوقه مادته الكثيرة التى تعتبر ـ بحق ـ أصلا لابن الأثير ولابن خلدون وابن كثير وغيرهم .

فالطبرى ـ اذن وليس ابن خياط ـ هو الذى نستطيع أن نجد عنده المادة التى نقارنها بابن خلدون ، سواء ماأورده ابن خلدون على هيئة نماذج وآراء وشواهد فى مقدمته ، أو ماأورده على شكل وقائع وتحليلات فى الفصول الخاصة ببنى أمية فى كتابه العبر .

وقد التزم الطبرى منهج الحديث عن الغزوات باجمال فى أول تأريخه للحول الذى يريد تتبع ماوقع فيه . أما الحديث بتفصيل ـ ان جاء به ـ فهو يأتى به بعد أن ينتهى من الوقائع الاجمالية التى يذكرها فى صدر السنة التى يؤرخ لها . فاذا ضربنا أمثلة لهذا النهج ، فاننا نذكر ماأورده ـ على سبيل المثال ـ فى تأريخه لسنة ٤٣هـ/٦٦٣م . يقول الطبرى : "ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث"(١). وهذا هو العنوان ،وهو عنوان يتكرر فى كل سنة بلفظه غالبا وبمعناه فى بعض الأحيان .

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص١٨١ .

ثم يدخل الطبرى فى ذكر الوقائع فيقول : "فمن ذلك غزوة بسر بن أبى أرطاه[(١)] الروم ومشتاه بأرضهم حتى بلغ القسطنطينية - فيما زعم الواقدى - وقد أنكر ذاك قوم من أهل الأخبار ، فقالوا : لم يكن لبسر بأرض الروم مشتى قط . وفيها مات عمرو بن العاص بمصر يوم الفطر ... وفيها ولى معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص[(٢)] مصر بعد موت أبيه ... وفيها مات محمد بن مسلمة فى صفر بالمدينة ، وصلى عليه مروان بن الحكم ... وفيها قتل المستورد بن علفه الخارجى ، فيما زعم هشام بن محمد . وقد زعم بعضهم أنه قتل فى سنة اثنتين وأربعين . ذكر الخبر عن مقتله[(٣)]. يقصد مقتل المستورد بن علفه الخارجى .

ويدخل الطبرى بعد ذلك فى تفصيل قتل المستورد بتفصيل كبير استغرق عددا كثيرا من الصفحات ، كما أنه استغرق بقية الحديث عن السنة كلها . اللهم الا الخبر الذى درج الطبرى على ذكره وتأخيره وهو حول من حج بالناس فى هذه السنة .

وفى حديث الطبرى عن حوادث سنة ٤٤هـ/٦٦٤م نجد المنهج نفسه ، فبعد العنوان ، يذكر أنه مما كان فيها من الأحداث "دخول المسلمين مع عبد الرحمن بن خالد بن الوليد[(٤)] بلاد الروم ومشتاهم بها ، وغزو بسر بن أبى أرطاة البحر ... وفى هذه السنة عزل معاوية عبد الله بن عامر[(٥)]

---

(١) بسر بن أبى أرطأة القرشى ، ولى لمعاوية بعض الأعمال ومات فى ولاية عبد الملك ابن مروان .
عنه انظر : البستى : مشاهير علماء الأمصار ، ص٥٣ .

(٢) عبد الله بن عمرو بن العاص صحابى وابن صحابى ، روى عدة أحاديث عن الرسول الكريم وشهد بعض المغازى ، وقد توفى سنة ٦٣هـ .
عنه انظر : الذهبى : سير أعلام النبلاء ، ج٣ ، ص٧٩ ومابعدها .

(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص١٨١ .

(٤) عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، له صحبة ، مات سنة ٤٦هـ .
عنه انظر : البستى : مشاهير علماء الأمصار ، ص٥٢ .

(٥) عبد الله بن عامر بن كرير بن ربيعة القرشى ، ولاه عثمان البصرة ، شهد الجمل ولم يحضر صفين ، ولاه معاوية البصرة ثم عزله . مات سنة ٥٨هـ على الأرجح .
العسقلانى : الاصابة فى تميز الصحابة ، ج٣ ، ص٦١-٦٢ .

عن البصرة . ذكر الخبر عن سبب عزله"[١]. ثم يكتب الصفحات الباقية فى قصة هذا العزل .

وفى سنة ٤٧هـ/٦٦٧م ـ بعد العنوان ـ يذكر أن فيها كان مشتى مالك ابن هبيرة[٢]بأرض الروم ، ومشتى أبى عبد الرحمن القينى بأنطاكية[٣]، ثم يفصل عند الحديث عن عزل عبد الله بن عمرو بن العاص عن مصر[٤].

وفى حديثه عن سنة ٤٩هـ/٦٦٩م يذكر أن فيها كان مشتى مالك بن هبيرة بأرض الروم ، وغزوة فضالة بن عبيد جربة[٥]، وشتا بجربة ، وفيها كانت صائفة عبد الله بن كرز البجلى ، وفيها كانت غزوة يزيد بن شجرة الرهاوى[٦]فى البحر ، وفيها كانت غزوة عقبة بن نافع البحر ، وفيها كانت غزوة يزيد بن معاوية الروم حتى بلغ القسطنطينية ، وفيها عزل معاوية مروان بن الحكم . وفى آخر السنة يتحدث عمن حج بالناس فى هذه السنة ، وعن ثبات العمال أو تغير بعضهم[٧].

وفى حديثه عن سنة ٥٢هـ/٦٧٢م يذكر أن الواقدى (زعم) ـ وهى عادته عندما يأخذ عن الواقدى وتكون هناك آراء أخرى ـ أن فيها كانت

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٢١٢ .

(٢) مالك بن هبيرة السكونى ، كان يقيم بمصر مدة وبالشام زمنا .
عنه انظر : البستى : مشاهير علماء الأمصار ، ص٥٣ .

(٣) هى قصبة العواصم من الثغور الشامية ، توصف بالحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء ، فتحها أبو عبيدة بن الجراح صلحا وأخذ الجزية من أهلها .
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج١ ، ص٢٦٦ .

(٤) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٢٢٩ .

(٥) قرية بالمغرب وقيل جزيرة بالمغرب من ناحية افريقية قرب قابس فيها بساتين كثيرة
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٢ ، ص١١٨ .

(٦) يزيد بن شجرة الرهاوى ، يقال له صحبة . كان أمير الجيوش فى غزو الروم ، استشهد سنة ٥٨هـ .
عنه انظر : الذهبى : سير أعلام النبلاء ، ج٩ ، ص١٠٦ .

(٧) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٢٣٢،٢٣٣ .

غزوة سفيان الأزدى [(١)] ومشتاه بأرض الروم . وقال غيره : بل الذى شتا بأرض الروم فى هذه السنة بسر بن أرطأه . ونعتقد أنه يصف الواقدى بالزعم لأنه يرجح الرأى الآخر ، وان لم يرجح صراحة على عادته .ومن ثم يختم السنة بمن حج بالناس وبحالة عمال الأمصار وهل ثبتوا أو تغير بعضهم [(٢)].

وفى حديثه عن سنة ٥٩هـ/٦٧٨م يبدأ ـ أيضا ـ بذكر الغزوات ففيها كان مشتى عمرو بن مرة الجهنى بأرض الروم . وهنا يأخذ عن الواقدى بصيغته غير (زعم) فيقول : (قال الواقدى) . ويقول أيضا : (قال غيره) فكأن الرأيين عنده متكافئان .

ثم يفصل فى قضية استعمال معاوية عبد الرحمن بن زياد بن سميه خراسان [(٣)].

وعندما نصل الى سنة ٨٨هـ/٧٠٦م فسوف نجد منهاج الطبرى يتطور مع تطور الوقائع ، فيفصل القول فى فتح حصن من حصون الروم ، ويعتمد على الواقدى فيقول : "فذكر محمد بن عمر الواقدى" [(٤)]ـ على سبيل التقرير ـ أن مايأخذه حقائق ، وبعد أن يذكر بعض الأحداث الداخلية فى الدولة الاسلامية يذكر أنه فى هذه السنة غزا قتيبة راميثنة [(٥)] وغيرها ويذكر بالتفصيل الخبر عن غزوته تلك [(٦)].

ونجد الأسلوب نفسه فى تأريخه لسنة ٨٩هـ/٧٠٧م [(٧)].

---

(١) سفيان بن عوف الأزدى ، صحابى استعمله معاوية على الصوائف ، وغزا القسطنطينية .
العسقلانى : الاصابة فى تمييز الصحابة ، ج٢ ، ص٥٤ .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٢٨٧ .

(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٣١٥ .

(٤) المصدر السابق ، ج٦ ، ص٤٣٤ .

(٥) قرية بخارى . عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٣ ، ص١٨ .

(٦) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٤٣٦-٤٣٧ .

(٧) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٤٣٩-٤٤١ .

وفى تأريخه لسنة ٩١هـ/٧٠٩م يذكر غزو الصائفة على يد عبد العزيز بن الوليد ، فيما ذكر محمد بن عمر الواقدى وغيره ، وفيها غزا مسلمة الترك ، وموسى بن نصير[١] الأندلس ، وفيها قتل قتيبة بن مسلم نيزك طرخان . ثم يرجع الطبرى الحديث عن قصة نيزك وظفر قتيبة به حتى قتله[٢]، تمزيقا للحدث حسب نظام التاريخ الحولى المعروف .

وفى سنة ٩٢هـ/٧١٠م يذكر غزو مسلمة بن عبد الملك وعمر بن الوليد أرض الروم ، ويذكر فى عدد محدود من الأسطر ، غزو طارق بن زياد[٣] الأندلس ، وغزو قتيبة ـ فيما زعم أهل السير ـ سجستان . ثم ينتهى بالحديث عن من حج بالناس ، وعن حالة عمال الأمصار فى هذه السنة[٤].

وكل هذا فيما يقل عن صفحة واحدة . لكنه يفصل الحديث عن غزوة قتيبة لشاش[٥]، وفرغانة[٦] فى تأريخه لسنة ٩٤هـ/٧١٢م[٧].

---

(١) موسى بن نصير اللخمى فاتح الأندلس ، كان من التابعين تولى افريقية والمغرب سنة ٧٧هـ . ولد سنة ١٧هـ وتوفى سنة ٩٩هـ وهو فى طريقه الى الحج .
ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج٥ ، ص٣١٨ ومابعدها .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٤٥٤-٤٦١ .

(٣) طارق بن زياد مولى موسى بن نصير ، كان أميرا على طنجة وله فتوحات كثيرة فى الأندلس ، اذ فتحها سنة ٩٢هـ .
عنه انظر : الذهبى : سير أعلام النبلاء ، ج٤ ، ص٥٠٠ .

(٤) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٤٦٨ .

(٥) بلد متاخم لبلاد الترك كثير الخيرات ، وقد خربها خوارزم شاه وجلا عنها أهلها لعجزه عن ضبطها .
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٣٠٨ .

(٦) مدينة متاخمة لبلاد تركستان ويتبعها قرى كثيرة وهى بلاد تكثر فيها الزروع والفواكه .
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٢٥٣ .

(٧) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٤٨٣-٤٨٤ .

وفى سنة ٩٨هـ/٧١٦م يبدو تركيز الطبرى وتفصيله على مايتصل بالغزوات ، ومنها توجيهه أخاه مسلمة الى القسطنطينية ، وفتح مدينة الصقالبة ، وغزو يزيد بن المهلب جرجان(١) وطبرستان(٢) وماجرى فى هذا الغزو من وقائع تتبعها الطبرى بشىء كثير من التفصيل(٣).

وكذلك فصل القول فى الغزوات فى حديثه عن سنة ١٠٤هـ/٧٢٢م(٤)، ١١٢هـ/٧٣٠م(٥).

ونحن ندرك من تتبعنا لمنهج الطبرى فيما يتعلق بتأريخه للغزوات أنه يميل فى الأغلب الى ذكرها فى صدر حديثه ، وكأنه يفرغ منها على عجل ، مثلما يرصد فى آخر حديثه فى السنة أمر الحج والعمال ، فلما اتسعت الفتوحات فى عهد الوليد وسليمان وهشام بدأ يفصل القول ، لكن تفصيله بقى أقل بكثير من التتبع الكافى الذى يتواءم مع هذا الجهد الذى بذله بنو أمية فى الفتوحات ، وكان حديث الطبرى عن المشكلات الداخلية والعزل والولاية والفتن أكثر من حديثه عن هذه الفتوحات ، وهو منهج نرى أن فيه اجحافا بها، وهو الأمر الذى سنجده يختلف - بدرجة كبيرة - عند العلامة عبد الرحمن بن خلدون الذى ستعتدل لديه - الى حد كبير - موازين الرصد للوقائع ، وموازين تقويم الأحداث ، فضلا عن بروز شخصيته ، وادلائه برأيه وتعضيده له ، ونفيه لرأى مخالفيه بالنقل والعقل ، وهو ماافتقده منهج الطبرى .

---

(١) مدينةعظيمة بين طبرستان وخراسان ، خرج منها عدد كبير من العلماء فى شتى العلوم ، فتحها سويد بن مقرن صلحا وأخذ الجزية من أهلها سنة ١٨هـ .
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٢ ، ص١١٩ .

(٢) بلدان واسعة كثيرة يشملها هذا الاسم . خرج منها عدد كبير من أهل العلم والفقه والأدب وأهم بلدانها جرجان واستراباذ وآمل .
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٤ ، ص١٣ .

(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٥٣٠-٥٤٥ .

(٤) المصدر السابق ، ج٧ ، ص٧-٢٠ .

(٥) المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٧٠-٨٧ .

أمـا ابن الأثير عز الدين صاحب الكامل المتوفى سنـة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م ، فيختلـف منهجه ـ بعض الاختلاف ـ مـن منهج الطبرى ، وان كـان واضحـا اعتماده على الطبرى بصفة اجمالية .

ففـى ذكره لأحداث سنة ٤٣هـ/٦٦٣م ـ وهـى السنة التى قـدمناها مـع غيرهـا نموذجا لمنهـج الطبرى ـ يورد ابن الأثير الأحداث نفسهـا التى أوردهـا الطبرى بالترتيب نفسه ، وبالاعتماد على الواقدى نفســه ، فمصادرهما ـ اذن ـ متفقـة ، وأيضا باستعمال الأسلـوب الدال على مستوى الثقـة فى الرواية، اذ هو يستخدم بعض العبارات مثـل : زعـم ، وقال ، وأحيـانا يستخـدم صيغة التقرير الجازمة .

وقـد فصل الحديث أيضا فى أمر فتنة المستـورد الخارجى(١). وزاد على الطبرى فى رصده لبعض الغزوات ومايتصل بالفتوح بالتفصيل ، فقد تحدث ـ فى السنـة نفسهـا ـ عـن عـود عبـد الرحمن بن عـامر بن عبـد الـرحمن بن سمرة(٢)على سجستـان فيفتحه حتى يبلـغ كابل ، وقد تحدث ـ أيضـا ـ عـن غزو عبد الله بن سوار العبدى(٣)للسند باستعمال من عبد الله بن عـامر ، وتحدث ـ كذلك ـ عن ولاية عبد الله بن خازم(٤)لخراسان .

---

(١) ابن الأثير : الكـامل فى التـاريخ ، ج٣ ، ص٤٢٥-٤٣٦ . وهـو المستـورد بن علفه التميمـى ـ مـن تيم الرباب ، اجتمـع عليه الخوارج وبايعـوه أميرا للمـؤمنين سنة ٤٣هـ/٦٦٣م وقتل فى حروبه بعد مبارزة مع معقل بن قيس الرياحى .
نايف معــروف : الخوارج فى العصــر الأمــوى ، (ط٣ ، بيروت ، دار الطليعــة للطباعة والنشر : ١٤٠٦هـ) ، ص١١٧-١١٩ .

(٢) أبو سعيـد صحـابى من القادة الـولاة ، أسلم يوم فتـح مكـة وشهـد غـزوة مؤتة ، وسكـن البصرة وافتتح سجستان وكـابل وغيرهما ، وولى سجستـان وغزا خراسان ففتح بها فتوحا ثم عاد الى البصرة فتوفى فيها سنة ٥٠هـ .
الزركلى : الأعلام ، ج٣ ، ص٣٠٧ .

(٣) عبـد اللـه بن سوار العبدى : استعملـه عبـد الله بن عامر على ثغـر الهنـد . كان كريما جوادا .
عنه انظر : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٣ ، ص٤٣٧ .

(٤) هو عبد الله بن عامر بن عبد الله بن خازم بن ظبيان . تولى خراسان سنة ٤٣هـ .
عنه انظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٢٠٩ .

وفى حديثه عن أحداث سنة ٤٤هـ/٦٦٤م يورد الأحداث نفسها التى أوردها الطبرى ، ويفصل الحديث عن عزل عبد الله بن عامر مثلما فصل الطبرى ، لكنه يفصل القول فى استلحاق معاوية زيادا ، ويورد غزو المهلب ابن أبى صفرة لثغر السند(١).

وفى تتبعه لوقائع سنة ٤٧هـ/٦٦٧م يختلف المنهج بين المؤرخين ، ويبدو تتبع الطبرى الاجمالى أكثر ، وتفصيلات ابن الأثير أكثر(٢).

ويتجلى تفصيل ابن الأثير واجمال الطبرى فى تاريخ سنة ٤٩هـ/٦٦٩م حيث وقف ابن الأثير وقفات متأنية وفاحصة فى غزوة القسطنطينية على يد يزيد بن معاوية(٣).

ولانجد خلافا كبيرا فى رصدهما لوقائع سنتى ٥٢هـ/٦٧٢م و ٥٩هـ/٦٧٨م(٤).

والحق أن ابن الأثير يتميز بتفصيله الكثير فيما يتصل بفتح المسلمين للمغرب على يد عقبة بن نافع وأبى المهاجر دينار وزهير بن قيس البلوى وحسان بن النعمان(٥) وموسى بن نصير(٦)، وهو أمر يؤكد اطلاع ابن الأثير على مصادر جديدة لم تكن قد توافرت لعهد الطبرى ، ولربما كانت مصادر مغربية أو مشرقية كتبها مشارقة عاشوا فى المغرب أو الأندلس .

ولقد أثبت ابن الأثير ـ بحق ـ تفوقه فى هذا الجانب لدرجة أن ماسجله عن تاريخ المغرب والأندلس كان له دوره الكبير والأساس فى

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٣ ، ص٤٤٠-٤٤٦ .

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٣ ، ص٤٥٥-٤٥٦ .

(٣) المصدر السابق ، ج٣ ، ص٤٥٨-٤٥٩ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٤٩١-٤٩٢،٥٢١-٥٢٦ .

(٥) حسان بن النعمان الغسانى كان عاملا لعبد الملك على مصر ثم بعثه الى المغرب لقتال البربر فانتصر عليهم فى أكثر من موقعة ، ثم استقر فى القيروان مدةعاد بعدها الى المشرق .
عنه انظر : الناصرى : الاستقصا لدول المغرب الأقصى ، ج١ ، ص٩٢ ومابعدها .

(٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج١ ، ص١٠٥ ومابعدها .

تعريف المشارقة بتاريخ المغرب ، ولاسيما تاريخ البربر وفترة الفتوحات والفترة التى صحبت العهد الأموى .

والحق أن ماكتبه ابن الأثير فى فتوحات المغرب والأندلس والعلاقات بين المشارقة والمغاربة يصلح أن يكون كتابا مستقلا يقدم مادة وافرة .

وقد اتسم حديث ابن الأثير بتفصيل أوفى من الطبرى فى حديثه - كذلك - عن فتوحات ماوراء النهر والهند(١).

وبصفة عامة فان تتبع ابن الأثير للغزوات - مع اعتماده على الطبرى وغيره - كان أكثر توضيحا وتفصيلا ، وأكثر تكاملا ، مما يمكن القول انه يشكل نسيجا وافيا مترابط الخيوط للغزوات ، وأنه - بيقين - مرحلة أكثر بروزا من مرحلة ابن جرير الطبرى .

فاذا جئنا للحافظ ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤هـ/١٣٧٢م وكتابه البداية والنهاية وجدناه يعتمد - كذلك - على مصادر الطبرى وابن الأثير ، ويعتمد الطبرى مصدرا من مصادره التى يأخذ عنها ، فكان ابن كثير يكرر كثيرا ماأورده الطبرى . لكنه مع ذلك يعتمد مصادر جديدةتعطيه امكانية تفصيل بعض الأمور التى قد لاتتصل بالوقائع مباشرة لكنها تتصل بالآراء والتحليل ، ففى حديثه عن وقائع سنة ٤٣هـ/٦٦٣م نجده يختصر فى فتنة ابن المستورد(٢)، لكنه يفصل فى وفاة عمرو بن العاص ويعقب على ماأورده الامام أحمد بن حنبل وابن اسحاق ، وان كان عرضه للفتوحات لايضيف جديدا فيما يتصل بالدولة الأموية(٣).

وفى حديث ابن كثير عن أحداث سنتى ٤٧هـ/٦٦٧م وسنة ٤٩هـ/٦٦٩م نجده لايضيف من الناحية التاريخية جديدا الا أنه يدعم رواياته ببعض الأشعار الواردة فيها ، ولهذا فهو يعتمد على مصادر أدبية(٤).

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٤ ، ص٤٥٠ ومابعدها .

(٢) وقعة بين الخوارج بقيادة المستورد بن علقمة وبين جند الكوفة. عنها انظر : ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٨ ، ص٢٤-٢٥ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٨ ، ص٢٤-٢٧ .

(٤) المصدر السابق ، ج٨ ، ص٣١،٣٢ .

أما في تتبعه لحوادث سنة ٥٠هـ/٦٧٠م فقد أشار - بايجاز - الى ولاية عقبة ابن نافع على المغرب وبنائه القيروان ، وزاد ايراد بعض الروايات ، كرواية دعاء عقبه لله أن يخرج السباع والحيات من موضع بناء القيروان(١).

وترد غزوات سنة ٥٢هـ/٦٧٢م عنده موجزة غاية الايجاز ، أما غزوات سنة ٥٩هـ/٦٧٨م فلاجديد في المعلومات التي قدمها ابن كثير حولها(٢).

وفي تاريخ سنة ٨٨هـ/٧٠٦هـ يورد تسجيله للوقائع الحربية التي أوردها ابن الأثير والطبري ، وينقل عن الأخير بعض المعلومات الأخرى(٣). ولايضيف الا قليلا من التفصيل في تاريخ سنة ٨٩هـ/٧٠٧م(٤).

أما تأريخه لسنة ٩١هـ/٧٠٩م فيكاد يتميز بتتبعه لجهود مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه عبد العزيز بن الوليد في ناحية ماوراء النهر ، وفي حديثه عن موسى بن نصير ، اذ أورد بعض المعلومات عن أحوال الأندلس التي وجدها عليها موسى بن نصير ، كما فصل في غزوة قتيبة بن مسلم والشروط التي وضعها(٥).

وقد تطرق الى بعض الحكايات الواردة عن خلاف طارق بن زياد مع موسى بن نصير دون أن يمحص الروايات ، وذلك أثناء حديثه عن أحداث سنة ٩٢هـ/٧١٠م ، وذكر أن موسى حسد طارقا وأنه كتب الى الوليد يبشره بالفتح وينسبه لنفسه وكتب الى طارق يتوعده ويأمره أن لايتجاوز مكانه حتى يلحق به(٦).

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٨ ، ص٤٥ .
(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٨ ، ص٥٨،٩٤ ومابعدها .
(٣) المصدر السابق ، ج٩ ، ص٧٤-٧٦ .
(٤) المصدر نفسه ، ج٩ ، ص٧٦-٧٧ .
(٥) المصدر نفسه ، ج٩ ، ص٨١-٨٢ .
(٦) المصدر نفسه ، ج٩ ، ص٨٣ .

ونجد تأثيرا لمنهج ابن كثير الذى أشرنا اليه وهو ادخاله الشعر والمصادر الأدبية فى الكتابة التاريخية عند حديثه عن الغزوات التى وقعت سنة ٩٤هـ/٧١٢م(١) .

أما عرضه الذى أوضح فيه بتفصيل مقتل قتيبة بن مسلم ، فقد جاء واضحا ومنصفا ومبررا شرعيا ، وقد عقب ابن كثير على هذه النهاية بقوله عن قتيبة بعد أن مدحه : "ولكن زل زلة كان فيها حتفه ، وفعل فعلة رغم فيها أنفه ، وخلع الطاعة فبادرت المنية اليه ، وفارق الجماعة فمات ميتة جاهلية ، لكن سبق له من الأعمال الصالحة ماقد يكفر الله به سيئاته" . وقد أورد شعرا كثيرا فى مدح قتيبة وفى رثائه(٢).

ويمثل ماأورده ابن كثير عن موسى بن نصير وحياته وفتوحاته والعجائب التى وجدها فى الأندلس ، وصلاحه وتقواه ، مايعد اضافة جيدة تحسب له(٣).

ونحن نجد من خلال النظرة الشاملة للمصادر الكبرى الثلاثة التى سبقت ابن خلدون ، ومثلت الأعمال الموسوعية المحايدة التى يعتمد عليها المؤرخون فى المشرق بصفة غالبة نجد أن هذه الموسوعات قد أخذ بعضها برقاب بعض ، وتكاد الألفاظ تتشابه بينها عند عرضها لبعض الغزوات . وقد يكون هذا شيئا طبيعيا ، اذ الوقائع لاتؤلف ولاتخترع ، ومن الواجب اعتماد اللاحقين على السابقين .

لكننا نلاحظ أن تقديم الوقائع كان بعيدا عن التحليل والتبرير فى كثير من الأحايين ، بل كان الاعتماد على مصادر جديدة نادرا لديهم ، ولم يظهر بدرجة كبيرة عند ابن الأثير الا فيما يتصل بتاريخ المغرب والأندلس ، اذ كان ابن الاثير قد اطلع بيقين ـ كما أفادتنا المعلومات ـ على مصادر

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٩ ، ص٩٥ ومابعدها .
(٢) المصدر السابق ، ج٩ ، ص١٦٨ .
(٣) المصدر نفسه ، ٩ ، ص١٧١-١٧٤ .

مغـربية وأندلسية اضافية مكنته من تقديم هذا القدر مـن المعلومات المتكاملة والوافية .

وقـــد أضــاف ابن كثير مصــادر جديدة ، فلم يكتـــف بالـــواقدى ، ولابالطبرى ، بل رجع الى ابن عســاكر[1] والى غيره ، كما رجع الى مصـادر أدبيـة متعددة ، وقد أحسن فى تبرير بعـض الوقائع ، وترجيـح بعضها ، وهو الأمـر الذى لم يكن موجودا عنـد الطبرى . وان كان الأمـر ـ مـع ذلك ـ لم يبلـغ أن يكـون منهجـا كاملا ، بل كـان محصـورا فى وقـائع محددة ، بحيـث نستطيـع القـول ان منهـج ابن خلـدون يبـدو متميزا ومبررا وقـائما على نقـد تاريخى نقلى وعقلى لم يتـوفـر لغيره مـن الســابقين فى الموســوعة التـاريخية ، ويتجلى ذلـك اذا مـاجمعنا مـاورد فى المقـدمة خاصـا ببنى أميـة بالاضـافة الى ماورد فى كتاب العبر .

---

(١) عبـد الرحمن بن محمد بن الحسن بن عسـاكر ، فقيه دمشقى ولـد سنة ٥٥٠هـ وتوفى سنة ٦٢٠هـ بدمشق .

عنـه انظـر : ابن خلكان : وفيـات الأعيان وأنباء أبناء الـزمان ، ج٣ ، ص١٣٥ .

خصائص المنهج الخلدونى فى عرض فتوحات بنى أمية وسياستهم الخارجية :

لقد تتبع ابن خلدون فى كتابه العبر فتوحات الدولة الأموية التى بدأت بوصول معاوية رضى الله عنه الى الخلافة واجماع المسلمين عليه عام الجماعة[١] سنة ٤١هـ/٦٦١م .

لقد كان من جراء الفتنة التى وقعت بين على ومعاوية رضى الله عنهما (٣٥-٤١هـ/٦٥٥-٦٦١م) أن توقفت الفتوح فى كثير من النواحى ، وعلى رأسها فتوحات المغرب الذى كان المسلمون قد بذلوا فيه جهودا كثيرة لم يقدر لها النجاح ، لأنها كانت تفتقد الاستمرارية والتخطيط .

فلما ولى عمرو بن العاص رضى الله عنه مصر من قبل معاوية استعمل عقبة بن عامر بن عبد قيس[٢] على أفريقية ، فافتتح سنة **٤٢هـ/٦٦٢م** غدامس[٣]. وفى السنة التالية افتتح عدة مدن ، وأثخن فى تلك النواحى ، وكان له فيها جهاد وفتوح . ثم ولاه معاوية على أفريقية سنة **٥٠هـ/٦٧٠م**

---

(١) انظر تعريف عام الجماعة ص١١٩ .

(٢) عقبة بن عامر بن عبس بن قيس الجهنى الصحابى المشهور ، تولى امرة مصر فى عهد معاوية .
عنه انظر : العسقلانى : الاصابة فى تميز الصحابة ، ج٢ ، ص٤٨٢ .
ورد هكذا (عقبة بن عامر بن عبد قيس) فى نسخة تاريخ ابن خلدون التى اعتمدت عليها والصحيح أنه (عقبة بن نافع بن عبد قيس الزهرى) . انظر : خليفة بن خياط ، ص٢٠٤ ، القرطبى : الاستيعاب فى أسماء الأصحاب ، ج٣ ، ص١٠٨ ؛ ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٣ ، ص٤١٩ ؛ أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، ج٣ ص٤٢٠ .
عقبة بن نافع بن عبد القيس بن لقيط بن عامر القرشى الفهرى ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتصح له صحبة ، ولاه عمرو بن العاص افريقية لما كان على مصر وافتتح عامة بلاد البربر وهو الذى بنى القيروان فى عهد معاوية قتل عقبة سنة ٦٣هـ .
ابن الأثير : أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، ج٣ ، ص٤٢٠-٤٢١ .

(٣) غدامس عند ياقوت وهى مدينة بالمغرب ضاربة فى بلاد السودان .
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٤ ، ص١٨٧ .

وبعث اليه عشرة آلاف فارس ، فدخل أفريقية وانضم اليه مسلمو البربر ، فكبر جمعه ووضع السيف فى أهل البلاد ، لأنهم كانوا اذا جاءت عساكر المسلمين أسلموا ، فاذا رجعوا عنهم ارتدوا فرأى أن يتخذ مدينة يعتصم بها فاتخذ القيروان وبنى بها المسجد الجامع(١).

ومن القيروان كان عقبة يغزو ويبعث السرايا للاغارة والنهب وقد تتبع ابن خلدون سلسلة فتح العرب لافريقية بعد مرحلة عقبة والقيروان ، فعرض لولاية أبى المهاجر دينار ، ثم ولاية عقبة الثانية فى عهد يزيد واستشهاده على يد كسيلة ، ثم زهير بن قيس البلوى ، فحسان بن النعمان الغسانى سنة ٧٤هـ/٦٩٣م . وفى عهد هشام كان على افريقية والأندلس حبيب ابن أبى عبيدة(٢) بن عقبة بن نافع(٣).

وكان تتبع ابن خلدون لولاية افريقية والمغرب يأخذ أكثر من أسلوب فهو حينا يتتبعه ـ موضوعيا ـ وحين آخر يتتبعه عن طريق حديثه عن ولاة المغرب وافريقية بالتفصيل ، واليا واليا ، فهو يترجم لكل واحد منهم بدءا من معاوية بن خديج(٤)، وعقبة بن نافع ، وأبو المهاجر دينار ، وعقبة بن نافع ثانيا ، وزهير بن قيس البلوى ، وحسان بن النعمان الغسانى(٥). ثم

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص١٢،١٣،١٦٩ .

(٢) حبيب بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع الفهرى من قادة فتح المغرب . قاتل البربر وانتصر عليهم أكثر من مرة ، حاصر صقلية وأخذ الجزية من أهلها .
عنه انظر : الناصرى : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج١ ، ص١٠٩ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص١٧٠،١٧٢،١٧٦ .

(٤) معاوية بن خديج ابن جفنة السكونى . أمير قائد له صحبة ، تولى امارة مصر ليزيد ولى غزو المغرب مرارا وتوفى سنة ٥٢هـ .
عنه انظر : العسقلانى : الاصابة فى تميز الصحابة ، ج٣ ، ص٤١١ .
ورد الاسم هكذا عند العسقلانى وابن خلدون وورد معاوية بن حديج عند ابن الأثير : الكامل ، ج٣ ، ص٤٧ .

(٥) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤ ، ص٢٣٦-٢٣٨ .

موسى بن نصير ، ثم محمد بن يزيد[١]، فاسماعيل بن أبى المهاجر[٢]، فيزيد ابن أبى مسلم[٣]، فبشر بن صفوان[٤]، فعبيدة بن عبد الرحمن[٥]، فعبيد الله بن الحبحاب[٦]، فكلثوم بن عياض ، فحبيب بن عبد الرحمن[٧].

وهو لايترجم لهؤلاء ترجمة تقليدية ، وانما يضع اسمهم عنوانا ويضع تحته اسهامهم فى فتح المغرب .

وعلى سبيل المثال ، تقتبس ترجمته لمعاوية بن خديج التى يقول فيها : "ثم اغزى معاوية بن أبى سفيان معاوية بن خديج السكونى أفريقية سنة أربع وثلاثين ، وكان عاملا على مصر فغزاها ونازل جلولاء[٨]، وقاتل مدد

---

(١) محمد بن يزيد ، مولى قريشى ، ولاه سليمان امرة المغرب والأندلس وكان عادلا مجاهدا . واستمر فى ولايته حتى وفاة سليمان .
عنه انظر : الناصرى : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج١ ، ص١٠٠ .

(٢) اسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر ، مولى بنى مخزوم . ولاه عمر بن عبد العزيز جند افريقية.ومات سنة ١٣٢هـ .
عنه انظر : البستى : مشاهير علماء الأمصار ، ص١٧٩ .

(٣) يزيد بن أبى مسلم الثقفى ، مولى الحجاج وكاتبه وخليفته على العراق بعد موته . توفى سنة ١٠٢هـ .
عنه انظر : ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج١ ، ص١٢٤ .

(٤) بشر بن صفوان الكلبى ، أمير مصر فى عهد يزيد بن عبد الملك ، ثم أمير أفريقية بعد ذلك . توفى فى القيروان .
عنه انظر : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ج١ ، ص٢٤٤ .

(٥) عبيدة بن عبد الرحمن السلمى ، تولى على المغرب فى عهد هشام بن عبد الملك ثم عزله هشام بعد ذلك .
عنه انظر : الناصرى : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج١ ، ص١٠٤ .

(٦) عبيد الله بن الحبحاب . مولى بنى سلول ، ولاه هشام بن عبد الملك على المغرب ، وكان من كبار قادة فتح المغرب والأندلس .
عنه انظر : الناصرى : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج١ ، ص٥ .

(٧) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤ ، ص٢٣٩ ومابعدها .

(٨) مدينة مشهورة فى أفريقية، وهى قديمة مبنية بالصخر ، فتحها عبد الملك بن مروان. عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٢ ، ص١٥٦ .

الـروم الذى جاءها من قسطنطينية .. فغلبهم ، وأقلعوا الى بلادهـم ، وافتتح جلولاء وغنم وأثخن وقفـل"(١). والـواضح أن ابن خلدون أخطــأ فى تحديد تاريخ هذه المعركة اذ وقتها لم يكن معاوية رضى الله عنه خليفة اذ لم يتول خلافـة المسلمين الا فى سنـة ٤١هـ . والصحيـح مـاأورده ابن الأثير عـن هـذه الغزوة التى ذكر أنها وقعت سنة ٤٥هـ(٢).

وفى ترجمتـه لعقبة وأبى المهـاجر يقول : "ثم ولى معـاوية سنة خمس وأربعين عقبـة بن نافع بن عبـد الله بن قيس الفهرى على أفـريقية واقتطعهـا عن معاوية بن خديج ، فبنى القيروان وقاتل البربر وتوغـل فى أرضهم . ثم استعمل معاوية على مصر وأفريقية مسلمة بن مخلد ، فعـزل عقبة عن افريقية وولى مـولاه أبا المهاجر دينـارا سنة خمس وخمسين فغـزا المغرب ، وبلغ الى تلمسان ، وخرب قيروان عقبة وأساء عزله ، وأسلم على يديه كسيلة الأوربى بعد حرب ظفر به فيها"(٣).

وفى أسلـوب آخر يتحدث ابن خلـدون عن المغرب وافـريقية ويتتبـع أخبارها موضوعيا فيعرض لأخبار البربر من سكانه على الجملة من قبل الفتح الاسلامـى ومـن بعـده الى ولاية بنى الأغلـب (١٨٤-٢٩٦هـ/٨٠٠-٩٠٨م)(٤). وهو فى هذا الموضوع يصور حالهم ابان الفتوحات ، وكيف تلقوا أخبارهم

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤ ، ص٢٣٦ .
(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٣ ، ص٤٧ .
(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤ ، ص٢٣٧ .
(٤) المصدر السابق ، ج٦ ، ص١٣٩ .
وبنى الأغلـب وهم أسرة مستنيرة حكمـت افريقية طوال القـرن الثالث الهجرى ، أسسها ابراهيم بن الأغلب بن سالم التميمى الذى ثبته الرشيـد فى ولاية افريقية فى سنـة ١٨٤هـ ولقـد عملـت هذه الأسـرة على نشـر الحضارة الاسلاميـة فى البلاد التى خضعـت لنفوذها وشيدوا المساجد والحصون وشجعوا الآداب والعلـوم والفنون . سقطـت هذه الدولة فى عهد زيادة اللـه بن عبد الله آخر أمـراء بنى الأغلـب سنة ٢٩٦هـ .
السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج٢ ، ص٣٧٢،٤٠٤ .

عن الفتح الاسلامى ، وكيفواجهوا الفتوحات . ولهذا فنحن لانستطيع أن نستغنى عن قراءة هذه الصفحات ونحن نسجل رصدنا لحديث ابن خلدون عن الفتوحات ، وكنموذج لتأكيد هذا المنهج نرصد حديثه عن زهير بن قيس البلوى فى ولاية عبدالملك بن مروان للثأر بدم عقبة سنة ٦٧هـ/٦٨٦م : "ولما استقل يزيد بن معاوية بالخلافة، رجع عقبة بن نافع الى أفريقية سنة اثنتين وستين فدخل أفريقية ، وقد نشأت الردة فى البرابرة فزحف اليهم ، وجعل مقدمته زهير بن قيس البلوى وفر منه الروم والفرنجة فقاتلهم ، وفتح حصونهم ... وفتح أذنه (١) قاعدة الزاب بعد أن قاتله ملوكها من البربر فهزمهم ، وأصاب من غنائمهم وحبس أبا المهاجر فلم يزل فى اعتقاله . ثم رحل الى طنجة فأطاعه يليان ملك غمارة ، وصاحب طنجة وهاداة وأتحفه .. فسار عقبة وفتح وغنم وسبى وأثخن فيهم ...ووقف على البحر المحيط وقفل راجعا" (٢).

ثم يتابع ابن خلدون عرضه للوقائع فيتحدث بتفصيل عن مقتل عقبة على يد كسيلة الذى كان قد ارتد واضطعن على عقبة لمعاملته له ، وقد نجح كسيلة فى حصار عقبة وقتل عقبة فى ثلاثمائة من كبار الصحابة والتابعين (٣).

"ولما ولى عبد الملك بن مروان بعث الى زهير بن قيس بمكانه من برقه بالمدد ، وولاه حرب البرابرة فزحف سنة سبع وستين ودخل أفريقية ولقيه

---

(١) بلد من الثغور قرب المصيصة ، فيها نهر يقال له سيحان . وقد خرج منها جماعة من أهل العلم .
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج١ ، ص١٣٢ .
وردت هكذا (أذنه) فى نسخة تاريخ ابن خلدون التى اعتمدت عليها والصحيح أنها (أربه) . انظر : ابن الأثير : الكامل ، ج٤ ، ١٠٥ .
أربه : اسم مدينة بالمغرب من أعمال الزاب ، وهى أكبر مدينة بالزاب يقال ان حولها ثلاثمائة وستين قرية .
ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج١ ، ص١٤٠ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤ ، ص٢٣٧ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤ ، ص٢٣٨ .

كسيلة على ميس[١] من نواحى القيروان فهزمه زهير بعد حروب صعبة ، وقتله واستلحم فى الوقعة كثير من أشراف البربر ورجالاتهم . ثم قفل زهير الى المشرق زاهدا فى الملك ، وقال : انما جئت للجهاد وأخاف أن نفسى تميل الى الدنيا ، سار الى مصر واعترضه بسواحل برقة أسطول صاحب قسطنطينية جاؤا لقتاله فقاتلهم واستشهد رحمه الله تعالى ... ثم ان عبد الملك بن مروان بعد أن قتل عبد الله بن الزبير وصفا له الأمر ، أمر حسان بن النعمان الغسانى بغزو أفريقية ، وأمده بالعساكر ، ودخل القيروان وافتتح قرطاجنة[٢] عنوة وخربها ، وفر من كان بها من الروم والفرنجة الى صقلية[٣] والأندلس "[٤].

"ثم سار حسان الى الكاهنة[٥] ملكة جراوة بجبل أوراس[٦] ، وهى يومئذ أعظم ملوك البربر ، فحاربها ، وانهزم المسلمون وأسر منهم جماعة ، وأطلقتهم الكاهنة سوى خالد بن يزيد القيسى فانها أمسكته وأرضعته مع ولديها وصيرته أخا لهما . وأخرجت العرب من أفريقية وانتهى حسان الى برقة وجاءه كتاب عبد الملك بالمقام حتى يأتيه المدد . ثم بعث اليه المدد سنة

---

(١) وردت هكذا عند ابن خلدون ، بينما وردت ممش عند ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٤ ، ص١٠٨ .

(٢) بلد قديم فى نواحى افريقية بينها وبين تونس اثنا عشر ميلا ، فتحها حسان بن النعمان فى خلافة عبد الملك بن مروان .
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٣٢٣ .

(٣) جزيرة فى بحر المغرب مقابل أفريقية ، خصبة الأرض كثيرة المياه . فتحها أسد بن الفرات سنة ٢١٢هـ .
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٤١٦ .

(٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤ ، ص٢٣٨ .

(٥) دهيا بنت ماتيه الزناتية ، صاحبة جبل أوراس وكبيرة قومها جراوة والبتر ، قتلها خالد بن يزيد سنة ٧٤هـ .
عنها انظر : الناصرى : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج١ ، ص٩٢-٩٣

(٦) أوراس جبل بأرض افريقية فيه عدة بلاد وقبائل من البربر .
ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج١ ، ص٢٧٨ .

أربع وسبعين فسار الى أفريقية ودس الى خالد بن يزيد يستعمله فأطلعه على خبرهم ، واستحثه فلقى الكاهنة وقتلها وملك جبل أوراس وماليه ، ودوخ نواحيه وانصرف الى القيروان وأمن البربر .. ورجع الى عبد الملك ، واستخلف على أفريقية رجلا اسمه صالح من جنده .. ولما ولى الوليد بن عبد الملك كتب الى عمه عبد الله وهو على مصر ويقال عبد العزيز أن يبعث بموسى بن نصير الى أفريقية... وقدم القيروان وبها صالح خليفة حسان فعقد له ، ورأى البربر قد طمعوا فى البلاد فوجه البعوث فى النواحى ، وبعث ابنه عبد الله[١] فى البحر الى جزيرة ميورقة[٢] فغنم منها وسبى وعاد . ثم بعثه الى ناحية أخرى ... وتوجه هو الى ناحية فغنم منها وسبى وعاد ... ثم غزا طنجة ... وأذعن البربر لسلطانه ودولته ... وذلك سنة ثمان وثمانين "[٣].

وفى تتبع مفصل دقيق يخضع لمنهجية واضحة عرض ابن خلدون لكل الولاة فى افريقية غير هؤلاء الأعلام الفاتحين ، فعرض لمحمد بن يزيد واسماعيل بن أبى المهاجر ، ويزيد بن أبى مسلم ، وبشر بن صفوان الكلبى ، وعبيدة بن عبد الرحمن ، وعبيد الله بن الحبحاب مولى بنى سلول ، وكلثوم ابن عياض الذى ولى سنة ١٢٣هـ/٧٤٠م من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك

---

(١) عبد الله بن موسى بن نصير ، والده موسى من أشهر قادة فتح المغرب والأندلس وقد استعان بابنه عبد الله فى بعض غزواته ، قتله محمد بن يزيد سنة ٩٧هـ . عنه انظر : ابن تغرى بردى : النجوم الزأهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ج١ ، ص٢٣٥ .

(٢) جزيرة فى شرقى الأندلس ينسب اليها جماعة من كبار العلماء ، وهى جزيرة من ثلاث جزر وتسمى الجزائر الشرقية أو جزر البليار .
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٥ ، ص٢٤٦ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤ ، ص٢٣٩ .

وحبيب بن عبد الرحمن [١] الذى هرب من العباسيين ولحق بتونس [٢].

وهكذا عرض لنا ابن خلدون حياة القادة الفاتحين للمغرب والولاة الحاكمين من قبل الخلفاء أو أمير مصر من خلال سرده لفتح بنى أمية فى المغرب واخضاعه لحكمهم .

لكنه - كذلك - يشير الى هؤلاء الولاة حين يجمع "عمال بنى أمية على النواحى" [٣]. فهو يشير الى تولية عمرو بن العاص لعقبة بن نافع ابن خالته على افريقية ، ويشير كذلك الى بعض غزواته ، كما يشير الى ولاية أبى المهاجر ، وولاية عقبة الثانية ، والى بقية الولاة [٤].

فهو بهذا يقدم لنا معلومات عن المغرب من كل الوجوه التى تخدم المادة الحضارية والسياسية ، ويبرز لنا أساليب بنى أمية فى حكم الأمصار التابعة لهم ، وأسلوبهم فى اختيار الولاة .

ومادمنا بصدد الحديث عن منهاج ابن خلدون واضافاته فى تأريخه لفتوحات بنى أمية ، فاننا نذكر ، فيما يتعلق بمنهاج ابن خلدون فى ذكر فتوحات المغرب ، أنه تفرد بميزات لم تتوافر لأية موسوعة تاريخية سابقة أو لاحقة ، من موسوعات التاريخ الاسلامى المعروفة خلال القرون العشرة الأولى من تاريخ الاسلام .

وعلى سبيل المثال فان حديث ابن خلدون عن البربر وأصولهم وأقسامهم وبطونهم وأفخاذهم لم تستطع أن تصل الى عمقه وشموله أية موسوعة أخرى .

---

(١) حبيب بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع الفهرى ، صاحب افريقية وأحد الأمراء الشجعان ، قتل مع جماعة من أصحابه على أيدى الخوارج الاباضية سنة ١٤٠هـ .
الزركلى : الأعلام ، ج٢ ، ص١٦٥ .

(٢) ابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص٢٤٠ ومابعدها .

(٣) ابن خلدون : العبر ، ج٣ ، ص١٦٩ ومابعدها .

(٤) المصدر السابق ، ج٣ ، ص١٦٩ ومابعدها .

ولاشك أن لمغربيته دور فى ذلك ، لكنه حتى بالنظر الى مؤرخى المغرب الاسلامى كان أعظمهم وامامهم .

ان هؤلاء البربر - كما يذكر ابن خلدون - جيل وشعوب وقبائل أكثر من أن تحصى ، وكان دينهم المجوسية . والطريف أن ابن خلدون تتبع تاريخهم قبل الاسلام بقرون كثيرة ، سواء فى ظل السيطرة الرومانية أم فى عصور استقلالهم بملوك منهم . وقد عقد لذلك فصلا تحت عنوان : "الفصل الرابع فى ذكر أخبارهم على الجملة من قبل الفتح الاسلامى ومن بعده الى ولاية بنى الأغلب"(١).

وفى عرضه هذا الذى نهج فيه المنهاج الاجمالى ، أو حسب تعبيره "على الجملة" ذكر كذلك نتفا من حياتهم تحت الفتح الاسلامى وقادة الفتح وعصر الولاة الذى يمثل العصر الأموى . فهو بهذا يقدم لنا المعلومات بطريقة أخرى ، ويقدم فى عرضه هذا تحليلا ووصفا للأوضاع قد لانجده فى عروض أخرى .

وحول أصولهم بسط ابن خلدون القول بتفصيل لم يسبق اليه حول أنساب البربر وأشهر فروعهم ، فتحدث عن الفرعين الكبيرين للبربر ، وهما : البرانس ، والبتر ، وأشهر البرانس صنهاجه ، وأوربه وهوارة ، أما الأغلب من البتر فهم نفوسه وزناته ومطغرة ونفراوة . وكان التقدم لعهد الفتح لأوربة وهم من أولاد أورب بن برنس ، وهم بطون كثيرة ، فمنهم بجاية ونفاسة ونعجة وزهكوجة ومزياتة ورغيوتة وديقوسة(٢).

ويتتبع ابن خلدون الفروع ، فلايكاد يضاهيه فى ذلك الا بعض علماء النسب ، وعلى رأسهم الامام ابن حزم فى كتابه جمهرة أنساب العرب ، أما المؤرخون فهم يمرون على ذكر البربر دون أن يدخلوا هذا البحر الصعب ، بحر الأنساب ومايكتنفه من صعوبات .

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٦ ، ص١٣٩ ومابعدها .
(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٦ ، ص١٩٢ .

وهـو يصف طبيعتهم الثائرة فيقـول : "وانظر ماوقـع من ذلك بافريقية والغرب منذ أول الاسلام ولهذا العهد . فان ساكن هـذه الأوطان من البربر أهـل قبـائل وعصبيـات . فلم يغـن فيهـم الغلب الأول الـذى كـان لابن أبى سرح(١)عليهم وعلى الافرنجة شيئا . وعادوا بعد ذلك الثـورة والردة مرة بعد أخرى ، وعظـم الاثخان من المسلمين فيهم . ولما استقـر الدين عندهم عادوا الى الثـورة والخروج والأخذ بدين الخوارج مرات عديدة ... ارتدت البرابرة بالمغـرب اثنتى عشـرة مـرة . ولم تستقـر كلمـة الاسلام فيهـم الا لعهـد ولاية موسى بن نصير فما بعده . وهـذا معنى مـاينقل عن عمـر أن افـريقية مفـرقة لقلوب أهلها ، اشارة الى مافيها من كثرة العصائب والقبائل الحاملة لهم على عدم الاذعان والانقياد"(٢).

فهـو يقدم لنا دراسة عن البربر تتعلق بأحوالهم قبـل الاسلام وبعده ، وعـاداتهم ومستـواهم الحضارى ، وأنسـابهم ، وطبائعهـم النفسيـة والفكرية وعقـائدهم . وهو يقدم ذلك بتحليل رائع يخضع لمنهجه فى النقـد التاريخى . فضلا عـن تفـوقه على المؤرخين السـابقين باستقصـائه الشـديد لكـل مـايتعلق بالفتـوحات الاسلامية فى افـريقية والمغرب ، وحتى عصـر الـولاة وسقوط بنى أميـة وانتقال الأمر لدولة بنى العباس . وكذلك يمتاز بحديثـه عن الأندلس ، وفضـل البربر فى فتحـه ، وقيـادة طـارق ، وعدد الجيـش الفـاتح ، وأجنـاس الفـاتحين ، وحالة أسبانيا قبـل الفتح ، ويقدم تفاصيـل كثيرة تتصل بجغرافية الأندلس ، حيث يشير ابن خلدون على سبيل المثال الى أن هـذا القطر كانت تسكنه أمم من افرنجة المغرب مئات السنين حتى جاء المسلمون وأكرمهم الله بفتـح هذه الديار ونشروا الاسلام فيهـا ، ثم قدم بعـد ذلـك تفصيلات دقيقة عن ظروف الفتح ، وماتبع الفتح من طموح موسى الى التـوغل فى الأندلس حتى يعـود الى الالتحـاق بدار الخليفـة بعـد الانتهـاء مـن الاستيلاء على القسطنطينية والعودة منها الى دمشق .

---

(١) عبد الله بن سعد بن أبى السرح ، أقام فى الشام ومصر ومات بالرملة سنة ٥٩هـ . عنه انظر : البستى : مشاهير علماء الأمصار ، ص٥٣ .

(٢) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٥٣٦-٥٣٧ .

ثم يتحدث عن عصر الولاة الى سقوط بنى أمية فى المشرق سنة ١٣٢هـ/ ٧٤٩م وظهور عبد الرحمن الداخل وفتحه الأندلس لصالح بنى أمية سنة ١٣٨هـ/٧٥٥م(١). وحتى مدينة سبتة(٢)منزل يوليان وعلاقة الأخير بموسى بن نصير ودوره فى تشجيع المسلمين على فتح الأندلس ، كان له نصيب من فكر ابن خلدون التاريخى(٣).

فالمنهج عند ابن خلدون ـ فيما يتصل بتاريخ المغرب والأندلس ـ يكاد يكون منهاج استقصاء لهذا الركن الغربى من العالم الاسلامى ، وهو الأمر الذى تميز به ابن خلدون بالنسبة لسابقيه من المؤرخين الموسوعيين على الأقل.

ولئن كان ابن خلدون قد بلغ حد الاستقصاء والمنهجية الدقيقة المستوعبة فيما يتصل بتاريخ فتوحات بنى أمية فى المغرب والأندلس ، فانه يكاد يقترب من هذا المستوى فيما يتصل بتتبعه لفتح ماوراء النهر والسند والصوائف والقسطنطينية وهو الأمر الذى يؤكد أصالة منهج ابن خلدون ، وينفى عنه أن يكون عمقه فى تتبع تاريخ المغرب راجعا الى موطنه فى تونس وأصله فى اشبيلية(٤). فالأمر أمر منهاج وليس أمر قرب زمانى أو مكانى بالنسبة لابن خلدون . وقد تتبع ابن خلدون الجهات القتالية عبر موسوعته "العبر" من خلال منهجه القائم على التطور الزمانى والموضوعى ، فحول الصوائف أشار الى جهود بسر بن أرطأة فى أرض الروم ، والى جهود سفيان ابن عوف الأزدى ، ومحمد بن عبد الله الثقفى ، وعبد الرحمن بن أم

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤ ، ص١٤٩-١٥١ .

(٢) مدينة مشهور من قواعد بلاد المغرب تقابل جزيرة الأندلس وهى مدينة حصينة نسب اليها جماعة من أعيان أهل العلم .
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٣ ، ص١٨٢-١٨٣ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٦ ، ص٢٨٢ .

(٤) مدينة عظيمة فى الأندلس غربى قرطبة ينسب اليها كثير من أهل العلم .
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج١ ، ص١٩٥ .

الحكم[١] سنة ٥٣هـ/٦٧٢م ، وجهود جناده بن أبى أمية[٢] فى بلاد الروم وغيرهم[٣].

وقد استعاد المسلمون نشاطهم العسكرى بعد الفتن التى أعقبت وفاة معاوية ومصالحة عبد الملك بن مروان - اضطرار - لصاحب قسطنطينية على أن يؤدى له كل أسبوع ألف دينار زحفت جيوش المسلمين على الروم ، ودوخهم محمد بن مروان سنة ٧٣هـ/٦٩٢م ومابعدها . وقد فتح المسلمون فى العقود الثلاثة التالية عددا كبيرا من مدنهم وحصونهم تتبعها ابن خلدون باستقصاء نادر[٤]. وقد أصبح الروم فى موقف دفاعى ثابت .

"وفى سنة اثنتين ومائة أيام اليزيد (يزيد بن عبد الملك ١٠١-١٠٥هـ/ ٧٢٠-٧٢٤م) غزا عمر بن هبيرة[٥] الروم من ناحية أرمينية[٦] وهو على الجزيرة قبل أن يلى العراق ، فهزمهم وأسر منهم خلقا وقتل منهم سبعمائة أسير . وغزا العباس بن الوليد الروم أيضا ففتحها لسنة . ثم غزا سنة ثلاث

---

(١) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الله بن عثمان بن ربيعة الثقفى وهو ابن أم الحكم أخت معاوية بن أبى سفيان ، ولاه معاوية الكوفة سنة ٥٨هـ .
عنه انظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٣٠٩ .

(٢) جنادة بن أبى أمية الدوسى أدرك الجاهلية ولاصحبة له ، مات فى الشام سنة ٦٧هـ
عنه انظر : البستى : مشاهير علماء الأمصار ، ص١١٢ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص٢٢-٢٣ .

(٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص٨٨ ومابعدها .

(٥) عمر بن هبيرة بن معاوية الفزارى ، أمير العراقين ، كان ينوب ليزيد بن عبد الملك لكن هشاما عزله . مات سنة ١٠٧هـ تقريبا .
عنه انظر : الذهبى : سير أعلامالنبلاء ، ج٤ ، ص٥٦٢ .

(٦) مدينة فى الشمال ، النسبة اليها أرمنى ، حكمها الروم حتى جاء المسلمون . سميت بأرمينا بن لطنا بن أومر بن يافث بن نوح عليه السلام وكان أول من نزلها وسكنها وقيل : هما أرمينيتان الكبرى والصغرى ، ارمينية الكبرى خلاط ونواحيها وارمينية الصغرى تفليس ونواحيها وقيل هى ثلاث أرمينيان وقيل أربع.
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج١ ، ص١٥٩ .

ومائة بعدها فافتتح مدينة رسلة . ثم غزا الجراح الحكمى (١) أيام هشام سنة خمس فبلغ وراء بلنجر (٢) وغنم . وغزا فى هذه السنة سعيد بن عبد الملك أرض الروم وبعث ألف مقاتل فى سرية فهلكوا جميعا . وغزا فيها مروان بن محمد بالصائفة اليمنى ... ثم غزا سعيد بن عبد الملك بالصائفة أيام هشام سنة ست . ثم غزا مسلمة بن عبد الملك الروم من الجزيرة وهو وال عليها ففتح قيسارية (٣)، وغزا ابراهيم بن هشام (٤) ففتح حصنا . وغزا معاوية بن هشام فى البحر قبرس [قبرص] (٥)، وغزا سنة تسع ففتح حصنا آخر يقال له طبسة . وغزا سنة عشر بالصائفة عبد الله بن عقبة الفهرى ، وكان على جيش البحر عبد الرحمن بن معاوية بن خديج . وغزا بالصائفة اليسرى سنة احدى عشرة معاوية بن هشام وبالصائفة اليمنى سعيد ابن هشام ، وفى البحر عبد الله بن أبى مريم" . وقد ظلت الصوائف حتى السنوات الأخيرة من حكم بنى أمية ، ففى سنة ١٢٥هـ/٧٤٢م غزا الوليد بن يزيد (١٢٥-١٢٦هـ/

---

(١) أحد قادة الأمويين حارب الترك سنة ١٠٥هـ وهزمهم وأوغل فى بلاد الخزر وأخذ منهم الجزية وكان واليا على أذربيجان لكن هشاما عزله عنها سنة ١٠٧هـ ثم أعيد عليها سنة ١١١هـ ومات سنة ١١٢هـ .
انظر : ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج١ ، ص١٢٨-١٤٥ .

(٢) مدينة فى بلاد الخزر فتحها عبد الرحمن بن ربيعة واستشهد فيها مجموعة من المسلمين .
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج١ ، ص٤٨٩ .

(٣) بلد على ساحل بحر الشام وهى تعد من مدن فلسطين فتحت قسرا .
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٤٢١ .

(٤) ابراهيم بن هشام ، خال هشام بن عبد الملك ، كان من المقربين لهشام وكان يحج بالناس أحيانا .
عنه انظر : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ج١ ، ص٢٥٤ .

(٥) جزيرة فى بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) .
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٣٠٥ .

٧٤٣-٧٤٤م) بالصائفة أخاه الغمر[١] وبعث الأسود بن بلال المحاربى بالجيش فى البحر الى قبرص ، وغزا أيام مروان بن محمد سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م بالصائفة الوليد بن هشام[٢].

ومن هذا العرض يتضح لنا أن الخلفاء الأمويين بعد استتباب الأمن داخل البلاد عادوا لمواصلة الجهاد . كما أن أمراء البيت الأموى كانوا ـ فى الغالب ـ قادة الصوائف والجيوش وضمن أفرادها ، ولأن الدولة كانت قوية وتدافع عن عقيدة ، فان النصر فى معظم معارك الأمويين كان للمسلمين ، وهذا يدل على قوة الدولة آنذاك ومنحها الاهتمام الكامل لهذه الصوائف وأبرز مظاهر اهتمامها بذلك تولى أمراء البيت الأموى قيادة هذه الصوائف .

كما أن غزو الصوائف شمل فتح المدن والحصون وتولية العمال ، ولأهمية هذه الغزوات فان القادة كانوا ينوعونها فتارة تكون فتوحا برية وأخرى بحرية ، وهذا نوعا من التكتيك العسكرى . وفى جبهة الترك ، رصد ابن خلدون جهود بنى أمية ، وكانت لعثمان بن عبد الله بن مطرف ، والمسيب بن بشر الرياحى ، وغيرهما جهود فى فتح بلاد الترك ، كما كان لمسلم بن سعيد ونصر بن سيار فى عهد هشام بن عبد الملك جهود كذلك[٣]. ويلاحظ أن قائد الفتوحات كان يضطر أحيانا الى استخدام القوة لاخراج الناس للقتال . وأنه كان يحرص على اشراك أعداد كبيرة من المسلمين فى فتوحاته لما كان يلاقيه من الصعاب والمقاومة من الأعداء آنذاك . ومن المؤكد أن الرغبة فى الجهاد كانت هى الدافع لهذه الفتوحات ، فهاهو مسلم بن سعيد يصله كتاب تولية غيره بعد مصاعب ونكبات تعرض لها جيشه ، فاذا به يقول سمعا وطاعة ، ولو كانت رغبته فى الدنيا لقال غير ذلك .

---

(١) الغمر بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ، من رجالات بنى أمية أيام انحلال دولتهم ومطاردة العباسيين لآخر خلفائهم فى المشرق مروان بن محمد وكان الغمر فى فلسطين وأسره عبد الله بن على العباسى بعد معركة بينهما ثم قتله وقتل معه ثمانون رجلا من الأمويين سنة ١٣٢هـ .
الزركلى : الأعلام ، ج٥ ، ص١٢١ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص١٦٦،١٦٨ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص١٠١،١٠٢ .

ومن الملاحظ فى هذه الفتوحات أن القائد كان يحرص على أن لايشرك معه فى القتال الامن هو كفء له .

ومن السلبيات التى نلاحظها أن بعض الأمراء كان يترك الجهاد لرغبته فى جباية الأموال ، وان كانت مثل هذه الرغبة تجد معارضة من بعض المسلمين ، كما أن الدسائس والمؤامرات كانت ظاهرة واضحة فى الأقاليم الاسلامية النائية .

وفى جبهتى ماوراء النهر والسند ، رصد ابن خلدون جهود بنى أمية فيهما باستقصاء لم يعرف فى المصادر الموسوعية السابقة . ففى السند أورد ابن خلدون بعض المحاولات التى سبقت تولية الحجاج لمحمد بن القاسم الثقفى لكن تولية الثقفى كانت أبرز ماوقف عنده ابن خلدون ، بل انه اعتبر ولايته المؤشر الأكبر لفتح السند ، ووضع عنوان "فتح السند" مع بداية ولاية محمد بن القاسم . وقد تتبع ابن خلدون جهود فتح السند منذ هذه المرحلة بدقة كبيرة ، وكأنه يرصد تاريخا حديثا بالنسبة اليه ،فهو يذكر أن الحجاج جهز مع الثقفى ستة آلاف مقاتل فنزل مكران(١)، فأقام بها أياما ، ثم فتح بعض المدن وسار الى الديبل(٢)، "وكان به بد عظيم فى وسط المدينة على رأسه دقل عظيم وعليه راية فاذا هبت الريح دارت فأطافت بالمدينة والبد صنم مركوز فى بناء والدقل منارة عليه وكل مايعبد فهو عندهم بد . فحاصر الديبل ورماهم بالمنجنيق فكسر الدقل فتطيروا بذلك ثم خرجوا اليه فهزمهم وتسنم الناس الأسوار ففتحت عنوة وأنزل فيها أربعة آلاف من المسلمين وبنى جامعها وسار عنها الى النيروز(٣). وقد كانوا بعثوا الى الحجاج وصالحوه

---

(١) هذه الولاية بين كرمان وسجستان والهند ، وهى بلاد واسعة ، أول غزوها كان فى خلافة على بن أبى طالب .
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٥ ، ص١٧٩ .

(٢) مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند .
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٤٩٥ .

(٣) مدينة من نواحى السند بين الديبل والمنصورة .
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٥ ، ص٣٣١ .

فلقوا محمدا بالميرة وأدخلوه مدينتهم وسار عنها وجعل لايمر بمدينة من مدائن السند الا فتحها حتى بلغ نهر مهران(١)، واستعد ملك السند لمحاربته واسمه داهر بن صصه ثم عقد الجسر على النهر وعبر فقاتله داهر وهو على الفيل وحوله الفيلة. ثم اشتد القتال وترجل داهر فقاتل حتى قتل وانهزم الكفار واستلحمهم المسلمون ... ثم استولى على مدائن السند واحدة واحدة وقطع نهر ساسل(٢)الى الملقاد(٣)فحاصرها وقطع الماء فنزلوا على حكمه ، فقتل المقاتلة وسبى الذرية ، وقتل سدنة البلد وهم ستة آلاف وأصابوا فى البلد ذهبا كثيرا فى بيت طوله عشرة أذرع وعرضه ثمانية كانت الأموال تهدى اليه من البلدان ويحجون اليه ويحلقون شعرهم عنده ويزعمون أنه هو أيوب فاستكمل فتح السند"(٤).

وفى جبهة ماوراء النهر تتبع ابن خلدون مراحل الفتح وفترات النشاط وفترات التوقف بسبب أوضاع المسلمين الداخلية .

وكما كانت فترات عبد الملك والوليد وسليمان من أزهى فترات الفتح فى جبهة السند ، فكذلك كان الأمر بالنسبة لما وراء النهر . وكما كانت الفترة الأكثر قوة فى أيام الحجاج وولاية محمد بن القاسم أمر السند ،

---

(٤) موضع لنهر السند وهو نهر عظيم تجرى فيه السفن ويسقى بلادا كثيرة ويصب فى بحر فارس .
عنه انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٥ ، ص٢٣٢ .

(٢) ورد هكذا عند ابن خلدون وعند ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٤ ، ص٥٣٨ نهر بياس وهو الأصح . وبياس نهر عظيم بالسند يؤدى الى مدينة الملتان .
ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج١ ، ص٥١٧ .

(٣) وردت هكذا عند ابن خلدون والصحيح ماورد عند ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج٤ ، ص٥٣٩ الملتان . وهى مدينة من نواحى الهند قرب غزنة بها صنم تعظمه الهند وتحج اليه ويتقرب الى الصنم كل عام بمال عظيم وسمى الملتان بهذا الصنم وعليها حصن منيع فتحها محمد بن القاسم الثقفى .
ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٥ ، ص١٨٩،٢٢٧ .

(٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص٧٦-٧٧ .

فكـذلك كـانت فى جبهـة مـاوراء النهـر ، حين ولى الحجـاج قتيبـة بن مسلم الباهلى .

والحقيقة أنه بنفس القدر من كثافة المعلومات التى عالج بهاابن خلدون جبهـات المغرب والسند ، والـروم ، كذلك كان الأمر بالنسبـة لجبهة ماوراء النهر .

ولقـد بدأ الاهتمام بما وراء النهـر من أيام معاوية ، فقـد ولى معـاوية على خراسـان عبيد اللـه بن زياد ، وبقـى عليها لسنتين (١). وتتـابع الولاه ، حتى ولى قتيبـة سنة ٨٦هـ/٧٠٥م وقيـل انه قدم خراسـان سنة٨٥هـ/٧٠٤م (٢).

وقـد غزا قتيبة عددا من البلاد متوغلا حتى قـدم بخارى (٣)سنة ٨٩هـ/ ٧٠٧م واستـولى عليهـا بعـد جهـاد مـرير ، وتم لـه فتـح الطـالقان (٤) ، وسمرقنـد (٥)، وغزوكـش (٦)، ونسـف (٧)، وأجمـع قتيبـة لغـزو مـدينة كاشغر (٨)سنـة ٩٦هـ/٧١٤م وهى من حدود الصين ، وجرت بينـه وبين ملك

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص١٨ .

(٢) المصدر السابق ، ج٣ ، ص٧٤،٧٥ .

(٣) مـن أعظـم مـدن ماوراء النهر وأجلهـا وهـى مـدينة قديمة كثيرة البسـاتين فتحهـا المسلمون فى خلافة معاوية بن أبى سفيان .
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج١ ، ص٣٥٣-٣٥٦ .

(٤) أكبر مدينة بطخارستان ، لها نهر كبير وبساتين وخرج منهـا جماعة من الفضلاء .
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٦-٨ .

(٥) بلد معروف مشهور وهو قصبة الصغد مبنية على جنوبى وادى الصغد مرتفعة عليه خرج منها جماعة من الفضلاء .
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٢٤٦-٢٥٠ .

(٦) قـرية تقـع على بعد ثلاثة فـراسخ من جرجان ينسب اليهـا عـدد من طلاب العلم .
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٤٦٢ .

(٧) مـدينة كبيرة بين جيحون وسمـرقند ، خرج منها جماعة مـن أهل العلم ، ويتبعها قرى كثيرة .
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٥ ، ص٢٨٥ .

(٨) تقع وسط بلاد الترك ويتبعها قرى كثيرة وأهلها مسلمون .
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٤٣٠ .

الصين مراسلات . وفى سنة ١١١هـ/٧٢٩م ولى الجنيد بن عبد الرحمن خراسان وانتصر على خاقان بسمرقند وأسر ابن أخيه وبعث به الى هشام . وفى سنة ١١٩هـ/٧٣٧م قتل المسلمون خاقان بقيادة أسد بن عبد الله واستولوا على بلاد الختل فى قصة طويلة تتبعها ابن خلدون بتفصيل كبير . وممن ولوا على خراسان فى الحقبة الأموية الأخيرة نصر بن سيار ، وقد قام بجهود كبيرة فى التوطين للاسلام وتثبيت دعائم الدولة الاسلامية فى هذه البقاع(١).

ومن الصعب القيام بعرض كل التفصيلات التى قدمها ابن خلدون فيما يتعلق بما وراء النهر ، فضلا عن البقاع الأخرى التى امتد اليها الفتح الاسلامى ، فالحقيقة أنه قام بتتبع استقصائى لكل هذه الأحداث مستفيدا مما كتبه السابقون .

ومن هذا العرض نستخلص مؤشرات ذات دلالات خاصة ، ذلك أن المتتبع لأحداث فتوحات الدولة الأموية يلمس بجلاء حرص خلفاء الدولة وولاتهم على هذه الفتوحات ، وكانوا يوفرون لها كل ماتحتاج اليه من أدوات القتال ومن الاستعدادات الحربية المتنوعة .

ولقد كان من أهداف هذه الفتوحات نشر الدين الاسلامى بين شعوب الأمصار المفتوحة ولهذا كان بناء المدن والمساجد سببامباشرا فى استقرار المسلمين فى تلك المدن ومن ثم تأثيرهم فى الشعوب المفتوحة .

ولقد أبرز ابن خلدون ـ وهو يتحدث عن فتوحات المشرق ـ الدور الهام الذى أداه الحجاج بن يوسف ، وتسامح القائد قتيبة بن مسلم وغيره من قادة الفتح ، هذا التسامح الذى يرتبط بخضوعهم لحكم الشرع فى معاملة الآخرين ، لكن قوتهم كانت تبدو واضحة عند مطالبتهم بحقوق المسلمين وفك أسراهم ، ومعاقبة المسيئين من أعداهم .

---

(٩) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص٨٥ ، ص١١٠-١١١ ، ص١١٧ ومابعدها

الفصل الرابع

التطور الحضاري للدولة الأموية

في رأي ابن خلدون

* انتشار الاسلام وعروبة الدولة ودورها فى تعريب شعوب الأمصار الاسلامية .
* الحياة الاقتصادية وسك العملة الاسلامية

الحديث عن الجوانب الحضارية فى الدولة الاسلامية لم يلق اهتماما واضحا لدى قدماء المؤرخين المسلمين ، اذ حرص هؤلاء على سرد الوقائع التاريخية البحتة مثل تعيين الخلفاء والولاة ، وسرد أخبار المعارك ، وذكر وفيات البارزين فى الدولة الاسلامية وهكذا .

أما أخبار مآثر الدولة الحضارية مثل الدعوة لله فى الأقطار الاسلامية المفتوحة ، ومشاعر الأقوام الذين دخلوا فى الاسلام ، وبناء المستشفيات والمدارس ، والحديث عن الجوانب الاقتصادية وتشعباتها فى الدولة الاسلامية وتأثير الاقتصاد على حياة الدولة والفرد ، والاشارة للانتاج الزراعى والصناعى ، وعلاقة الدولة بغيرها فى النواحى التجارية وتبادل المصالح مع جيرانها ، ونوعية العلاقة بين الدولة المسلمة وغيرها فى حال السلم والحرب كل هذه الجوانب وسواها من الجوانب الحضارية تكاد تغفلها الموسوعات التاريخية الا ماجاء منها فى اشارات موجزة لاتشفى غليلا ولاتروى ظمأ .

ان هذا المنهج جعل دراسة الجوانب الحضارية عند الدولة الاسلامية ليس بالأمر السهل أو اليسير ، وجعل لزاما على المهتم بهذه الأمور أن يتصيدها تصيدا من ثنايا الأحداث لعله يظفر بشىء منها .

وابن خلدون فى تاريخه لم يختلف كثيرا عن بقية المؤرخين الذين سبقوه كابن الطبرى وابن الأثير وغيرهما ، ولكون هذا الفصل يختص بدراسة التطور الحضارى للدولة الأموية عند ابن خلدون فقد رأيت أن أقتصر على ايضاح الجوانب الحضارية من كتاب ابن خلدون دون المقارنة مع الكتب التاريخية الأخرى لصعوبة هذه المقارنة للأسباب التى أشرت اليها آنفا ، ولعلى أوفق فى تقديم صورة واضحة لحضارة الدولة الاسلامية فى عهد الأمويين .

المبحث الأول

انتشار الإسلام وعروبة الدولة
ودورها في
تعريب شعوب الأمصار الإسلامية

من المعروف لدى كل مسلم أن نشر الاسلام واجب دينى أمر به القرآن والسنة النبوية المطهرة ، وأجزل الله الثواب لكل من يقوم بهذا الواجب ، فقد ورد فى آخر الحديث الذى رواه سهل بن سعد قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : "لأن يهدى بك رجل واحد خير لك من حمر النعم"(١). وكانت المهمة الأولى لنبينا الكريم هى القيام بهذه المسئولية وهى الدعوة الى الاسلام ونشره فى كافة الأقطار حتى تقوم الحجة على الناس أجمعين . وجاء الخلفاء الراشدون فقاموا بهذا الواجب فاتسعت رقعة الدولة الاسلامية ودخل الناس فى دين الله أفواجا . وكان لخلفاء بنى أمية دور بارز فى الفتوحات الاسلامية ، اذ قام الخلفاء بهذا الدور حسب ماكانت تمليه ظروف كل واحد منهم ، وحسب أوضاع الدولة الاسلامية الداخلية اذ أن الفتن والثورات الداخلية أعاقت حركة الفتوحات فترة من الزمن . ومن المعروف أن اتساع رقعة الدولة الاسلامية بلغ مداه أثناء الخلافة الأموية وهذادليل على حرص هؤلاء الخلفاء على بلوغ الاسلام أقصى مداه فى زمن خلافتهم . ومن البدهى أن حركة نشر الاسلام كانت تواكب ـ بدرجة ما ـ حركة الفتوحات اذ ان جزء من سكان المناطق المفتوحة ـ على أقل تقدير ـ يدخل فى الدين الجديد ، خاصة اذا كان القائد حريصا على ادخال الناس فى الاسلام قولا وعملا .

وابن خلدون يضن علينا فى هذا الجانب بأخبار الجهود التى بذلها بعض القادة المسلمين فى نشر الاسلام فى ربوع البلاد التى وصلها المسلمون ، فهو

---

(١) أحمد بن على بن حجر العسقلانى : فتح البارى شرح صحيح البخارى ، تحقيق : الشيخ عبد العزيز بن باز ، (بيروت ، دار المعرفة) ، ج٦ ، ص١١١ .

لايتحدث عن هذه المسألة حديثا صريحا ، لكننا سنحاول الحديث عن هذه المسألة من خلال استنطاق بعض النصوص التاريخية التى أوردها فى ثنايا تاريخه .

لقد كانت الفتوحات الاسلامية فى المغرب فى زمن مبكر من تاريخ الاسلام ، وكان لهذه الفتوحات أثر فى دخول بعض كبار القوم فى دين الله فقد ذكر ابن خلدون أن قبائل مغراوة كانت من أكبر قبائل زناتة وقد أسلم ملكها وأسلم معه قومه ، وقد وفد هذا الملك على أمير المؤمنين عثمان بن عفان فأكرمه وأحسن استقباله فعاد الى بلاده "محبورا مغتبطا بالدين مظاهرا لقبائل مضر"(١).

وواصل الرجل الصالح عقبة بن نافع مهمة الدعوة الى الله فى بلاد المغرب ، فحارب بعض قبائلها مثل : لواته ومزاته فأطاعوه ودخلوا فى الاسلام لكنهم عادوا مرة أخرى الى كفرهم مما اضطره لمحاربتهم وتأديبهم(٢).

وقد أدرك عقبة بثاقب بصيرته أن بناء قاعدة راسخة للدعوة الاسلامية فى المغرب قد يحقق كثيرا من المصالح الاسلامية لأن الشعوب المفتوحة ستجد عندها باستمرار منارة هادية فى طريق الاسلام .

ومن هذا الفهم الذى نعتقد أن عقبة يتميز به نجده بنى مدينة القيروان وبنى فيها مسجدا جامعا كان فاتحة خير لأهل هذه المنطقة حيث دخل معظم البربر فى دين الله ورسخ الايمان فى قلوبهم(٣).

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٧ ، ص٣٤ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص١٦٩ . وانظر كذلك : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٣ ، ص٤٦٥ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص١٣ . وانظر كذلك : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٢٤٠ الا أنه لم يذكر شيئا عن انتشار الاسلام فى هذه المنطقة ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٣ ، ص٤٦٦ .

وفى سنة ٥٥هـ/٦٧٤م استعمل معاوية مسلمة بن مخلد على أفريقية ومصر فأوكل الى مولاه أبى المهاجر أمر أفريقية فغزا المغرب وتلمسان وأسلم على يديه كسيلة الأوربى أحد قادة البربر بعد حروب شديدة وقعت بينهما . وقد عاد البربر الى الكفر بعد الاسلام فقاتلهم عقبة سنة ٦٢هـ/٦٨١م وكان يزيد قد عينه مرة أخرى واليا على افريقية ، وواصل زحفه حتى وصل الى طنجة وبلاد السوس والمصامدة ، ولما وصل الى المحيط قفل راجعا(١).

وواصل عبد الملك بن مروان مهمة الدعوة الى الله فى المغرب فأرسل حسان بن النعمان الغسانى الى افريقية سنة ٧٩هـ/٦٩٨م فقاتل مشركيها قتالا شديدا ، واستطاع الانتصار على كاهنتهم القوية المراس دهيا بنت ماتيه وقتلها بجبل أوراس ، وعند ذلك "استأمن اليه البربر على الاسلام والطاعة وعلى أن يكون منهم اثنا عشر ألفا مجاهدين معه ، فأجابوا وأسلموا وحسن اسلامهم"(٢).

لقد كان حسان فطنا عندما اشترط عليهم أن يجاهد معه هذا العدد الكبير منهم لأنه يدرك أن بقاء هؤلاء فترةطويلة مع المسلمين القدامى سيؤثر عليهم ، ويجعل الاسلام يرسخ فى قلوبهم ، فيأمن بذلك عودتهم الى الكفر مرة أخرى . ومع أن حسانا قتل الكاهنة وأزال ملكها فان ابنيها لحقا بحسان وأسلما وحسن اسلامهما . ولما تأكد حسان من استقامتهما على شرع الله

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤ ، ص٢٣٧ . وانظر كذلك : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٢٤٠ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٤ ، ص١٠٥-١٠٧ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٦ ، ص١٤٣ . وانظر كذلك : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٤ ، ص٣٧٢ .

أمرهما على قومهما ومن انضم اليهم فى جبل أوراس[١].

لقد كان أسلوبا دعويا جيدا من حسان عندما عين ابنى الكاهنة أميرين على قومهما لأنه كان يدرك - وقد حسن اسلامهما - أنهما سيؤثران على قومهما تأثيرا حسنا وسيدخل الناس فى دين الله وهذا مانرجح أنه حدث فعلا .

ومضى الوليد بن عبد الملك على سيرة أسلافه ففى سنة **٩١هـ/٧٠٩م** أقطع بلدة نكور لصالح بن منصور الحميرى وكان يلقب بـ"العبد الصالح" وقد اجتمعت قبائل غمارة وصنهاجة عنده واسلموا على يده ، وانتشر الاسلام بينهم .

ولم تقف جهود الخلفاء الامويين عند هذا الحد فى دعوة الأفارقة الى الاسلام ، فعندما جاء عمر بن عبد العزيز اختار رجلا حسن السيرة هو اسماعيل بن عبد الله بن أبى المهاجر ليكون أميرا على افريقية ، وكانت سيرته الحسنة سببا فى اسلام جميع البربر فى أيامه[٢].

لقد كان دعاة المسلمين من قادة الفتوحات الاسلامية يؤكدون على أهمية ايجاد مراكز ثابتة للدعوة الاسلامية فى المناطق المفتوحة لأن هذه المراكز لها صفة الاستمرار والاشتهار ، ويقصدها المسلمون من كل مكان للاستفادة منها . وكانت الجوامع من أهم هذه المراكز ، ومعروف دور الجامع فى الدولة الاسلامية، ولهذا كان يحرص هؤلاء القادة على بناء جامع فى كل مدينة يدخلونها فاتحين .

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٧ ، ص١٣ .
(٢) المصدر السابق ، ج٤ ، ص٢٤٠ .

لقـد ذكر ابن خلدون رواية بناء جامع تونس الذى بنـاه عبيد الله بن الحبحـاب سنة ١١٤هـ/٧٣٢م عنـدما كان واليا على أفريقيـة من قبل هشام بن عبد الملك(١). والغـــريب أن الطبرى وابن الأثير أغفلا هـــذا الحدث على أهميتـه فى مجال الدعوة وثبـات الاسلام فى تلك المنطقـة ، ولعل اهتمام ابن خلدون بتاريخ تلك المنطقة أكثر من غيره يكون مبررا لتفـرده بهذه الرواية .

ولما ولى طـارق بن زياد على طنجة "أنزل معه سبعـة وعشرين ألفا من العرب واثنى عشر ألفا من البربر ، وأمرهم أن يعلموا البربر القـرآن والفقه ثم أسلم بقية البربر على يد اسماعيل بن عبد الله بن أبى المهـاجر سنة احدى ومائة"(٢).

وكمـا كـان تصـرف طارق بن زياد سببـا بارزا فى استقـرار الاسلام فى تلـك المنطقة ، فقد كان تصـرف بعض الولاة وسوء معاملتهـم لسكان المناطق المفتـوحة سببا فى ارتداد هـؤلاء عن الاسلام ومحاربتهـم للمسلمين ، فقد ذكر الطبرى وابن الأثير وابن خلـدون أن يزيد بن أبى مسلم لما ولى أفـريقية سنة ١٠١هـ/٧١٩م أسـاء السيرة فى البربر ، وفرض الجزية على مـن أسلم منهم ، ولم يطـق هـؤلاء تحملا لهذا الظلم الفـادح ، فثاروا عليه ، وقتلـوه بعـد شهر من قدومه عليهم(٣). وكـرر محمد بن عبيد الله والى طنجة مافعلـه يزيد وأراد أن يأخذ الخمـس على المسلمين مدعيا أن هذا الخمس هـو الفىء الذى أحله الله وهو يعرف ـ فيما نعتقد ـ أنه ظالم لهم ، ولما عرف هـؤلاء بما يريد فعله

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤ ، ص٢٤١ .

(٢) ابن خلـدون : تاريخ ابن خلـدون ، ج٦ ، ص١٤٤ . وانظر كـذلك : ابن الأثير : الكـامل فى التـاريخ ، ج٤ ، ص٥٤٠ ، أمـا الطبرى فلم يذكـر شيئـا الا اشـارة عن طارق بن زياد ، انظر : ج٦ ، ص٤٦٨،٤٨١ .

(٣) ابن خلـــدون : تاريخ ابن خلـدون ، ج٤ ، ص٢٤٠ . وانظـر كـذلك : الطبر ى: تاريخ الـرسل والملوك ، ج٦ ، ص٦١٧ ، ابن الأثير : الكـامل فى التاريخ ، ج٥ ، ص٥٥ .

أجمعوا على الخروج عليه(١).

وكما حرص ولاة بنى أمية على نشر الاسلام فى المغرب فقد حرصوا كذلك على نشره فى بلدان المشرق ، ومع أن ابن خلدون وغيره من المؤرخين لم يوردوا الا أخبارا قليلة جدا عن هذا الموضوع ، الا أننا نستطيع أن نرجح أن ولاة المسلمين فى تلك المناطق أدوا دورا هاما فى الدعوة الاسلامية بدليل انتشار الاسلام فى تلك المناطق ابان الخلافة الأموية .

ولقد ذكر ابن خلدون وغيره من المؤرخين أن عمر بن عبد العزيز كتب الى ملوك السند يدعوهم الى الاسلام فأسلموا فعاملهم كالمسلمين . وفى عهد هشام أسند امرة السند الى الجنيد بن عبد الرحمن فقاتل من ارتد من أهلها ، ثم قام ببناء مدينة للمسلمين سماها "المحفوظة" ، وبنى بعده عمر بن محمد بن القاسم مدينة أخرى سماها "المنصورة"(٢).

ويبدو أن مسألة الجزية كانت من العوامل الهامة فى دخول الناس أو خروجهم من الاسلام ، فعندما يصر بعض الولاة على أخذ الجزية ممن أسلم بحجة عدم التثبت من ايمانهم خشية أن يكون اسلامهم لتحاشى دفع الجزية ، لذلك كان طبيعيا أن يكون رد فعل هذه الفئة مباشرا وقويا اما بالثورة على الولاه احتجاجا على سوء مسلكهم أو ربما اتخذ احتجاجهم طابعا أكثر تطرفا وذلك بارتدادهم عن الاسلام كلية .

ولهذا رفض الخليفة عمر بن عبد العزيز أخذ الجزية ممن أظهر الاسلام وصلى مع جماعة المسلمين وكتب الى ولاته بذلك ، ومن هؤلاء الولاة الذين كتب لهم الجراح عامله على خراسان الذى كان يأخذ الجزية من المسلمين فقال له : "انظر من صلى قبلك فخل عنه الجزية" . ولما تظاهر

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤ ، ص٢٤١ . وانظر كذلك : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٥ ، ص١٩٠-١٩١ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص٨٤ . وانظر كذلك : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٤ ، ص٥٩ .

البعض بالاسلام فرارا من الجزية - كما اعتقد الجراح - امتحنهم بالختان ، فلما علم عمر بذلك كتب اليه : "ان الله بعث محمدا داعيا ولم يبعثه خاتنا"(١).

وكما فعل عمر بن عبد العزيز فى رفع الجزية عمن أسلم فقد فعل الشىء نفسه نصر بن سيار والى خراسان ، فعندما تولى امرتها سنة ١٢٠هـ أزال الجزية عمن أسلم من أهلها(٢).

ويبدو أن قضية الجزية كانت مصدر ازعاج كبير لحديثى الاسلام فهم يرون أنها ظلم يجب أن يزول ، فكيف يكونون من المسلمين والجزية تؤخذ منهم ، ولهذا كانوا يشترطون على ولاتهم رفع الجزية عنهم فى حال اسلامهم ، ولهذا نرى أن أهل سمرقند استجابوا لدعوة الاسلام سنة ١١٠هـ/٧٢٨م شرط أن توضع الجزية عنهم ولما علم القائم على خراج سمرقند بهذا كتب الى الوالى يقول له : "بلغنى أن أهل الصغد وأشباههم لم يسلموا رغبة ، وانما أسلموا نفورامن الجزية فانظر من اختتن وأقام الفرائض ، وقرأ سورةمن القرآن فارفع خراجه"(٣).

اننا ونحن نتلمس بعض جوانب الدعوة الى الله ونشر الاسلام فى بعض المناطق التى تم فتحها فى عهد الدولة الأموية لابد أن نشير الى أن الظلم الذى كان يمارسه بعض الولاة والمتمثل معظمه فى أخذ الجزية ممن أسلم كان يدفع بهذه الفئة من المسلمين للكفر ومحاربة الجيوش الاسلامية . ولقد حاول بعض الخلفاء الصالحين كعمر بن عبد العزيز أن يقضى على هذه الظاهرة

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص٩٥ . وانظر كذلك : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٥٥٩ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٥ ، ص٥١ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص٨٤ . وانظر كذلك : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص١٧٣ ، ابن الأثير : الكامل ، ج٥ ، ص٢٣٦ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص١٠٩ . وانظر كذلك : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٥٤-٥٦ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٥ ص١٤٧-١٤٨ .

السيئة ، فأكد على ولاته أن يحسنوا الظن بالمسلمين ، وأن يضعوا الجزية عمن أسلم ، فانتشر الاسلام فى عهده ، لكن بعض من أتى بعده كان يؤكد روح الظلم والقهر وينشر رائحة الاستعباد بين المسلمين بفرض الجزية عليهم بدعوى الشك فى ايمانهم أو نقص موارد الدولة عندما تسقط الجزية عن فئة كبيرة من الناس ، فهذا والى سمرقند علم أن عماله أسلموا وبنوا المساجد ـ وهذا مما يؤكد اسلامهم ـ لكنه أصر على أخذ الجزية منهم ، ولما رفضوا دفعها قاتلهم فاجتمعوا فى سبعة آلاف رجل وانضم اليهم عدد من قادة المسلمين ممن كان مقتنعا بصحة اسلامهم ، ولما رأى والى سمرقند هذا الحشد توقف فترة عن قتالهم ، ثم عاد بعد ذلك ووضع الجزية عليهم حتى اضطر أهل الصغد(١) وبخارى الى الكفر(٢).

اننا نقع فى حيرة كبيرة من تصرف هؤلاء الولاة وكذلك من سكوت الخلفاء على هذه الظاهرة السيئة ، فهل يجهل هؤلاء الولاة حقائق الاسلام؟ وهل تبلغ هذه الأخبار والتجاوزات أسماع الخلفاء؟ ومع هذه التجاوزات فانه "يعود للأمويين فضل نشر الدين الاسلامى فى الجناح الشرقى والغربى من الدولة الاسلامية ، واذا كان الأسلوب الذى اتبعه الأمويون لايطابق أسلوب الخلفاء الراشدين تماما الا أنهم ساروا على هديهم فى كثير من الأمور"(٣). ولهذالانستغرب انتشار الفتوحات فى معظم أرجاء الأرض فى زمن الخلفاء الأمويين ولانستغرب كذلك انتشار الاسلام بين معظم أفراد تلك الأمم المفتوحة .

---

(١) هى قرى متصلة من سمرقند الى قريب من بخارى وقصبتها سمرقند وهى كثيرة الأشجار غزيرة الأنهار وقد نسب الى الصغد طائفة كثيرة من أهل العلم . عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٤٠٩-٤١٠ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص١٠٩ . وانظر كذلك : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٥٤-٥٦ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٥ ص١٤٧-١٤٨ .

(٣) نجدة خماش : الادارة فى العصر الأموى ، (دار الفكر : ١٣٩٨هـ) ، ص١٣٤-١٣٥ .

وكما ساعد الأمويون على انتشار الاسلام فى أقطار العالم الاسلامى فقد ساعدوا كذلك على نشر اللغة العربية وعلى أوسع نطاق . ومعلوم أن اللغة العربية والدين مقترنان لايكاد ينفك أحدهما عن الآخر ، فالمسلم يحرص على تعلم لغة القرآن ليفهمه بهذه اللغة التى نزل بها ، كما يحرص كذلك على فهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك تاريخ الاسلام ، وكل هذا كتب بلغة العرب . واذا أضفنا الى هذا ماقرره ابن خلدون من أن الناس تبع لسلاطينهم فى الغالب ، ولما كانت لغة السلطان عربية ، فقد صار استعمال اللغة العربية دليلا على طاعة السلطان ، ولهذا هجر الناس لغتهم الأصلية وتمسكوا باللسان العربى ، "وصارت الألسنة العجمية دخيلة فيها وغريبة"(١).

ويبدو أن سرعة انتشار الاسلام فاقت سرعة انتشار اللغة العربية لأن المشرك كان يدخل فى الاسلام أولا ثم يبدأ رحلة البحث عن اللغة ليتعلم بها قواعد دينه ، ولهذا "كان انتشار اللغة العربية فى بعض المناطق أبطأ من انتشار الاسلام كما سنلاحظ فى بعض الولايات الشرقية فى فارس وأصبهان وفى مصر كذلك"(٢).

وقد انفرد ابن خلدون بالحديث عن غلبة اللسان العربى فى المغرب ، وعلل ذلك بقوله : "والسبب فى ذلك أن اللسان العربى كان غالبا لغلبة دولة العرب وظهور الملة العربية(٣)، فالكتاب والخط بلغة الدولة ، ولسان الملك ، واللسان العجمى مستتر بجناحه مندرج فى غماده"(٤).

اننا ندرك بداهة أن انتشار العرب فى أقطار الأرض المفتوحة يؤدى الى أخذ تلك الشعوب بعادات المسلمين ، والحرص على فهم لغة العرب والتحدث بها .

---

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٩٠٠،٩٠١ .
(٢) نجدة خماش : الادارة فى العصر الأموى ، ص١٥٣ .
(٣) لعله يقصد : الدين الاسلامى فاستعمل هذا المصطلح بصورة خاطئة .
(٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٧ ، ص٨١ .

كما أن بناء المدن وجعلها موطنا للمسلمين يؤدى الى تعريب الشعوب التى تسكن فى تلك المناطق ، وقد حرص عقبة بن نافع على بناء القيروان وأنزل فيها جموعا من عساكر المسلمين(١).

ان استصحاب العرب الى المدن المفتوحة واسكانهم فيها يشجع على تعريب تلك الشعوب ـ كما ذكرنا ـ وقد حرص خلفاء بنى أمية على هذه المسألة كثيرا ، ويبدو أن أمراءهم كانوا يدركون أهمية استصحاب العرب الى تلك المناطق الأعجمية ، فقد وافق ابن خلدون الطبرى وابن الأثير فى أن طارق بن زياد أجاز البحر سنة اثنتين وتسعين فى ثلاثمائة من العرب ، وقد فعل موسى بن نصير كما فعل طارق اذ "نهض من القيروان سنة ثلاث وتسعين من الهجرة فى عسكر ضخم من وجوه العرب والموالى وعرفاء البربر"(٢).

وكان الولاة الصالحون يحرصون على تعليم الناس القرآن والفقه ليتعلموا أمور دينهم من جهة ، ولتتعرب ألسنتهم من جهة أخرى ، وقد أشار ابن خلدون الى هذا فذكر أن موسى بن نصير ولى طارقا على طنجة وأرسل معه عددا من العرب والبربر "وأمرهم أن يعلموا البربر القرآن والفقه . ثم أسلم بقية البربر على يد اسماعيل بن عبد الله بن أبى المهاجر سنة احدى ومائة"(٣).

ومن الأمور الهامة التى قام بها الأمويون وأدت الى تعريب اللسان العربى ، وجعلت الناس يحرصون على تعلم العربية تعريب الدواوين وقد

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص١٧٠ . وانظر كذلك : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٢٤٠ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٣ ، ص ٤٦٥ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤ ، ص١٥٠ . وانظر كذلك : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٤٦٨ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٤ ، ص٥٦١،٥٦٤ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٦ ، ص١٤٤ .

كانت قبل تعريبها تكتب بالفارسية فى العراق والرومية فى الشام ، واستمر الحال على هذا المنوال بعد الاسلام، ولما جاء عبد الملك بن مروان رأى أن مصلحة الدولة وامكاناتها توجب عليها أن تعرب الدواوين وتجعلها بلغة العرب فأمر عبد الملك "والى الأردن لعهده أن ينقل ديوان الشام الى العربية فأكمله لسنة من يوم ابتدائه ،ووقف عليه سرجون كاتب عبدالملك ، فقال لكتاب الروم اطلبوا العيش فى غير هذه الصناعة فقد قطعها الله عنكم . وأما ديوان العراق فأمر الحجاج كاتبه ... أن ينقل الديوان من الفارسية الى العربية ففعل ، وَرغِمَ لذلك كتاب الفرس"(١).

وقد علق ابن خلدون على هذا العمل الذى قام به عبد الملك بن مروان بقوله : "وهذه الوظيفة جزء عظيم من الملك ، بل هى ثالثة أركانه ، لأن الملك لابد له من الجند والمال والمخاطبة لمن غاب عنه ، فاحتاج صاحب الملك الى الأعوان فى أمر السيف وأمر القلم وأمر المال فينفرد صاحبها لذلك بجزء من رياسة الملك"(٢).

وفى مضمار التعريب الذى قام به الأمويون اهتموا بتعريب السكة "وهى الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس"(٣)، ويذكر ابن خلدون أن العرب كانوا يتعاملون بالدنانير الفارسية ، ولما كثر الغش فيها أمر عبد الملك الحجاج أن يضرب الدراهم وأن يميز بين المغشوش والخالص وكان ذلك سنة ٧٤هـ/٦٩٣م وكتب عليها "الله أحد الله الصمد"(٤). واستمر الحال على هذا المنوال فى الكتابة باللغة العربية على الدراهم والدنانير ، فكان يكتب على أحد الوجهين أسماء الله والصلاة على النبى ، وعلى الوجه الآخر اسم الخليفة وتاريخ سك العملة(٥).

---

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٧٧ .
(٢) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٦٧٨ .
(٣) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٧٠٠ .
(٤) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٧٠١ .
(٥) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٧٠٢ .

ان عمليـة تحويل الدواوين الى اللغة العربية جعـل مجموعة من الناس يقبلون على تعلم اللغة العربية بحكم حرصهم على العمـل فى هذه الدواوين ، كما أن عملية اتخاذ عملة عربية يكتب عليها بالخط العربى يعتبر كذلك خطوة هامة على طريق تأكيد أصالة اللغة وأنها صالحة للانتشار .

لقـد عـزا ابن خلدون مسألـة قيـام عبد الملك بتعـريب الـدواوين الى ظهور مجموعة من الكتاب المهرة فى العرب ومواليهم(١)، لكن الدكتور محمد أمين صالح يرى أن السبب الحقيقى فى هذا التحول هو اعتزاز الدولة بلغتها وحرصها على أن تكون هذه اللغة هى اللغة الرسمية وهى جديرة بذلك(٢).

كمـا يرى أمين كذلك أن "من نتائج تعريب الدواوين وجعـل العربية هى اللغة الرسمية فى الدولة ، اقبال الكتاب من غير العرب على تعلم العربية كى يستمروا فى عملهم بالـدواوين ، وفى تعـريب ألسنـة الشعـوب المختلفـة الداخلة فى نطاق الدولة مسلمين أو غير مسلمين ، وصارت من بعد لغة العلم والثقـافة ، وعلمـامن أعلام الحضـارة الاسلاميـة فى العصـور الـوسطى"(٣).

وقد أكد ضياء الدين الريس أنه لولا تعريب الدواوين لبقيت اللغات الأجنبيـة منافسة للغة العربية ، ولانتشرت هذه اللغـات ، وضعف شأن اللغة العربية وبالتالى سيؤدى الى ضعف تكوين الدولة(٤).

وأخيرا فـان ابن خلدون لم يتحـدث مباشرة عن الخطـوات التى اتخذها الأمـويون لنشر اللغة العربيـة وانما اكتفى بايراد بعض الـوقائع التاريخية التى تشير بصورة أو بأخرى الى اهتمام ولاة بنى أمية بلغـة القرآن . وقد حاولت

---

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٧٦-٦٧٧ .

(٢) محمد أمين صالح : العرب والاسلام من البعثة النبوية حتى نهاية الخلافة الأموية ، (القـاهرة ، مطبعة جامعة القـاهرة والكتاب الجامعى ، نشـر مكتبـة نهضة الشرق : ١٩٨٠م) ، ص٢٨٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص٢٩١ .

(٤) محمد ضياء الدين الريس : عبد الملك بن مروان والدولة الأموية ، (ط٢ ، مطابع سجل العرب : ١٩٦٩م) ، ص٢٢٤ .

- فيما ذكرته سابقا - أن استنطق هذه النصوص لعلها تقودنى الى ماذهبت اليه من حرص واهتمام ولاة بنى أمية على نشر لغة القرآن ونشر الدين الاسلامى بين أقطار البلاد المفتوحة فى عهدهم ولعلى أكون قد وفقت فى ذلك.

المبحث الثاني

الحياة الاقتصادية
وسك العملة الإسلامية

الحياة الاقتصادية
وسك العملة الإسلامية

ان المكانة الاقتصادية لأى دولة من الدول تعتمد بالدرجة الأولى على ايجاد معادلة دقيقة بين ايرادات الدولة وبين مصروفاتها . فاذا اختلت هذه المعادلة بحيث أصبحت نفقات الدولة تزيد كثيرا عن دخلها ضعفت الدولة واختل ميزانها الاقتصادى وأصبحت معرضة للانهيار ، وبالعكس فيما لو زاد دخلها على نفقاتها فانها فى هذه الحالة ستكتسب قوة مالية تجعل اقتصادها العام فى ذروته .

ومن هنا حرصت الدول الحديثة على اجراء ميزانيات لها كل سنة لمعرفة معدل الانفاق العام مقارنا مع الدخل العام لتحدد بدقة مدى قدرتها الاقتصادية وامكاناتها فى ادارة شئون حياتها العامة.

لكننا بطبيعة الحال لانجد مثل هذه الدقة فى معرفة قوة الحياة الاقتصادية عند الدولة الأموية ، كما أننا لم نجد عند ابن خلدون حديثا صريحا عن الحياة الاقتصادية عند الدولة الأموية وانما كان يورد بعض الروايات التاريخية التى تعطى مؤشرات لهذه الناحية . وقد حاولت قدر الامكان أن أتلمس جوانب الحياة الاقتصادية من خلال دراسة هذه النصوص ومعرفة مراميها .

ففى مجال ايرادات الدولة نجد أن معظمها كانت تتركز فى الغنائم التى يحصل عليها الجيش الاسلامى من المدن المفتوحة بعد نهاية كل معركة يحقق فيها الانتصار .

وكانت هذه الغنائم بكل أشكالها تدخل خزينة الدولة ثم يعاد توزيعها مرة أخرى بحسب ماهو متبع فى توزيع الفىء فى أغلب الأحيان .

ذكر ابن خلدون أن أسد بن عبد الله حارب الترك الذين كان يقودهم خاقان وهزمهم واستاق منهم مائة وخمسين ألفا من الشياه ودواب كثيرة (١).

أما المهلب بن أبى صفرة فقد غزا العجم وحاصرهم فصالحوه على نيف وعشرين ألف ألف ، ثم قاتل أهل خجنده (٢) فصالحوه ، ثم أهل سمرقند وخوارزم (٣) فصالحوه كذلك (٤).

ان المسلمين كانوا يغنمون فى بعض الأحيان مبالغ كبيرة اذا قيست بعصرهم ، فقد ذكر ابن خلدون أن محمد بن القاسم حارب ملوك السند وهزمهم ، وكسب فى هذه المعركة ذهبا كثيرا ، وقد بعث بالخمس الى الدولة فكان هذا الخمس مائة وعشرين ألف ألف (٥). وبعملية حسابيةبسيطة ندرك أن غنيمة الدولة فى هذه المعركة كانت ستمائة مليون درهم .

ان هذه الأموال التى كانت تأتى من المشرق شكلت موردا هاما لخزينة الدولة الأموية ، ويبدو أنها كانت كبيرة جدا ، ففى عهد هشام كان الجنيد بن عبد الرحمن واليا على السند ، وقد حاصر الجنيد مدينة من أعمال الهند وغنم منها بعد فتحها أربعين ألف ألف درهم سوى ماحمله منها (٦).

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص١١٨ . وانظر كذلك : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص١٢٣ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٥ ، ص٢٠٥ .

(٢) بلدة مشهورة بما وراء النهر على شاطىء سيحون وفى وسطهانهر جار ، وهى فى غربى نهر الشاش متاخمة لفرغانة ، وينسب اليها جماعة وافرة من أهل العلم . عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٣٤٧-٣٤٨ .

(٣) خوارزم ليس اسما للمدينة انما هو اسم للناحية بجملتها وأكثر ضياعها مدن ذات أسواق وخيرات ودكاكين ، وينسب اليها العديد من العلماء والأعلام .
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٣٩٥-٣٩٨ .

(٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص وانظر كذلك : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج٥ ، ص٤٧٣ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٤ ، ص٩٧ .

(٥) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص٧٧ ، وانظر : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٤ ، ص٥٣٦-٥٣٩ .

(٦) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص٨٤ . وانظر كذلك : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٤ ، ص٥٩٠ .

وفى عهد هشام كذلك انطلق حبيب بن أبى عبيدة غازيا الى المغرب فبلغ السوس الأقصى وأرض السودان وغنم من هذه المناطق الشىء الكثير من الذهب والفضة والرقيق(١).

ان هذه الأموال المتنوعة التى كانت تجبى الى خزينة الدولة كانت تمثل حصيلة خزينة الدولة ، كما كانت تمثل الدخل العام الذى تنفق الدولة منه على احتياجاتها الكثيرة .

ان سعة الرزق كانت تتضح أحيانا فى ولايات الدولة وبعض مناطقها ، ونحن نرجح أن كل ولايات الدولة كانت تتمتع بقدر كبير من الرفاهية ،وهذا الترجيح جاء من أن أى دولة اذا كانت غنية فان هذا الغنى يصل بطبيعة الحال الى أجزائها الأخرى .

ان البحرين كانت ترسل الطعام الى الحرمين ، فلما استولى عليها (نجدة)(٢)، وكان ثائرا على الدولة قطع الميرة عن الحرمين ، ويبدو أن أهل الحرمين تضرروا من ذلك فكتب له ابن عباس يدعوه الى مواصلة اعطائهم الميرة ، وذكره أن الرسول صلى الله عليه وسلم طلب من ثمامة بن أثال(٣) وكان قد أسلم وقطع الميرة عن أهل مكة أن يواصل اعطاءهم مع أنهم مشركون فاستجاب ثمامة لذلك ، وقال له : "وانك قطعت الميرة ونحن مسلمون فخلاها لهم نجدة"(٤).

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤ ، ص٢٤١ . وانظر كذلك : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٥ ، ص١٩٠-١٩١ .

(٢) نجدة بن عامر من زعماء الخوارج الذين شكلوا فرقة تحمل اسمه (النجدية) سيطر على نصف الجزيرة العربية . كان مركزه فى اليمامة لكنه مد نفوذه الى البحرين وصنعاء وحضرموت . قتل سنة ٧٢هـ .
عنه انظر : عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادى : الفرق بين الفرق ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، (بيروت ، دار المعرفة) ، ص٨٧ ومابعدها .

(٣) ثمامة بن أثال بن النعمان اليمانى ، أسلم وله صحبة ، وقاتل المرتدين مع العلاء ابن الحضرمى ومات مقتولا .
عنه انظر : العسقلانى : الاصابة فى تميز الصحابة ، ج١ ، ص٢٠٤ .

(٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص١٨٥ .

ان هذه الحادثة تدل على تمتع أهل منطقة البحرين بحياة اقتصادية هانئة والا لما تمكنوا من ارسال المساعدات الى الحرمين كل سنة ، على أن المساعدات الاقتصادية التى كانت ترسل الى الحرمين من البحرين كانت تعترضها بعض الصعوبات الأمنية أحيانا فيصعب وصولها .

وكان مصدر هذه الصعوبات غالبا يكمن فى اعتراض الثائرين على الدولة طريق هذه المساعدات والاستيلاء عليها .

وقد ذكر ابن خلدون أن بلد بنى حنيفة وكان فيها أربعة آلاف من الرقيق وذلك سنة ٦٥هـ/٦٨٤م ، كما اعترض عيرا من البحرين جاءت لابن الزبير فأخذها وجاء بها الى أبى طالوت فقسمها بين أصحابه(١).

ان بلدة بنى حنيفة على صغرها فيها أربعة آلاف من الرقيق ، وهذا العدد الكبير فيما أعتقد مؤشر هام وواضح على مدى ماكانت تتمتع به هذه المنطقة من رخاء اقتصادى فى هذه الفترة من حكم الدولة الأموية . فالرقيق كما هو معروف يساعدون فى نمو الحركة الزراعية كما أنهم يستخدمون فى عمل بعض الصناعات اليدوية ، وانتشار بعضهم فى خدمة ذوى الجاه واليسار يؤكد ناحية الترف والرفاهية التى وصلت اليها المنطقة فى هذا العهد .

واذا أردنا أن نأخذ جانبا آخر من جوانب النهضة الاقتصادية فى الدولة الأموية ـ كما صوره ابن خلدون ـ فاننا نتلمس هذا الجانب فى اقامة المبانى وبناء المدن وعمارة المساجد .

ان بناء المدن مظهر من مظاهر الحضارة ، وان الانفاق على بناء هذه المدن دليل القدرةالاقتصادية وعمق النظرة المستقبلية لبناء حضارة مزدهرة ينعم أهلها بالاستقرار والسعادة والرفاهية .

لقد حرص عقبة بن نافع على بناء مدينة القيروان ، وأقام فيها مسجدا جامعا ، وشجع الناس على بناء دورهم ومساجدهم(٢)، وكان لهذه المدينة شأن عظيم على مدى التاريخ الاسلامى ومازالت تنعم بهذا الشأن حتى الآن .

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص١٨٤ .
(٢) المصدر السابق ، ج٣ ، ص١٣ .

وفى سنة ٨٢هـ/٧٠١م بنى الحجاج بن يوسف مدينة واسط(١).

أما الاهتمام ببناء المساجد وعمارتها فكان مظهرا من مظاهر عناية الدولة بهذا الجانب الهام فى حياة المسلمين . وقد بدأ الأمويون بالاهتمام بالمسجد الأقصى ، ومن المؤكد أن مكانته الدينية فى نفوس المسلمين كانت وراء هذا الاهتمام المتواصل من قبل الخلفاء الأمويين . وقد ذكر ابن خلدون أن عمر بن الخطاب عندما فتح بيت المقدس سأل عن الصخرة فأرى مكانها وقد علاها الزبل والتراب فكشف عنها وبنى عليها مسجدا ، ثم جاء الوليد ابن عبد الملك فشيد مسجدا كبيرا كان العرب يسمونه بلاط الوليد "وألزم ملك الروم أن يبعث الفعلة والمال لبناء هذه المساجد ، وأن ينمقوها بالفسيفساء فأطاع لذلك وتم بناؤها على ماقترحه"(٢). وفى سنة ٦٥هـ/٦٨٤م زاد عبد الملك فى المسجد الأقصى وأدخل الصخرة فى الحرم(٣).

وقد ذكر ابن خلدون فى مقدمته أن مساحة البيت الحرام كانت فضاء للطائفين ، ولم يكن عليها جدر أيام النبى صلى الله عليه وسلم وكذلك أيام أبى بكر رضى الله عنه ، وقد قام عمر رضى الله عنه بشراء بعض الدور وهدمها وأضاف مساحتها للمسجد وبنى على المسجد جدارا قصيرا ، وقد فعل عثمان رضى الله عنه كما فعل عمر بن الخطاب . أما بنو أمية فلم يعملوا شيئا فى توسعة المسجد الحرام بل اكتفى الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ/ ٧٠٥-٧١٥م) بعمل أعمدة من الرخام للمسجد(٤).

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص١٧٣ .
(٢) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٨٦٥ .
(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٢٧٠ .
(٤) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٨٥٩-٨٦٠ .

وقد اهتم الوليد بن عبد الملك بعمارة المسجد النبوى فأمر عامله على المدينة عمر بن عبد العزيز أن يدخل حجرات أمهات المؤمنين فى المسجد وأن يشترى ماحول المسجد من دور ليدخلها فى مساحة المسجد بحيث تكون هذه المساحة مائتى ذراع مربعة.

وقد استعان الوليد بملك الروم فى ارسال بعض المساعدات اللازمة لهذا البناء الذى حرص الوليد على أن يكون فى أحسن هيئة ليتلاءم مع مكانة المسجد ومكانة المدينة المنورة(١).

ومادمنا بصدد جهود بنى أمية فى بناء المساجد وتوسعتها فلابد أن نذكر بناءهم للمسجد الكبير فى دمشق والذى عرف من ذلك الوقت بـ"المسجد الأموى" ، وكان تحفة فى هندسته وسعته وجمال بنائه . وقد بنى هذا المسجد فى عهد الوليد بن عبد الملك "يقال انه أنفق فيه أربعمائة صندوق فى كل صندوق أربعمائة عشر ألف دينار ، وكان فيه من جملة الفعلة اثنا عشر ألف مرخم ، ويقال كانت فيه ستمائة سلسلة من الذهب لتعليق القناديل فكانت تغشى عيون الناظرين وتفتن المسلمين فأزالها عمر بن عبد العزيز وردها الى بيت المال"(٢).

وكما كان البناء بكل أنواعه مظهرا من مظاهر الازدهار الاقتصادى فان بناء المصانع كان مظهرا آخر من مظاهر الرقى الحضارى وعنوانا على التقدم الاقتصادى .

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص٧٥ . وانظر كذلك : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٤٢٧،٤٣٥-٤٣٦ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٤ ، ص٥٢٦،٥٣٢،٥٣٦ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٢٧١ .

لقد حرص عبد الملك بن مروان على انشاء دار للصناعة فى تونس ، وهذه الدار كان مهمتها صناعة الآلات البحرية التى يحتاج اليها المسلمون فى جهادهم . وقد أوكل عبد الملك هذه المهمة لعامله على أفريقية حسان بن النعمان ، والمرجح ان الغزوات البحرية التى كان يخوضها المسلمون آنذاك هى التى دفعتهم الى هذا النوع من الصناعة ليستعينوا به على جهاد الأعداء . وهناك دور أخرى أوجدها الأمويون كدار الطراز التى تهتم بصناعة الملابس وغيرها(١).

ومن موارد الدولة الأخرى التى أشار اليها ابن خلدون الخراج ، ولأهمية الخراج فى الدولة طور الأمويون ديوان الخراج واهتموا به كثيرا ، وكان يعد من أهم دواوين الدولة "لأنه مصدر جميع الأموال للأقاليم والدولة"(٢).

وقد عرف حسن ابراهيم حسن الخراج بقوله : "هو مقدار معين من المال أو الحاصلات ويفرض على الأرض التى فتحها المسلمون عنوةاذا عدل الخليفة عن تقسيمها على المحاربين ووقفها على مصالح المسلمين بعد أن يعوض المحاربين عن نصيبهم فيها أو يسترضيهم كما فعل عمر بن الخطاب ، ويؤخذ عن الأرض التى أفاء الله بها على المسلمين فملكوها وصالحوا أهلها على أن يتركوهم فيها بخراج معلوم يؤدونه الى بيت مال المسلمين"(٣).

وقد كانت اشارات ابن خلدون لمسألة الخراج فى الدولة الأموية قليلة جدا ، فقد ذكر أن عبد الملك بن مروان أرسل حسانا الى أفريقية وأمده بجيش لقتال الكاهنة ، فلما قتلها وملك جبل أوراس ، فرض الخراج عليهم

---

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٩٠،٧٠٨ .

(٢) نجدة خماش : الادارة فى العصر الأموى ، ص٢٧٢ .

(٣) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، ص٤٦١-١٦٢ .

وعلى من معهم من الروم والأفرنج [١].

أما عمر بن عبد العزيز فقد بعث على الأندلس السخم بن مالك الخولانى وذلك سنة ١٠٠هـ/٧١٨م للهجرة ، وأمره أن يخمس أرض الأندلس ففعل ذلك [٢].

اننا نعتقد أن ابن خلدون لم يتحدث عن الخراج بماكان ينبغى عليه أن يذكره لاسيما ـ وقد قلنا ـ أن ديوان الخراج يعد من أهم دواوين الدولة ، وهو موردها الرئيسى فى الاقتصاد ، ولعل هذه الناحية من النواحى التى قصر فيها ابن خلدون .

اننا نستطيع أن نتلمس كذلك بعض جوانب الحياة الاقتصادية والرخاء المالى الذى كان موجودا عند الأمويين فى اتخاذهم القصور مساكن لهم بدلا من الخيام التى كانت موجودة قبل ذلك ، وكذلك المبالغة فى الزينة ، وهذه الأشياء لم توجد بطبيعة الحال الا بعد أن حققت الدولة دخلا كبيرا جعلها تستبدل الخيام بالقصور مع ماتتطلبه هذه النقلة الهائلة من نفقات كبيرة ، يقول ابن خلدون فى مقدمته : "فلما تفننت الدولة العربية فى مذاهب الحضارة والبذخ ونزلوا المدن والأمصار وانتقلوا من سكنى الخيام الى سكنى القصور ، ومن ظهر الخف الى ظهر الحافر ، اتخذوا للسكنى فى أسفارهم ثياب الكتان يستعملون منها بيوتا مختلفة الأشكال مقدرة الأمثال من القوراء والمستطيلة والمربعة ويحتفلون فيها بأبلغ مذاهب الاحتفال والزينة" [٣].

ورقى الحياة الاقتصادية يظهر بوضوح فى حرص عاصمة الدولة على الحصول على أرقى المنتوجات وأفخمها مما هو موجود فى ولايات الدولة

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤ ، ص٢٣٩ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤ ، ص١٥٢ .
وانظر كذلك : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٥ ، ص٥٥ .
ورد هكذا (السخم بن مالك) فى نسخة تاريخ ابن خلدون التى اعتمدت عليها والصحيح أنه (السمح بن مالك) . انظر : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٥ ، ص٥٥ ، المقرى : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج١ ، ص٢٣٥ .

(٣) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٧١١ .

الأخرى . ان الحسين بن على لما خرج من مكة لقى فى التنيعم عيرا قادمة من اليمن ومتجهة الى دمشق ، وكانت هذه العير تحمل الورس والحلل الى يزيد أرسلها اليه أمير اليمن ، وقد أخذ الحسين هذه البضائع المنتقاة واكتفى باعطاء حامليها أجرتهم(١).

قلنا فى بداية المبحث أن أى دولة تحرص على معرفة الموازنة الدقيقة بين دخلها وبين مصروفاتها ، وقد حاولنا جاهدين ومن خلال النصوص التى أتاحها لنا ابن خلدون أن نتحدث عن دخل الدولة الأموية ، وسنحاول كذلك أن نتحدث عن بعض جوانب الانفاق العام لهذه الدولة لأن الانفاق كذلك مظهر من مظاهر الوفرة الاقتصادية .

كان الخلفاء الأمويون يحرصون كثيرا على كسب ود الشعراء ، وهذا الحرص لم يسبق اليه الأمويون بل سبقهم غيرهم اليه ، وكان منطلقهم أن الشاعر هو لسان الأمة والمعبر عنها ، وهو الذى يستطيع من خلال قصيدة أن يعلى من شأن الحاكم أو يحط من شأنه . وكان العرب بطبيعتهم يتلقفون هذه القصائد ويحفظونها وتصبح فيما بعد متداولة على معظم الألسنة.

ان الشاعر كان يحدد مكانة الأمير أوالخليفة فلابد اذن من ارضائه ، وارضاؤه فى الغالب لايتم الا باعطائه الأموال والهبات الكثيرة . وقد كانت مكانة الشاعر بين قومه ومدى اجادته لقصيدته مؤشرا على قدر مكافأته ، وقد استمر الأمويون يقربون الشعراء طيلة حكمهم ، واستمر الحال على هذا المنوال بعدهم كذلك(٢).

ومن أبواب الانفاق كذلك الانفاق على الجيوش الاسلامية ، والجيوش بطبيعة الحال تحتاج الى نفقات كبيرة فى الاعداد والتسليح والاطعام ، ونذكر مثلا على ذلك أورده ابن خلدون فى تاريخه عندما ذكر أن الحجاج أراد أن يغزو بلاد رتبيل ، فاستأذن عبد الملك فى ذلك فأذن له "فجهز عشرين ألف فارس من الكوفة وعشرين ألفا من البصرة واختار أهل الغنى والشجاعة ،

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، مخطوطة ، ج٣ ، ق١٥ .

(٢) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٣ ، ص١٣٢٤ .

وأزاح عللهم وأنفق فيهم ألفى ألف سوى أعطياتهم ، وأخذهم بالخيل الرائعة والسلاح الكامل"(١).

وقد كان جزء من مال الخزينة يذهب الى الولاة أو من يستخدمونهم فى مصالحهم الخاصة ، فقد ذكر ابن خلدون أن سلم بن زياد ولى عبد الله بن حازم السلمى على خراسان وأعطاه مائة ألف درهم ، كما أن ابن زياد أخرج من بيت المال تسعة عشر ألف ألف ووزعها على مواليه وأنصاره ليجتمعوا عليه(٢).

أما معاوية بن أبى سفيان أول الخلفاء الأمويين فقد أمر لعمر بن الزبير بمائة ألف درهم وكتب بذلك الى زياد بالعراق(٣).

اننا لانريد الآن أن نناقش دور الخليفة فى هذا الانفاق ، وهل كان يعلم بكل مايحدث فى ولاياته أم أن الوالى كان لديه من الصلاحيات مايسمح له بفعل مايريده دون الرجوع الى الخليفة .

اننا نرجح ومن خلال دراستنا لدور الوالى فى الدولة الأموية أن هناك أعمالا كان يقوم بها بعض الولاة دون الرجوع الى الخليفة من منطلق حرصهم على كيان الدولة بشكل عام ، وحرصهم كذلك على اثبات جدارتهم فى أعمالهم . ومع هذا فمن المؤكد أنهم كانوالايستطيعون أن يردوا للخليفة أى طلب .

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص٦٠ . وانظر كذلك : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٣٢٧،٣٢٩ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٤ ، ص٤٥٤،٤٥٦ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، مخطوطة ، ج٣ ، ق٢٤،٢٦ وانظر كذلك : الطبرى تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٥٤٦،٥٠٨،٥٠٩ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٤ ، ص١٣٤،١٥٥ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص٢٤ . وانظر كذلك : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٣٣٠ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٤ ، ص١١ .

سك العملة :

من المؤكد أن وجود عملة اسلامية مظهر من مظاهر قوة الدولة ، لأن الدولة التى تعتمد على غيرها فى عملتها لايمكن أن ترقى الى مصاف الدول الكبيرة ذات الكيان القوى ، ومن هنا أدرك عبد الملك بن مروان هذه الحقيقة فسعى الى ايجاد عملة اسلامية وعمل على التخلص من العملات الأخرى التى كانت سائدة فى الدولة الاسلامية .

لقد أكد ابن خلدون أن عبد الملك هو أول من ضرب السكة فى الاسلام فقال : "كان عبد الملك كتب فى صدر كتابه الى الروم : قل هوالله أحد وذكر النبى مع التاريخ ، فنكر ذلك ملك الروم وقال : اتركوه والا ذكرنا نبيكم فى دنانيرنا بما تكرهونه فعظم ذلك عليه واستشار الناس فأشار عليه خالد بن يزيد بضرب السكة وترك دنانيرهم ففعل . ثم نقش الحجاج فيها قل هو الله أحد فكره الناس ذلك لأنه قد يمسها غير الطاهر ، ثم بالغ فى تخليص الذهب والفضة من الغش وزاد ابن هبيرة أيام يزيد بن عبد الملك عليه . ثم زاد خالد القسرى(١)عليهم فى ذلك أيام هشام ، ثم أفرط يوسف ابن عمر(٢)من بعدهم فى المبالغة وامتحان العيار وضرب عليه فكانت الهبيرية والخالدية واليوسفية أجود نقود بنى أمية . ثم أمر المنصور أن لايقبل فى الخراج غيرها وسميت النقود الأولى مكروهة اما لعدم جودتها أو لما نقش عليها الحجاج وكرهه . وكانت دراهم العجم مختلفة بالصغر والكبر ، فكان منها مثقال وزن عشرين قيراطا واثنى عشر وعشرة قراريط وهى أنصاف المثاقيل فجمعوا قراريط الأنصاف الثلاثة فكانت اثنين وأربعين فجعلوا ثلثها

---

(١) خالد بن عبد الله القسرى كان أمير العراقين من جهة هشام ، ولد بمكة سنة ٨٩هـ ومات سنة ١٢٥هـ بالحيرة .
عنه انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج٢ ، ص٢٢٦ .

(٢) يوسف بن عمر بن محمد بن عقيل الثقفى ، أمير العراقين وخراسان والشام . كان جبارا جوادا ، قتل فى السجن سنة ١٢٧هـ .
عنه انظر : الذهبى : سير أعلام النبلاء ، ج٥ ، ص٤٤٢ .

وهـو اثنـا عشر قيراطا وزن الـدرهم العـربى فكانت كـل عشـرة دراهم تزن مثـاقيل . وقيل ان مصعب بن الزبير ضرب دراهم قليلـة أيام أخيه عبد الله والأصح أن عبد الملك أول من ضرب السكة فى الاسلام"(١).

ومـن الواضح أن السبب الأسـاسى الذى جعل عبـد الملك يقرر عمل نقد اسلامى "هو اتمام استقلال الدولة العربية الاسلاميـة . ان الشعور العربى القـومى الذى كان يمتلكه عبـد الملك اضافة للحوافز التى رافقـت حكمه من استقرار سياسى واقتصادى للدولة ، اضافة للموارد الماليـة التى حصلت عليها الدولة ، جميع هذه الأسباب كانت هى الدافع للخليفة عبد الملك بن مروان على تعريب المسكوكات وتكوين شخصيتها المستقلة ، ويعتبر هـذا العمل نقلة مهمة فى التاريخ العربى"(٢).

ونحن لانعتقد أن الشعور القومى هو الذى جعل عبد الملك يقرر عمل نقـد اسلامى ، بل هو الشعور الاسلامـى واتمام استقلال الخلافـة الاسلامية .

ان النقـود الاسلامية التى أوجدهـا الخليفة عبد الملـك أوجدت للدولة مزايا متعددة "أبرزها أنه حفـظ للدولة الاسلامية كيانهـا ووفـر لها استقلالها الاقتصادى وألغى اعتمادها على الأجانب فى مسألةحيوية هامة كالنقود ، كما أنه مـن ناحيـة أخرى فوت على الـروم تحكمهـم فى قيم السلـع العـربية التى ترتبط ارتباطا وثيقا بتوافر العملة المتداولة فى السوق"(٣).

واستكمالا لعملية ايجاد عملة اسلامية قرر عبد الملك انشاء دار للضرب فى دمشـق وكـان ذلـك سنة ٧٤هـ/٦٩٣م ، وكـذلك أمـر الحجـاج بعمـل دار

---

(١) ابن خلـدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص٥٧-٥٨ . وانظـر كذلك : الطبرى : تاريخ الـرسل والملوك ، ج٦ ، ص١٥٦ ، ابن الأثير : الكـامل فى التاريخ ، ج٤ ، ص٤١٧-٤١٨ ، عبد الحى الكتانى : نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الادارية (بيروت ، دار الكتاب العربى) ، ج١ ، ص٤١٧ .

(٢) ناهـض عبـد الرزاق : المسكوكـات ، (الكـويت ، مطابع دار السيـاسة) ، ص٥٣ .

(٣) عبـد العـزيز محمـد اللميلم : وضـع الموالى فى الـدولة الأمـوية ، (ط١ ، الأردن ، جمعية عمال المطابع التعاونية : ١٤١٠هـ) ، ص٦٧ .

أخرى فى الكوفة ، ومنع ضرب النقود الا فى هذه الدور التى اعتمدها وذلك حفاظا على العملة من الغش[١].

لقد حاولت الدولة الأموية ايجاد قدر كبير من الحياة الاقتصادية الهائلة لأفراد المسلمين فى عموم الولايات الاسلامية ، وعملت على فصل اقتصادها كلية عن ارتباطه بدول أجنبية حتى يكون لها قدرة كاملة على التصرف بشئونها ، وقد نجحت فى ذلك الى حد كبير . ومن جانبه حاول ابن خلدون فى مقدمته وتاريخه أن يطرح بعض القضايا التى تتعلق بهذا الجانب الهام من حياة أى دولة لكنه لم يورد أمثلة كافية تضىء الطريق وتجعل مافعلته الدولة الأموية الفتية واضحا لاغموض فيه .

وعلى أية حال فان الجوانب التى طرحها أعطت مؤشرا كافيا على رقى الحياة الاقتصادية وعلى قدرة الدولةعلى تصريف أمورها واسعاد مواطنيها .

---

(١) محمد ضياء الدين الريس : عبد الملك بن مروان والدولة الأموية ، ص٢٢٢ .

الفصل الخامس

أقوال المؤرخين في أسباب سقوط
الدولة الأموية ورأي ابن خلدون فيها

* أسباب السقوط فى رأى المؤرخين المسلمين .
  (أ) أسباب السقوط فى رأى المؤرخين المتقدمين .
  (ب) أسباب السقوط فى رأى المؤرخين المحدثين .

* مرحلة السقوط وطبيعتها .

* أسباب سقوط بنى أمية فى رأى ابن خلدون .

المبحث الأول

أسباب السقوط في رأي المؤرخين المسلمين

(أ) أسباب السقوط فى رأى المؤرخين المتقدمين .

(ب) أسباب السقوط فى رأى المؤرخين المحدثين .

أسباب السقوط فى رأى المؤرخين المتقدمين :

لم نكن نتوقع أن نجد عند المؤرخين الذين سبقوا ابن خلدون نظرية كاملة عن أسباب سقوط بنى أمية ، ذلك أن مثل هذه الرؤية التحليلية تقوم على النظرة الشاملة للدولة الأموية على أساس أنها وحدة موضوعية ذات ترابط عضوى ، بينما تقوم معظم المؤلفات التاريخية السابقة على ابن خلدون على جزئية النظرة والتركيز على الواقعة التاريخية المستقلة . حقيقة "أن الباحث فى الأسباب العامة التى أدت الى سقوط الدولة الأموية لابد له أن يستقصى مادة بحثه مما ورد فى كتب المؤرخين المسلمين الأوائل الذين لم يعطوا أى تفسير للأحداث التى أرخوا لها ولاسيما ماكان منها جسيما أو له دور بارز فى تغيير مجرى الحياةالعامة للدولة والناس" . ويعد تاريخ خليفة بن خياط المتوفى سنة ٢٤٠هـ/٨٥٤م من الموسوعات التاريخية المبكرةالتى عالجت تاريخ بنى أمية حسب الطريقة الحولية . ومع أنه قدم عن الأمويين مادة عظيمة الأهمية منصفة لبنى أمية(١)الا أن ماقدمه كان شديد الاختصار بحيث لم يقدم اشارات ذات دلالات تحليلية تتصل بموضوع سقوط بنى أمية .

وقد تتبع خليفة بن خياط حركات الخروج على بنى أمية منذ ولاية معاوية سنة ٤١هـ/٦٦١م حتى نهاية الدولة . فقد تحدث عن خروج ابن أبى الحوساء على معاوية، وخروج سهم الخطيم ، وخروج شبيب بن بجرة ، ومقتل حجر بن عدى ، وخروج قريب وزحاف ، وخروج الحسين بن على رضى الله عنه على يزيد بن معاوية، ومقتل الحسين وأصحابه فى كربلاء ، ووقعة الحرة ، وتسمية من قتل فيها(٣)، وحرق الكعبة ، ووقعة مرج راهط

---

(١) رياض عيسى : النزاع بين أفراد البيت الأموى ودوره فى سقوط الخلافة الأموية ، (ط١ ، دار حسان للطباعة والنشر : ١٤٠٦هـ) ، ص٢١١،٧-٢١٢ .

(٢) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة ، ص٢٠٣،٢٠٤،٢٠٩،٢١٩،٢٣١ ومابعدها .

ووقعة المذار ، وخروج نافع بن الأزرق وعبيد الله والزبير ابنا ماحوز ومقتل مرداس بن أدية(١).

وحتى مقاتل الأفراد من طالبيين وخوارج يتتبعها خليفة بن خياط تتبعا دقيقا ، حتى لتبدو لنا هذه المتابعة لحركات الخروج والشقاق ولمقاتل الخارجين ، وكأنها ـ فى رأى خليفة ـ من أبرز عوامل سقوط بنى أمية .

ونحن نستطيع أن نستنتج من هذا أن هذه الحركات كانت عاملا رئيسيا فى التعجيل بسقوط دولة بنى أمية ، ومع أن هذا المعنى بارز وواضح من منهج خليفة بن خياط ، الا أن خليفة ـ بهذا الايجاز الذى عرف عن كتابه فى عرض الوقائع التاريخية ، وبهذا التتبع المفصل لحركات الخروج على الدولة الأموية ـ قد ظلم الدولة الأموية ، فلم يظهر فتوحاتها العظيمة ، ولاجهودها فى نشر الاسلام ولاتعريبها الدواوين وسكها العملة الى غير ذلك من الأعمال الاصلاحية .

وقد طغى الجانب السياسى والعسكرى ـ كما هو متوقع ـ على الجوانب الأخرى طغيانا كبيرا باستثناء تتبعه للقضاة والولاة فى عهود خلفاء بنى أمية المتتابعين . وقد كان هذا من الأسباب التى حالت دون معرفة العوامل الايجابية والسلبية التى كانت تحرك الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى عصر بنى أمية .

أما أبوحنيفة بن داود الدينورى المتوفى سنة ٢٨٢هـ/٨٩٥م فهو ، وان قدم من خلال كتابه الأخبار الطوال محاولة موضوعية لعرض تاريخى وجيز لايخلو من نظرات تحليلية ، الا أن استطراده للحديث عن موضوعات كثيرة بدءا من آدم عليه السلام(٢)، ونزعته الفارسية ووقوفه عند الجوانب السياسية والعسكرية ولاسيما الخلافات التى وقعت بين بنى أمية وخصومهم ،

---

(١) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ص٢٥٣،٢٥٦،٢٥٩،٢٦٤ . وانظر تسجيله لقتال الأمويين للأزارقة وخروج داود بن النعمان والريان النكرى بالبحرين وفتنة ابن الأشعث وغيرها من ص٢٧١-٢٧٣،٢٧٨ ومابعدها .

(٢) الدينورى : الأخبار الطوال ، ص٧ ومابعدها .

واستطراده فيما يتعلق بالدعوة الى العلويين[١]، وتجاهله التام لفتوحات الأمويين واصلاحاتهم الاقتصادية والادارية قد جعل الكتاب عاجزا عن تقديم رؤية كاملة لسيرة بنى أمية وبالتالى استخلاص العوامل التى وجهت تاريخهم الى هذا السقوط خلال أقل من قرن من الزمان .

وعلى نهج آخر متحيز تماما يمضى أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر المعروف باليعقوبى المتوفى سنة ٢٨٤هـ/٨٩٧م ، فولاؤه لآل البيت يصل الى حد الجنوح ، ولهذا فهو فى كتابه الموسوم "بتاريخ اليعقوبى" يفصل القول فى الحديث عن آل البيت الذين ظهروا فى العصر الأموى ، مثل وفاة على بن الحسين ، ووفاة أبى جعفر محمد بن على . وحسبنا مايرمى به الوليد بن يزيد من بهتان فاضح لندرك مدى قسوته على بنى أمية ، حيث يزعم أن الوليد كان مهملا لأمور رعيته ، كما كان صاحب ملاه وقيان ، كثير اللهو والمجون بلغ من مجونه أنه أراد أن يبنى بيتا على الكعبة للهو[٢].

وكان لايعترف بدولة الأمويين ولاالعباسيين ولابخلفائهم وكان يسميها أياما كأيام العرب الأولى[٣].

ويتضح من هذا أن اليعقوبى رافض - جملة وتفصيلا - لأحقية بنى أمية للخلافة وللبقاء ، وهو يرى أن سقوطهم أمر طبيعى ناشىء من أن دولتهم لاتستحق الوجود .

لكن الامام أبا جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠هـ/٩٢٢م ، وصاحب الموسوعة التاريخية التى تتصدر كتب التاريخ الاسلامى الحولية والغزيرة (تاريخ الرسل والملوك) كان أشمل من سابقيه ومصدرا رئيسيا للاحقيه فى المعلومات التى قدمها حول بنى أمية .

---

(١) الدينورى : الأخبار الطوال ، ص٢١٢ ومابعدها .
(٢) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ج٢ ، ص٣٠٣-٣٢٠ .
(٣) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٣٣٣ .

وقد اهتم الطبرى بالتفاصيل معتمدا على منهجى الحديث والتاريخ معا وان لم تسعفه ظروفه بنقد الروايات التاريخية ، فأورد الحادثة التاريخية باسنادها الى رواتها على أساس أنه مجرد راو للأخبار ومصنف لها فقط . وعلى الرغم من غزارة المعلومات التى قدمها الطبرى عن بنى أمية فانه لم يستطع القيام بتتبع متوازن للجوانب السياسية والحضارية معا ، وان كان ذلك لم يوقعه فيما وقع فيه المصدران السابقان من تجاهل الفتوحات الاسلامية والاصلاحات الحضارية التى قام بها الأمويون .

وقد كان شأن الطبرى شأن غيره من المؤرخين المسلمين فى فقدان التفسير والتحليل ، فهو "مثلا يسرد فى تاريخه كل مايصل الى علمه من روايات حول الحادث الواحد ،ولكنه لايفضل رواية على رواية الا فى القليل النادر ، ويترك ذلك لقارئه ، كما أنه لايعطى أى تفسير للحادث الواحد أو لمجموعة الأحداث التى أدت الى انعطافه فى المسيرة التاريخية ، ولاسيما مايمكن أن نسميه بالفتن الكبرى أو الثورات التى غيرت وجه التاريخ العربى الاسلامى . ومايصح على الطبرى يصح على أقرانه من مؤرخى الطبقة الأولى من أمثال الدينورى ، وخليفة بن خياط ، والبلاذرى ، وابن قتيبة وسواهم فهم نقلة رواة أو سجل دقيق لما وقع اليهم من روايات ، يسردونها دون أن يبدوا فيها رأيا أو يستخلصوا منها صورة يفضلونها على سواها"(١).

ومع ذلك فنحن نستطيع تلمس رأى الطبرى فى سقوط بنى أمية من خلال منهجه فى سرد سيرتهم حين نراه يقوم بالتركيز على بعض النقاط المتصلة بناحية بدرجة تفوق تركيزه على غيرها من الجوانب .

ان الطبرى يبدأ فى تتبعه لوقائع السنوات بالحديث ـ غالبا ـ عن الفتوحات فى السنة المذكورة ، لكن ذلك يقع فى ايجاز مالم تكن المعركة مشهورة . ومن عجب أن يكون حديثه عن الفتوحات ـ بصفة عامة ـ وجيزا وأن يكون حديثه عن الفتن الداخلية وأخطاء بنى أمية مفصلا .

---

(١) رياض عيسى : النزاع بين أفراد البيت الأموى ، ص٢١٢ .

ففي حديثه عن وقائع سنة ٥٠هـ/٦٧٠م - مثلا - نرى الطبرى يبدأ بالقول بأنه فى هذه السنة كانت غزوة بسر بن أرطأة وسفيان بن عوف الأزدى أرض الروم ، وبعد سطرين فقط يدخل فى الحديث عن وفاة المغيرة بن شعبة وولاية زياد الكوفة معالجا ذلك فى أربع صفحات ، ثم يستطرد الى ذكر "خروج قريب وزحاف". و"ذكر ارادة معاوية نقل المنبر من المدينة" ، و"ذكر هروب الفرزدق من زياد" وهو يعالج ذلك فى نحو خمس عشرة صفحة (١).

وبينما يشير فى صدر سنة ٥١هـ/٦٧١م الى أنه مما كان فيها مشتى فضالة بن عبيد بأرض الروم وغزوة بسر بن أرطأة الصائفة . يستطرد فى الحديث عن مقتل "حجر بن عدى وأصحابه" فيعالج هذه القضية فى نحو أربعين صفحة (٢).

والمنهج نفسه نجده فى حديثه عن حوادث سنة ٥٤هـ/٦٧٣م . وهكذا (٣).

والحق أننى أجد فى هذا التركيز على الجوانب الداخلية بعدا من أبعاد منهج الطبرى فى نظرته للدولة الأموية ، اذ انه يرى أن العوامل الداخلية هى الأساس فى النظر الى الدول وتقويمها ، ومما لاشك فيه أن حادثا مثل قتل حجر بن عدى وأصحابه كان له تأثيره البالغ على الدولة الأموية . وكذلك يقال فى تأثير الفتن بين أبناء الأمة والسلطة السياسية .

فقد تتبع الطبرى - بتفصيل شديد - شتى الفتن والثورات التى وقعت فى عصر بنى أمية .

ومع ذلك فاننا نستطيع القول ان الطبرى قد أنصف شخصيات الخلفاء فقد تحدث عن معاوية موردا ماله وماعليه (٤). وفى حديثه عن خروج

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٢٣٤-٢٥٠ .
(٢) المصدر السابق ، ج٥ ، ص٢٥٣-٢٨٥ .
(٣) المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٩٣ ومابعدها .
(٤) المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٣٢٤-٣٣٧ .

الحسين الى الكوفة ذكر شتى الآراء فى هذا الخروج من الرافضين والمؤيدين (١).

وهذا الحديث المنصف من الطبرى لشخصيات خلفاء بنى أمية يدلنا على أن افتقاد بعض هذه الشخصيات الأموية الحاكمة للصفات التى تجلت فى أمثال معاوية وعبد الملك والوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز كانت السبب فى خلخلة الأوضاع فى البيت الأموى .

فاذا ماذكرنا ماوقع فى عهد يزيد بن معاوية ، فاننا يجب أن نضيف اليه ماوقع فى عهد الوليد بن يزيد بن عبد الملك . ومع أن الطبرى قد ذكر ماللوليد وماعليه ـ كما أورده الرواة ـ فان سلوكه وسلوك عمه هشام معه ، ثم سلوك يزيد الناقص مع الوليد حتى قتله سنة ١٢٦هـ/٧٤٣م ومـاأدى اليه هذا من تفاقم الصراع بين أبناء البيت الأموى ، هذا التحول الخطير ركز الطبرى عليه وهو يسوق حوادث السنوات الأخيرة من عمر الدولة الأموية بحيث يمكننا أن نستنتج أن الطبرى يميل الى أن البيت الأموى انما قضى على نفسه بنفسه قبل أن تقضى عليه الحركة العباسية .

ونحن نلمح هذا التردى الذى وصل اليه البيت الأموى فى ذلك النص الذى أورده الطبرى والذى ترد فيه مجموعة من التهم المتبادلة الشائنة بين قيادات هذا البيت ، فقد ذكر أنه لما قتل الوليد أمر يزيد بن الوليد بنصب رأسه ثم أمر بعد ذلك بدفع الرأس الى أخيه سليمان ـ وكان سليمان أخو الوليد ممن سعى على أخيه ـ فلما رأى رأسه نظر اليه متشفيا ووصفه بأنه كان فاسقا ماجنا مدمنا للمسكرات كما اتهمه باللواط (٢).

وينظر الطبرى الى سنة ١٢٦هـ/٧٤٣م على أنها السنة الفاصلة فى أمر بنى أمية فتحت عنوان : ذكر اضطراب أمر بنى مروان . يستعرض الفتن التى تلاحقت على بنى أمية حتى انفرط عقدهم ومن ذلك وثوب سليمان بن هشام

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٣٨٢ ومابعدها .
(٢) المصدر السابق ، ج٧ ، ص٢٥٠-٢٥١ .

ابن عبد الملك بعدما قتل الوليد بن يزيد بعمان وقدومه الى دمشق يلعن الوليد ويتهمه بالكفر ، وكذلك وثوب أهل حمص واظهارهم الطلب بدم الوليد بن يزيد ، كما أن أهل فلسطين والأردن وثبوا على عاملهم فقتلوه(١).

ولما قتل يزيد الوليد ووجه منصور بن جمهور الى العراق كتب يزيد ابن الوليد الى أهل العراق كتابا يذكر فيه مساوىء الوليد ، ومما جاء فيه : "ثم أفضى الأمر الى عدو الله الوليد ، المنتهك للمحارم التى لايأتى مثلها مسلم ، ولايقدم عليها كافر ، تكرما عن غشيان مثلها . فلما استفاض ذلك منه واستعلن ، واشتد فيه البلاء ، وسفكت فيه الدماء ، وأخذت الأموال بغير حقها ، مع أمور فاحشة ، لم يكن الله ليملى للعاملين بها الا قليلا ، سرت اليه مع انتظار مراجعته ، واعذار الى الله والى المسلمين ، منكرا لعمله وماجترأ عليه من معاصى الله ، متوخيا من الله اتمام الذى نويت ، من اعتدال عمود الدين ، والأخذ فى أهله بما هو رضا ، حتى أتيت جندا ، وقد وغرت صدورهم على عدو الله ، لما رأوا من عمله ، فان عد الله لم يكن يرى من شرائع الاسلام شيئا الا أراد تبديله ، والعمل فيه بغير ماأنزل الله وكان ذلك منه شائعا شاملا ، عريان لم يجعل الله فيه سترا ، ولالأحد فيه شكا"(٢).

وهى مبالغات واضحة من يزيد ، وقد ذكر الطبرى نفسه نصوصا تناقضها ، ومع ذلك فان هذا لايهمنا بقدر مايهمنا أن قيادات بنى أمية قد وصلت الى هذا المستوى من فضح بعضها ، ونزو كل منها على الآخر، حتى سقطت فى أعين الأمة ، ومما لاشك فيه أنها قدمت ـ بهذا ـ أكبر مساعدة للحركة العباسية النشطة.

ولقد أحسن الطبرى صنيعا فى الاطناب فى كشف هذه الأوضاع الزرية.

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٢٦٢،٢٦٦،٢٧٠ .
(٢) المصدر السابق ، ج٧ ، ص٢٧٦ .

ويركز أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفى المتوفى سنة ٣١٤هـ/٩٢٦م فى كتابه الموسوم باسم كتاب الفتوح على أحداث الفتنة بين على ومعاوية تركيزا شديدا ، ونحن نلمس فى كتابه موقفا غير معتدل من بنى أمية على أساس أن دولتهم قامت على خلاف ودماء وحروب بين المسلمين . كما أن ميل ابن أعثم لعلى بن أبى طالب وآل البيت واضح فى كل صفحات كتابه بطريقة تفتقد الى الموضوعية .

ونحن نرى من خلال عرضه أنه يرى فى انحلال بنى أمية أمرا طبيعيا نظرا لقيام دولتهم على أسس غير سليمة ، وأنها قامت بالقوة والحروب بين المسلمين .

ومن المؤرخين المتحيزين ضد بنى أمية أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى المتوفى سنة ٣٤٦هـ/٩٥٧م ، وهو كاليعقوبى متهم بالنزعة الشيعية ، فكتابه "مروج الذهب" وان أنصف معاوية وعبد الملك بن مروان فى كثير من المواقف الا أنه ملىء بالمبالغات التى لاتعقل فى حق خلفاء بنى أمية ، بل فى حق الانسان العادى ، وانظر الى مايصف به شره سليمان بن عبد الملك فى الطعام لتدرك المبالغة التى وقع فيها المسعودى . يقول عند ذكره للمع من أخبار سليمان وسيره :

"ذكر الأصمعى قال : ذكرت للرشيد نهم سليمان وتناوله للفراريج بكمه من السفافيد . فقال : قاتلك الله فما أعلمك بأخبارهم ، انه عرضت على جباب بنى أمية ، فنظرت الى جباب سليمان واذا كل جبة منها فى كمها أثر كأنه أثر دهن ، فلم أدر ماذلك حتى حدثتنى بالحديث ، ثم قال : على بجباب سليمان ، فأتى بها ، فنظرنا فاذا تلك الآثار فيها ظاهرة ، فكسانى منها جبة فكان الأصمعى ربما يخرج أحيانا فيها فيقول : هذه جبة سليمان التى كسانيها الرشيد . وذكر أن سليمان خرج من الحمام ذات يوم وقد اشتد جوعه ، فاستعجل الطعام ، ولم يكن فرغ منه ، فأمر أن يقدم عليه ماالحق من الشواء ، فقدم اليه عشرون خروفا ، فأكل أجوافها كلها مع أربعين رقاقة

ثم قرب بعد ذلك الطعام فأكل مع ندمائه كأنه لم يأكل شيئا"(١).

وتحت عنوان أمثلة من بخل هشام بن عبد الملك يذكر المسعودى أن هشاما أهدى له رجل طائرين أعجب بهما هشام ، فلما طلب الرجل مكافأته أمره أن يأخذ أحدهما ، فاختار الرجل أجودهما لكن هشام رفض ذلك ومنحه دريهمات(٢).

ومايهمنا فى هذين الخبرين هو نزعة المسعودى فى المبالغة وتشويه صورة بنى أمية والتركيز على نقاط شخصية لاتفيد كثيرا فى الرصد التاريخى لأسباب سقوط الدول .

ولكن المبالغة تصبح تزويرا واضحا حين يتصل الأمر بأيام الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، فقد كان المسعودى من أكثر المؤرخين طعنا فى هذا الخليفة ، وهو لم يذكر - كما فعل الطبرى مثلا - الآراء المختلفة ، بل ظهر تحيزه واضحا ضد هذا الخليفة ، ولم يحاول قط مناقشة هذه المطاعن .

وتحت عناوين فرعيةمن أمثال : "لهو الوليد وخلاعته" ، و"سمير الوليد يتحدث عنه" ، و"ورث الوليد الخلاعة عن يزيد أبيه" ، و"فعله بالمصحف وقد استفتح به" ، و"شعر له ألحد فيه" ، و"كان مغرى بالخيل" ، تحت هذه العناوين الفرعية(٣)التنظيمية شوه المسعودى الوليد أسوأ تشويه .

وهل يعقل أن يكون الوليد الذى صح عنه أنه مات وهو يقرأ فى المصحف ، ويقول لقاتليه : "يوم كيوم عثمان" قد قال هذا الشعر الكافر الفاجر :

تلعب بالخلافة هاشمى ... بلاوحى أتاه ولاكتاب
فقل لله يمنعنى طعامى ... وقل لله يمنعنى شرابى(٤)

---

(١) المسعودى : مروج الذهب ، ٣/٢ ، ص١٧٥ .
(٢) المصدر السابق ، ٣/٢ ، ص٢١٠ .
(٣) المصدر نفسه ، ٣/٢ ، ص٢١٣-٢١٩ .
(٤) المصدر نفسه ، ٣/٢ ، ص٢١٦ .

وهل يصح أيضا أن ينسب اليه أنه جعل المصحف غرضا للنشاب وهو خليفة مسلم فى القرن الثانى الهجرى!!

وقد نقض العلامة ابن خلدون هذه الروايات وأمثالها ، وذكر أنها من باب الحسد ، وأورد ماذكره الخليفة العباسى المهدى فى الوليد : "انما كان الرجل محسودا فى خلاله ومزاحما بكبار عشيرة بيته من بنى عمومته"(١).

لكن المسعودى ـ لميوله الشيعية ـ لم يعمد الى شىء من ذلك بل سار على منهج تتبع مثالب بنى امية وغمطهم حقوقهم اللهم الا الأعلام منهم والذين لم يستطع أن يتغاضى عن فضائلهم . وهذا يوحى لنا بأن المسعودى يرى أن هؤلاء الخلفاء ـ ولاسيما خلفاء المرحلة الأخيرة بعد عمر بن عبد العزيز ـ بسلوكياتهم هذه كانوا من أسباب سقوط بنى أمية ، فضلا عن أنه يرى أن دولة بنى أمية قامت على الدماء والخلاف والاغتصاب ، وهذا ـ أيضا ـ من عوامل سقوطها .

وحسبنا أن ندرك مدى تحيز المسعودى أنه لم يعترف بأن دولة بنى أمية "خلافة اسلامية" بل سرد تاريخهم تحت عناوين "أيام" فبعد أن ذكر "خلافة الحسن بن على عليه السلام"(٢)، أورد "ذكر أيام معاوية بن أبى سفيان" ـ دون أن يترضى عليه ـ ثم تابع تأريخه ، فذكر "أيام يزيد بن معاوية" و"أيام معاوية بن يزيد" و"أيام مروان بن الحكم"(٣). الى آخر بنى أمية ، اللهم الا عمر بن عبد العزيز ، فانه اعترف بأنه خليفة فكتب تاريخه تحت عنوان : "ذكر خلافة عمر بن عبد العزيز رحمه الله"(٤). ولماوصل الى بنى العباس عاد الى ذكر كلمة خلافة ، كخلافة أبى العباس السفاح ، وخلافة أبى جعفر المنصور(٥)، وهكذا .

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص١٣٢ .

(٢) أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى : التنبيه والاشراف ، (بيروت ، دار ومكتبة الهلال : ١٩٨١م) ، ص٢٧٦ .

(٣) المسعودى : التنبيه والاشراف ، ص٢٧٧ ومابعدها .

(٤) المصدر السابق ، ص٢٩٢ .

(٥) المصدر نفسه ، ص٣٠٨ ومابعدها .

وهـذا الموقف المتحيز من المسعـودى دال ـ بوضوح ـ على رأيه فى بنى أمية وفى عدم أهليتهم للخلافة ، وفى استحقاقهم ـ بالتالى ـ للسقوط .

ويمتـاز عـز الدين أبو الحسـن على بن أبى الكـرم المعـروف بابن الأثير توفى ٦٣٠هـ/١٢٣٢م باعتـداله فى الأحكـام على بنى أميـة، فكتـابه الكـامل فى التـاريخ سجل حافل بالوقائع ومايكتنفها فى موضوعيـة وفى نزاهة وانصاف ، وهـو يورد كل الأقوال التى صحـت عنده سواء كانت للشخـص أو عليـه ، ففـى ذكره لبعض سيرة معاوية وأخبـاره يفعل ذلك ويورد الأقـوال المأثورة فيه سواء كانت له أو عليه(١).

وهـو يورد الثنـاء الكثير الـذى ورد فى حق الـوليـد بن عبـد الملك ، ويورد حكمـه على بعض خلفاء بنى أميـة . لقد كان الـوليد ـ كما يذكر ابن الأثير ـ عنـد أهل الشام "مـن أفضل خلفائهم ، بنى المسـاجد ، مسجد دمشق ومسجـد المدينة ، على ساكنهـا السلام ، والمسجد الأقصـى ، ووضع المنائر ، وأعطى المجذومين ومنعهم من سؤال الناس ، وأعطى كل مقعد خادما وكل ضرير قائدا ، وفتح فى ولايته فتوحا عظاما ، منها الأندلس وكاشغر والهند .

وكان يمر بالبقال فيقف عليه ويأخذ منه حزمة بقل فيقول : بكم هذه؟ فيقول : بفلس . فيقول : زد فيها .

وكـان صاحب بناء واتخاذ المصانع والضياع ، وكـان الناس يلتقون فى زمانه فيسأل بعضهم بعضا عن البناء ، وكان سليمان صـاحب طعام ونكاح ، فكـان الناس يسأل بعضهم بعضـا عن النكاح والطعام ، وكـان عمر بن عبد العـزيز صاحب عبادة ، وكان الناس يسأل بعضهم بعضـا عن الخير وماوردك الليلة وكم تحفظ من القرآن وكم تصوم من الشهر؟"(٢).

وهو يذكر مايفهم منه ادانة بنى أمية فى سبهم لأمير المؤمنين على عليـه السلام ، فيذكر أن عمر بن عبد العزيز ترك سب أمير المؤمنين على ، وكـان

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٤ ، ص١١ .

(٢) المصدر السابق ، ج٥ ، ص٩-١٠ .

بنو أمية يسبونه الى عهده . لكن يبدو أن ذلك كان محصور فى أشخاص من خلفاء بنى أمية ، ولم يؤمر الناس به أمرا لازما .

وعند حديثه عن الوليد بن يزيد نراه يورد كل الآراء ، ومن ذلك قول خالد بن عبد الله القسرى فى الشائعات التى تروج حول الوليد : "انما هى أخبار الناس" . وهو يصف يزيد بن الوليد بتحفظ فيقول عنه : "انه كان يظهر النسك ويتواضع"(١) وهو تعبير علمى موضوعى . وعلى كل حال فان التشابه كبير بين نظرة الطبرى للدولة الأموية ونظره ابن الأثير ، وكلاهما على منهج أهل السنة والجماعة والذى كان الفضل فى تأصيله واشاعته يعود الى ابن حزم الأندلسى المتوفى سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٣م(٢)، ولأبى بكر بن العربى المتوفى سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م(٣).

لقد وقع بنو أمية فى أخطاء ، ولقد تكاثر من حولهم الأعداء ، ولاسيما الشيعة والخوارج ، وقد نسبت اليهم أخطاء لم يرتكبوها ، لكنهم مع ذلك وقعوا فى أخطاء استمرت فى دولتهم حتى انتهت بهم هذه الأخطاء الى النهاية المتوقعة . وكانت تلك الخلافات التى أعقبت وفاة هشام بن عبد الملك هى الأيام الحاسمة فى سقوط الدولة .

ولم يبعد عن هذا المنهج الامام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٧م ، ويعد كتابه العظيم "منهاج السنة النبوية"(٤) تأصيلا

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٥ ، ص٤٢،٢٨٠-٢٨١ .

(٢) انظر : عبد الحليم عويس : ابن حزم الأندلسى وجهوده فى البحث التاريخى والحضارى ، ص٢٦٠ .

(٣) انظر : أبى بكر بن العربى : العواصم من القواصم فى تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم .

(٤) أبو العباس تقى الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحرانى الدمشقى الحنبلى : منهاج السنة النبوية ، (بيروت ، دار الكتب العلمية) .

وافيا كافيا لهذا المنهج الرشيد .

كما كان الحافظ ابن كثير صاحب البداية والنهاية والمتوفى سنة ٧٧٤هـ ١٣٧٢م على هذا المنهج السديد المنصف فى تقويم ماشجر بين الصحابة والتابعين ، وفى الحكم على خلفاء بنى أمية ورجالهم ، وكان اهتمام ابن كثير بالحديث(١)فى توثيق وقائعه أقرب الى منهج الطبرى وابن تيمية .

وقد كتب ابن كثير فى فضل على بن أبى طالب صفحات طويلة ، يمدحه فيها ويعدد مناقبه . لكنه مع ذلك كتب فى فضل معاوية بن أبى سفيان فى حوادث سنة ٤١هـ/٦٦١م ، وفى حوادث سنة ٦٠هـ/٦٧٩م وهى سنة وفاة معاوية كتب بحثا مستقلا تحت عنوان "ترجمة معاوية رضى الله عنه وذكر شىء من أيامه ودولته وماورد فى مناقبه وفضائله رحمه الله"(٢).

وكذلك كان شأن ابن كثير فى تقويم الفترة القلقةمن حياة بنى أمية والتى بدأت فى عصر هشام بن عبد الملك وانتهت بأيام مروان بن محمد ، ومع أنه ذكر مثالب الوليد بن يزيد وبالغ فيها ، فانه لم يسرف فيها كما أسرف غيره ، بل ذكر أن بداية عهد الوليد كان بداية حسنة، وذكر بعض اصلاحاته الاقتصادية والادارية(٣).

وهكذا نجد ـ من خلال هذا العرض لأهم الموسوعات التاريخية التى سبقت ابن خلدون ـ أن أغلبها يتجه الى الاعتدال ، ويجعل سقوط بنى أمية راجعا للفتن التى وقعت فى عهدهم منذ قيام الدولة ، وحتى العصر الأخير الحافل بالفتن منذ ولاية الوليد بن يزيد ، ولم يجعل أحد منهم الأسباب الرئيسية لسقوط بنى أمية راجعة الى عدم أهليتهم ـ بصفة اجمالية ـ للحكم أو لتقصيرهم فى حماية الثغور وتوفير الأمن والعدل للناس ، فقد كان بنو

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٧ ، ص٢٨٩ ومابعدها .
(٢) المصدر السابق ، ج٧ ، ص٣٣٢-٣٦١ . ، وانظر : ج٨ ، ص١-١٣،٢٠-٢١،١١٧ .
(٣) المصدر نفسه ، ج١٠ ، ص٢،٣،٤ .

أميـة ـ بصفـة عـامة ـ أهـل خبرة فى فنـون الحكـم وسيـاسة الـدنيا ، وحتى آخرهم مروان بن محمد الذى نعت بالحمار ، كان من أكفأ الناس وأجدرهم بالملـك . واذا مـاستثنينا مـانسب الى يزيد بن معاوية والـوليد بن يزيد مـن التحلل والفسق ـ وأكثره يحتاج الى تمحيص ـ فاننا نجد الخلفاء الأمويين أهل صلاح ودين ، وعلى رأسهم معاوية وعبد الملك والوليـد وسليمان وعمر بن عبد العزيز .

لقـد كشفـت المصـادر التاريخيـة الأسـاسية بدءا مـن خليفـة بن خيـاط والطبرى عـن رؤية رزينة موضـوعية رشيدة لبنى أمية ، لكـن هذه الرؤية لم تأخذ اطـارها التحليلى القـائم على رؤية شمـولية تركـب الـوقائع وتنظر الى "الخلافـة الأموية" كظاهرة متكاملة تستكنه ماقبلها ومـاوقع فيها ومانتهى بها الى هـذا السقـوط السريع ، حتى جاء عبـد الـرحمن بن خلـدون فقـدم هذه النظرة التى كان البحث التاريخى فى حاجة ماسة اليها .

أسباب سقوط بنى أمية فى رأى المؤرخين المحدثين :

مما لاشك فيه أن المؤرخين المحدثين قد استفادوا من مناهج البحث التاريخى القائمة على رؤية فلسفية شمولية للتاريخ ، كما استفادوا من النظريات التى تحاول تفسير التاريخ شرقية كانت أو غربية .

وجدير بالذكر أن عملية التنظير لتفسير التاريخ قد تختلف من مؤرخ الى آخر ، ومن هنا فقد نجد آراء متباينة فى أسباب سقوط بنى أمية .

وعلى سبيل المثال ، فبينما يرى بعض المؤرخين ممن سنعرض لآرائهم أن العصبية العربية كانت من عوامل سقوط بنى أمية يرى آخرون أنها لم تكن من عوامل السقوط بل يرون أنها لم تكن موجودة أصلا .

ان الدكتور محمد الطيب النجار عندما يتحدث عن عوامل سقوط بنى أمية يرى أن العصبية العربية السمة البارزة التى تميز بها حكم بنى أمية يتضح ذلك فى معاملتهم للمسلمين من غير العرب ، الذين يسمونهم "بالموالى" وهى تسمية تشعر بسيادة العنصر العربى وكانوا لايساوون بين العربى وغير العربى فى العطاء ولافى وظائف الدولة بل وينظرون اليهم باحتقار وازدراء(١).

بل انه يرى أن العصبية العربية الأموية تطورت الى ماهو أضيق فأصبحت عصبية قبلية وقد "بلغ من خطورة العصبية القبلية وآثارها المدمرة أنه ترتب عليها قتل خليفة من الخلفاء الأمويين وهو الوليد بن يزيد .

ويروى المؤرخون فى ذلك أن أحد عمال الخليفة الوليد بن يزيد قتل خالدا القسرى ، وكان خالد من اليمانية والوليد بن يزيد من المضرية والعصبية بين القبيلتين على اشدها ، فلما علم الوليد بمقتل خالد سر وفرح

---

(١) محمد الطيب النجار : الدولة الأموية فى الشرق بين عوامل البناء ومعاول الفناء ، (القاهرة ، مطابع دار الكتاب العربى بمصر ، نشر مكتبة الجامعة الأزهرية بمصر : ١٣٨٢هـ) ، ص١٣٧-١٣٨ .
وانظر فى الموضوع نفسه : محمد الطيب النجار : الموالى فى العصر الأموى ، (ط١ القاهرة ، دار النيل للطباعة : ١٣٦٨هـ) ، ص٢٨-٤٦ .

وتيقظت فى نفسه العصبية المضرية وأظهر التشفى والشماتة وتجلى ذلك فى قصيدة له قال فيها :

شددنا ملكنا ببنى نزار — وقومنا بهم من كان مالا
وهذا خالد أضحى قتيلا — ألا منعوه ان كانوا رجالا؟
ولكن المذلة ضعضعتهم — فلم يجدوا لذلتهم مقالا

وهى قصيدة طويلة كان لها فى نفوس اليمانية أسوأ الآثار فاجتمعوا من مدن الشام واتجهوا فى جموع وفيرة الى الخليفة فى دمشق وخرج اليهم الوليد فى جموع من المضرية واقتتلوا قتالا عنيفا حاقت فيه الهزيمة بمضر وتحصن الوليد بقصره ولكنهم تسلقوا عليه القصر وقتلوه .

وهكذا انتهت حياة هذا الخليفة بتلك المأساة الأليمة فذهب ضحية لعصبيته التى تجلت فى قصيدته .

ومثل هذه المأساة تصور الروح السائدة فى ذلك العصر ، والمتاعب الكثيرة التى لقيها الأمويون من جراء تلك العصبية"(١).

ويتابع الدكتور محمد الطيب النجار فى هذا عدد من المؤرخين الذين يركزون على العصبية العربية والقبلية الأموية ، ومنهم الأستاذ ضرار صالح ضرار فى كتابه : "العرب من معين الى الأمويين" فهو يرى أن البيت الأموى أحيا نزعة العصبية الشعوبية بين المضرية واليمنية ، فهاهو معاوية بن أبى سفيان يقرب الكلبيين وغيرهم من اليمنيين على حساب القيسيين وغيرهم من المضريين ، وقد حاول المضريون أن يحدوا من نفوذ اليمانية فى الدولة الاسلامية واشتد هذا النزاع خاصة بعد موقعة مرج راهط والتى انتهت بهزيمة القيسيين الذين كانوا يمثلون ابن الزبير على يد الكلبيين بقيادة مروان بن الحكم .

---

(١) محمد الطيب النجار : الدولة الأموية فى الشرق بين عوامل البناء ومعاول الفناء ، ص١٣٩-١٤٠ .

ولم يتوقف هذا النزاع بين اليمنية والقيسية طيلة العهد الأموى ، بل صار النزاع مزدوجا بعد أن تطور الى نزاع بين أفراد البيت الأموى نفسه ، وتفاقم الأمر وتعددت الأحزاب ، وكان من أكبر الأحزاب التى قوضت دولة الأمويين ، حزب الموالى . فقد كان الأمويون شديدى التعصب لعربيتهم لايولون أمورهم الا لعربى ، ولم يعفوا الموالى من الجزية ، مما أورث فى نفوس الموالى الحقد على الأمويين فأخذوا يغذون كل فتنة من أجل تغيير موقفهم الاجتماعى والسياسى(١).

ويسير فى هذا الاتجاه المؤرخ المعروف الدكتور عماد الدين خليل ، فيرى فى كتابه ملامح الانقلاب الاسلامى فى خلافة عمر بن عبد العزيز أن العصبية القبلية كانت أشد الأخطار التى هددت الدولة الأموية بالانهيار والزوال لأنها كانت تمثل تمزقا داخل القاعدة العربية الشامية التى اعتمدها الأمويون فى اقامة دولتهم ، وتثبيت ملكهم فقد استند الأمويون الى قوة عسكرية من الشاميين يواجهون بها كل ثائر عليهم ولكن بعد موقعة مرج راهط بدأ الصراع عنيفا بين القيسيين واليمانيين وكان للخلفاء دور فى زيادة هذا الصراع عن طريق تأييد فئة دون أخرى ، مما كان له أكبر الأثر فى سقوط الدولة الأموية(٢).

والى حد ما يسير فى هذا الاتجاه الدكتور حسين عطوان فى كتابه عن الدعوة العباسية حيث يورد أسماء عديدة لكثير من الموالى الذين أسلموا وأتقنوا العربية ، واشتغلوا بالعلم فكان منهم علماء فى الحديث والتفسير والفقه وغيره يحظون بمكانة علمية مرموقة ، ومنهم من كان يتولى الحكومات لعمال الأقاليم ويفصل فى الخصومات ، كما كان الموالى يشاركون الجيش العربى فى الغزو من خلال فرق لهم قوادها من الموالى ، ومع ذلك فان

---

(١) ضرار صالح ضرار : العرب من معين الى الأمويين ، (ط٤ ، بيروت ، دار مكتبة الحياة : ١٩٧٨م) ، ص١٤٧،١٤٩ .

(٢) عماد الدين خليل : ملامح الانقلاب الاسلامى فى خلافة عمر بن عبد العزيز ، (ط٢ ، بيروت ، الدار العلمية للطباعة والنشر والتوزيع : ١٣٩١هـ) ، ص٩٨-٩٩ .

العرب ظلوا يؤخرونهم ويستصغرونهم ويشكون فى نياتهم[(١)].

ويؤيد هذا الاتجاه الدكتور أحمد محمد الحوفى فى كتابه أدب السياسة فى العصر الأموى فيرى أن الدولة الأموية اطمأنت الى العصبية القبلية واستندت اليها فى مواجهة خصومها ، ولكنها مالبثت أن استشرت فى جسم الدولة وعجلت بسقوطها حيث أن الأمويين انفسهم استنصروا بها على بعض بل ان هذه العصبية لم تقتصر على السادة بل تعدتهم الى مواليهم وأرقائهم[(٢)].

ويرى الدكتور على ابراهيم حسن أن العصبية العربية القبلية كانت العامل الهام الذى أدى الى سقوط الدولة الأموية ، فما كان من تعصب الأمويين للعرب وتمتعهم بحقوق لم يتمتع بها الموالى دفع هؤلاء الى الكيد للدولة الأموية ومساندة كل خارج عليها وقد اشتدت حركاتهم فى أواخر العهد الأموى واستمرت الحروب بينهم وبين الدولة الأموية مما كان له أكبر الأثر فى نجاح الدعوة العباسية التى احتضنتهم وأيدتهم[(٣)].

وقريب من هذا الرأى يأتى رأى الدكتور محمد أمين صالح ، فهو يرى أن العصبية العربية كانت محور الحياة فى العصر الأموى وأنها كانت توجد "ببعض أوكل مظاهرها وراء التيارات والأحداث السياسية البارزة فى هذا العصر وتعطى انعكاسا أليما فى النتائج والآثار ومؤشرا هابطا فى القوى أو السيادة العربية مؤديا الى زوال فى مواجهة التطورات السياسية والدينية والاجتماعية لدى الشعوب الأخرى غير العربية من مواطنى الدولة الذين أطلق عليهم اسم الموالى .

---

(١) حسين عطوان : الدعوة العباسية مبادىء وأساليب ، (بيروت ، دار الجيل : ١٩٨٤م) ، ص١٨-١٩ .

(٢) أحمد محمد الحوفى : أدب السياسة فى العصر الأموى ، (بيروت ، دار القلم : ١٣٨٤هـ) ، ص٤٦٠،٤٦٣ .

(٣) على ابراهيم حسن : التاريخ الاسلامى العام ، (القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية) ، ص٣٢٨ .

وليت البيت العربى الحاكم استمر يحافظ على التوازن بين شعبى العرب قيسية ويمنية وانما نرى من بداية القرن الثانى انحياز الخلفاء الأمويين الى هذا الجانب أو ذاك بشكل أذكى جذوة الصراع القبلى ، ففقدت الخلافة الأموية مقومات الوحدة أو القوة التى كان يمكن أن تساندها فى أوقات تقرير المصير "(١).

ان هذه العصبية أو مايمكن تسميته بتعبير آخر القومية والطبقية العربية المستعلية والمنعزلة عن بقية الطوائف كانت ـ كما يذكر المؤرخ محمد عبد الحى شعبان فى كتابه التاريخ الاسلامى فى تفسير جديد ـ من أسباب السخط على الأمويين ، فقد تحقق عجز الفاتحين العرب عن الاندماج فى أوساط المجتمعات الجديدة التى دخلوها وأدخلوا فيها الاسلام وظلوا مبتعدين عنها فى مساكن خاصة أقاموها فى مدن الحاميات مبتعدين بذلك عن السكان الأصليين مما كان له أثر سلبى على نظرة هؤلاء السكان اليهم(٢).

وعلى العكس من هذه الآراء نجد آراء أخرى ترى أن الدولة الأموية لم تتعصب للعرب ، بل انها أهملتهم وكان هذا من أسباب سقوطها . أو هى ـ على الأقل ـ لم تقف وقفة حازمة من الأجناس غير العربية .

فعند الدكتور حسين مؤنس أن الناظر فى تاريخ الدولة الأموية يرى بوضوح أنها كانت غير واضحة السياسة فى مواقفها مع العنصر العربى فى الدولة ، بل انها ـ كما يقول حسين مؤنس ـ كانت سببا قويا فى اضعاف العرب الذين قامت الدولة على أكتافهم ، وكان خلفاؤها يذكون روح العداء بين عرب خراسان وبين الفرس فى شرق الدولة ظنا منهم أن هذا

---

(١) محمد أمين صالح : العرب والاسلام من البعثة النبوية حتى نهاية الخلافة الأموية ، ص٢٨٠ .

(٢) محمد عبد الحى شعبان : التاريخ الاسلامى فى تفسير جديد ، ترجمة : عبد المجيد حسين القيسى ، (أبو ظبى ، دار الدراسات الخليجية ، دار الوفاق : ١٩٨٢م) ، ص٢٤١ .

يضعف الطرفين ويقوى ملكهم . وقد فطن العرب لكيد الأمويين بهم فمالوا الى تأييد العباسيين ، فلما قامت الدولة العباسية استقر عدد كبير من العرب فى المشرق فظهرت نزعة الصراع بين القيسية واليمنية وامتد هذا الصراع ليشمل الدولة كلها(١).

ويرى الدكتور عبد الحليم عويس أن الدولة الأموية لم تسقط لأنها كانت دولة عربية متعصبة كما يشيع بعضهم ، "فهذا زعم لم يقم عليه أى سند تاريخى ، فقد كان بنو أمية يوالون من يواليهم مهما كان أصله ... بل كان بعض ولاتهم يقرب الموالى ويجفوا العرب مثل عبيد الله بن زياد ، وكذلك كان المختار الثقفى يولى الموالى الوظائف وأعد منهم جيشا .. وقد أورد ابن قتيبة فى الامامة والسياسة المعزو اليه ، وأورد أبو حنيفة الدينورى فى أخباره الطوال صورا من المكانة الرسمية التى يتمتع بها الموالى ..!!

أما قصة ترفع العربى عن التزوج من الموالى ، فحسبنا أن نذكر أن (أولاد عبد الملك : الوليد وسليمان ويزيد وهشام ، وجميعهم صاروا خلفاء ... ثم مسلمة بن عبد الملك ، وعبد الله ، وسعيد ، وهم لأمهات أولاد) أى أن رأس العرب ، خليفة المسلمين الأموى ، كانت أمه أمة من الموالى .. والخليفة مروان أليست أمه أمة؟(٢).

وأيا كان الأمر فنحن نرى أن الانفصال الطبقى الاجتماعى الذى وقع فيه الأمويون والعرب المحيطون بهم ، وان لم يبلغ مبلغ العصبية العنصرية التى لايعرفها الاسلام ، الا أن تأثيره على الدولة الأموية لايمكن انكاره .

وهذا لايعنى بالضرورة وجود تعصب فى الدولة الأموية ، بل يعنى أنه من طبيعة الطبقة الثرية الحاكمة ومن يلوذون بها أن تشكل كيانا مستقلا له أسلوبه فى الحياة بعيدا عن الاختلاط بالغالبية من أبناء الشعب ، وهذا - مع

---

(١) حسين مؤنس : تاريخ قريش ، (ط١ ، جدة ، الدار السعودية للنشر والتوزيع : ١٤٠٨هـ) ، ص ٦٧٧-٦٨٠ .

(٢) عبد الحليم عويس : بنو أمية بين الضربات الخارجية والانهيار الداخلى ، (ط١ ، القاهرة ، هجر للطباعة والنشر : ١٤٠٨هـ) ، ص ٧٢ .

استمراره - يوجد نوعا من الفصل بين الطبقة الحاكمة والمحكومين .

والى جانب هذا فقد وجدت أسباب أخرى رصدها المحدثون لسقوط دولة بنى أمية .

ومن أقوى هذه الأسباب مابسطه رياض عيسى فى بحث كامل حول "النزاع بين أفراد البيت الأموى ودوره فى سقوط الخلافة الأموية" ، فمما لاشك فيه أن انقسام بنى أمية على أنفسهم كان العامل الأكبر فى السقوط المباشر لهذا البيت ، ويكفى أن نتتبع الصراع الدامى الذى وقع بين هشام بن عبد الملك وابن أخيه الوليد بن يزيد "ولى العهد" ثم ماتبع ذلك من صراع بين الوليد ويزيد بن الوليد "يزيد الناقص"، ثم الصراع بين يزيد هذا وابراهيم الذى خلفه ومروان بن محمد . "وليس من شك فى أن الثورة على الوليد بن يزيد لم تكن حادثا فردا يعبر عن موقف عدائى نشأ بين خليفة قائم بالحكم ومتطلع الى الخلافة يريد استلابها من صاحبها ، وانما هى تعبير عن تناقضات كثيرة وكبيرةكانت تعتمل فى جسد الأسرة الأموية ومن يساندها من رجالات القبائل من جهة ، وعن الحال المتردية التى آلت اليها أمور الدولة والناس بنتيجة هذه التناقضات وسواها من أمور ولاسيما الدعوة العباسية من جهة أخرى . وبعد أن تولى يزيد الثالث الخلافة فى دمشق أخذ يعد العدة لمحاربة الوليد الثانى ، فدعا الناس الى التطوع فلم يتقدم منهم الكثير ، فاضطر لأن يرشوهم بالمال ، وأعلن أن من سار فله ألفان . فاجتمع ألفا رجل أعطى كلا منهم ألفين وجعل القائد على هذا الجيش الصغير عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، وهو ابن عمه ومعه منصور بن جمهور الكلبى ، وآخرون من رؤساء لخم وكلب وعلم الناس بأمر هذه الحملة فخرج رجل من موالى الوليد الثانى لينقل الخبر الى سيده ، فلما وصل اليه وأبلغه الخبر كان جزاؤه أنه ضربه مائة سوط وعنفه أشد التعنيف.

وقد أدى مقتل الوليد الى أمور كثيرة كان أهمها ازدياد البغض والعداوة بين القبائل ، وانهيار الجبهة الأموية فى الشام وزوال تماسكها وضياع هيبة الخلافة .

ويلاحظ من دراسة بعض الوقائع التى يوردها الطبرى أن الفرع السفيانى من الأسرة الأموية كان خلال فترة الصراع بين يزيد بن الوليد والوليد الثانى كان أقرب الى تأييد الوليد الثانى ، ولكن هذا التأييد لم يصل حد الاستشهاد فى الدفاع عنه ، فمن ذلك مثلا موقف أبى محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية الذى كان موفد الوليد الثانى الى دمشق ليقف على حقيقة الأمر من جهة وليدفع العدوان عن الوليد الثانى ان أمكن ، ولكن أبا محمد هذا مالبث أن انضم الى صفوف يزيد بن الوليد"(١).

ويؤكد الدكتور عبد الحليم عويس أن مسيرة الدم التى بدأت بين أفراد البيت الأموى لم تتوقف ، فقد بدأ الخلاف بينهم أن أرسل الخليفة الأموى ابراهيم جيشا بقيادة سليمان بن هشام سنة ١٢٦هـ/٧٤٣م ليحارب مروان وقد انتصر مروان فى هذه المعركة لكنها بطبيعة الحال أضعفت الدولة وكانت مع مثيلاتها سببا فى زوالها(٢).

وهكذا تآكل الأمويون من داخلهم ، وقضى بعضهم على بعض ، فان "هذه الاضطرابات الخطيرة فى الدولة الأموية ، لم تغب عن أعين منافسيهم من بنى هاشم ، الذين كانوا يتربصون بهم الدوائر ، فنشطوا للاستفادة منها بزعامة فرع آخر هو بنو العباس من نسل العباس عم النبى [صلى الله عليه وسلم] بقصد المطالبة بحق آل البيت فى الخلافة"(٣).

وثمة أسباب أخرى فى سقوط بنى أمية لايكاد يوجد خلاف حولها ، لكنها تأتى فى درجة تالية لأسباب السقوط الأساسية .

---

(١) رياض عيسى : النزاع بين أفراد البيت الأموى ودوره فى سقوط الخلافة الأموية ، ص١٤٤،١٤٩-١٥٠،١٥١ .

(٢) عبد الحليم عويس : بنو أمية بين الضربات الخارجية والانهيار الداخلى ، ص١٠٠ .

(٣) عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ، (ط٧ ، مكتبة الانجلو المصرية : ١٩٨٢م) ، ص٣٢٣ .

ومن هذه الأسباب النواحى المالية ، فقد كانت يد العمال مطلقة فى الأموال وفى استيلائهم عليها وقد أصبح من غير المستغرب أن يحاسب العامل الجديد ولاة العامل الذى قبله ، بل قد يقتلهم أحيانا . وكان الولاة لحرصهم على ارسال المال الى الخليفة كل عام غير منقوص عن العام الذى قبله يأخذون أكثر مما ينبغى لهم أن يأخذوه من الناس ، بل بلغ بهم الحد أحيانا أن يأخذوا الجزية من المسلمين وأن يحرموا المقاتلة من حقوقهم من الغنائم المكتسبة فى الحرب ، وقد أدى هذا الى تذمر عامة الناس لاسيما المسلمين من غير العرب لشعورهم بالظلم الذى كان يقع عليهم أكثر من غيرهم وطالبوا ورفعوا أصواتهم لرفع الظلم عنهم"(١).

ويرى الشيخ محمد الخضرى أن نظام ولاية العهد كان من أسباب السقوط ، فلقد كانت ولاية العهد "سببا كبيرا فى انشقاق البيت الأموى ، وذلك أن بنى مروان اعتادوا أن يولوا عهدهم اثنين يلى أحدهما الآخر ، وأول من فعل ذلك مروان فانه ولى عهده عبد الملك ثم عبد العزيز فكاد عبد الملك يبدأ بشق هذا البيت حيث أراد تحويل ولاية عهده الى ابنه الوليد وعزل أخيه لولا أن ساعده القضاء المحتوم بوفاة عبد العزيز فلم تبدأ الأزمة ولكنه هو الذى رأى ذلك وعلمه لم يستفد من تلك التجربة بل ولى الوليد وسليمان . خطر ببال الوليد أن يعزل سليمان ويولى ابنه فعاجله القضاء وأخر الأمر الى حين . لم يستفد سليمان مما حصل له فولى عهده عمر بن عبد العزيز ثم يزيد بن عبد الملك ولم يكن عمر يميل الى يزيد فخيف منه فعوجل حتى قيل انه سم ، أعاد يزيد هذه الغلطة فولى عهده هشاما أخاه ثم الوليد ابنه فأراد هشام أن يخلع الوليد ولج فى ذلك حتى تباعد مابين هشام والوليد وكان كثير من كبار القواد وذوى الكلمة المسموعة فى الدولة الأموية صرحوا بممالأة هشام على رأيه ولكنه مات قبل أن ينفذ مارأى فجاء الوليد مشمرا عن ساعد الجد فى الانتقام من أولئك الخصوم الذين عليهم

---

(١) حسين عطوان : الدعوة العباسية مبادىء وأساليب ، ص٢٢، ٢٩-٣٠ .

المعول فى اشادة بيتهم ومنهم بنو عمه وكبار أهل بيته فكان ذلك نذير الخراب "(١).

كما يرى الدكتور النجار أن الترف كان من أسباب سقوط بنى أمية ، فقد انغمس بعض خلفاء بنى أمية فى حياة البذخ وانشغلوا بذلك عن حسن تدبير سياسة الدولة وانصرفوا عن ميادين العمل الجاد الذى تتطلبه الدولة منهم (٢).

ومن المؤكد أن الترف مفسدة للأمة ، ولكن الجدير بالذكر أن كثيرا مما نسب الى بنى أمية فى هذا الجانب ولاسيما يزيد بن معاوية فيه تزيد وتحريف . ولاشك أن مقتل الوليد بن يزيد كان بداية النهاية بالنسبة لبنى أمية .

وقد أضاف مؤرخ معاصر ـ الى أسباب سقوط بنى أمية من وجهة نظره ـ أسباب أخرى منها قصر مدة حكم أواخر الخلفاء الأمويين ، وانتماء بعضهم لمذاهب دينية تغاير مااجتمعت عليه الأمة مثل مذهب القدرية الذى اعتنقه يزيد بن الوليد ، وكذلك تقليد بعض الخلفاء للأكاسرة أو القياصرة فى ترفهم المفرط فابتعدوا بذلك عن حياة الزهد والورع التى عاشها أسلافهم فى بداية الدولة الاسلامية (٣). وكلها أسباب صالحة تستحق أن تضاف الى الأسباب الأساسية التى عرضنا لها .

---

(١) محمد الخضرى بك : محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية (الدولة الأموية) ، (دار الفكر) ، ص ٢٢٣ .

(٢) محمد الطيب النجار : الدولة الأموية فى الشرق بين عوامل البناء ومعاول الفناء ، ص ١٤٢ .

(٣) أحمد الشامى : الدولة الاسلامية فى العصر العباسى الأول ، (الدمام ، دار الاصلاح : ١٤٠٤هـ) ، ص ١٨ .

المبحث الثاني

مرحلة السقوط وطبيعتها

مرحلة السقوط وطبيعتها

اختلفت الرؤية لطبيعة الظروف التى بسببها أو بسبب غيابها تنحل الحضارة وتتداعى آيلة للسقوط .

ويرجع اختلاف الرؤية الى طبيعةفهم كل حضارة وأبنائها لطبيعة الانسان والمؤهلات الصالحة لبقائه واطار علاقته بخالق الكون وبالكون والانسان .

واذا كانت بعض المذاهب والأديان ترى فى الانسان كائنا روحيا ، فانها تعزو سقوط الحضارةالى تعلق الانسان بالمادة وضياع الجانب الروحى فى حياته ، والى هذا التفسير ينتحى الفكر المسيحى وبعض النظريات الدينية الوثنية .

وفى المقابل ترى بعض النظريات المادية والوضعية أن الانسان كائن مادى أو بيولوجى ، وترى ـ بالتالى ـ أن توافر العناصر المادية هى التى تؤهل للبقاء ، وأن فقدان هذه العناصر وغلبة الروح من شأنه القضاء على الحضارة .

ان الفيلسوف (هيجل) "يرى الناس والمجتمعات والدول فى ممارساتهم وتجاربهم التاريخية كأدوات مرحلية يستخدمها العقل الكلى فى فترة زمنيةمحدودة ، ثم مايلبث أن يطيح بها صوب الفكرة الأحسن لكى يجىء ذلك اليوم الذى يكون التاريخ فيه ، بشتى معطياته ، تعبيرا متجليا كاملا لهذا العقل"(١).

---

(١) عماد الدين خليل : التفسير الاسلامى للتاريخ ، (ط٤ ، بيروت ، دار العلم للملايين : ١٩٨٣م) ، ص٢٥٥ .

ومن المؤرخين نفر "يرون أن صانعى التاريخ انما هـم عظماء الرجال ، فالفرد العظيم عندهم يقود أمتـه ويجمـع شملها ويتغلـب على أعـدائها ويثبت دعائم ملكها ويخلق حضارتها"(١).

وبالتالى فغياب الصفوة أو الأبطال المبدعين هو السبـب ـ عند هؤلاء ـ فى ضمور الحضارة .

ومنذ أوائل القرن التاسع عشر ـ وعندما بدأت العلـوم الطبيعية تتقدم حاول نفـر من المؤرخين ايجاد أسلـوب علمى لمعالجة تدوين التـاريخ فجعلوا تاريخ العلوم الطبيعية جزء من التاريخ العام لأهمية هـذا النوع من التاريخ فى حيـاة الانسـان . كما اهتمـوا كذلك بالجغرافية فدرسـوا تأثير المنـاخ على الحضـارة والثقـافة وأشـاروا الى كثرة النسـل فى الطبقـات الفقيرة وقلتـه فى الطبقات الغنية .

وكان أرنولد توينبى من الذين اهتموا بتعليل التـاريخ فجعل له ثلاث خصـائص : الاهتمـام بتاريخ الحضـارة ، والاكثـار من دراسـة تاريخ اليـونان قديمه وحديثه ، والميل الى جعل التاريخ عالميا وليس محصـورا بقضايا اقليمية ضيقة .

وقـد أبرز توينبى عنصراهـاما عند حديثه عن رقى الحضـارة وانحطـاطها وهـو عنصـر التحـدى والـرد على التحـدى ، فهـو يرى أن فى سير التـاريخ عاملين : الجنس البشرى والبيئـة . ان رأى توينبى القـائل بأنه كلمـا زادت قسـوة الأرض على ساكنيها زاد كفـاح أهلها للتغلب على صعـابها ، وادراكـه أخطـاء فلاسفة التاريخ الأوربيين وتبنيه للآراء الصحيحـة من أقوالهم ، كل هذا سبقه اليه ابن خلدون ولـو أنه درس مقـدمة ابن خلـدون لماضطـر الى كتابة تاريخه فى نشوء الحضارات(٢).

---

(١) عمـر فـروخ : كلمة فى تعليل التـاريخ ، (بيروت ، دار العلم للملايين : ١٤٠٤هـ) ، ص١٦-١٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص١٧-١٨،٣٠-٣١،٣٢ .

والحق أن أرنولد توينبى ، قد بذل جهدا كبيرا فى محاولة الوصول الى السنن التى تخضع لها سقوط الحضارات . وقد دحض الآراء التى تعزو سقوط الحضارة الى أسباب خارجية مثل : الغزوات والأعداء وظواهر الطبيعة، ولهذا فهو ينفى أهم الآراء التى كانت شائعة فى عملية السقوط الحضارى ، ومنها "أولا : المبدأ القائل بصيرورة (الكون) الى الشيخوخة وانتهائه الى العدم المحتوم ...

ثانيا : الخضوع للمؤثرات البيولوجية ولناموس الكائنات الحية فى الولادة والموت مرارا بأدوار العمر المختلفة ...

ثالثا : التقيد بقانون التشابه أو مبدأ الحركة الدورية فى التاريخ ...

رابعا : فقدان السيطرة على المحيط الانسانى ، والعجز عن صد الاعتداءات الخارجية على كيان الحضارات .

خامسا : النقص فى الميادين العلمية والتقنية .

وبعد أن يدحض توينبى هذه الحلول الحتمية كلها يورد تفسيره الخاص لطبيعة السقوط الحضارى ويرده الى أسباب ثلاثة :

أولا : ضعف القوة الخلاقة فى الأقلية الموجهة وانقلابها الى سلطة تعسفية .

ثانيا : تخلى الأكثرية عن موالاة الأقلية الجديدة المسيطرة وكفها عن محاكاتها .

ثالثا : الانشقاق وضياع الوحدة فى كيان المجتمع كله"(١).

وفى الاطار الاسلامى الحديث قدم الأستاذ مالك بن نبى المفكر المسلم الجزائرى ـ سلسلة من الكتب تحت اسم : "مشكلات الحضارة" وانتهى الى أن عوامل قيام الحضارة هى الانسان والوقت والتراب والعقيدة التى تحكم الرباط وتعطى الوقود اللازم لانطلاق الحضارة . وعندما تتحلل شبكة العلاقات الاجتماعية ويعجز الانسان عن استغلال التراب والوقت وتخمد جذوة العقيدة فان الحضارة تبدأ فى المغيب .

---

(١) عماد الدين خليل : التفسير الاسلامى للتاريخ ، ص٨٢-٨٣ .

وتنبثق عن هذا التحلل الأساس صور من التحلل الأخرى مثل الترف وفقدان الذوق الجمالى ، وضمور الأخلاق وتحولها الى أخلاق مصلحية ، وضياع الأهداف السامية والمثل العليا(١).

ويعزو الدكتور عماد الدين خليل سقوط الحضارة - من منظور اسلامى - الى فقدان الانسجام السياسى والادارى والاقتصادى والأخلاقى والاجتماعى ذلك لأن الاسلام ينظر الى كل هذه الجوانب نظرة ترابطية شمولية . وعندما يقف الدكتور عماد الدين خليل ليتفحص موقف القرآن ازاء المسألة الاجتماعية فى جانبها الاقتصادى يكتشف واقعية التفسير الاسلامى وتأكيده على العامل الاقتصادى المتوازن بين الترف والسلطة التى يقودها الترف الى الهلاك(٢). {وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً}(٣).

ان الترف ممارسة مدمرة سواء للجماعة كلها التى تسكت عليها وتغض عنها الطرف أو تغلو فى انهزاميتها فتتملق وتتقرب وتداهن أو للمترفين أنفسهم الذين يعمى الثراء الفاحش بصائرهم ويطمس على أرواحهم(٤).

والآيات القرآنية الكثيرة منها قوله تعالى :﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِى الأَرْضِ حَلَلاً طَيِّباً وَلاَتَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾(٥)، وقوله تعالى :﴿وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشاً كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلاَتَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾(٦)، وقوله تعالى :﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَلاً طَيِّباً وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(٧)، وقوله تعالى :﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ

---

(١) انظر - بخاصة - كتاب : مالك بن نبى : شروط النهضة ، ترجمة : عبد الصبور شاهين ، (نشر بيروت) .
(٢) عماد الدين خليل : التفسير الاسلامى للتاريخ ، ص٢٧١ .
(٣) سورة الاسراء : آية ١٦
(٤) عماد الدين خليل : التفسير الاسلامى للتاريخ ، ص٢٧٢-٢٧٣ .
(٥) سورة البقرة : آية ١٦٨
(٦) سورة الأنعام : آية ١٤٢
(٧) سورة الأنفال : آية ٦٩

مارزقناكم ولاتطغوا فيه فيحل عليكم غضبى ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى﴾(١)، وقوله تعالى :﴿يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إنى بما تعملون عليم﴾(٢)تأمرنا بربط الاشباع بالاعتدال والتقوى والعمل الايجابى الصالح وتنهى عن الاسراف والفساد واتباع خطوات الشيطان حتى لايتحول الأمر الى ظلم اجتماعى ينتهى الى الافساد فى الأرض(٣).

وتمتد مسألة التوازن بحيث نراها تأخذ أكثر من اتجاه فالدعوة الى الأكل والشرب صريحة شرط أن لايبلغ ذلك حد الاسراف ، والزينة مطلوبة بالشرط نفسه ،ومتعة الجسد كذلك الا أن تصل الى الفاحشة ، بل ان تحريم الطيبات الحلال اثم فى الاسلام :﴿قل أرأيتم ماأنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل ءالله أذن لكم أم على الله تفترون﴾(٤).

"وفى مقابل حالة التوازن هذه التى يرسمها القرآن ، ويدعو المؤمنين الى التشبث بها ، والتحرك وفق مقاييسها الموضوعية العادلة .. تبدو أية تجربة بشرية تجنح باتجاه المادية ، مهملة الروح ، أو تتشبث بالروحيةمهملة المتطلبات المادية ، شذوذا وانحرافا لأنه تزوير وتزييف للموقف البشرى فى الأرض"(٥).

أى أننا ـ كما نستنتج ـ من كلام الدكتور عماد الدين خليل نتوقع سقوط الحضارة عندما يختل الانسجام والتوازن والشمول فى بنائها وتجنح الى التركيز على عامل واحد من العوامل الصانعة للحضارة وتنسى العوامل الأخرى .

---

(١) سورة طه : آية ٨١

(٢) سورة المؤمنون : آية ٥١

(٣) عماد الدين خليل : التفسير الاسلامى للتاريخ ، ص٢٧٨ .

(٤) سورة يونس : آية ٥٩

(٥) عماد الدين خليل : التفسير الاسلامى للتاريخ ، ص٣٠٠ .

ويرى الدكتور نعمان السامرائى أن الحضارة تسقط لعدد من الأسباب كما تقوم لعدد من الأسباب بعضها يعمل ببطء بينما يعمل البعض بسرعة أكبر ، ولاتسقط الحضارة بضربة واحدة بل بتضافر جملة من العوامل أهمها الفساد السياسى حين تصل حفنة من المترفين الفسقة الى قمة الحكم ، ومنها الفساد الاقتصادى حين تنقسم الأمة الى فئة قليلة مترفة وكثرة فقيرة معدمة ويتولد عن الفئة القليلة الترف والطغيان ، ومنها الظلم الذى يعتبر أساسا فى تدمير الدول وتقويض الحضارات ، ومنها تمزق الأمة وضياع الوحدة حين ينفرط عقد الحضارة وتتحول الى جماعات متنافرة لايجمعها جامع ، ومنها الفساد الاجتماعى حين تضيع الأخلاق من صدق وشجاعة واخلاص وينتشر الكذب والغدر والنفاق(١). عند توافر هذه العوامل تسقط الحضارة ببطء حين يكون جسم الحضارة قويا وبسرعة حين يكون جسم الحضارة هزيلا .

ويرى الدكتور عبد الحليم عويس أن فساد الفكر هو المرحلة الأولى فى طريق السقوط الحضارى حين تختل العلاقة بين الانسان وربه ، وبين الانسان والنواميس الكونية وذلك عن طريق انقلاب نفسى وعقلى الى الأدنى يعقبه انقلاب عملى وخلقى ، وبعد فساد الفكر يأتى فساد السلوك عقوبة من الله للذين حادوا بعقولهم وعواطفهم عن هديه الكريم . "انه الاستدراج الالهى الذى يحقق الله به ناموسه الكونى فى ألا يأخذ الناس بظلم وهم مصلحون ، ولايأخذهم الا بعد أن يمتعهم بنصيبهم المقدر من المتعة ، حيث تتاح الفرصةلمن يريد أن يتمادى وتعميه فرص المتعة المتاحة ، وتتاح الفرصة أيضا لمن يبصر من وراء الحجب المادية والاجتماعية الحقيقة الأزلية فيئوب الى رشده ، ويعود الى الحق قبل اللحظة الفاصلة"(٢).

---

(١) نعمان عبد الرزاق السامرائى : فى التفسير الاسلامى للتاريخ ، (ط١ ، الأردن ، مكتبة المنار : ١٤٠٦هـ) ، ص١٢٨،١٣١،١٣٥،١٣٧،١٣٨ .

(٢) عبد الحليم عويس : تفسير التاريخ علم اسلامى ، ص١٧٦ .

ان القرآن يقول :﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(١).

ويقول القرآن أيضا :﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾(٣).

ومن أخلاقيات هذه المرحلةعدم التفرقة بين الحلال والحرام ومحاباة الكبار والتجرؤ على الفتوى والعكوف على وسائل الترف وسيادة بعض المجرمين والسفهاء والاعلان بالخمور والزنى وخروج النساء سافرات ، وتأتى المرحلة الأخيرة وهى مرحلة الانهيار عندما يصبح البناء الاجتماعى هشا يقوم على أسس فاسدة ويختل النسيج كله وتختلط المعايير وتتقطع خيوط الأخلاق وهنا تأتى الضربات الداخلية والخارجية وتنتهى بالأمة الى السقوط (٣).

ونحن نرى من مجموع هذه الآراء التى تنتمى الى الرؤية الاسلامية أنها كلها تلتقى على حقائق واضحة وأن المقومات التى تحكم نسيج الحياة الاجتماعية وتحفظ انسانية الانسان من عقيدةوأخلاق وتوازنية اقتصادية ونفسية ، عندما تختل هذه الشبكة ويسود فساد الفكر والترف والطغيان والظلم فان سقوط الحضارة يصبح مسألة وقتية .

---

(١) سورة الأنفال : آية ٥٣

(٢) سورة الأنعام : آية ٤٤

(٣) عبد الحليم عويس : تفسير التاريخ علم اسلامى ، ص١٨١-١٨٢،١٨٧ .

المبحث الثالث

أسباب سقوط دولة بني أمية
في رأي ابن خلدون

أسباب سقوط دولة بنى أمية فى رأى ابن خلدون

عندما نعرض لآراء ابن خلدون فى سقوط دولة بنى أمية من خلال عرضه لتاريخها ، فاننا نتوقع أن يطبق ابن خلدون آراءه فى سقوط الدول بصفة عامة على بنى أمية بصفة خاصة .

وفى الواقع يلمح القارىء صدق نظرية ابن خلدون عندما نرى أثر العصبية فى قيام دولة بنى أمية ، دولة القبيلة الكبيرة المعروفة ، ثم أثر هذه العصبية نفسها فى سقوط دولة بنى أمية عندما انقلب البيت الأموى على نفسه بدءا من صراع هشام بن عبد الملك وابن أخيه الوليد ، ثم صراع الوليد ويزيد بن الوليد ، وحتى سقوط الدولة .

يقول ابن خلدون مفسرا أثر العصبية فى بنى أمية سواء فى عصر قوتهم أو انحلالهم : "اعلم أن مبنى الملك على أساسين لابد منهما . فالأول الشوكة والعصبية وهو المعبر عنه بالجند ، والثانى المال الذى هو قوام أولئك الجند واقامة مايحتاج اليه الملك من الأحوال . والخلل اذا طرق الدولة طرقها فى هذين الأساسين ... واعتبر هذا فى دول العرب فى الاسلام انتهت أولا الى الأندلس والهند والصين . وكان أمر بنى أمية نافذا فى جميع العرب بعصبية بنى عبد مناف"(١).

وفى حديثه عن "اتساع نطاق الدولة أولا الى نهايته ثم تضايقه طورا بعد طور الى فناء الدولة واضمحلالها" ذكر أن كل دولة لها حصة من الممالك والعمالات لاتزيد عليها ، فحيث نفد عددهم فالطرف الذى انتهى عنده هو الثغر ، فاذا استفحل العز والغلب وتوفرت النعم والأرزاق وزخر بحر الترف والحضارة أفضى ذلك الى الكسل والنزاع وقتل بعضهم بعض ، ويقع الخلل الأول فى الدولة من جهة "الجند" ، والخلل الثانى من جهة المال

---

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٧٥٥،٧٥٧ .

والجباية(١). ويطبق ابن خلدون ذلك على الدولة الأموية فيقول : "واعتبر ذلك فى الدولة الاسلامية كيف اتسع نطاقها بالفتوحات والتغلب على الأمم ، ثم تزايد الحامية وتكاثر عددهم بما تخولوه من النعم والأرزاق ، الى أن انقرض أمر بنى أمية وغلب بنو العباس"(٢).

وهو فى تأريخه "العبر" لايفوته التركيز على هذه الصورة التى انتهى اليها الأمويون عندما اختل الأمر بين هشام بن عبد الملك والوليد حتى عاشا متصارعين الى وفاة هشام ، حيث ذكر ابن خلدون : أن هشاما أراد خلع الوليد فلم يستطع ، فكان يعاقب خاصته ومواليه مما اضطر معه الوليد الى الاقامة بالبرية حتى مات هشام ، فعندها عاد الوليد وهو خليفة فأراد أن ينتقم من هشام على مافعله به فكتب الى عمه العباس بن عبد الملك أن يأتى الى الرصافة فيحصى مافيها من أموال لهشام وأولاده وخدمه فيأخذها جميعا"(٣).

ويرى ابن خلدون أن الاستئثار بالمجد فى العصبية الواحدة من طبيعة الملك وبالتالى فهو يعطى مبررا قويا لأسلوب ولاية العهد الذى اتبعه بنو أمية منذ عهد معاوية الى يزيد بالخلافة ، ولعله من أقوى المبررات التاريخية فى انصاف هذا الموقف الأموى ، وهو يقول انه لم يكن لمعاوية أن يدفع ذلك عن نفسه وقومه فهو أمر طبيعى ساقته العصبية بطبيعتها ولو حملهم معاوية على غير تلك الطريقة لوقع فى افتراق الكلمة(٤).

وكذلك كان سلوك مروان بن الحكم مع ابنه عبد الملك يشهد بذلك ماكانوا عليه من الاتباع والاقتداء وماعلم السلف من أحوالهم ومقاصدهم(٥).

---

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٧٦٠ ومابعدها .
(٢) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٧٦٣ .
(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص١٢٩ .
(٤) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٠٤ .
(٥) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٦٠٥ .

لكن هذا النظام نفسه عندما يساء استغلاله سيصبح سببا من أسباب سقوط الدولة الأموية ، وقد ظهر هذا بدءا مما وقع بين هشام والوليد بن يزيد . ويطبق ابن خلدون نظريته فى تبرير انفراد المجد فى العصبية الواحدة وفى سقوط الأمة عند انفراط هذا العقد فيقول عن بنى أمية بعد عمر بن عبد العزيز "ثم جاء خلفهم واستعملوا طبيعة الملك فى أغراضهم الدنيوية ومقاصدهم ونسوا ماكان عليه سلفهم من تحرى القصد فيها واعتماد الحق فى مذاهبها . فكان ذلك مما دعا الناس الى أن نعوا عليهم أفعالهم وأدالوا بالدعوة العباسية منهم"(١).

ثم يقدم ابن خلدون صورة من صور سقوط بنى أمية امتزج فيها الفساد السياسى بالترف الاجتماعى فى اتباع الشهوات فيحكى عن المسعودى (٢)عن أبى جعفر المنصور عندما تذاكر وصحبه بنى أمية فقال أبو جعفر : "ولم يزل بنو أمية ضابطين لما مهد لهم من السلطان يحوطونه ويصونون ماوهب الله لهم منه ، مع تسنمهم معالى الأمور ، ورفضهم دنياتها ، حتى أفضى الأمر الى أبنائهم المترفين ، فكانت همتهم قصد الشهوات وركوب اللذات من معاصى الله جهلا باستدراجه وأمنا لمكره ، مع اطراحهم صيانة الخلافة، واستخفافهم بحق الرياسة ، وضعفهم عن السياسة ، فسلبهم الله العز وألبسهم الذل ونفى عنهم النعمة . ثم استحضر عبد الله ابن مروان فقص عليه خبره مع ملك النوبة لما دخل أرضهم فارا أيام السفاح ، قال : "أقمت مليا ثم أتانى ملكهم فقعد على الأرض وقد بسطت لى فرش ذات قيمة ، فقلت له مامنعك من القعود على ثيابنا ، فقال : انى ملك! وحق لكل ملك أن يتواضع لعظمة الله اذ رفعه الله . ثم قال لى : لم تشربون الخمر وهى محرمة عليكم فى كتابكم ؟ فقلت : اجترأ على ذلك

---

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٠٥ .

(٢) المسعودى : مروج الذهب ، ٣/٢ ، ص٢٨٣-٢٨٤ .

عبيدنا وأتباعنا بجهلهم! قال ، فلم تطؤون الزرع بدوابكم والفساد محرم عليكم؟ قلت فعل ذلك عبيدنا وأتباعنا بجهلهم! قال : فلم تلبسون الديباج والذهب والحرير وهو محرم فى كتابكم؟ قلت : ذهب منا الملك وانتصرنا بقوم من العجم دخلوا فى ديننا فلبسوا ذلك على الكره منا . فأطرق ينكت بيده فى الأرض ويقول : عبيدنا وأتباعنا وأعاجم دخلوا فى ديننا!! ثم رفع رأسه الى وقال : ليس كما ذكرت! بل أنتم قوم استحللتم ماحرم الله عليكم وأتيتم ماعنه نهيتم ، وظلمتم فيما ملكتم ، فسلبكم الله العز وألبسكم الذل بذنوبكم . ولله نقمة لم تبلغ غايتها فيكم ، وأنا خائف أن يحل بكم العذاب وأنتم ببلدى فينالنى معكم . وانماالضيافة ثلاث ، فتزود مااحتجت اليه وارتحل عن أرضى . فتعجب المنصور وأطرق"(١).

ويعلق ابن خلدون على هذه الصورة التى رواها أبو جعفر المنصور قائلا : "فقد تبين لك كيف انقلبت الخلافة الى الملك . وأن الأمر كان فى أوله خلافة ، ووازع كل أحد فيها من نفسه وهو الدين ، وكانوا يؤثرونه على أمور دنياهم وان أفضت الى هلاكهم وحدهم دون الكافة"(٢).

ويقول أيضا : "وهكذا كان الأمر لعهد معاوية ومروان وابنه عبد الملك ... ثم ذهبت معانى الخلافة ولم يبق الا اسمها ، وصار الأمر ملكا بحتا وجرت طبيعة التغلب الى غايتها ، واستعملت فى أغراضها من القهر والتغلب فى الشهوات والملاذ . وهكذا كان الأمر لولد عبدالملك ، ... فقد تبين أن الخلافة قد وجدت بدون الملك أولا ، ثم التبست معانيهما واختلطت ، ثم انفرد الملك ، حيث افترقت عصبيته من عصبية الخلافة"(٣).

وهكذا نجح ابن خلدون فى الجمع بين النظرية والتطبيق فيما يتعلق بنظرته لسقوط الدول وتطبيقه ذلك على بنى أمية . ولهذا نراه فى تاريخه

---

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٠٦-٦٠٧ .
(٢) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٦٠٧ .
(٢) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٦٠٨ .

العبر يطيل الحديث وينطق بالأحكام الدالة على نواحى الخلل التى ظهرت واحدة تلو الأخرى فى بنى أمية ونحن نجد ذلك مفصلا فى حديثه عن خلفاء بنى أمية الذين جاءوا بعد هشام بن عبد الملك . بل انه ليعزو استفحال أمر الخارجين على الدولة الأموية الى بعض صور الخلل ، فالاساءة الى القادة الذين بذلوا جهدا كثيرا فى الفتوحات الاسلامية من أمثال محمد بن القاسم الثقفى ، وقتيبة بن مسلم(١) كان سببا من أسباب تغير النفوس على بنى أمية .

وكانت بعض صور التعسف التى نسبت الى الحجاج بن يوسف الثقفى من أسباب تغير الناس على الدولة أيضا . بل ان قبضة الدولة الأموية قد ضعفت عن الهند بسبب هذا السلوك الخاطىء(٢).

وفى هذه الظروف بدأ المناخ صالحا لظهور الدعوة العباسية وأبى مسلم الخراسانى . ولم ينس ابن خلدون الأسباب المباشرة لسقوط الدولة الأموية ، وهو ذلك التكتل الذى وقف تحت راية الرضا من آل البيت وأخذ يعمل قدر استطاعته على احداث الخلل فى جسم الدولة الأموية ، وهو خلل بدأت بذوره فى الايناع فى السنة نفسها تقريبا التى توفى فيها الخليفة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه . وقد أشار ابن خلدون كثيرا الى المجون الذى عزى الى بعض خلفاء بنى أمية ومنهم الوليد بن يزيد الذى يصفه ابن خلدون أنه كان متلاعبا وله مجون وشراب وندمان(٣).

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ٨٣، ٨٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥٣ ومابعدها ، ص ٨٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ١٢٥-١٢٩ .

ومما لاشك فيه أن هذا السلوك من خليفة محسوب على الاسلام مهما كان القول فيه فانه قد أساء الى دولة بنى أمية .

وكان قتل الوليد بن يزيد مؤشرا على اختلال الأمور . ومن هنا فقد ربط ابن خلدون بين مقتل الوليد ومحاولة مروان بن محمد فى القصاص له ثم انتفاض مروان بن محمد على ابراهيم ونجاحه فى الانفراد بالخلافة .. ربط ابن خلدون بين هذه الظروف السيئة وبين انتشار الدعوة العباسية فى خراسان ومن ثم سقوط الخلافة الأموية بعد عدة معارك أهمها معركة الزاب.

وبيقين فان معركة الزاب التى هزم فيها مروان بن محمد وهو فى مئة وعشرين ألفا من الجند الذين يفتقدون الانسجام بينهم والوازع والولاء الحقيقى ، ومع الشجاعة المعروفة عن مروان ، ومع أنهم أكثر بكثير من عدوهم ، هذه الهزيمة فى الزاب التى عرض لهاابن خلدون بتفصيل كبير تعطينا عددا من الدلالات على ماكان قد أصاب البيت الأموى من صورالتفكك بحيث أصبحت علاقة جنده به علاقة مصلحة ومادة ، بينما كان جند العباسيين يدافع عن قضية يعتقد أنها الحق فى سبيل هدف يؤمن بأنه جزء من العقيدة والدين .

ومع كل ذلك فقد كنا نتوقع من ابن خلدون تطبيقا كاملا لجوانب نظريته على وقائع الدولة الأموية لأهميتها ومكانتها ، كما كنا نتوقع أن يقدم لنا النظرية والوقائع فى ربط محكم ونسيج منسجم ، حتى يعطينا درسا عمليا تطبيقيا لنظريته وقد كان ذلك ـ لو تحقق ـ ردا عمليا على بعض الذين يقولون ان ابن خلدون قدم نظرية فى تفسير التاريخ وعلم العمران لكنه لم يقدم تطبيقا لها ، ونحن وان كنا نجد فى هذا القول مبالغة الا اننا كنا نتمنى أن يقدم لنا ابن خلدون دراسة كاملة جامعة كما ذكرنا بين قوانينه فى قيام الدول وسقوطها وبين وقائع دولة بنى أمية وان كان ذلك لايجعلنا نبخس ابن خلدون حقه الجدير به .

والحمد لله رب العالمين وله عاقبة الأمور .

الخاتمة

الخاتمة

من المعروف أن العلامة عبد الرحمن بن خلدون ملء السمع والصر ، وأنه ظفر بدراسات لم يظفر بمثلها مؤرخ أو فيلسوف مسلم .

وعالم هذا شأنه لانزعم أننا جئنا بجديد عند حديثنا عن حياته أو عصره . وماكانت دراستنا لحياته أو عصره الا توطئة لدراسة قضيتنا الأساس وهى منهجه وآراؤه فى الدولة الأموية، رجالا وأعمالا وسياسة خارجية وداخلية مع مقارنة آرائه المتصلة بالدولة الأموية بآراء غيره حول الدولة الأموية أيضا . ومع مقارنة عرضه التاريخى للدولة الأموية فى عصريها السفيانى والمروانى بما عرضه غيره من المؤرخين ، بالاضافة الى ذكر ماأورده حول التطور الحضارى للدولة الأموية .

وفى نهاية المطاف دراسة آرائه ـ مع المقارنة ـ حول أسباب سقوط الدولة الأموية على أساس أن سقوطها السريع قد يبدو غير منسجم مع سيرة خلفائها العظام وفتوحاتها الكثيرة مما يوجب دراسة مقارنة ، وتحليلا تاريخيا وافيا .

وهذه الجوانب الخاصة بالدولة الأموية فى تأريخ ابن خلدون وفكره كانت جوهر بحثنا ومقصودنا الأسمى ، وفى سبيلها كانت هذه الرسالة حول دراسة آراء ابن خلدون فى الدولة الأموية .

وقد يكون من السهل أن ندرس آراء أى مؤرخ تقليدى فى الدولة الأموية أو فى غيرها من الدول ، لكن ـ بالنسبة لمؤرخ وفيلسوف تاريخ من طراز ابن خلدون المتفرد ـ فان متابعة آرائه تحتاج الى جهد خاص ، والى منهجية سديدة فى التحليل والدراسة التاريخية .

فالعهد بابن خلدون أن أحكامه وآراؤه لاتأتى الا من خلال منظوره فى علم العمران وفلسفة التاريخ ، كما أن من مقتضيات منهجه أن لايمضى وراء الأحكام التاريخية الشائعة ، بل يقف عندها ناقدا وفاحصا وفق منهجه فى

دراسة التاريخ سواء فى مقدمته المشهورة التى تقدم منظوره الفكرى والتى تمثل الجزء الأول من كتابه أو فى الأجزاء الأخرى من كتابه العبر التى تمثل رصده التاريخى للدول الاسلامية حتى عصره ، وهى المجال التطبيقى لمنهجه فى عرض أحداث التاريخ الاسلامى .

وكان لزاما علينا ـ اذن ـ أن نعمل على الجمع بين فكره الذى بثه فى المقدمة وعرضه التاريخى الذى أورده فى بقية أجزاء العبر .

كما كان لزاما علينا أن نرصد آراءه مشفوعة بآراء غيره من السابقين واللاحقين ، ذلك لأن الدولة الأموية قد ابتليت بالأحكام المتسرعة والظالمة التى أشاعها حولها وحول خلفائها وسياستها الداخلية مؤرخون موالون للعباسيين أو للشيعة أو للخوارج. ولم يستطع هؤلاء فى الأعم الأغلب أن يكونوا منصفين .

وقد اكتشفنا أن ابن خلدون قد نجح فيما لم ينجح فيه غيره من انصاف للدولة الأموية ،ومن تمحيص لكثير مما نسب الى خلفائها ... ولئن كان ابن جرير الطبرى قد وفق ـ بدرجة كبيرة ـ فى سرد الوقائع التى من شأنها أن تقدم المادة الصالحة ـ عند الدراسة المنهجية المنصفة ـ لتقويم الدولة الأموية تقويما سديدا ، فان ابن خلدون كان الباحث الأسبق والأكبر الذى شكل المادة التاريخية التى أوردها ابن جرير الطبرى تشكيلا جمع بين السرد التاريخى والتحليل المنهجى ، فوازن بين الآراء ، ونقدها بمنطق العقل والمنهج العلمى ، وأبرز الآراء التى تستحق البروز والتى حاول كثيرون اخفاءها .

وقد وصل ابن خلدون من خلال منهجه الى انصاف شخصيات الدولة الأموية الجديرة بالتقدير ، مثل معاوية بن أبى سفيان ، وعبد الملك بن مروان ، والوليد وسليمان وهشام أبناء عبد الملك ، وقد انبرى ابن خلدون لدحض الآراء العامة المجملة التى حاول أصحابها المغرضون الاتيان على كل حسناتهم ، كما انبرى لابراز أياديهم البيضاء على الدولة الاسلامية والأمة الاسلامية بصفة عامة .

لقد فرضت منهجية البحث أن نحلل منهجية ابن خلدون التاريخية توطئة لتحليل منهجيته فى دراسة الدولة الأموية بخاصة .

وقد سردنا الأسباب التى من أجلها عاب ابن خلدون المنهاج التاريخى التقليدى ، والأسباب التى تؤدى الى الكذب فى نقل الأخبار التاريخية كالتشيع المسبق للآراء والمذاهب والثقة العمياء بالناقلين ، والغفلة عن المقاصد ، وتوهم الصدق ، والجهل بتطبيق الأحوال على الوقائع ، وتقرب الناس لأصحاب السلطان مما يؤدى الى تزوير الوقائع لارضائه . أما السبب الأخير فهو الجهل بطبائع أحوال العمران ـ الاجتماع ـ وقد أوردنا أن ابن خلدون كان منصفا للأمويين ، وقد دافع عنهم وهذا معناه أنه لايمكن أن يتهم بالتشيع مما يجعل اجتهاده الخاطىء الذى جعله يؤيد صحة نسب الفاطميين لآل البيت مجرد اجتهاد خاطىء وقع فيه ، وليس عاطفة نحوهم ، ومخالفة ابن خلدون للمؤرخين فى هذه النقطة لايدفعه الى التشيع ، فقد خالف المؤرخين فى كثير من النقاط وأصاب فيها .

وقد أثبتنا أن ابن خلدون كان منصفا فى تحليله لثورة الحسين وأنه لم يتهرب من قول الحق فى هذه القضية وهو أن الحسين كان مجتهدا مأجورا على كل حال وهو رأى الطبرى وابن الأثير أيضا .

وأثبتنا أن ابن خلدون كان يؤمن بعدالة الصحابة ، وبالتالى فهو لايتعرض لأحدهم بالقدح اعتمادا على تعليمات الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا الشأن.

وقد رصدنا بعض القضايا التى أخطأ فيها ابن خلدون فى اطار رصدنا لمعالم منهجه التاريخى ، ومن ذلك عيبه على بعض المؤرخين الاغراق فى التفصيلات مع أنها قد تكون مهمة ودالة على أبعاد معينة فى الحياة الاجتماعية ، ومن ذلك قوله ان الآثار والمبانى دالة على عظمة الدولة ، فدولة الاسلام الأولى لم تترك آثارا مادية عظيمة بل تركت فكرا ومنهج حياة ومن أخطائه تناقضه أحيانا بين الفكر والتطبيق وتكراره الروايات لحدث واحد دون ترجيح ، وايراده لبعض الروايات الضعيفة .

وقـد درسنا بالتفصيل مدى التزام ابن خلـدون بالقـواعد التاريخية التى ذكـرها فى مقـدمته ، وأوردنا آراء القـائلين بعـدم التزامـه والقـائلين بالتزامه وانتهينـا الى أنه مع وقوعـه فى هذا القصور الا أنه مـع ذلـك طبق كثيرا من نظرياته وبقى أفضل المؤرخين ومفسرى التاريخ خلال القرون الثمانية الأولى من تاريخ الاسلام .

وفيما يتعلق بآراء ابن خلدون فى قيام الدولة الأموية أثبتنا من خلال الـدراسة أن ابن خلـدون قد رصـد التطور الأخلاقى والنفسـى والجغـرافى فى الدولة الاسلامية مما جعل الأمور تحتاج الى نوع خاص من الرجال يحسنون اصطناع الناس ومجاراة الوقت ، وقد كان صعبا أن يستمر الناس فى مستوى أبى بكـر وعمر ، وقد حاول الامام على أن يقاوم التيـار الجارف لكنه حافظ على الأسلـوب الصارم فتفلتـت الأمور من بين يديه ، وقـد كان ابن خلدون موفقا غاية التوفيق فى تحليله للفتنة بين على ومعاوية رضى الله عنهما ، وقد ذكرنا آراءه بالتفصيل ، وذكرنا أن المنهاج الملائم للوقت المستوعب للظروف الحضـارية الطارئة هو الذى مثله معاوية ورجاله ، وبه انتصـروا ، وقد قارنا بين ابن خلدون وجمهرة من المؤرخين فى أمر الفتنة التى انبثقت عنها الدولة الأموية ، وحصرنا النقاط التى برز فيها ابن خلدون وعلى رأسهـا عدم اتهامه لعمرو بن العاص ولالمعاوية فى دينهما ، ودفاعه عن اجتهاد جميع الصحابة ، كما قمنا بتقويم آراء ابن خلدون حول هذه الفترة الشـائكة من تاريخ الأمة الاسلاميـة وذكرنا مصادره فى الفتنة وعلى رأسها الطبرى وأبو بكـر بن العربى والى أية مدرسة ينتمى فى تحليله لهذه الفترة .

وقـد اجتهدنا فى استخلاص العرض التاريخى لدولة بنى أميـة كما قدمه ابن خلـدون فى المقـدمة والكتـاب . ونعتقـد أننـا قدمنـا نسقـا متكـاملا لهذا العرض ، بدء من معاوية وانتهاء بمروان بن محمد ، أى مـن قيام الدولة حتى سقوطها .

ولقد قدمنا العرض التاريخى بفرعيه السفيانى والمروانى مقارنا بما أوردته المصادر الثقات من أمثال الطبرى وابن الأثير وابن العربى مشيرين فى الوقت

نفسه الى ماتفرد به ابن خلدون وماأغفله ، مستخلصين آراءه المبثوثة فى مواقعها من الحوادث .

وفى ثنايا العرض كانت ثمة وقفات تميز بهاابن خلدون ولهذا وقفنا عندها وقفة تحليلية خاصة ، وأهمها آراؤه فى الوليد بن يزيد والمرحلة التالية له ، وهى مرحلة سقوط بنى أمية ، والحق أن انصاف ابن خلدون للوليد بن يزيد مما يعد اضافة حقيقية فى فكره التاريخى .

ومن خلال الفكر الموضوعى لابن خلدون ذكرنا آراءه المتميزة فى موقف بنى أمية من المعارضين لهم ، فلقد تحدث عن هذه الثورات ، وأدان المنهاج الثورى كله ، وحافظ على منهاجه فى تعديل كل الصحابة ، وقدم تفصيلات لم توجد عند غيره من المؤرخين .

وقد لاحظنا من تتبعنا لما كتبه ابن خلدون وغيره من المؤرخين أن كل الثورات التى قام بها الشيعة كانت تنطلق من العراق وأنها لم تحقق أهدافها وانتهت بمقتل معظم قادتها ، كما تميز ابن خلدون فى رصده للثورات بالمعلومات التى قدمها عن ثورات البربر فى العهد الأموى ، كما أن معلوماته عن البربر عموما وفتح المسلمين للمغرب والأندلس هى مما تفرد به ابن خلدون كذلك .

وقد قمنا بدراسة مقارنة لمنهج كل من الطبرى وابن الأثير وابن كثير وابن خلدون فى عرض جهود بنى أمية فى الفتوحات الاسلامية وقد انتهينا الى اعتماد هذه الموسوعات على بعضها ، وأن الجديد فيها كان - أولا - عند ابن الأثير فيما يتصل بتاريخ المغرب والبربر والأندلس ، ثم تألق هذا الأمر - ثانيا - عند ابن خلدون بدرجة لم يسبق اليها استقصاء وتحليلا . ولقد تعقب ابن خلدون عملية انتشار الاسلام واللغة العربية خلال العصر الأموى على مستوى جبهات الفتوحات كلها ، وأدان ابن خلدون ولاة الجور وأخذ الجزية ممن أسلم والذين كانوا يقفون ضد نشر الاسلام ، وأما جهود عمر ابن عبد العزيز فى هذا المجال فهى معروفة ، كذلك أبرز ابن خلدون الجهود الطيبة التى وقفت فيها دولة بنى أمية فى نشر اللغة العربية ، كما أن الانصاف يقتضى أن نذكر أن كثيرا من الولاة كانوا حريصين على نشر الاسلام .

كما تعقب ابن خلدون تطور الحياة الاقتصادية وسك العملة فى الدولة الأموية ، فضلا عن المدن الكثيرة وحركة العمران والانفتاح الحضارى والجبايات التى كانت ترد من أقطار العالم الاسلامى الواسعة . وقد كنا نود أن يسهب ابن خلدون فى حديثه عن الجوانب الحضارية للدولة الاسلامية لأنها هى الأساس لكل دولة لكنه مر على هذه الجوانب مرورا دون الغوص فيها .

وكما تتبعنا قيام الدولة الأموية عند عدد من المؤرخين وقارناهم بالعلامة ابن خلدون كذلك تتبعنا سقوط الدولة الأموية مقارنا بين ابن خلدون وعدد من المؤرخين المسلمين الكبار كابن خياط والطبرى وابن الأثير وأبى بكر بن العربى وابن كثير . ومعروف أن ابن خلدون ينتمى الى هذه المدرسة ، وهى أقرب المدارس الى المنهاج الاسلامى الذى ينصف صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤصل المنهج الاسلامى فى تحليل التاريخ ، وان كان لابن خلدون حق بروزه فى التفسير والتحليل . وهؤلاء عكس المدرسة الشيعية التى يقف فيها ابن أعثم الكوفى ، واليعقوبى ، والمسعودى وغيرهم .

وقد كان سقوط بنى أمية وتقويمهم مجالا لتظهر خصائص كل مدرسة ، ولهذا نجد ابن خلدون ومدرسته تعطى بنى أمية حقهم من الثناء والمدح بينما لاترى المدرسة الأخرى فى هؤلاء الا أسرة وثبت الى الحكم وخرج عليها الناس وتستحق السقوط .

وقد أثبت استعراض آراء المدرسة الخلدونية أن سقوط بنى أمية يرجع الى الفتن فى عهدهم منذ قيام الدولة وحتى العصر الأخير الذى انقسمت فيه الدولة على نفسها أيام الوليد بن يزيد ، ولم يجعل أحد منهم أسباب سقوط بنى أمية راجعا الى عدم أهليتهم أو لتقصيرهم فى حماية الثغور وتوفير الأمن والعدل ، فهم ـ بكل المقاييس ـ أوفر حظا فى هذه المؤهلات من الفاطميين الذين عاشوا ثلاثة أضعاف ماعاشه بنو أمية .

وقد اختلف المؤرخون المحدثون فى تحديد أسباب سقوط بنى أمية فذهب بعضهم الى أن عصبيتهم التى تميل الى العرب كانت من أبرز أسباب السقوط ، بينما ترى الكثرة أن الأمويين لم يتعصبوا للعرب ، وأن سقوطهم يرجع الى انحيازهم المتذبذب لهؤلاء أو أولئك ، بينما يرى آخرون أن للسقوط أسبابا أخرى مثل النزاع بين أفراد البيت الأموى واطلاق يد العمال فى الشئون المالية ، والترف والبذخ الذى كانوا يعيشون فيه ، ومع ذلك نستطيع القول أن الفكر التاريخى المعاصر يجنح الى آراء ابن خلدون ومدرسته فى تحديد أسباب سقوط بنى أمية .

وفى نهاية هذا البحث وجدنا من الضرورى أن نقدم تصور لطبيعة مرحلة السقوط ، والمؤثرات التى تتحكم فيها عقائدية كانت أو اجتماعية مثل الانشقاق بين عناصر الأمة ، والخلل الاقتصادى وفقدان العدل والتوازن أو الخلل الفكرى حين تختل العلاقة بين الانسان وربه وبين الانسان والكون وبينه وبين أخيه الانسان .

أما ابن خلدون ـ فقد كشف البحث ـ رصده لطبيعة هذه المرحلة التى تؤدى الى السقوط دون أن ينسى فلسفته الحضارية ، وبالتالى عاد ابن خلدون الى رأيه فى العصبية كمحرك سياسى واجتماعى وابن خلدون على حق ، فقد انقسم البيت الأموى على نفسه ، فانحلت العصبية ، كما أن الدولة اتسعت فلم تعد العصبية القبلية كافية فكان من المفروض الانتقال الى العصبية الدينية حتى لايقعوا فى الانحلال ، لكن بنى أمية لم يقفزوا هذه القفزة بسبب الثورات وعمال الجور وعدم تعاونهم مع محاولة عمر بن عبد العزيز الرائعة .

وهكذا أثبت البحث أصالة ابن خلدون وسبقه لعصره وتقديمه لمنهاج تاريخى منصف حافل بالوقائع التفصيلية والتحليل المنهجى السديد لدولة بنى أمية ولخلفائها ولحياة الأمة فى عصرها اجتماعيا واقتصاديا ولأسباب قيامها وعوامل سقوطها ..

والله من وراء القصد .


الملاحق

ملحق رقم (١)

المخطوط المفقود من الكتاب المطبوع
مسير الحسين الى الكوفة ومقتله

[فى النية القيام بنشر هذا المخطوط وتحقيقه قريبا ان شاء الله]

ولما خرج الحسين الى مكة لقيه عبد الله بن مطيع وسأله أين تريد ؟ فقال : مكة وأستخير الله فيما بعد ، فنصحه أن لايقرب الكوفة ، وذكره قتلهم أباه وخذلانهم أخاه ، وأن يقيم بمكة لايفارق الحرم حتى يتداعى اليه الناس ، ورجع عنه ونزل الحسين بمكة فأقام والناس مختلفون اليه وابن الزبير فى جانب الكعبة يصلى ويطوف عامة النهار ، ويأتى الحسين فيمن يأتى ويعلم أن أهل الحجاز لايلقون اليه مع الحسين . ولما بلغ أهل الكوفة بيعة يزيد ولحاق الحسين بمكة اجتمعت الشيعة فى منزل سليمان بن صرد ، وكتبوا اليه عن نفر منهم سليمان والمسيب بن نجبة ورفاعة بن شداد وحبيب بن مظاهر وغيرهم يستدعونه وأنهم لم يبايعوا للنعمان ، ولايجتمعون معه فى جمعة ولاعيد ، ولو جئتنا أخرجناه ، وبعثوا بالكتاب مع عبد الله بن سبع الهمدانى وعبد الله بن وال ثم كتبوااليه ثانية بعد ليلتين نحو مائة وخمسين صحيفة ثم ثالثه يستحثونه للحاق بهم كتب بذلك اليه شبث بن ربعى وحجاز بن أبجر ويزيد بن الحرث ويزيد بن رويم وعروة بن قيس وعمرو ابن الحجاج الزبيدى ومحمد بن عمير التميمى فأجابهم الحسين فهمت ماقصصتم وقد بعث اليكم أخى وابن عمى وثقتى من أهل بيتى مسلم بن عقيل يكتب الى بأمركم ورأيكم فان اجتمع ملؤكم على مثل ماقدمت به رسلكم أقدم عليكم قريبا ولعمرى ماالامام الا العامل بالكتاب القائم بالقسط الدين بدين الحق وسار مسلم فدخل المدينة وصلى فى المسجد وودع أهله واستأجر دليلين من قيس فضلا الطريق وعطش القوم فمات الدليلان بعد أن أشارا اليهم بموضع الماء فانتهوا اليه وشربوا ونجوا فتطير مسلم من ذلك وكتب الى الحسين يستعفيه فكتب اليه خشيت أن لايكون حملك على ذلك الا الجبن فامض لوجهك /والسلام . وسار مسلم فدخل الكوفة أول ذى الحجة

من سنة ستين واختلف اليه الشيعة وقرأ عليهم كتاب الحسين فبكوا ووعدوه النصر وعلم بمكانه النعمان بن بشير أمير الكوفة وكان حليما يجنح الى المسالمة فخطب وحذر الناس الفتنة وقال لاأقاتل من لايقاتلنى ولاآخذ بالظنة والتهمة ولكن ان نكثتم بيعتكم وخالفتم امامكم فوالله لأضربنكم بسيفى مادام قائمه فى يدى ولو لم يكن لى ناصر . وقال له بعض خلفاء بنى أميةلايصلح ماترى الا الغشم وهذا الذى أنت عليه مع عدوك ، رأى المستضعفين ، فقال أكون من المستضعفين فى طاعة الله أحب الى من أن أكون من الأعزين فى معصية الله ، ثم نزل فكتب عبد الله بن مسلم وعمارة بن الوليد وعمرو بن سعد ابن أبى وقاص الى يزيد بالخبر وتضعف النعمان أو تضعفه فابعث الى الكوفة رجلا قويا ينفذ أمرك ويعمل عملك فى عدوك فأشار عليه سرجون **(من هنا يبدأ الجزء المفقود)** الرومى كاتب أبيه بعبيد الله بن زياد وكان منحرفا عنه فقال ان معاوية ولاه قبل موته فكتب له بعهده على الكوفة مضافا الى البصرة وبعثه اليه مع مسلم بن عمرو الباهلى والد قتيبة وأمره بطلب مسلم ابن عقيل وقتله أو نفيه وكان الحسين قد كتب الى أشراف البصرة الأحنف ابن قيس والمنذر بن الجارود ومالك بن مسمع البكرى ومسعود بن عمرو وقيس بن الهيثم وعمر بن عبيد الله بن معمر يدعوهم الى الكتاب والسنة واماتة البدعة وخشى المنذر أن يكون دسيسا من ابن زياد فأتاه بالرسول والكتاب من بين أصحابه فقتل الرسول ثم خطب الناس وأخبرهم بولايته الكوفة ومسيره اليها واستخلافه أخاه عثمان على البصرة وتهددهم على الخلاف بالقتل وأخذ الأدنى بالأقصى والقريب بقريبه ، ثم خرج فى حشمه وأهل بيته ومعه مسلم بن عمرو الباهلى وشريك بن الأعور الحارثى وكان شريك شيعيا ثم أغذ عبيد الله السير يسابق الحسين الى الكوفة وكان فى نحو خمسمائة فتخلفوا عنه شيئا فشيئا حتى دخل الكوفة وحده ومر بالمجالس فظنوه الحسين فحيوا ورحبوا وهو يسمع وساءه ذلك ثم انتهى الى القصر فى هجيج الناس يتبعونه فأغلق النعمان الباب دونه يظنه الحسين وقال مأأنا مسلم أمانتى اليك ولاأقاتلك . فدنا منه عبيد الله وقال افتح لافتحت فعرف وفتح

له النعمان وتفرق الناس ثم خطب بولايته ووعد بالاحسان للمحسن والشدة على/المريب والعاصى وحذر من المخالفة ، ثم أخذ العرفاء بأن يكتبوا له الغربا والحرورية وأهل الريب ويضمن كل أحد مافى عرافته ومن وجد فى عرافته أحد لم يرفعه صلب على باب داره وأخرجت العرافة من العطا وسيرت الى عمان ثم نزل وسمع مسلم بذلك فأتى منزل هانى بن عروة فاستجار به فآواه على كره لمكانه خشية العاقبة وأقامت الشيعة تختلف اليه فى دار هانى ودعاابن زياد مولى له وأعطاه مالا ودرسه عليهم ليأتيه بعلمهم فأتى مسلم بن عوسجة الأسدى وهو يصلى بالمسجد وكان من كبار دعاتهم فقال له أنا من أهل الشام وأردت لقاء هذا الرجل الذى يبايع للحسين فاقبض هذا المال وأدخلنى اليه أبايعه والا فخذ أنت بيعتى قبل لقائه فأخذ بيعته وبقى مختلف اليه ومرض هانى بن عروة فأتاه ابن زياد يعوده وحمله أصحابه على الفتك به فقال هانى ماأحب ذلك فى بيتى ثم مرض شريك بن الأعور وكان قد نزل على هانى وكان شديد التشيع شهد صفين مع عمار فقال لمسلم اذا جلس فاخرج واقتله ثم اقصد القصر فلاحائل دونه وان برئت من وجعى كفيتك أمر البصرة فلما جاء ابن زياد جبن مسلم عن قتله وبقى شريك ينبه لذلك فلايجيب حتى خرج ابن زياد واعتذر مسلم عن قتله بأن هانى يكره ذلك فى بيته وبأن عليا حدث عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الايمان قيد الفتك ثم قضى شريك بعد ثلاث وصلى عليه عبيد الله ثم علم بعد ذلك بشأنه فحلف ألا يحضر جنازة عراقى . ثم ان المولى الذى دسه ابن زياد بالمال اختلف الى مسلم بن عوسجة بعد موت شريك فأدخله على مسلم ابن عقيل فأخذ بيعته وقبض ماله وأقام يختلف اليهم ويخبر ابن زياد بأحوالهم حتى تبين جلية الأمر وكان هانى انقطع عن عبيد الله بعذر المرض فدعى محمد بن الأشعث واسماء بن خارجة وعمرو بن الحجاج الزنيدى وعذل هانئا فى انقطاعه وأنه بلغه برؤه وقال القوه فمروه أن لاينقطع عنى فلقيه القوم ولاموه فى ذلك ثم حلفوا عليه واستركبوه معهم ودخلوا به على ابن زياد وكان مكرما له فقال ياهانى ماهذه الأمور التى تربص فى دارك للمسلمين

وأمير المؤمنين وأخبره بشأن مسلم فأنكر ، فدعا ابن زياد المولى الذى دسه عليهم ورآه هانى فسقط فى يده ثم قال والله مادعوت الرجل ولاعلمت بشىء من أمره وصدقه الخبر عن مجيئه الى داره واستجارته/به وانه استحيى من رده وقد كان من أمره مابلغك وأنا الآن أعطيك عهدا ورهينة حتى أخرجه من دارى وأعود اليك فقال له ابن زياد والله لاتفارقنى حتى يأتينى به فقال آتيك بضيفى تقتله والله لافعلت ، ثم قام اليه مسلم بن عمرو الباهلى ولم يكن هنالك أعز منه فاستأذن ابن زياد وخلا به ناحية ونصحه أن يأتى به فانه ابن عمهم وليسوا قاتليه ولاضاريه وليس عليك فى ذلك منقصة وانما دفعته الى السلطان فأبى ولج وسمعه ابن زياد فاستدناه وقال والله لئن لم تأتنى به لأضربن عنقك قال اذاوالله تكثر البارقة حول دارك ويقال ان هانئا لما رأى الرجل الذى كان عينا لعبيد الله قال أيها الأمير أنت امرؤ هالك فسر حيث شئت فأشار الى مهران مولاه وهو قائم على رأسه فأخذ بضفيرتى هانى وأخذ ابن زياد القضيب من يد مهران ولم يزل يضرب به وجهه حتى كسر أنفه ونثر لحم خديه وجبينه على لحيته ثم أغلق عليه فى بيت وجاء أسماء بن خارجة منكرا لذلك وأنه جاء به فى جواره فأمر به ابن زياد فطرد عنه وجلس وأظهر محمد بن الأشعث الرضى وجلس وبلغ عمرو بن حجاج أن هانئا قتل فأقبل فى مذحج فأحاطوا بالقصر وأمر ابن زياد شريحا القاضى أن يخرج اليهم ويعلمهم بحياة هانىء بعد أن أدخله اليه ورآه حيا فأخبرهم وانصرفوا وجاء الخبر الى مسلم بن عقيل وكان قد بايعه ثمانية عشر ألفا وحوله فى الدور أربعة آلاف فنادى فيهم وركب نحو القصر فى التعبية وأحاط به وامتلأ المسجد والسوق من الناس الى المساء وضاق بعبيد الله أمره وليس معه فى القصر الانحو خمسين من أهل بيته ومواليه وتسلل اليه الأشراف وأمر كثير بن شهاب الحارثى أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج فيخذل الناس وأمر الأشعث أن يخرج فيمن أطاعه من كنده وحضرموت فيرفع راية أمان لمن جاءه من الناس وبعث بمثل ذلك القعقاع بن سور الدهلى وشمس بن ربعى التميمى وحجار بن أبجر العجلى وشمر بن ذى

الجوشن الضبابى وترك وجوه الناس عنده استئناسا بهم وخرج أولئك النفر على الناس فافترقوا عن ابن عقيل الى أن بقى فى المسجد فى ثلاثين فخرج واختفى عند عجوز من ذوى ابن الأشعث وتعرف اليها فأخفته وخرج ابن زياد الى المسجد قبل العتمة ونادى فى الناس فامتلأ المسجد وأمر الحصين بن تميم وكان على الشرطة /تفتيش الدور وعقد لعمرو بن حريث الى أن أصبح وشعر ابن العجوز بابن عقيل عند أمه فأتى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فأخبره وأخبر أباه فأخبر ابن زياد فقال ائتنى به الساعة وبعث معه عمرو بن عبيد الله السلمى فى سبعين من قيس فلما أتوا الدار وسمع مسلم ابن عقيل الأصوات فخرج بسيفه ومازال يحمل عليهم وقطعت شفته العليا وسقطت ثنيتاه والقوا عليه النار فى القصب وهو يقاتل حتى أثخن وعجز عن القتال فأمنه ابن الأشعث وحمله على بغل وانتزعوا سيفه فقال هذا أول الغدر وبكى فعذله عمرو بن عبيد الله السلمى فقال انما أبكى الحسين وآله ثم قال لابن الأشعث عساك تبعث من يخبر الحسين بحالى ليرجع بأهل بيته ولايغتر بأهل الكوفة ففعل ذلك ابن الأشعث ولقيه الرسول بزباله وقد هاجه للمسير كتاب مسلم يخبره بمن بايع ويستحثه للمسير فقال الحسين كلما قدر كاين وعند الله نحتسب أنفسنا وفساد أمتنا ثم ادخل محمد على ابن زياد وأخبره بما أعطاه من الأمان فقال مابعثناك لتؤمنه واستسقى مسلم وهو بباب القصر فجاءه عماره بن عقبة بما بارد فلم يطق الشرب بما كان يسيل من دم فمه فتركه وأدخل على ابن زياد فقال له لتقتلن فقال دعنى أوصى والتفت الى عمرو بن سعد فناجاه بأن يقضى عنه دينه ويوارى جثته ويبعث الى الحسين يرده فأخبر ابن زياد بها فتركه وشأنه ثم حاوره واساء بعضهما على بعض ثم اصعد فوق القصر وضربت عنقه تولى ذلك منه بكير بن حمران الأحمرى لضربة أصابه بها فى الجولة عند الدار وكان ابن الأشعث قد شفع فى هانى بن عروة فوعده باستبقائه فلما قتل مسلم أخرج الى السوق فضربت عنقه وبعث ابن زياد بالرأسين الى يزيد فكتب اليه يشكره ويأمره بالاحتراس ووضع المراصد فان الحسين قد سار الى الكوفة ثم طلب ابن زياد المختار بن

أبى عبيد وعبد الله بن الحرث بن نوفل وكانا جاء مع ابن عقيل فحبسهما ولما أراد الحسين المسير الى الكوفة بكتاب مسلم بن عقيل وأهل العراق جاءه عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وهو بمكة فقال له بلغنى انك تريد العراق فأنا مشفق عليك تأتى بلدا فيه العمال والأمراء وبيوت الأموال والناس عبيد الدينار والدرهم فلاآمن عليك فجزاه خيرا وأتاه ابن عباس بمثل ذلك فعصاهما ولج واتهم ابن الزبير ثم راجعه ابن عباس /وأشار عليه بالخروج الى اليمن فقال ياابن عمى لاأنقض عزمى قال فلاتسر بناتك وصبيانك فانى أخاف أن تقتل وهم ينظرون كما قتل عثمان ولقد أقررت عين ابن الزبير بخروجك من الحجاز وخرج الحسين يوم التروية واعترضه يحيى بن سعيد بن العاص وأخوه عمرو أمير ليزيد على مكة ومع يحيى طائفة ليمنعوا الحسين فأبى عليهم وسار مع أصحابه ولقى بالتنعيم عيرا مقبلة من اليمن عليها الورس والحلل بعث بها بحير بن روسان عامل اليمن الى يزيد فأخذها الحسين وأعطى أصحاب الابل كراهم ثم سار فلقى الفرزدق بالصفاح فقال أخبرنى عن الناس خلفك قال القلوب معك والسيوف عليك والقضاء فى السماء فقال صدقت لله الأمر يفعل مايشاء كل يوم هو فى شأن ثم لحقه كتاب عبد الله بن جعفر مع ابنيه عون ومحمد يسأله الله فى الانصراف ولايهلك نفسه وأهل بيته وانى فى اثر كتابى ثم جاءه كتاب عمرو بن سعيد عامل مكة مع أخيه يحيى بالامان والترغيب فلم يفعل واعتذر بأنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره بأمر فهو ماض له . ولما بلغ ابن زياد مسير الحسين من مكة بعث الحصين بن تميم التميمى صاحب شرطته فنزل القادسية ونظم الخيل مابينه وبين خفان ومابينه وبين القطقطانة الى جبل لعلع ولقى هنالك قيس بن مسهر الأسدى ثم الصيداوى بكتاب الحسين من الحاجر الى أهل الكوفة يعرفهم بقدومه فبعث به الحصين الى ابن زياد فلما جاءه قال اصعد القصر فسب الحسين فصعد وأدى رسالته الى أهل الكوفة وأنه فارقه بالحاجر ولعن ابن زياد وأباه واستغفر لعلى وبنيه فأمر ابن زياد فرمى به من القصر فتقطع وانتهى الحسين فى مسيره الى عبد الله بن مطيع فعذله فيما جاء

له وناشده الله فى حرمة الاسلام والعرب وبنات الرسول الا تأتى الكوفة فيقتلك بنو أمية فأبى وسار ولقيه قتل مسلم بن عقيل بالثغلبية فناشده الله أصحابه فى الرجوع فقال بنوا عقيل لاوالله حتى ندرك بثأرنا فقال الحسين لاخير فى العيش بعد هؤلاء ثم سار وكان لايمر بماء الا اتبعه من عليه حتى انتهى الى زبالة فلقيه مقتل أخيه عبد الله بن بقطر الذى ألقاه ابن زياد من أعلى القصر واعلم الناس الذين معه وقال قد خذلنا شيعتنا فمن أحب فلينصرف وقصده أن يوطنهم على مايقدمون عليه فافترقوا عنه ولم يبق الا أصحابه الذين خرجوا معه من مكة فسار الى سراف ثم سار منها/الى منتصف النهار فلقيهم الحر بن يزيد التميمى ولما رأوه على البعد قال له بعض الناس معه مل بنا الى ذى جسم تجعله عن يسارك وتستقبل القوم من وجه واحد ففعل وسبقهم الى الجبل وجاء الحر فى ألف فارس أرسله الحصين ابن تميم من القادسية يستقبل الحسين فقال الحسين انى لم آت الا بكتبكم ورسلكم فان تعطونى ماطمئن اليه من العهد أقدم مصركم والاأرجع من حيث جئت ثم حضرت الصلاة فصلى الحسين وصلى الحر وأصحابه بصلاته ثم استقبلهم وأعاد عليهم شأن الكتب وذم الولاة فقال الحر والله ماندرى ماهذه الكتب والرسل فاستدعى بخرجين مملوءين صحفا ونشرها فقال الحر لسنا من هؤلاء وانما أمرنا اذا لقيناك أن لانفارقك حتى نقدمك الكوفة على ابن زياد فقال الحسين الموت أدنى من ذلك ثم أمر أصحابه فركبوا لينصرفوا فمنعهم الحر وطال بينهما الكلام وقال الحر لم أؤمر بقتالك وانما أمرت أن لاأفارقك حتى أقدمك الكوفة فخذ طريقاغير طريقها واكتب أنا الى ابن زياد واكتب أنت اليه أو الى يزيد فعسى أن يأتى من الأمور مايدفع عنى أن أبتلى بشىء من أمرك فتياسر عن طريق العذيب والقادسية وسار والحر معه وهو يعظه ويذكره حقوق أهل البيت ووجوب طاعتهم ويقدح له فى ولاته وآمريه بما كان منهم ويذكر له كتب أهل الكوفة ورسلهم والحر يحفظه ويقول اتق الله فى نفسك فلئن قاتلت لتقتلن فيقول أبا الموت تخوفنى ويضرب الأمثال وينشد فى الشجاعة فلما رآه الحر كذلك عدل يسير ناحية

عنه حتى انتهوا الى عذيب الهجانات سمى بهجان ابن النعمان كانت ترعى فيه فاذا هو بأربعة فرسان دليلهم الطرماح بن عدى الطائى وأجمع الحر حبسهم وردهم فقال الحسين هم بمنزلة أصحابى والا ناجزتك ثم اخبروه بخبر الكوفة وقتل قيس بن مسهر فبكا وقرأ فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ثم دعا لهم وقال له الطرماح ماأرى معك كثير أحد ولو لم يقاتلك الا هؤلاء الذين مع الحر لكانوا أكثر من كفوك(١)فكيف بمن سار اليك من الكوفة فلم تر عيناى جمعا أكثر منهم فأنشدك الله أن تتقدم اليهم شبرا وان أردت فسر معى انزل جبلنا أجا فقد امتنعنابه والله من ملوك غسان وحمير والنعمان ومن الأبيض والأحمر وتجتمع عليك طىء فى عشرين ألفا/لايوصل اليك وفيهم عين تطرف فجزاه خيرا وقال قد عاهدنا هؤلاء القوم الذين معنا فلابد من الوفاء لهم فودعه الطرماخ وانصرف وسار الحسين ومر بقصر بنى مقاتل فرأى فسطاطا لعبيد الله ابن الحر الجعفى فاستدعاه فقال والله ماخرجت من الكوفة الا فرارا من الحسين فركب الحسين وجاءه ودعاه الى النصرة أو أن يكون ممن يكف فأجابه الى هذه ثم ركبوا من الغد وأراد أن يفارق الحر فمنعه واذا بكتاب من ابن زياد الى الحران يجعجع بالحسين حتى يجىء كتابه ورسوله ولاينزله الا بالعرا فى غير حصن ولاماء ، وقد أمرت الرسول أن يلزمك حتى يأتينى بانفاذك أمرى فقرأ الحر الكتاب واعلم الحسين وأصحابه بما فيه فقالوا دعنا ننزل فى الغاضر . فقال لاأستطيع وهذا الرجل قد بعث عينا على فقال زهير بن القين للحسين وكان صحبه من مكة تعالى نحاجر هؤلاء فهم أهون علينا ممن يأتينا بعدهم فقال ماكنت لأبدأهم بالقتال وذلك لليلتين من المحرم سنة احدى وستين فلما كان الغد قدم عمرو بن سعد بن أبى وقاص من الكوفة فى أربعة آلاف وكان ابن زياد قد جهزه الى حرب الديلم وكتب له عهده على الرى فلما كان أمر الحسين دعاه أن يقدم

---

(١) هكذا بالأصل . وعند ابن الأثير : "ولو لم يقاتلك الا هؤلاء الذين أراهم ملازميك لكان كفى بهم". ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٤ ، ص٥٠ .

حربه ثم يرجع الى عمله فاستعفاه فقال نعم على أن يرد ولاية الرى فقال امهلنى واستشار أصحابه فكلهم نهاه حتى ابن أخيه حمزة بن المغيرة بن شعبة وقال له تفتدى من دم الحسين بسلطان الأرض لو كان لك ثم غدا على ابن زياد واستعفاه ثانيه فقال له مثل الأول قال فانى ساير واقبل فى الجيوش حتى نزل بالحسين وبعث اليه يسأله فأجابه فقال كتب أهل الكوفة فان كرهونى فأنا أنصرف عنهم فكتب بذلك الى زياد فكتب اليه أن يعرض على الحسين البيعة ويمنعه ومن معه من الماء فأرسل عمرو بن الحجاج الى الشريعة ومنعوهم الماء واشتد عليهم العطش فركبوا الى الماء وقاتلوهم عليه وملؤا قربهم ، ثم بعث الحسين الى عمرو فى اللقاء فلقيه ليلا وتحادثا طويلا وافترقا وكان مما قال له الحسين دعونى أرجع الى المكان الذى جئت منه أو اذهب فى الأرض العريضة حتى يستقر أمر الناس وكتب عمرو بذلك الى عبيد الله ابن زياد يبشر بأن الله أطفأ الثائرة وجمع الكلمة فقبل ابن زياد/ذلك وقام اليه شمر بن ذى الجوشن منكرا لذلك وقال تقبل هذا منه وقد نزل بأرضك ولئن رحل ولم يضع يدك فى يده ليكونن أعز وتكون أعجز ولكن لينزل على حكمك ولقد بلغنى ان الحسين وعمروا يتحادثان عامةليلتهما بين العسكرين فقال ابن زياد نعم ماقلت اخرج انت اليه بهذا الكتاب ليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمى وتبعث بهم سلما وان امتنعوا فليقاتلهم وان أبى عمرو من ذلك فأنت الأمير وابعث الى برأسه وكتب الى عمرو بذلك وعنفه على المطاولة والشفاعة وان يفعل مـاأمره به والا فليعتزل العسكر ويخلى بين شمر وبينهم وكتب معه أمانا لبنى على بن أبى طالب من أم البنين بنت حزام وهم العباس وعبيد الله وجعفر وعثمان سأله الأمان لهم عبد الله بن خالهم أبى المحل بن حزام وكان حاضرا عند ابن زياد فردوا أمانه وقالوا لاحاجة لنا فيه ولما أتى شمر الى عمرو قال له ياشمر أظنك أنت ثنيته عما كتبت به اليه وأفسدت علينا أمرا رجونا أن يصلح والحسين والله لايستسلم أبدا ونهض اليه عشية تاسوعا فركب العباس أخو الحسين فى عشرين فارسا وتلقاهم فأخبروه بما جاء من أمر ابن زياد فجابه الى الحسين

فقــال ارجع اليهــم ووخرهــم الى الغــداة لنستكثر مــن الصلاة والــدعاء والاستغفــار فوعدهم الحسين الى الغـداة اما رضيناه واما رددناه فشاور عمرو أصحابه فأشار بعضهم بامهاله وهو عمرو بن الحجاج الـزبيدى والله لو كان من الديلم لوجب امهاله وأشـار قيس بن الأشعث بالمنـاجزة وقـال ليصبحنك بالقتال فرجع عمرو وجمع الحسين أصحابه واستشارهـم وجزاهم خيرا وأذن لهم فى الانطلاق وقال هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه حملا وافترقوا فى البلاد والقوم اذا أصابونى لهوا عن غيرى فأبوا فقال يابنى عقيل حسبكم من القتل بمسلم واذهبـوا فقد أذنت لكـم قالوا فما يقول الناس والله لانفعل ولنقاتلن معـك حتى نرد موردك وقام اليـه بعض أصحابه من غير عشيرته فقـال كيـف نتخلى عنـك ولم نعـذر الى اللـه فى حقـك والله لاأفـارقك حتى أكسـر رمحى وسيفى وأقذفهم بالحجارة دونك حتى أموت وتكلم أصحابه بمثل ذلك فجزاهم خيرا وسمعـت اخواته ذلك فطفقـن يعولن ويلطمن حتى غشـى على بعضهـن فجـاء اليهن وعزاهن برسول/الله صلى الله عليه وسلم ومـن سلف من قومه وعـاهدهن أن لايكثرن عليه الصـراخ ولايشققن الجيـوب ولايخمشـن الوجوه ولايدعين بالـويل والثبور ثم أمر أن يدخل اطناب البيـوت بعضها فى بعض ليستقبلوا العدو من أمامها ثم قاموا يصلون ويدعون ويستغفرون حتى أصبح وذلـك يوم عاشوراء وركب عمرو بن سعيد فى التعبية وعبأ الحسين أصحابه اثنين وثلاثين فـارسا وأربعين راجلا وأعطـى رايتــه أخاه العبـاس وضـرب للحسين فسطـاط أمام أخبيته فدخل فيه واستعمل النورة ثم اميـت المسك فى جفنه وأطلابه ثم ركب ووضع المصحف أمامه وقاتل أصحابه بين يديه وهو يدعـوا ثم تقـدم على راحلتـه ونادى النـاس وعـرفهـم بنفسـه ووعـظ وذكر بحقـوقه وقال ان كذبتمونى فعندكم من يخبركم سلوا جابر بن عبـد الله وأبا سعيـد وأنسا وسهل بن سعد وزيد بن أرقـم يخبروكم بما سمعـوا مـن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حقنا أهل البيت اما فى هـذا حاجز يحجزكم عن دمـى أتطلبـونى بمال أو بدم أو قصـاص فلم يجيبـوه فنـادى ياشبـث بن ربعى ياحجــار بن ابجر ياقيـس بن الأشعـث يايزيد بن الحرث ألم تكتبــوا الى فى

القـدوم ؟ قالوا لا ، قال بلى قد فعلتم فدعونى أنصرف الى مـامنى من الأرض فقـال لـه قيس أفلاتنزل على حكـم ابن زياد وهو ابن عمـك ؟ قـال لاوالله لاأعطـى اعطاء الذليل ولاأفر فرار العبد عباد الله انى عـذت بربى وربكم أن ترجمـون أعـوذ بربى وربكم مـن كل متكبر لايؤمن بيـوم الحسـاب ثم أناخ راحلتـه ونزل عنها وخرج زهير بن القين وهـو شاك السلاح وكـان صحـب الحسين مـن مكـة فـوقف بين يدى العسكـر ووعـظ أهـل الكـوفة ونصحهـم ودعاهم الى نصرة ابن رسول الله وخذلان بن زياد وافحش فى ذم عبيد الله وأبيـه وقـال يقتلانكم ويقطعـانكم ويسملانكـم ويقتلان أمـاثلكم(١) اذكروا حجـر بن عدى وهانىء بن عروة فشتموه وأثنوا على ابن زياد وقـالوا لانبرح حتى نقتلكـم أو نأسركم فقال لهم أعيذكم بالله أن تقتلـوا ابن فاطمة خلوا بينـه وبين ابن معاوية فان يزيد يرضى منكم بدون هـذاثم رماه شمر وشتمه فتشاتما ساعة ورده الحسين فرجع ولما زحف عمرو بن سعد نحو الحسين قال له الحر بن يزيد الذى كان حايلا الحسين أمقاتل أنت هـذا الرجل قال نعم قال ولاتقبلـون منه واحدة من الخصـال/التى عرض عليكـم فقـال عمرو لو كان الأمـر الى لفعلـت ولكن أميرنا قـد أبى ذلك ثم أقبل يدنوا نحو الحسين حتى استراب به أصحـابه ولحق به وقـال يابن رسـول اللـه أنا صـاحبك الـذى حبستـك عـن الرجوع وسايرتك فى الطـريق وجعجعـت بك فى هـذا المكـان ووالـله لو ظننت انهم لايقبلون منك واحدة مما عـرضت عليهم أو يبلغون بك هذه المنزلة مافعلت الذى فعلت وقد جئتك تائبا أمـوت دونك افتراها لى توبة قـال نعم يتوب الله عليك ويغفر لك ثم انعطف الى أصحـابه وقال ألا تقبلـون من الحسين واحدة مما عرض عليكم فيعافيكم اللـه من حربه وقتاله فقال عمرو قد حرصت على ذلك وماوجدت اليه سبيلا ثم نادى أهل الكوفة ووبخهـم على أن دعوه وأسلموه ثم منعوه من التوجه فى بلاد اللـه العريضة حتى يأمـن ويأمـن أهـل بيتـه فأصبـح كـالأسير لايملـك لنفسه نفعـا ولاضـرا

---

(١) هكذا بالأصل والمقصود "أمثالكم" والله أعلم .

ومنعتموه وأصحابه ماء الفرات يشربه اليهودى والنصرانى والمجوسى وتمرغ فيه كلاب السواد وخنازيره وهو وأهله صرعى من العطش بئس ماخلفتم محمدا فى ذريته ودعا عليهم فرموه بالنبل فرجع ثم قدم عمرو بن سعد رايته ورمى بسهم وقال اشهدوا انى أول من رمى وتبارز الناس وقتل فى البراز يسار مولى زياد وسالم مولى عبيد الله بن زياد قتلهما عبد الله بن عمير الكلبى وكان قد لحق بالحسين من الكوفة ومعه امرأته ثم حمل عمرو ابن الحجاج على الحسين وأصحابه فجثوا على الركب واشرعوا نحوهم الرماح فلم يقدموا وذهبوا ليرجعوا فأصابوهم بالنبل فصرعوا منهم رجالا وخرج يزيد بن حصين من أصحاب الحسين يبارز يزيد بن معقل فبازره ثم قتله آخر دونه وخرج عمرو بن قرظة الانصارى فقاتل وقتل وقاتل الحر بن يزيد مع الحسين قتالا شديدا وقتل من أصحاب عمرو وصاح عمرو بن الحجاج بالناس يقاتلون فرسان المصر مستميتين وهم قليل وقل مايبقون ولو رميتموهم بالحجارة لقتلتموهم ووافقه عمر فمنع الناس من المبارزة ثم حمل عمرو بن الحجاج على جانب الحسين واقتتلوا ساعة وقتل مسلم بن عوسجة الأسدى وانصرف عمرو ومسلم صريع فجاء اليه الحسين ودعا له ودنا منه حبيب بن مطهر واستوصاه فقال أوصى اليك بهذا ان تموت دونه فأشار الى الحسين فقال افعل ثم قضى مسلم وصاحت جاريته وسمعها شمس بن ربعى / وقد سمع أصحابه يقولون قتلنا مسلم بن عوسجة فنكر قتله وتسخط وقال تفرحون لمثل مسلم وعدد مواقفه ثم حمل شمر فى الميسرة فثبتوا له ثم حملوا على الحسين وأصحابه من كل جانب وهم يكرون ولايحملون على جانب من خيل الكوفة الاكشفوه وبعث عروة بن قيس وهو على خيل الكوفة الى عمرو بن سعد ان ابعث الينا الرجال والرماة فقال لشبث بن ربعى تقدم فقال مثلى لايبعث فى الرماة وكان يكره ذلك القتال كله . فقال للحصين بن تميم تقدم فرشقوا الحسين وأصحابه بالنبل فعقروا خيولهم وارجلوهم وقاتل الحر بن يزيد أشد قتال الى أن انتصف النهار ولايقدرون يأتونهم الا من وجه واحد لاجتماع مضاربهم فبعث عمرو من يقوض تلك

الأبنيـة فكـان أصحاب الحسين يتخللـون الأبنية فيقتلـون الـرجل يقوض أو ينهب فأمر عمرو بن سعد فاضرمت نارا ومنعت العدو الى الحواز مـن جانبها وبلـغ شمـر فسطاط الحسين ليحـرقه بالنـار وصاح به الحسين والنسـاء وجاءه شبـث ابن ربعـى فجـزره عـن ذلـك فـرجع واتبعـه زهير بن القين فى عشـرة فكشفهـم عـن البيوت وقتلـوا مـن أصحاب شمر أبا عـودة الضبـابى وعطف عليهم فأصاب منهم ثم حضر وقت الصلاة وذكر أبو ثمامـة الصابرى بالصلاة فقـال الحسين الامهال لنصلى ووقـع الكلام فى ذلك بين الحصين بن يزيد مـن أهل الكوفة وحبيب بن مطهر من أصحاب الحسين وقتل حبيب رجلا من بنى تميم وقتلـه الحصين ولما قتـل حبيـب هد ذلك من الحسين حمـل الحر بن يزيد فقـاتل حتى قتـل ثم صلى الحسين الظهـر صلاة الخوف ثم اشتـد القتـال بعد الصلاة وخلصوا الى الحسين فاستقدم الحنفى أمامه واستهدف لهم فرموه حتى سقط وقاتل زهير بن القين حتى قتل وأسر نافع بن هلال الحملى بعد أن قتل اثنى عشر منهم فقتله شمر وتنافس أصحاب الحسين أن يقتلوا بين يديه فقتل منهم جماعة ثم رموا بالحجارة من كل جانب واستأذنه الضحاك بن عبد الله فى الانصراف والنجاة فأذن له فانصرف ثم خلص القوم الى أهل البيت فقتل على الأكبر بن الحسين بعـد أن حمل عليهم مرارا فطعنـه مرة بن منقذ فصرع فجاء الحسين فحمله حتى وضعه بين يدى فسطاطه ثم رمـى عبد الله بن مسلم ابن عقيـل بسهم فقتل ثم حمل آخر على عون بن عبد اللـه بن جعفر فقتل ثم على عبـد الرحمن بن عقيـل فقتل ثم على جعفر بن عقيـل فقتل ثم على القاسم بن الحسين فقتل وجالواعنده جولة وطئته فيها الخيل ثم انجلت الغبرة والحسين قائم على رأسه وهو يفحص برجليه ثم احتمله فالقاه مع ابنه وقتلى أهـل بيتـه ومكث الحسين طويلا مـن النهار والناس يتحـامون قتلـه ثم جاء مالك بن النسير من كنده فضربه على رأسه بالسيف فأدمـاه ودعا الحسين بابنه عبد الله وهو صغير فأجلسه فى حجره فرمى بسهم ذبحه ثم رمى أبو بكر بن الحسين بسهـم فقتل ثم تقدم العبـاس بن على واخوته مـن أمه فقتلوا جميعا واشتـد عطش الحسين فجاء ليشرب من الفرات فرماه حصين بن تميم بسهـم فى

فمه فجعل يتلقى الدم ويدعوا ثم أقبل شمر بن ذى الجوشن فى عشرة من رجالته فحال بين الحسين وبين أهله فقال امنعوا رحلى واهلى من طعامكم فقال ذلك لك ثم حمل عليهم وحملوا عليه وأحاطوا به من يمينه وشماله وخرجت أخته زينب تنادى فلقيت عمرو بن سعد فقالت ياعمرو يقتل أبو عبيد الله وأنت تنظر فبكى وزوى عنها وجهه ثم نادى شمر ماذا تنتظرون بالرجل فحملوا عليه وضرب زرعة بن شريك التميمى كفه اليسرى وعلى عاتقه فأوهنه ثم طعنه سنان بن أنس النخعى بالرمح وقال لخولى بن يزيد الأصبحى حز رأسه فارعد فنزل اليه سنان فأخذ رأسه ودفعه الى خولى وسلب ماكان عليه فأخذ سراويله بحر بن كعب وقطيفته قيس بن الأشعث وكانت من خز وسيفه رجل من دارم وانتهب الناس ثقله ومتاعه وابله وسلبوا نساءه وانتهوا الى على بن الحسين وهو مريض وأراد شمر قتله فمنعه حميد بن مسلم ثم جاء عمرو بن سعد فقال لايدخلن بيت النسوة أحد ولايعرض لهذا الغلام المريض وليرد عليهم متاعهم ولم ينج من القوم الا اثنين ونادى عمرو بن سعد فى أصحابه من ينتدب للحسين فيوطئه فرسه وكان ابن زياد أمره بذلك فانتدب عشرة وداسوه حتى رضوا ظهره وصدره وكان به ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة وقتل من أصحابه اثنان وسبعون رجلا ودفنهم أهل الغاضرية من بنى أسد وقتل من أصحاب عمرو بن سعد ثمانية وثلاثون[1] رجلا فصلى عليهم ودفنهم وبعث برؤوس الحسين وأصحابه الى ابن زياد مع شمر وقيس بن الأشعث وعمرو بن الحجاج وعروة بن قيس فأحضرها بين يديه وجعل ينكت بقضيبه بين ثنيتى الحسين فقال له زيد بن أرقم ارفع قضيبك عنها فلقد رأيت شفتى رسول الله صلى الله عليه وسلم على هاتين الشفتين يقبلهما ثم بكى فزجره ابن/زياد فخرج مغضبا ثم ارتحل عمرو بن سعد الى الكوفة بعد مقتلهم بيومين ومعه نساءهم

---

(١) عند ابن الأثير ثمان وثمانون . ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٤ ، ص٨٠ .

وصبيانهم وثيابهم وعلى بن الحسين مريض ومروا بالحسين وأصحابه صرعى فأعولوا ولطموا ولما أدخلوا على ابن زياد قال عبيد الله من هذه يشير الى زينب فقيل له هذه زينب بنت فاطمة فكلمها وأجابته وأبلغت واغضبته حتى قال لها هذه شجاعة ولقد كان أبوك شجاعا فقالت ماللمرأة والشجاعة ثم قال لعلى بن الحسين مااسمك فأخبره فقال ألم يقتل الله عليا فقال وماكان لنفس أن تموت الا باذن الله فقال أنت والله منهم ثم قال انظروا هل انبت فقيل له نعم فقال اقتلوه فقال ومن يوكل بهذه النسوة وتعلقت به زينب وقالت ياابن زياد حسبك أما رويت من دمائنا ثم اعتنقته وقالت ان قتلته فاقتلنى معه وقال على ياابن زياد ان كان بينك وبينهن قرابة فابعث معهن من يصحبهن بصحبة الاسلام ثم خطب الناس وتعرض للحسين فشتمه بعض شيعته فأمر بقتله وصلبه ثم أمر برأس الحسين فطيف به فى الكوفة ثم بعث به وبرؤوس أصحابه الى يزيد مع شمر بن ذى الجوشن ويقال مع زحر بن قيس وبعث معهم بالنساء والصبيان محمولات على الاقتاب والغل فى عنق الحسين ورقبته فدخل على يزيد زحر بن قيس فقال ماوراءك قال ابشر بفتح الله ونصره ورد علينا الحسين فى ثمانية عشر من أهل بيته وستين من شيعته وسرنا اليهم وسألناهم أن ينزلوا على حكم الأمير عبيد الله أو القتال فاختاروا القتال فغدونا عليهم مع شروق الشمس فأحطنا بهم من كل ناحية حتى أخذت السيوف مأخذها من هام القوم وجعلوايهربون الى غير وزر ويلوذون بالاكام والحفر كما لاذ الحمائم من صقر فما كان الا جزر جزور أو نومة قائل حتى أتينا على آخرهم فهاتيك أجسامهم مجردة وثيابهم مرمله وخدودهم معفره تصهرهم الشمس وتسفى عليهم الريح زوارهم العقبان والرخم بغى سبسب قال فدمعت عينا يزيد وقال كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين لعن الله ابن سمية أما والله لو انى صاحبه لعفوت عنه فرحم الله الحسين ويقال ان آل الحسين لما وصلوا الى الكوفة حبسهم ابن زياد وبعث الى يزيد بالخبر فأمره بارسالهم اليه فبعثهم مع مخفر بن ثعلبة وشمر معهما الثقل والرأس وانهما لما/وضعا الرأس بين يديه وحدثاه

سمعت حديثهما هند بنت عبد الله بن عامر وكانت تحت يزيد فتقنعت بثوبها وخرجت فقالت ياأمير المؤمنين رأس الحسين ابن فاطمة بنت رسول الله قال نعم فاعولى عليه عجل عليه ابن زياد فقتله قتله الله ثم دخل عليه الناس والرأس بين يديه ثم قال ان هذا وايانا كما قال الحصين ابن الحمام :

أبى قومنا ان ينصفونا فأنصفت قواضب فى أيماننا تقطر الدما

يفلقن هاما من رجال أعزة وهم كانوا أعق وأظلما

وانه نكث فى ثغر الحسين بقضيبه كما فعل ابن زياد فقال له أبو برزة الاسلمى ماقال زيد بن ارقم لابن زياد ثم قال يزيد ياحسين والله لو انى صاحبك ماقتلتك ثم قال اتدرون من أين أتى الحسين قال أبى خير من أبيه وأمى فاطمة خير من أمه وجدى رسول الله خير من جده وأنا خير منه فأما أمه وجده فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلايعتقد غير هذا وأماأبى وأبوه فقد تحاجا عند الله وعلم الناس أيهما حكم له ولكنه انما أتى من قبل فقهه ولم يقرأ قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء ثم أدخل نساء الحسين عليه والرأس بين يديه فجعلت فاطمة وسكينة بنتا الحسين يتطاولان ينظران الى الرأس ويزيد يتطاول يستر عنهما الرأس فلما بصرنه صحن فصاح نساء يزيد وبنات معاوية فقالت فاطمة أبنات رسول الله سبايا يايزيد؟ فقال ياابنة أخى كنت لهذاأكره قالت والله ماترك لنا من حرص قال أما انى سأوصل اليكن اعظم مما أخذ منكن ثم اخرجن وادخلن دور يزيد فلم تبق امرأة فى بيتهن الا اتتهن وأقمن المآتم وسال عما أخذ منهن فاضعفه لهن وأقمن المآتم وكانت سكينة تقول مارأيت عدوا خير من يزيد بن معاوية ثم أدخل على بن الحسين مغلولا فقال يايزيد لو رآنا رسول الله مغلولين لفك عنا قال صدقت وأمر بفكه عنه فقال ولو رآنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعد لقربنا فأمر به فقرب منه وقال له ياعلى أبوك الذى قطع رحمى وجهل حقى ونازعنى سلطانى فصنع الله به مارأيت فقال على ماأصاب من مصيبة فى الأرض ولافى أنفسكم الا فى كتاب الآية ، فقال يزيد وماأصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ثم سكت عنه وأمر بانزاله

وانزال/نسائه فى دار جده ثم لم يزل يزيد يذم من ابن زياد فعله فى الحسين ويقول لعن الله ابن مرجانة سأله أن يضع يده فى يدى أو يلحق بثغر حتى يتوفاه الله فلم يجبه الى ذلك وقتله وبغضنى الى المسلمين وزرع لى العداوة عند البر والفاجر مالى ولابن مرجانة لعنه الله وغضب عليه ثم أمر النعمان بن بشير أن يجهزهم بما يصلحهم وبعث معهم الى المدينة رجلا أمينا من أهل الشام فى خيل تسير معهم ودعا عليا ليودعه فقال له لعن الله ابن مرجانة والله لو انى صاحب أبيك ماسألنى خصلة أبدا الا أعطيته اياها ولدفعت الحنق بما استطعت ولو بهلاك ولدى ولكن قضاء الله مارأيت فكاتبنى بأية حاجة تكون لك وأوصى بهم ذلك الرسول فخرج بهم وكان يسايرهم ليلا من ورائهم بحيث لايفوتون نظره فاذا نزلوا تنحى عنهم هو وأصحابه فكانوا حولهم كالحرس ويتلطفون بهم ويسأل عن حوائجهم حتى دخلوا المدينة فقالت فاطمة لأختها زينب لقد أحسن الينا هذا الرجل فهل لك أن نصله بشىء فقالت مامعنا الا حلينا وأخرجتا سوارين ودملجين لهما فبعثتا بذلك واعتذرتا فرد الجميع وقال لو كان الذى صنعته للدنيا لكان فى هذا مايرضينى وانما صنعته لله ولقرابتكم من رسول الله وكان ابن زياد بعث الى المدينة بخبر الحسين وبها عمرو بن سعيد فأعلم الناس وبكا نساء بنى هاشم فلما سمع عمرو أصواتهن قال ناعيه بناعيه عثمان .

ولاية سلم بن زياد خراسان وسجستان

قدم سلم بن زياد سنة احدى وستين على يزيد فقال له يزيد أوليك عمل أخويك عبد الرحمن وعباد وولاه خراسان وسجستان فبعث الحرث بن معاوية الحرثى جد عيسى بن شبيب من الشام الى خراسان فحبس عاملها قيس بن الهيثم وقدم سلم البصرة فجهز الى خراسان وبعث أخاه يزيد بن زياد على سجستان وكان عليها عباد أخوهما فكتب اليه عبيد الله بن زياد وكان صديقا له بولاية سلم فقسم عباد مافى بيت المال فى مواليه ونادى فى

الناس فأسلفهم مافضل وخرج عن سجستان وبلغه وهو بجيرفت مكان سالم وبينهما جبل فعدل عنه محفلا وذهب له تلك الليلة الف مملوك مع كل واحد عشرة آلاف ثم سلك على فارس وقدم على يزيد فقال له أين المال قال كنت صاحب ثغر اقسم مـاأصيب به الناس ولما ولى يزيد سلم بن زياد على خراسان كتب له الى عبيد الله بن زياد/بانتخاب ألفى رجل وقيل ستة آلاف ورغب اناس فى الجهاد فطلبوا الخروج وشخص معه عمران بن الفضيل البرجمى وعبد الله بن حازم السلمى وطلحة بن عبيد الله بن خلف الخزاعى والمهلب ابن أبى صفرة وحنظلة بن عرادة ويحي بن يعمر العدوانى وصلة بن اشيم العدوى ولما قدم على خراسان خرج للغزو فعبر النهر وهو أول من عبره وكانت مدينة للعجم من وراء خوارزم يجتمع بها ملوك العجم عند انصراف المغازى عنهم فيتشاورون فى أمورهم ويتعاقدون على الاجتماع لعدوهم فاستأذنه المهلب بن أبى صفرة فى غزوها فأذن له ولم يكن الأمراء قبله يأذنون لأحد فى ذلك فسار اليها المهلب فى ستة آلاف وقيل اربعة فحاصرهم حتى صالحوه على نيف وعشرين الف الف وبعث جيشا الى خجنده فصالحوه وقاتل أهل خوارزم وسمرقند فصالحوه ثم جاء الخبر عن أخيه يزيد بسجستان أن أهل كابل انتقضوا عليه وأسروا أخاه أبا عبيدة وانه سار اليهم فهزموه فبعث سلم طلحة بن عبيد الله بن خلف الخزاعى وهو طلحة الطلحات عاملا على سجستان ففدى أبا عبيدة بن زياد بخمس مائة الف درهم ونزل سجستان فجبى المال وأكرم الوفود ومات بسجستان واستخلف رجلا من بنى يشكر فأخرجته المضرية ووقعت العصبية فطمع فيهم رتبيل ملك الترك وانما سمى طلحة الطلحات لأنه كان أجود الكرماء المسمين بطلحة وهم معروفون منهم الفياض وطلحة الجواد وطلحة الخير وغيرهم .

ولاية الوليد بن عتبة على الحجاز وعزل عمرو بن ربيعة

ولما قتل الحسين وبلغ خبره الى مكة قام ابن الزبير فى الناس فخطبهم وعظم قتل الحسين وعاب من تولاه أو أمر به وترحم عليه ولعن قاتله وتعرض ليزيد بسماع الغناء والحداء وشرب الخمر وطلاب الصيد وقد كان بويع سرا وأظهر أنه عائذ بالبيت فقال له أصحابه أظهر بيعتك فلم يبق بعد الحسين من ينازعك فقال لاتعجلوا وبلغ الخبر الى يزيد بأمره فحلف ليؤتين اليه به فى جامعة فصنع جامعه من فضة وبعث بها اليه لتبر يمينه فامتنع من رسله ورجعوا الى يزيد فأغراه بنو أمية بعمرو بن سعيد العامل بالحجاز وقالوا لو أراد لبعث به اليك فعزله وولى مكانه الوليد بن عتبة بن أبى سفيان فسار الى الحجاز ولحق عمرو بيزيد وبين له مكايدة ابن الزبير فعذره وأقام الوليد يحاول غره ابن الزبير فيجده مستحذرا ممتنعا ثم كتب ابن الزبير الى يزيد/ بعثت الوليد بأنه أخرق لايتجه لرشد ولايرعوى لعظة فابعث رجلا سهل الخلق أن يسهل به من الأمور مااستوعر ويجتمع بهماافترق فعزل الوليد وولى عثمان بن محمد بن أبى سفيان .

خلع أهل المدينة يزيد ووقعة الحرة وحصار مكة

لما ولى عثمان بن محمد بن أبى سفيان على أهل الحجاز سنة ثنتين وستين بعث الى يزيد وفدا من أهل المدينة فيهم عبد الله بن حنظلة الغسيل وعبد الله بن عمرو بن أبى حفص بن المغيرة والمنذر بن الزبير ورجال من أشراف أهل المدينة فأكرمهم يزيد وأجازهم بمائة الف درهم لكل واحد منهم واستأذنه المنذر فى القدوم على ابن زياد بالعراق فأذن له ورجع الوفد الى المدينة فقاموا بمعايب يزيد فقالوا يشرب الخمر ويضرب بالطنابير ويلعب بالكلاب ويسمر عنده الحراب واللصوص فنكر الناس شأنه وبايعوا عبد الله ابن حنظلة الغسيل على خلعه وبلغ الخبر الى يزيد فبعث الى ابن زياد بحبس

المنذر وكان صديقا له ولأبيه فكره ذلك وأذن له فى الانصراف الى بلده فقدم المدينة وعاب يزيد أعظم من الأولين وحرض الناس عليه فبعث يزيد النعمان بن بشير الى المدينة لردهم عما كانوا فيه من الانتقاض فأتاهم وخوفهم الفتنة وقال لاطاقة لكم بأهل الشام فقال له عبد الله بن مطيع يانعمان تفرق جماعتنا وتفسد ماأصلح الله من أمرنا فقال له النعمان والله لكأنى بك لو نزلت بك الجموع ودارت الحرب ركبت بغلتك الى مكة وتركت هؤلاء المساكين يعنى الأنصار يقتلون فى سككهم ومساجدهم وعلى أبواب دورهم فعصاه الناس وانصرف الى يزيد فلما كان سنة ثلاث وستين وقد بايعوا لعبد الله بن الغسيل على خلع يزيد أخرجوا عثمان بن محمد بن أبى سفيان عامل يزيد عليهم فاجتمع له بنو أمية ومواليهم فى الف رجل وامتنعوا بدار مروان بن الحكم وكتبوا الى يزيد يستجيشون فأمر عمرو بن سعيد أن يسير اليهم فى الناس فأبى وقال كنت قد ضبطت البلاد والآن تهراق الدماء بالصعيد فبعث الى عبيد الله بن زياد بالمسير الى المدينة وحصار ابن الزبير بمكة فأعظم غزو الكعبة مع ماكان من قتله الحسين فأبى واعتذر فبعث الى مسلم بن عقبة المرى وأخبره خبر بنى أمية فقال أما يكونون الف رجل فقال الرسول بلى قال فما استطاعوا القتال/ساعة من نهار هؤلاء أذلاء دعوهم حتى يجهدوا أنفسهم فى حصار عدوهم فقال يزيد ويحك لاخير فى العيش بعدهم فاخرج بالناس ويقال أن معاوية أوصاه ان حدث بك حدث من أهل المدينة فأرسل مسلم بن عقبة فتجهز مسلم ونادى بالعطاء ومعونة مائة دينار فاجتمع له اثنا عشر ألفا فسار بهم الى الحجاز وقال له ادع القوم ثلاثا قبل القتال واذا ظهرت فابحها ثلاثا بما فيها من مال ورثه(١) وطعام وسلاح فهو للجند واكفف عنهم بعد الثلاث وان حدث بك حدث فاستخلف الحصين بن نمير السكونى واستوص بعلى بن الحسين خيرا فقد أتانى كتابه ولم يدخل مع الناس وقد كان مروان بن الحكم لما أصاب بنى أمية من أهل المدينة

(١) هكذا بالأصل . وعند ابن الأثير "دابة" . ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٤ ، ص١١٢ .

ماأصابهم رغب الى على بن الحسين أن يكون حرمه مع حرمه فأجابه وخرج بحرمه وحرم مروان وفيهم عائشة بنت عثمان الى ينبع وقيل بل بعثهم مع ابنه عبد الله الى الطائف ثم سار مسلم بالجيش وبلغ أهل المدينة خبره فاشتد حصارهم لبنى أمية بدار مروان حتى أنزلوهم على أن يخرجوا الى الشام ولايظاهروا عليهم ولايدلوا على عوراتهم وبعث أهل المدينة الى الموارد بينهم وبين الشام فألقوا فيها القطران فأرسل الله المطر بالسماء واستغنى العسكر عن الموارد ولقى بنو أمية مسلم بن عقبة بوادى القرى فسأل عمرو ابن عثمان بن عفان واستشاره فقال أخذوا علينا العهد أن لاندل على عورة فقال لولا انك ابن عثمان لضربت عنقك ولاأقيل منها قرشيا بعدك ثم استدعى مروان بعده فقال لابنه عبد الملك ادخل قبلى لعله يجتزى بك فدخل فقال هات ماعندك قال أرى أن تسير الى أدنى نخلها ثم ترتح (١) فاذا أصبحت تركت المدينة ذات اليسار ومضيت حتى تأتيهم من قبل الحرة مشرقا ثم تستقبل القوم فاذا أشرقت الشمس كانت فى ظهوركم ووجوههم ويرون من أشعة سلاحكم مالاترونه ويتأذون بشعاع الشمس ولاتتأذون ثم قاتلهم . فقال له مسلم لله أبوك أى أموى ولدك!! ثم دخل مروان وقال اذا لقيت عبد الملك فقد لقيتنى فقال ماكلمت من رجال قريش مثله ثم ارتحل وعمل برأى عبد الملك وأتاهم من قبل الشرق ثم دعاهم وقال أنتم أصل أمير المؤمنين وأنا أكره اراقة دمائكم وانى أوجلكم ثلاثا فان راجعتم الحق/قبلت وسرت الى مكة وان أبيتم كنت قد أعذرت ولما مضت الثلاث قال ماتصنعون ياأهل المدينة قالوا نحارب فلاطفهم فى الطاعة لينصرف الى مكة فقالوا لاندعك تأتى بيت الله وتلحد فيه وتستحل حرمته وكانوا قد خندقوا على أنفسهم وكان عبد الرحمن بن مطيع فى قريش على ربع وعبد الرحمن بن أزهر بن عبد عوف على ربع ومعقل بن سنان الاشجعى فى المهاجرين على ربع وأمير جماعتهم عبد الله بن الغسيل على الأنصار فى اعظم تلك الأرباع

---

(١) هكذا بالأصل والمقصود تستريح والله أعلم .

وصمد مسلم فى العساكر فانكشفت وانتهت أهل المدينة من كل جانب ثم حمل ابن الغسيل فانكشفت العساكر وانتهت الى مسلم فنهض فى وجوههم بالرجال واشتد القتال ثم جاء الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب لابن الغسيل فقاتل معه ثم انتقى الشجعان يريد قتل مسلم فحمل على أهل الشام فانفرجوا وجثت الرجالة أمامه على الركب ومضى نحو راية مسلم فقتل صاحبها يظنه مسلم بن عقبة فأخذ مسلم رايته وسار وشدت الرجال أمامه فصرع الفضل بن عباس وقتل معه زيد بن عبد الرحمن بن عوف وتقدمت خيل مسلم الى ابن الغسيل حتى دنا بعضهم من بعض واستمات أهل المدينة حتى قتل الكثير منهم وقتل عبد الله بن الغسيل ومعه أخوه لأمه محمد بن ثابت بن قيس بن شماس وعبد الله بن زيد بن عاصم ومحمد بن عمرو بن حزم وابلا محمد بن سعد بن أبى وقاص ثم انهزم الناس وأباح مسلم المدينة ثلاثا للقتل والنهب وأفزع ذلك الصحابة الذين بها وخرج أبو سعيد الخدرى ليأوى الى كهف فى الجبل فاعترضه رجل من العسكر ليقتله فعرفه بنفسه فتركه ويقال أن مسلما لما حارب أهل المدينة ووقف ابن الغسيل والناس لقتاله خالفهم بنوا حارثة من الأنصار وأدخلوا أهل الشام من ناحيتهم فانهزم الناس وكان من هلك فى الخندق أكثر ممن قتل ثم دعا مسلم الناس الى بيعة يزيد على انهم خول له يحكم فى دمائهم وأموالهم وأهليهم بما شاء ومن امتنع قتله وجىء بعد يوم بيزيد بن عبد الله بن زمعة بن الأسود ومحمد بن أبى الجهم بن حذيفة فقالا نبايع على الكتاب والسنة فقتلهما وأنكر عليه مروان قتل قرشيين على أمان فطعنه بالقضيب فى خاصرته وقال والله لو أنت قلتها لقتلتك ثم جىء بمعقل بن سنان فقال له والله لاقتلنك/فناشده الله والرحم فقال ماأنت لقيتنى بطبرية ليلة انصرف وفدكم من عند يزيد فاثبت عليه شرا وقلت نرجع الى المدينة فنخلع هذا الفاسق بن الفاسق ونبايع لرجل من أبناء المهاجرين وانى آليت لاألقاك بحيث أقدر على قتلك الا قتلتك ثم أمر به فقتل وجىء بيزيد بن وهب فقال أبايع على سنة عمر فقتله وشفع فيه مروان لصهر بينهما فلم يشفعه ثم جاء على بن الحسين

بين مروان وعبد الملك وجلس بينهما فقال تجيئنى بين هذين لتأمن عندى والله لو كان الامر اليهما لقتلتك وانما أمير المؤمنين أوصانى بك وأخبرنى انك كاتبته ثم اجلسه معه على السرير وقال لعل أهلك فزعوا فقال نعم فرده الى بيته على دابته ولم يلزمه البيعة كما ألزم أهل المدينة ثم أحضر على بن عبد الله بن عباس للبيعة وكانت أمه كندية فقال الحصين بن نمير لانبايع ابن أختنا الأمثل مابايع على بن الحسين فتركه ثم جاء عمرو بن عثمان بن عفان ولم يكن خرج مع بنى أمية فقال هذا الخبيث ابن الطيب وأمر به فنتفت لحيته وكان ممن قتل فى الحرة زيد بن عاصم الأنصارى وعبيد الله بن عبد الله بن وهب ووهب بن عبد الله بن زمعة وعبد الله بن عبد الرحمن بن حاطب والزبير بن عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب وكانت لليلتين بقيتا من ذى الحجة سنة ثلاث وستين وأتى خبر الواقعة لابن الزبير مع المسور بن مخرمة فاستعد هو وأصحابه وعرفوا أن مسلم بن عقبة نازل بهم ثم استخلف مسلم على المدينة روح بن زنباع الجذامى وقيل عمرو بن محرز الأشجعى وشخص الى مكة لقتال ابن الزبير فمات بالمشلل وقيل بثنيه هرشى وأوصى الحصين بن نمير فقال يابردعة الحمار لو كان الأمر الى ماوليتك هذا الجند لكن أمير المؤمين ولاك فأسرع السير وعجل المناجزة ولاتمكن قرشيا من اذنك ثم مات وسار الحصين بالناس وقدم مكة لأربع بقين من المحرم وقد بايع أهلها وأهل الحجاز لعبد الله بن الزبير واجتمعوا عليه ولحق به فل أهل المدينة وقدم عليه نجده بن عامر الحنفى فى الخوارج لمنع البيت وخرج ابن الزبير للقاء أهل الشام فقتل أخوه المنذر فى البراز ثم انكشفوا أمام أهل الشام وعثرت البغلة بعبد الله فنزل واجتمع اليه المسور بن مخرمة ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف/وجماعة من أصحابه فقتلوا جميعا وصابرهم ابن الزبير الى الليل ثم انصرفوا وأقاموا يقاتلونه شهرا وبعض شهر فاحترق البيت يقال قذفوه بالنار فى المجانيق ويقال كان أصحاب ابن الزبير يوقدون حول الكعبة فعلقت شررة منها بثياب الكعبة واحترق خشب البيت والاول أصح لأن البخارى ذكر فى

صحيحه أن ابن الزبير لما احترقت الكعبة تركها ليراها الناس محترقة فيجرئهم على أهل الشام ثم لم يزل العسكر محاصرا لابن الزبير حتى جاءهم نعى يزيد الأول ربيع الثانى .

وفاة يزيد وبيعة معاوية ابنه ومهلكه

ثم مات يزيد منتصف ربيع الأول سنة أربع وستين وبويع بعده ابنه معاوية فمكث ثلاثة أشهر ثم خطب الناس وقال انى ضعفت عن أمركم وطلبت لكم مثل عمر بن الخطاب حين استخلفه أبوبكر فلم أجده فطلبت ستة مثل أهل الشورى فلم أجدهم فأنتم أولى بأمركم اختاروا له ودخل منزله فمات ويقال مسموما وصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبى سفيان وهلك ليومه بالطاعون وقيل ان معاوية بن يزيد أوصى الضحاك بن قيس أن يصلى بالناس حتى يجتمع الناس على امام .

اظهار ابن الزبير البيعة

ولما هلك يزيد بلغ الخبر عبد الله بن الزبير بمكة قبل أن يعلم الحصين بن نمير ومن معه وكان حصارهم قد اشتد فناداهم ابن الزبير وأهل مكة علام تقاتلون وقد هلك صاحبكم فلم يصدقوه فلما بلغ الحصين موته بعث الى ابن الزبير وواعده الابطح ليلا فالتقيا فقال له الحصين هلم نبايعك فأنت أحق وهذا الجند الذين معى هم وجوه أهل الشام وفرسانهم واخرج معنا فلايختلف عليك اثنان على أن تؤمن الناس وتهدر لهم ماأصابوا من الدماء فأبى من اهدارها وكان الحصين يكلمه سرا وهو يجهر ويقول والله لاأفعل فقال الحصين قبح الله من يعدك بعد هذا داهيه ثم ارتحل الى المدينة وراجع ابن الزبير رأيه فأرسل اليه لاأسير الى الشام ولكن بايعوا لى هناك وأنا مؤمنكم فقال الحصين لايتم الا بحضورك فهناك بنو أمية يطلبون الأمر ومر

الحصين بالمدينة فكانوا يخيفون عسكره وهم حذرون منهم الى أن بعدوا ثم وصلوا الى دمشق .

انتقاض أمر ابن زياد ورجوعه الى الشام

لما جاء الخبر الى ابن زياد بالبصرة بمهلك يزيد بن معاوية ثم معاوية ابنه واختلاف الناس /بالشام جمع الناس فنعى يزيد وثلبه فنهاه الأحنف ثم تلطف لأهل البصرة وقرر وسايله اليهم بالمهاجرة والمولد وحسن الاثار فى الجباية والعسكر واصلا السابلة وكف الأذى وأعلمهم باختلاف الناس بالشام بعد يزيد وقال أنتم أعز الناس وأغناهم عن الناس وأوسعهم بلادا فاختاروا من تولونه وأنا أول راض به فقال أهل البصرة هلم فلنبايعك فأبى ثم ألحوا عليه ثلاثا فأجاب وبايعوه ثم انصرفوا وتناجوا ومسحوا أيديهم بالحيطان وقالوا يظن ابن مرجانة اننا ننقاد له فى الجماعة والفرقة ولما بايعوه أرسل الى أهل الكوفة يعلمهم ببيعة أهل البصرة ويدعوهم اليها وكان خليفته على الكوفة عمرو بن حريث فجمع الناس وذكر لهم رسوله ذلك فقام يزيد بن الحرث بن رويم الشيبانى فقال الحمد لله الذى أراحنا من ابن سميه لانبايعه وحصبه ثم تبعه الناس وحصبوه ورجع بالخبر الى ابن زياد فبدا لأهل البصرة فى بيعته وضعف سلطانه وأقام لاتنفذ أوامره ويحال بين أعوانه وبين الخصوم اذا سحبوهم ثم جاء الى البصرة سلمه بن ذويب التميمى الحضرمى فنصب لواء فى السوق ودعا لابن الزبير فبايعه ناس وأتى الخبر ابن زياد فجمع الناس وقال بلغنى أنكم مسحتم أيديكم بالحيطان وقلتم ماقلتم ، وأنا الآن ترد أوامرى ويحال بين أعوانى وبين طلبتى هذاسلمه بن ذويب يدعوكم الى الخلاف فيجيبه منك مجيبون فقال الأحنف والله نحن نأتيك بسلمة وخرجوا ليأتوه به فاذا جمعه قد كثف والخرق قد اتسع فقعدوا عن ابن زياد ولم يرجعوا اليه فدعامقاتلة السلطان ليقاتلوا معه فقالوا ان اذن قوادنا فى ذلك وقال له اخوته وأصحابه ليس لنا خليفة نقاتل عنه وان كانت علينا

هلكنا وهلكت أموالنا فعند ذلك أرسل الحرث بن قيس من بنى جهضم بن جذيمة بن ملك بن فهم من الأزد وقال ان أبى أوصانى بك ان أصابنى الدهر بشىء فعدد عليه قلة المكافأة منه ومن أبيه وأقام عنده الى الليل ثم اردفه خلفه وخرج به وفرق ابن زياد على مواليه الكثير مما كان فى بيت المال وهو تسعة عشر ألف ألف مرتين وسار به الحرث والناس يتحارسون خوفا من الحرورية ويمر بالناس فيسألونه فيقول أنا الحرث بن قيس الى أن أنزله بداره فى الجهاضم فأثنى عليه ابن زياد وقال له/اذهب بنا الى مسعود بن عمرو فقد علمت شرفه فى الأزد وطاعتهم له فأكون فى داره والا فرق عليك أمر قومك فجاء الى مسعود فتطير من ابن زياد ومازال الحرث يلاطفه حتى سكن وقال له افتخرجه من بيتك بعدما دخله فجعله فى بيت أخيه عبد الغافر بن عمر ثم ركب هو والحرث وجماعة من قومه فطافوا فى الأزد وقالوا لهم ابن زياد فقد ولانأمن أن يتهمونا به فأصبحوا فى السلاح وقيل ان الحرث لم يلق مسعود بن عمرو وانما جاء بعبد الله ومعه مائة ألف وأتى بها امرأة مسعود وطلب منها الجوار لابن زياد بأن تلبسه ثياب مسعود فلما جاء مسعود تلطفوا به حتى رضى وأصبح الناس فى البصرة بغير أمير ثم دفعوا رايتهم الى قيس بن الهيثم السلمى وكان أمويا والى النعمان بن سفيان الراسبى وكان هاشميا يؤمران عليهم من يختارانه فقدم النعمان عليهم عبد الله بن الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب ويلقب ببه فرضيه الناس وبايعوه وأنزلوه بدار الامارة فى جمادى الآخرة سنة أربع وستين ثم أنفق ابن زياد أموالا فى جمع ربيعة والأزد واتفقوا على أن يرد ابن زياد الى امارته وركبوا لذلك وتركوا ابن زياد فى حيهم وبعث مواليه معهم وجاء مسعود فدخل المسجد وصعد المنبر وأخبر الأمير عبد الله بن الحرث بذلك وقيل له اركب فى بنى تميم واصلح بين الناس فأبى وجاء بنو تميم الى الأحنف ليركبوه فتعلل ولم يركب ثم اركب عباد بن حصين وطلق من بنى عمرو بن تميم وعبس بن طلق ابن سعد بن زيد مناه ومسعود يخطب فاستنزلوه وقتلوه ثم قتلوا مالك ابن مسمع ببيته وهرب عبيد الله بن زياد فلحق بالشام ولزم عبد الله بن

الحرث بيته وكتب أهل البصرة الى ابن الزبير فكتب الى أنس بن مالك يصلى بهم حتى بعث عمر بن عبيد الله بن معمر بعد ثلاثة أشهر فحبس عبد الله ابن الحرث فأقام عمر فى ولايتها شهرا ثم جاء الحرث بن عبيد الله بن أبى ربيعة المخزومى من قبل ابن الزبير ويلقب القباع وفى أيامه سار نافع بن الأزرق من البصرة الى الأهواز وأما الكوفة فلما طرد يزيد بن الحرث بن رويم رسول ابن زياد اجتمع أهل الكوفة على عمرو بن سعد بن أبى وقاص ثم عزلوه واجتمعوا على عامر بن مسعود بن أمية بن خلف بن حذافة الجمحى وكتبوا بذلك الى ابن الزبير فأقره وأقام عاملا على الكوفة وبلغه انتقاض /أهل الرى فبعث محمد بن عمير بن عطارد التميمى فهزمه أهل الرى فبعث اليهم عتاب بن ورقاء التميمى فهزمهم وقتل أميرهم الفرحان ثم قدم الكوفة من قبل ابن الزبير عبد الله بن زيد الخطمى على الصلاة وابراهيم بن طلحة على الخراج واستعمل محمد بن الأشعث بن قيس على الموصل فاجتمع لابن الزبير أهل البصرة وأهل الكوفة ومن بالقبلة من العرب وأهل الجزيرة وأهل الأردن .

بيعة مروان ووقعة مرج راهط

ولما بويع ابن الزبير بمكة بيعته الظاهرة ولى على مصر عبد الرحمن بن جحدر الفهرى وعلى المدينة عبيدة بن الزبير وأخرج بنى أمية فلحقوا بالشام وفيهم مروان بن الحكم فأقام هنالك ومر به الحصين بن نمير مرجعه من مكة بعد موت يزيد فأخبره بما دار بينه وبين ابن الزبير وحرض بنى أمية على طلب الأمر وكان رأى مروان أن يسير الى ابن الزبير فيبايع له بالخلافة فقدم ابن زياد من العراق حين انتقضوا عليه وأخرجوه فسفه رأى مروان فى ذلك وحثه على طلب الأمر لنفسه فقام لذلك وسار الى دمشق والضحاك بن قيس يومئذ قد بايعه أهلها على الصلاة بهم حتى يجتمع الناس على امام وهواه مع ابن الزبير وهو يدعوا له فى السر وزفر بن الحرث الكلابى بقنسرين على مثل

رأيه والنعمان بن بشير بحمص كذلك وكان بفلسطين حسان بن مالك بن بجدل الكلبى عامل معاوية وابنه وهواه فى بنى أمية فسار الى الأردن واستخلف على فلسطين روح بن زنباع فأخرجه ناتل بن قيس(١) وبايع لابن الزبير وبايع أهل الأردن حسان بن مالك على أن يجنبهم بيعة خالد وعبد الله ابنى يزيد لصغرهما وكتب حسان الى الضحاك يعظم حق بنى أمية ويذم ابن الزبير بالفتنة وخلع الأئمة وكتب مع الرسول نسخة كتابه وقال ان لم يقرأ الضحاك على الناس والا فاقرأ أنت هذا عليهم فلما دفع الكتاب الى الضحاك حبسه وصعد المنبر فلم يقرأه فقرأ الرسول نسخته على الناس فاضطربوا بين مصدق لحسان ومكذب وتشاتموا ثم سكتوا وقضى الضحاك صلاة الجمعة ودخل القصر ثم خرج الى المسجد واختلفت قبائل قيس وكلب قيس تدعوا لابن الزبير ونصره الضحاك وكلب تدعوا الى بنى أمية وهم أخوال عبد الله وخالد/ابنى يزيد فاقتتلوا ثم افترقوا من يومهم وبعث الضحاك الى بنى أمية يعتذر اليهم ويواعدهم الاجتماع بحسان بن بجدل بالجابية وكتبوا اليه جميعا بذلك وساروا نحو الجابية ثم ثناه ثور بن معن السلمى عن رأيه فى ذلك خشية أن يميل حسان الى ابن أختهم خالد بن يزيد وأشار عليه بالدعاء لابن الزبير فرجع الضحاك ونزل مرج راهط واجتمع بنو أمية وحسان بالجابية وأقام يصلى بهم أربعين يوما وهم يشتورون وأشار مالك بن هبيرة السكونى على الحصين بن نمير ببيعة خالد لأن أباه يزيد ابن أختهم فأبى الحصين وقال تأتينا العرب بشيخ ونأتيها بصبى فقال له مالك والله لئن ولى مروان لتكونن عبيدا له ولقومه فانه أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة ثم قام روح بن زنباع فخطب الناس وذكر فضل ابن عمر وسابقته وأشار الى ضعفه ثم ذكر ابن الزبير وأثنى عليه بأبيه وأمه ثم ذكر دخوله فى الفتنة وسفك الدماء وشق العصا وخلع الأئمة ومثل هذا

---

(١) فراغ فى الأصل مع أن الكلام متصل كما هو عند ابن الأثير .
ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٤ ،ص١٤٦ .

لايكون اماما فعليكم بمروان بن الحكم فلايكون صدع الا شعبه ولاتعدلوا عن الكبير الى الصغير ثم أجمع رأيهم على البيعة لمروان ثم لخالد بن يزيد ثم لعمرو بن سعيد بن العاص على أن امرة دمشق لعمرو وامرة حمص لخالد وقال حسان لخالد ان الناس أبوك لصغرك ومماأريد الا أهل بيتك لكن فعلته نظرا لكم ثم بايعوا مروان أول ذى القعدة سنة أربع وستين وسار الناس من الجابية الى الضحاك وقد بعث الى النعمان بن بشير بحمص فأمده بشرحبيل بن ذى الكلاع وأمده زفر بن الحرث بأهل قنسرين وناتل بن قيس بأهل فلسطين فاجتمع على مروان كلب وغسان والسكاسك والسكون وجعل على ميمنته عمرو بن سعيد وعلى ميسرته عبيد الله بن زياد وثار على الضحاك بدمشق يزيد بن أبى النمش الغسانى فأخرج عنها عامله وبايع لمروان وأمده بالأموال والرجال والسلاح واقتتل مروان والضحاك بمرج راهط عشرين ليلة ثم انهزم الضحاك وقتله دحية بن عبد الله الكلبى وقتل معه فى المعركة ثمانون من أشراف أهل الشام واستلحمت قيس بالقتل وكانت الوقعة آخر سنة أربع وستين وقيل فى المحرم من سنة خمس وأتى مروان برأس الضحاك فساءه وبلغ خبر الهزيمة الى النعمان بن بشير بحمص مع الفل فخرج هاربا منها بأهله وبيته/وخرج فى طلبه عمرو بن الخلى الكلاعى فقتله وجاء برأسه وهرب زفر بن الحرث من قنسرين فلحق بقرقيسيا وعليها عياض الحرشى كان يزيد ولاه فخدعه وغلبه عليها وتحصن بها واجتمعت اليه قيس وهرب ناتل بن قيس الجذامى عن فلسطين ولحق بابن الزبير بمكة واستعمل مروان بعده على فلسطين روح بن زنباع واستوثق الشام لمروان وتزوج أم خالد بن يزيد وقيل ان عبيد الله بن زياد انما جاء الى بنى أميةبتدمر ومروان مجمع على المسير لابن الزبير فثناه عن ذلك وأخذ له البيعة على بنى أمية وأهل تدمر وساروا الى الضحاك فهزموه فلما ملك مروان الشام سار الى مصر وعليها عبد الرحمن بن جحدر الفهرى يدعوالابن الزبير فخرج للقائه وبعث مروان عمرو بن سعيد فخالف عبد الرحمن الى مصر فرجع وانتقض أمره وبايع الناس مروان وملك مصر ورجع الى دمشق فبلغه أن مصعب بن

الزبير أقبل فى الجيوش فبعث اليه عمرو بن سعيد وحال بينه وبين الشام وانهزم مصعب ورجع مروان الى دمشق فاستقر بها وبعث عبيد الله بن زياد الى الجزيرة واذا فرغ منها سار الى العراق وبعث حبيش بن دلجة القينى الى المدينة وعليها جابر بن الأسود بن عوف لعبد الله بن الزبير فهرب البصرة للقاء حبيش فسار اليهم وبعث عبد الله بن الزبير عباس بن سهل بن سعد أميرا على المدينة ويسير فى طلب حبيش حتى يوافى عسكر البصرة فلحقهم بالربذة وقتل حبيش واعتصم من عسكره بالمدينة خمسمائة فارس فقتلهم عباس وكان مع حبيش الحجاج وأبوه يوسف بن الحكم على جمل واحد وكان عمرو بن سعيد لما رجع من قتال مصعب بفلسطين نهى عنه الى مروان انه يقول الأمر لى من بعده فشكا ذلك الى حسان بن بجدل فقام فى الناس وقال بلغنا أن رجالا يتمنون أمانى قوموا فبايعوا لعبد الملك وعبد العزيز فبايعوا من عند آخرهم وولى ابن الزبير أخاه عبد الله على المدينة ثم عزله وولى مصعبا .

انتقاض خراسان على سلم بن زياد واستقرارها لابن خازم

ولما بلغ الخبر بموت يزيد الى خراسان دعا سلم بن زياد الناس الى البيعة على الرضى يستقيم الناس على خليفة فبايعوه ثم نكثوا بعد شهرين وكان محسنا محببا فخرج عنهم واستخلف المهلب بن أبى صفرة ولقيه سليمان بن مرثد/من بنى قيس بن ثعلبة بن ربيعة فعذله على ولاية الأزد واليمن والعدول عن نزار فولاه مرو والروذ والفارياب والطالقان والجوزجان وولى اوس بن ثعلبة بن زفر هراه ثم لقيه عبد الله بن خازم السلمى بنيسابور عذله فى ولاية الأزد وربيعة والعدول عن مضر فكتب له بالعهد على خراسان وأعطاه مائة ألف درهم وسار ابن خازم الى مرو وبلغ خبره المهلب فخرج عنها الى العراق واستخلف رجلا من تميم فلما وصل ابن خازم قاتله فغلبه على مرو ومات التميمى من جراحة أصابته ثم سار الى مرو الروذ فقاتله

سليمان وغلبه ابن خازم وقتله ثم سار الى الطالقان وبها عمرو بن مرثد أخو سليمان فهزمه وقتله ولحق أصحابه بأوس بن ثعلبة فى هراه واجتمع اليهم من كان بخراسان من بكر بن وائل ورجع ابن خازم الى مرو ثم سار الى هراه فخرج أوس وبكر بن وائل وخندقوا على أنفسهم وقاتلهم ابن خازم سنة ثم هزمهم وقتلهم قتلا ذريعا نحوا من ثمانية آلاف وهرب أوس الى سجستان فهلك بها وغلب ابن خازم على هراه واستعمل عليها ابنه محمدا وعلى شرطته بكير بن وشاح الثقفى ورجع الى مرو .

مفارقة الخوارج لابن الزبير

كان الخوارج عند اشتداد ابن زياد عليهم بالكوفة ومسير العساكر من الشام الى ابن الزبير قال لهم نافع بن الأزرق منهم سيروا بنا الى ابن الزبير نجاهد معه ان كان على رأينا والا ندافع عن البيت فجاءوا اليه وقاتلوا معه أهل الشام ثم أرادوا اختبار رأيه فيهم فسألوه وقال ائتونى من الغداه وجمع أصحابه بالسلاح فلما جاءوا من الغد ونظروا اليهم قال لهم ابن الأزرق ان الرجل مزمع خلافكم ثم قال له عبيده بن هلال من الخوارج ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم يدعوا الى الدين فأجابه المسلمون وعمل فيهم بكتاب الله حتى قبضه الله واستخلف أبو بكر وعمر وعملا بالكتاب والسنة ثم استخلف عثمان فحما الاحما واثر القربى ورفع الدرة ووضع السوط ومزق الكتاب وضرب منكرى الجور وأوى طريد الرسول وضرب السابقين بالفضل وحرمهم وأخذ فىء الله الذى أفاءه عليهم فقسمه فى فساق قريش ومجان العرب فسارت اليه طائفة فقتلوه فنحن أولياءهم ومن ابن عفان وأوليائه براء فما تقول أنت فقال ابن الزبير أما الذى ذكرتم به النبى صلى الله عليه وسلم فهو فوقه وماذكرتم به/أبا بكر وعمر فقد وفقتم وأصبتم وفهمت الذى ذكرتم به عثمان ولاأعلم أحدا من خلق الله اليوم أعلم بعثمان وأمره منى نقموا عليه واستعتبوه فلم يدع شيئا الا أعتبهم ثم

جاؤوه بكتاب له يأمر بقتلهم يزعمون أنه كتبه فقال ماكتبته وان لم تكن بينة حلفت لكم فوالله ماجاءوا ببينة ولااستحلفوه ووثبوا عليه فقتلوه وأما ماعبتموه به فليس كذلك وأنا أشهدكم ومن حضر انى ولى ابن عفان وعدو أعدائه قالوا فبرىء الله منك وتفرقوا فأقبل نافع ابن الأزرق وعبد الله بن صفار وعبد الله بن اباض وحنظلة بن بيهس وبنوا الماخور عبد الله وعبيد الله والزبير وهم من تميم حتى أتوا البصرة وانطلق أبو طالوت من بكر بن وائل وأبو فديك من قيس بن ثعلبة وعطية بن الأسود من يشكر فوثبوا بها مع أبى طالب(١)ثم تركوه واجتمعوا على نجده بن عامر الحنفى وكان من خبرهم مايذكر عند ذكر الخوارج .

خروج سليمان بن صرد فى التوابين من الشيعة

لما قتل الحسين ورجع ابن زياد الى الكوفة تلاوم الشيعة على ماأضاعوه من أمر الحسين وانهم دعوه ثم لم ينصروه فندموا وقالوا لاكفارة لذلك الا قتل قاتليه أوالموت دون ذلك كما قال الله لبنى اسرائيل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم واجتمعوا الى خمسةنفر من رؤوسهم سليمان بن صرد الخزاعى وكانت له صحبة والمسيب بن نجبة الفزارى وعبد الله بن سعد بن نفيل الأزدى وعبد الله بن وال التميمى من تيم بكر ورفاعة بن شداد البجلى وكانوا من خيار أصحاب على واجتمعوا فى منزل سليمان بن صرد وتفاوضوا فى تلك الندامة واعترفوا بذنبهم واتفقوا على البيعة لسليمان بن صرد وطاعته وأخرجوا من أموالهم للنفقة على ذوى الخلة من أشياعهم وجعلوا قبض ذلك ونفقته لعبد الله بن وال وكتب سليمان الى سعد بن حذيفة وهو بالمدائن بما اعتزموا عليه فقرأه سعد على من هنالك من الشيعة

---

(١) هكذا بالأصل والأصح أبى طالوت .
انظر : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٤ ، ص١٦٧ .

فأجابوا بالموافقة والخروج عند الأجل الذى ضرب لهم وكانوا يدعون الى ذلك فى السر منذ مقتل الحسين والناس يجيبونهم نفرا بعد نفر ولما هلك يزيد دعا بعضهم الى الوثوب على عمرو بن حريث خليفة ابن زياد على الكوفة ثم رأوا أن الأمر لايستتب لهم بذلك لأن قتلة الحسين هم جماعة الكوفة فاقصروا عن ذلك وبثوا الدعاة فى النواحى واستجاب لهم الناس ثم أخرج أهل / "ثم أخرج"(١) الكوفة عمرو بن حريث وبايعوا لابن الزبير وقدم عبد الله بن يزيد الخطى أميرا على الكوفة من قبله فى رمضان سنة ثلاث وستين ومعه ابراهيم بن محمد بن طلحة على الخراج والمختار بن أبى عبيد الثقفى وبلغ الى عبد الله بن يزيد الخطى خبر سليمان وأصحابه التوابين وأشير عليه بحبسهم وخوف عاقبة أمرهم فقال نحن تاركوهم ماتركونا وهم يطلبون قتلة الحسين ولسنا منهم ثم خطب بمثل ذلك وقال والله ماقتلنا حسينا ولقد أصبنا بمقتله وهؤلاء القوم الذين رفع الينا أمرهم آمنون فليسيرون الى قاتلى الحسين وهو ابن زياد منها هو على جسر منبج وهو سائر اليكم فسيروا اليه وأنا ظهر لكم عليه ولايقتل بعضكم بعضا فقام ابراهيم بن محمد بن طلحة فقال أيها الناس لايغرنكم مقالة هذا المداهن والله من خرج علينا لنقتلنه ومن علمنا بخروجه لنأخذن القريب بالقريب والولى بالولى والعريف بعرافته حتى تستقيم فوثب اليه ابن نجبه وعبد الله بن وال وأساوا عليه ثم تشاتموا ونزل الأمير عن المنبر وخرج أصحاب سليمان يشيرون (٢) السلاح ويتجهزون والمختار يسفه رأيهم فى ذلك ويرى أنه أبصر منهم .

وكان سبب قدوم المختار الكوفة أن الشيعة كانت تسب المختار بماكان منه فى أمر الحسن واشارته على عمه بالمدائن أن يقبض عليه لمعاوية ولما جاء مسلم بن عقيل الى الكوفة نزل داره وبايعه ودعا له ثم جاء يوم خروجه من

---

(١) زيادة بالأصل وسياق المعنى الصحيح ثم أخرج أهل الكوفة عمرو بن حريث .
(٢) هكذا بالأصل وعند ابن الأثير "ينشرون".
ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٤ ، ص١٦٥ .

قريته بظاهر الكوفة ففاته أمر ابن عقيل ووقع فى يد ابن حريث فأمنه ثم رفع عمارة بن الوليد أمره الى عبيد الله فاعتذر بأنه كان مع ابن حريث وشهد له فضرب عبيد الله وجهه بقضيب شتر عينه وحبسه حتى قتل الحسين فبعث الى عبد الله بن عمران يشفع فيه الى ابن زياد وكان زوج أخته صفية بنت أبى عبيد فشفعه على أن لايقيم بالكوفة فخرج الى الحجاز وسأل فى طريقه عن ابن الزبير فقيل انه عائذ بالبيت ومبايع سرا ولو كثر جمعه لظهر فقال هذه فتنة فاعتزم المختار على الطلب بدم الحسين من يومئذ وقدم على ابن الزبير وأخبره خبر العراق ودعاه الى البيعة فكتم أمره عنه ففارقه وغاب بالطائف سنة ثم رجع الى مكة ولم يأت ابن الزبير وكان قد ظهر أمره فدس عليه ابن الزبير عباس بن سهل بن سعد فلقيه وعذله على تأخره عن ابن الزبير وقال كتم عنى وأرانى الاستغناء فاستغنيت عنه فحمله على لقائه معه/ وحضرا عند ابن الزبير ليلا وقال أبايعك على أن لايقضى أمرا دونى وأكون أول داخل وتولينى أفضل عملك فقال ابن الزبير أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله فقال لا فبايعه ابن الزبير على ماأحب وشهد معه قتال الحصين بن نمير وأبلى فيه فلما هلك يزيد وأطاع أهل العراق ابن الزبير فاذا هو لايستعمله وبلغه الخبر عن الشيعة بالكوفة ففارق ابن الزبير اليهم وقدم الكوفة فنزل بداره واختلفت اليه الشيعة وجاء رؤوس الناس من كندة وبنى هند وأخبروه بخبر سليمان بن صرد وأصحابه وانهم على المسير فقال ان ابن الزبير بعثنى اليكم وأمرنى بقتال الملحدين والطلب بدم أهل البيت والرفع عن الضعفاء فبايعوه وبعث الى الشيعة الذين عند سليمان بن صرد بمثل ذلك ودعاهم الى طاعته واستمالهم عن سليمان فمال اليه طائفة منهم وخرج سليمان نحو الجزيرة لشأنه وجاء الناس الى الأمير عبد الله بن يزيد الخطمى وصاحبه ابراهيم بن محمد بن طلحة منهم شبث بن ربعى ويزيد بن الحرث بن رويم فقالوا لهما ان المختار يريد أن يثب عليكم وهو أشد من سليمان وجاءوا به فقال عبد الله ماكنت لآخذ أحدا على الظنة وتولى ابراهيم أمره وحبسه وقيل انما جاء المختار الى الكوفة بأمر ابن الزبير وانه قال له ابعثنى

أستخرج لك جندا من شيعة على تقاتل بهم أهل الشام فبعثه حتى اذا اجتمع اليه الناس وثب على ابن مطيع عامل ابن الزبير بالكوفة وكتب اليه أنا بن مطيع داهن وراسل عبد الملك فأخرجته .

وأماسليمان بن صرد فخرج فى ربيع سنة خمس وستين ونزل النخيلة ثم استقل عدد الناس وأرسل من نادى فى الكوفة بثأر الحسين فجاءبعض وتثاقل بعض والمختار يثبطهم فأقام بالنخيلة ثلاثا ثم سار فى أربعة آلاف ونادى فيهم من أراد الدنيا ومتاعها فى الفى والغنيمة فليرجع وليس معنا الا سيوفنا وزاد البلغه فوافقوه ثم أشار بعضهم بالرجوع الى الكوفة ومناجزة قتلة الحسين فأكثرهم هنالك فقال سليمان انما قتله الذى عبى الجنود اليه ومنعه الأمان حتى يستسلم وهو ابن زياد ومن بعده أهون منه ولحقه أميرا الكوفة عبد الله بن يزيد وابراهيم بن محمد فعذلاه فى المسير وأشار عليه بالرجوع حتى نجهز جميعا لهذا العدو فنلقاه بجمع كثيف وقد كان بلغهم اقبال عبيد الله بن زياد من الشام فى الجنود فلم يوافقهما سليمان ولاأصحابه وساروا لوجههم وتخلف عنهم كثير من/أصحابهم ثم انتهوا الى قبر الحسين فصاحوا وبكوا وجددوا التوبة من خذلانه وأقاموا عنده يوما وليلة فزادهم ذلك حنقا وبلغهم كتاب عبد الله بن يزيد يثنيهم عن المسير فأبوا واستماتوا ثم انتهوا الى قرقيسيا على تعبئة وبها زفر بن الحرث الكلابى متحصنا من مروان وقومه ودخل اليه المسيب بن نجبه يطلبه فى السوق لأصحابه فأمر ابنه الهذيل فأخرج لهم سوقا وبعث اليهم بعلف ودقيق وحرائر استغنوا بها عن السوق الا فى غير الطعام وأعطى المسيب ألف درهم وفرسا فأخذ الفرس ورد المال ثم خرج زفر من الغداة يودعهم وأخبرهم بمن سار من الجنود اليهم وانهم عدد كبير وأن أمراءهم الحصين بن نمير وشرحبيل بن ذى الكلاع وأدهم بن محرز وجبلة بن عبد الله الخثعمى وعبيد الله بن زياد فأقيموا معنا ونلقاهم جميعا فأبى سليمان وأصحابه من ذلك فأشار عليهم بوجه الرأى فى المسير والحرب وودعهم فساروا مجدين الى عين الوردة فأقاموا بها خمسا وأراحوا حتى اذا كانت عساكر الشام على يوم وليلة عنهم خطبهم سليمان

ابن صرد وحرضهم وقال ان قتلت فأمير الناس المسيب بن نجبه فان قتل فعبد الله بن سعد بن نفيل فان قتل فعبد الله بن وال فان قتل فرفاعة بن شداد ثم سرح المسيب فى أربعمائة فارس يشن عليهم الغارة فان رأى ماأحب والا رجع فسار يومه وليلته وجاءه أصحابه بأعرابى فسألوه عن العسكر فقال أدنى عسكر منهم شرحبيل بن ذى الكلاع على ميل وقد اختلف هو والحصين بن نمير فى الامارة وهما ينتظران أمر ابن زياد فاغذوا اليهم السير وأشرفوا عليهم وهم غارون وحملوا فانهزم العسكر وغنم أصحاب المسيب مافيه ورجعوا الى أصحابهم موفورين وسرح ابن زياد الحصين بن نمير مسرعا حتى نزل فى اثنى عشر ألفا ثم تراجعوا على التعبئة ولما دنا بعضهم من بعض دعاهم أهل الشام الى الجماعة على مروان ودعاهم أصحاب سليمان الى اسلام عبيد الله بن زياد اليهم وانهم يخرجون أصحاب ابن الزبير من العراق ويرد الأمر الى أهل البيت ثم اقتتلوا وكان الظهور لسليمان وأصحابه على الحصين وأمده ابن زياد بثمانية آلاف فاقتتلوا من الغد على السواء وتحاجزوا عند المساء ولما أصبح أهل الشام أتاهم أدهم بن محرز الباهلى فى عشرة آلاف مددا فقاتلوهم يوم الجمعة الى ارتفاع الضحى ولما رأى سليمان كثرتهم ومالقى أصحابه منهم كسر جفن سيفه واستمات واتبعه ناس منهم فقتلوا من أهل الشام مقتلة عظيمة ثم قتل/سليمان وبعده المسيب بن نجبة بعد أن حمل مرارا وأخذ الراية عبد الله بن سعد بن نفيل فقاتل وجاءه وهو فى القتال الخبر من عبد الله بن سعد بن حذيفة بمدد أهل المدائن فى سبعين ومائة ومدد أهل البصرة مع المثنى بن مخرمة فى ثلاثمائة فقال لو كان ذلك ونحن أحياء ثم قتل عبد الله بن سعد ونادوا عبد الله بن وال فاذا هو قد اصطلى الحرب فحمل رفاعة بن شداد حتى كشف عنه أهل الشام وجاء فأخذ الراية وقاتل واستماتوا وتولى قتالهم عند المساء أدهم بن محرز فقتل عبد الله بن وال وهو مقبل وأراد رفاعة بن شداد الانصراف بالناس فقال له بعض أصحابه لاتفعل حتى يغشانا الليل فنسير فى دجلته على مهل فلما أمسوا رجع أهل الشام الى معسكرهم وأصحاب رفاعة الى

معسكرهم وقد قتل عامتهم وفشت الجراحة فيهم وفى خيلهم فسار بالناس ليلته وأصبح الحصين فلم يرهم وانتهوا الى قرقيسيا فأضافهم زفر ثلاثا وزودهم الى الكوفة وبلغ سعد بن حذيفة بن اليمان فى أهل المدائن الى هيت فلقيه خبرهم فرجع ولقيه المثنى بن مخرمة العبدى فى أهل البصرة بصدد وأقاموا حتى جاء رفاعة وأصحابه فاستقبلوه وبكوا وافترقوا الى بلادهم ودخل رفاعة الكوفة وبعث اليه المختار بن أبى عبيد وهو محبوس يدعوه الى طاعته فى الطلب بدماء أهل البيت وجهاد المخلين وان سليمان لم يكن صاحبكم الذى تنصرون به وبلغ الخبر عبد الملك بن مروان بن الحكم فخطب الناس وأعلمهم بموت سليمان بن صرد وأصحابه .

وفاة مروان وبيعة عبد الملك

كان مروان عند ولايته تزوج أم خالد بن يزيد وهى بنت هاشم بن عتبة وأراد أن يقصر به بذلك لما كان حسان بن بجدل يميل اليه ودخل خالد يوما على مروان يمشى بين السماطين فقال مروان انه الأحمق تعال ياابن الرطبة الاست يسقطه من عين أهل الشام فتوجع لأمه فقالت اكتم خبرك وأنا أكفيك ودخل عليها مروان فقال هل قال لك خالد شيئا قالت هو أشد لك تعظيما من هذا ثم نام عندها يوما فغطته بالوسادة فقتلته وأراد عبد الملك أن يثأر منها فقيل له لايسمع أن امرأة قتلت أباك ولما توفى مروان بايع الناس لعبد الملك بعهد أبيه واجتمعوا عليه وبايع/له أخوه عبد العزيز بمصر.

فتنة خراسان

قد تقدم لنا كيف صارت لابن خازم وكيف أعانه بنو تميم على ربيعة فلما صفى له الأمر جفا بنى تميم وقد كان جعل ابنه محمدا على هراه وعلى شرطته بكير بن وشاح وضم اليه شماس بن ديار العطاردى وكانت أم محمد

تميمية فلما جفا ابن خازم بنى تميم أتوا بهراه فكتب الى ابنه محمد والى بكير وشماس بمنعهم عنها فخرج شماس وصار معهم ومنعهم بكير من هراه وبعث الى شماس بالأموال له ولبنى تميم على أن ينصرفوا فأبوا وأقاموا يترصدون محمدا حتى أخذوه وهو يتصيد فأوثقوه ثم اختلفوا فيه بين الابقاء والقتل ثم أمضوا قتله برجلين قتلهما منهم وولوا عليهم الحريش بن هلال وافتلوا الى مرو وحاربوا عبد الله بن خازم سنتين ثم دعاه الحريش الى المبارزة فتبارزوا وضرب الحريش ابن خازم على رأسه فقطع فروته وانقطع ركابا الحريش وافترقا ثم مل الفريقان وافترقوا وافترقت تميم على ثلاث فرق فرقةمع بجير بن ورقاء الى نيسابور وفرقة الى ناحية أخرى وفرقة مع الحريش الى مرو الروذى(١)، ولحقه ابن حازم ببعض قراها وقد افترق عنه أصحابه وهو فى اثنى عشر رجلا وحمل عليه مولى لابن خازم فقتله الحريش وقال لابن خازم ماتريد منى وقد خليتك والبلاد ولاأعود فصالحه على ذلك وأعطاه ابن خازم أربعين ألفا وضمن له قضاء دينه وفتح له الحريش باب القصر فدخله ولجأت فرقةمنهم الى بعض حصون خراسان فولوا أمرهم عثمان بن بشر المازنى وكانوا فرسان بنى تميم وشجعانهم فحاصرهم ابن خازم فى ستة آلاف وكان زهير بن ذؤيب شجاعا يسا(٢)فحطم فيهم ورجع ثم يوما آخر كذلك ثم نزلوا بعد ذلك على حكمه وأشار عليهم زهيرا بأن لايفعلوا فلم يطيعوه فلما خرجوا قتل جميعهم وزهيرا معهم واستبقا ثلاثة منهم ثم رجع ابن خازم الى قتال بجير بن ورقاء التميمى الصريمى بنيسابور .

---

(١) هكذا بالأصل وعند ابن الأثير "مرو الروذ" .
ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٤ ،ص٢٠٩ .

(٢) هكذا بالأصل ولعل الكلمة فارسا .

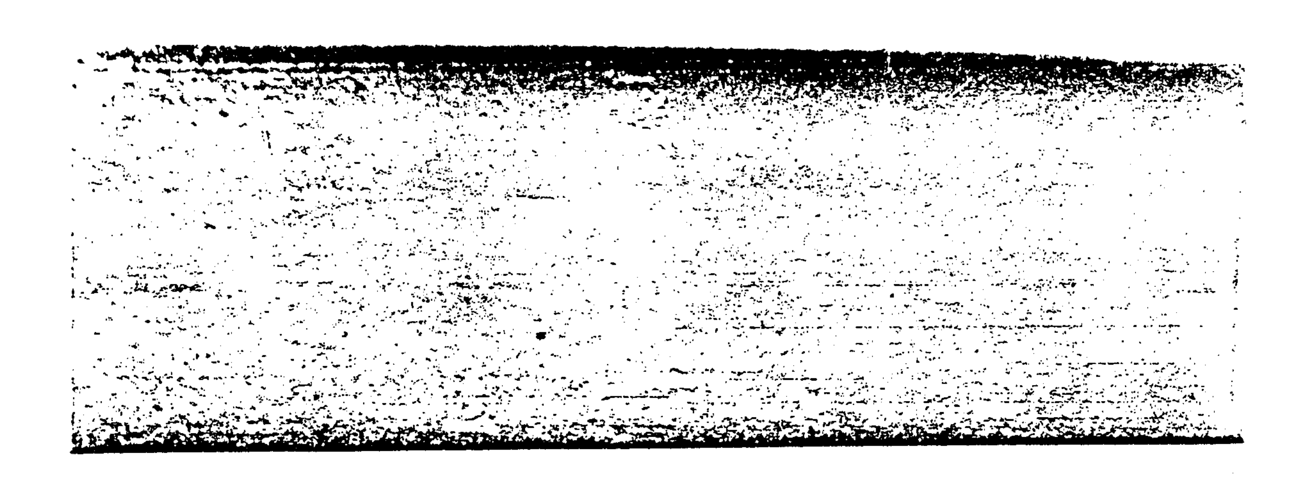
وثوب المختار بالكوفة وأخباره

لما قتل سلميان بن صرد وقدم فل الشيعة الى الكوفة وكان المختار محبوسا كما مر كتب اليهم من السجن يعدهم ويمنيهم ويعرفهم انه الذى بعثه ابن الحنفية لطلب الثأر فقرأ كتابه رفاعة بن شداد والمثنى بن مخرمة العبدى وسعد بن حذيفة بن اليمان ويزيد بن أنس وأحمد بن شميط البجلى وعبد الله بن شداد/البجلى وبعثوا اليه عبيد الله بن كامل منهم انا بحيث يسرك وان شئت أن نأتيك ونخرجك من الحبس فعلنا فسر بذلك وأمهلهم ثم شفع فيه ابن عمر الى عبد الله بن يزيد وابراهيم بن محمد بن طلحة فأطلقاه واستحلفاه أن لايخرج عليهما ونزل بداره واختلفت اليه الشيعة وبايعوه وقوى أمره ثم عزل ابن الزبير ابراهيم بن محمد بن طلحة وعبد الله بن يزيد واستعمل على الكوفة عبد الله بن مطيع فقدمها فى رمضان سنة خمس وستين وخطب الناس بأن ابن الزبير أمره أن لايقسم فيئهم فى غيرهم وأن يسير فيهم بسيرة عمر وعثمان ثم توعدهم على الخلاف فقالوا أما فيئنا فلايكون فيه غير ذلك وأما السيرة فسيرة على التى سار بها فى بلادنا ولاحاجة لنا فى سيرة عثمان ولاعمر فقال ابن مطيع نسير بكل سيرة ترضونها ثم بلغه أن المختار يدعوا لأهل البيت وبمن اجتمع له وأشاروا عليه بحبسه فبعثه عنه فاعتذر بالمرض وارتاب أصحاب المختار فيما أبلغهم عن ابن الحنفية فساروا اليه الى مكة يسألونه واستأذنوه فى اتباعه فقال وددت أن الله انتصر لنا من عدونا بمن يشاء من خلقه فرجعوا وأخبروا بذلك المختار وقالوا له قد أمرنا بنصرك فجمع الشيعة وأخبرهم بما قدم به أصحابهم من عند ابن الحنفية وأنه أخبرهم انى وزيره وظهيره ورسوله وأمركم باتباعى وطاعتى فيما دعوتكم اليه من قتال المخلين والطلب بدماء أهل البيت وشهد الوافدون بذلك فاجتمعت الشيعة ومن جملتهم الشعبى وأتوا[١]شراحيل واشار عليه بعض

---

(١) هكذا بالأصل وعند ابن الأثير "الشعبى وأبوه شراحيل" .
ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٤ ، ص٢١٥ .

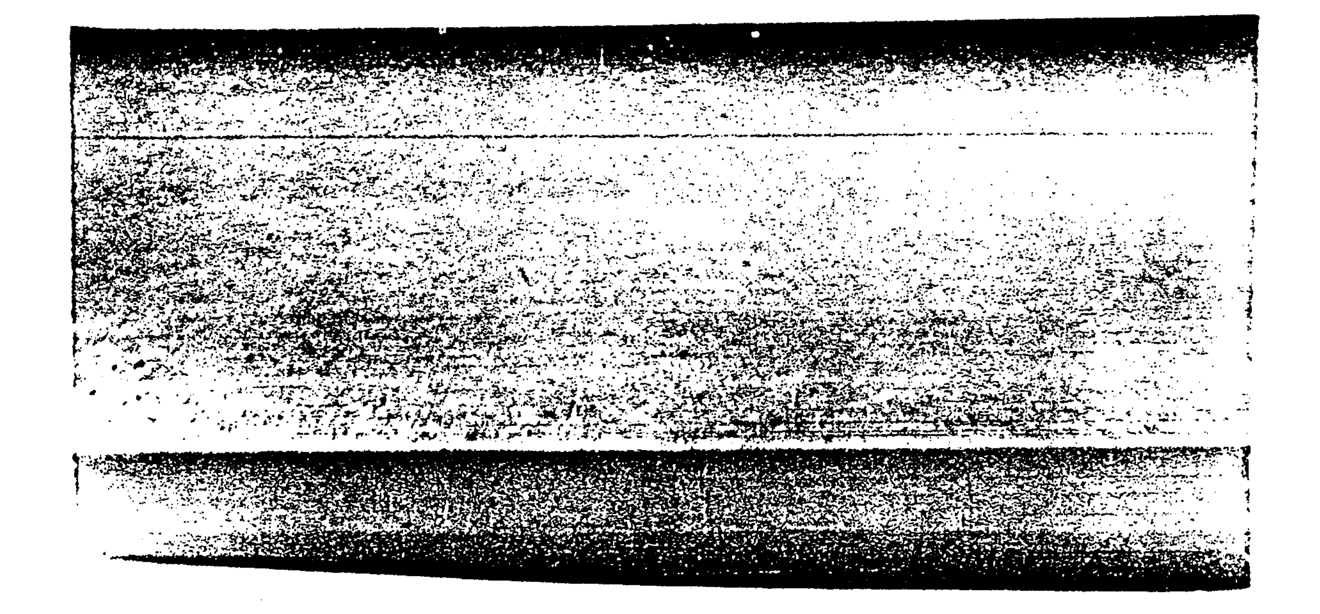
أصحابه بدعاء ابراهيم بن الأشتر ليقوى أمرهم به فمضى اليه الشعبى فى جماعة منهم وذكره تقدم أبيه فى ولاية على ودعاه الى الطلب بدم الحسين وأصحابه فقال على أن تولونى فقالوا قد جاء المختار بتوليه بن الحنفية وقد أمرنا بطاعته فسكت ابراهيم ثم جاءه المختار بكتاب ابن الحنفية الى ابراهيم يسأله النصر ويعده بالولاية العامة وفيه من محمد المهدى الى ابراهيم بن مالك الأشتر ودفعه اليه الشعبى وقرأه وقال مازال ابن الحنفية يكاتبنى فلايزيد على اسمه واسم أبيه فشهد جماعة منهم انه كتابه وسكت الشعبى وسأله ابراهيم بعد انصرافهم فقال هؤلاء الذين شهدوا سادة القراء ومشيخة المصر وفرسان العرب فكتب أسماءهم عنده ثم حمل عشيرته على اجابة المختار وصار يختلف اليه وتواعدوا الخروج منتصف ربيع سنة ست وستين/ ونما الخبر الى ابن مطيع فبعث الى رؤوس الناس فى كل ناحيةمن الكوفة يوقظهم لذلك وان لايؤتى من قبلهم فاستعدوا وركب اياس بن مضارب فى الشرط واجاط بالسوق والقصر ثم ركب ابراهيم بن الأشتر يريد المختار قبل الموعد بليلتين وهو مظهر للسلاح ولقى اياس بن مضارب فارتاب به وأراده على الاتيان لابن مطيع فأبى وطعنه فقتله فافترق أصحاب اياس وجاءؤا الى ابن مطيع وولى مكانه ابنه راشدا على الشرطة .



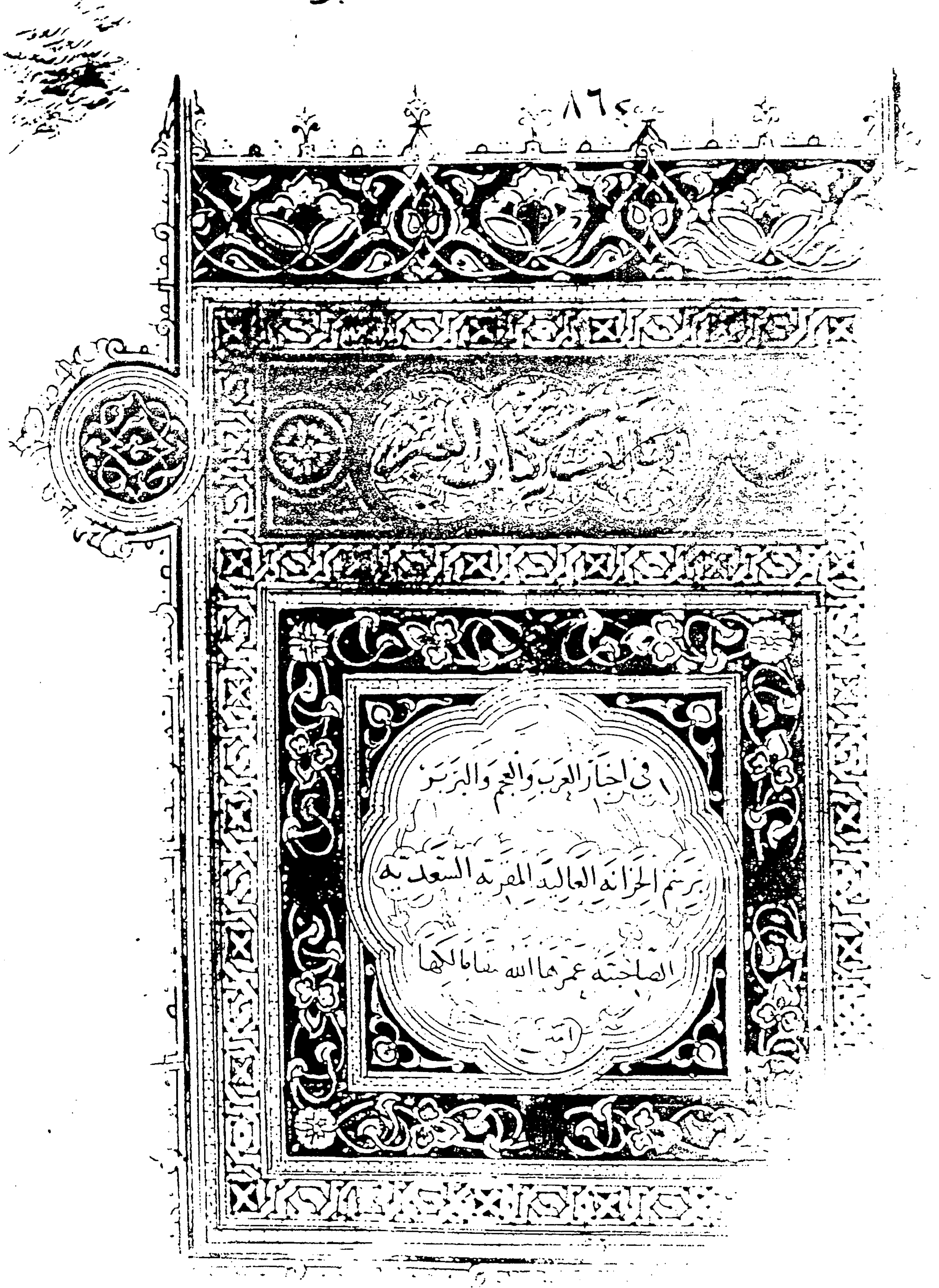
DAMAD İBRAHIM PAŞA-864

240dan Devam

Sn. Halil Gönenç



جزء من تاريخ ابن خلدون المسمى بالعبر



بسم الله الرحمن الرحيم ٥ اللهم صل على سيدنا محمد وآله

كان لبني عبد مناف في قريش محل من العدد والشرف لا يناهضهم فيه أحد من
سائر بطون قريش وكان فخذاهم بنو أمية وبنو هاشم حيا جميعا ينتمون لعبد
مناف وينتمون إليه وقريش تعرف ذلك وتسلم لهم الرئاسة عليهم إلا أن بني أمية
كانوا أكثر عددا من بني هاشم وأوفر رجالا والعزة إنما هي بالكثرة قال الشاعر
وإنما العزة للكاثر وكان لهم قبل الإسلام شرف معروف انتهى إلى
حرب بن أمية وكان رئيسهم في حرب الفجار وحدث الأخباريون أن قريشا تواقفوا
ذات يوم وحرب هذا مسند ظهره إلى الكعبة فتبادر إليه غلمة منهم ينادون يا
عم أدرك قومك فقام يجر إزاره حتى أشرف عليهم من بعض الربا ولوح بطرف ثوبه
إليهم أن تعالوا فبادرت الطائفتان إليه بعد أن كان حمي وطيسهم ولما جاء
الإسلام ودهش الناس لما وقع من أمر النبوة والوحي وتنزل الملائكة وما وقع من
خوارق الأمور نسي الناس أمر العصبية مسلمهم وكافرهم أما المسلمون فنهاهم
الإسلام عن أمور الجاهلية كما في الحديث إن الله أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها
لأنا وأنتم بنو آدم وآدم من تراب وأما المشركون فشغلهم ذلك الأمر العظيم
عن شأن العصائب وذهلوا عنه حينا من الدهر ولذلك لما افترق أمر بني أمية
وبني هاشم بالإسلام إنما كان ذلك الافتراق بحصار بني هاشم في الشعب لا
غير ولم يقع كبير فتنة لأجل نسيان العصبيات والذهول عنها بالإسلام حتى كانت
الهجرة وشرع الجهاد ولم يبق إلا العصبية الطبيعية التي لا تفارق وهي نعرة الرجل
على أخيه أو جاره في القتل والعدوان عليه فهذه لا يذهبها شيء ولا هي محظورة بل هي
مطلوبة ونافعة في الجهاد والدعاء إلى الدين ألا ترى إلى صفوان بن أمية وقوله
مذ انكشف المسلمون يوم حنين وهو يومئذ مشرك في المدة التي جعلها له رسول

اهل مكة مع عبد الله بن صفوان فهزموا انيس بذي طوي وقتل انيس في الهزيمة
وتخلف عن عمرو بن الزبير اصحابه فدخل دار ابن علقمة واجاره عبيدة بن الزبير
وقال لاخيه قد اجرته فانكر ذلك عليه وقيل ان صفوان قال لعبد الله بن الزبير اكفني
اخاك وانا اكفيك انيس بن عمرو وسار الى انيس فهزمه وقتل وسار مصعب بن عبد
الرحمن الى عمرو فتفرق عنه اصحابه واجاره اخوه عبيدة فلم يجر اخوه عبد الله جواره وضربه
بكل من ضربه بالمدينة وحبسه بسجن عارم ومات تحت السياط ٥

مسير الحسين الى الكوفه ومقتله ولما خرج الحسين الى مكة لقيه عبد الله بن مطيع وساله اين يريد فقال مكة واستخير الله فيما بعد فنصحه ان لا يقرب الكوفة وذكره قتلهم اباه وخذلانهم اخاه وان يقيم بمكة لا يفارق الحرم حتى يتداعى اليه الناس ورجع عنه ونزل الحسين بمكة فاقام والناس يختلفون اليه وابن الزبير في جانب الكعبة يصلي ويطوف عامة النهار ويأتي الحسين فيمن يأتي ويعلم ان اهل الحجاز لا يلتفتون اليه مع الحسين ولما بلغ اهل الكوفة بيعة يزيد ولحاق الحسين بمكة اجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد وكتبوا اليه عن نفر منهم سليمان والمسيب ابن نجبة ورفاعة بن شداد وحبيب بن مظاهر وغيرهم يستدعونه وانهم لم يبايعوا للنعمان ولا يجتمعون معه في جمعة ولا عيد ولو جئتنا اخرجناه وبعثوا بالكتاب مع عبد الله بن سبع الهمداني وعبد الله بن وال ثم كتبوا اليه ثانية بعد ليلتين نحو مائة وخمسين صحيفة ثم ثالثة يستحثونه للحاق بهم كتب بذلك اليه شبث بن ربعي وحجار ابن ابجر ويزيد بن الحرث ويزيد بن رويم وعروة بن قيس وعمرو بن الحجاج الزبيدي ومحمد بن عمير التميمي فاجابهم الحسين فهمت ما قصصتم وقد بعثت اليكم اخي وابن عمي وثقتي من اهل بيتي مسلم بن عقيل يكتب الي بامركم ورايكم فان اجتمع ملاؤكم على مثل ما قدمت به رسلكم اقدم عليكم قريبا ولعمري ما الامام الا العامل بالكتاب القائم بالقسط الدائن بدين الحق وسار مسلم فدخل المدينة وصلى في المسجد وودع اهله فاستاجر دليلين من قيس فضلا الطريق وعطش القوم فمات الدليلان بعد ان اشارا اليهم بموضع الماء فانتهوا اليه وشربوا ونجوا فتطير مسلم من ذلك وكتب الى الحسين يستعفيه فكتب اليه خشيت ان لا يكون حملك على ذلك الا الجبن فامض لوجهك

المريب والعاصي وحذر من المخالفة ثم اخذ العرفاء بان يكتبوا له الغرباء
والحرورية واهل الريب ويضمن كل احد ما في عرافته ومن وجد في عرافته احد لم
يرفعه صلب على باب داره واخرجت العرافة من العطاء وسيرت الى عمان ثم نزل
وسمع مسلم بذلك فاتى منزل هاني بن عروة فاستجار به فاواه على كره لمكانه خشية
العاقبة واقامت الشيعة تختلف اليه في دار هاني ودعا ابن زياد مولى له واعطاه
مالا ودسه عليهم ليأتيه بعلمهم فاتى مسلم بن عوسجة الاسدي وهو يصلي بالمسجد
من كان دعاتهم فقال له انا من اهل الشام واردت لقاء هذا الرجل الذي يبايع للحسين
فاقبض هذا المال وادخلني اليه ابايعه وان شئت بعني قبل لقائه فاخذ منه
وبقي يختلف اليه ومرض هاني بن عروة فاتاه ابن زياد يعوده وحمله اصحابه على القتل
به فقال هاني ما احب ذلك في بيتي ثم مرض شريك بن الاعور وكان قد نزل على
هاني وكان شديد التشيع شهد صفين مع عمار فقال لمسلم اذا جلس فاخرج
واقتله ثم اقصد القصر فلا حايل دونه وان بريت من وجعي كفيتك امر البصرة فلما
جاء ابن زياد جبن مسلم عن قتله وبقي شريك ينبه لذلك فلا يجيب حتى خرج ابن زياد
واعتذر مسلم عن قتله بان هاني يكره ذلك في بيته وبان عليا حدث عن النبي صلى الله
عليه وسلم ان الايمان قيد الفتك ثم قضى شريك بعد ثلاث وصلى عليه عبيد الله
ثم علم بعد ذلك بشانه فحلف لا يحضر جنازة عراقي ثم ان المولى الذي دسه
ابن زياد بالمال اختلف الى مسلم بن عوسجة بعد موت شريك فادخله على مسلم
ابن عقيل فاخذ بيعته وقبض ماله واقام يختلف اليهم ويخبر ابن زياد باحوالهم
حتى تبين جلية الامر وكان هاني انقطع عن عبيد الله بعذر المرض فدعى محمد بن الاشعث
واسماء بن خارجة وعمرو بن الحجاج الزبيدي وعذل هانيا في انقطاعه وانه
بلغه برؤه وقال القوه فرده ان لا ينقطع عن تلقيه القوم ولاموه في ذلك ثم
حملوا عليه واستركبوه معهم ودخلوا به على ابن زياد وكان منكرا له فقال يا هاني
ما هذه الامور التي تربص في دارك للمسلمين وامير المؤمنين واخبره بشان مسلم
فانكر فدعا ابن زياد المولى الذي دسه عليهم وراه هاني فسقط في يده ثم قال والله
ما دعوت الرجل ولا علمت بشيء من امره وصدقه الخبر عن مجيه الى داره واستجارته

به وانه استحيى من رده وقد كان من امره ما بلغك وانا الان اعطيك
عهدا ورهينة حتى اخرجه من داري واعود اليك فقال له ابن زياد والله لا
تفارقني حتى تاتيني به فقال اتيك بضيفي تقتله والله لا افعلن ثم قام اليه مسلم
ابن عمرو الباهلي ولم يكن هنالك اعرابي غيره فاستاذن ابن زياد وخلا به ناحية ونصحه
ان ياتيه فانه ابن عمهم وليسوا قاتليه ولا ضاريه وليس عليك في ذلك منقصة
وانما دفعته الى السلطان فابى ولج وسمعه ابن زياد فاستدناه وقال والله
لئن لم تاتيني به لاضربن عنقك قال اذا والله تكثر البارقة حول دارك فقال
ابن هانئ يا لهفا اراي الرجل الذي كان عينا لعبيد الله قال ايها الامير انت امر املك
فسرحت شيت فاشار الى مهران مولاه وهو قائم على راسه فاخذ بظفيرتي
هانئ واخذ ابن زياد القضيب من يد مهران ولم يزل يضربه وجهه حتى كسر
انفه ونثر لحم خديه وجبينه على لحيته ثم اغلق عليه في بيت وقام اسماء بن خارجة
منكرا لذلك وانه جاء به في جواره فامر به ابن زياد فطرد عنه وجلس واظهر محمد بن
الاشعث الرضى وجلس وبلغ عمرو بن حجاج ان هانئ قتل فاقبل في مذحج واحاطوا
بالقصر وامر ابن زياد شريحا القاضي ان يخرج اليهم ويعلمهم بحياة هانئ بعد ان ادخله
اليه وراه حيا فاخبرهم وانصرفوا وجاء الخبر الى مسلم بن عقيل وكان قد بايعه ثمانية
عشر الفا وحوله في الدور اربعة الاف فنادى فيهم وركب نحو القصر في النعيبة
واحاط به وامتلأ المسجد والسوق من الناس الى المساء وضاق بعبيد الله امره
وليس معه في القصر الا نحو خمسين من اهل بيته ومواليه وتسلل اليه الاشراف
وامر كثير بن شهاب الحارثي ان يخرج فيمن اطاعه من مذحج فيخذل الناس وامر
الاشعث ان يخرج فيمن اطاعه من كنده وحضرموت فيرفع راية امان لمن جاءه
من الناس وبعث بمثل ذلك القعقاع بن سور الذهلي وشبث بن ربعي التميمي وحجار
ابن ابجر العجلي وشمر بن ذي الجوشن الضبابي وترك وجوه الناس عنده استئناسا
بهم وخرج اولئك النفر على الناس فافترقوا عن ابن عقيل الى ان بقي في المسجد في ثلثين
ثم خرج واختفى عند عجوز من كندة وكان ابن الاشعث وتعرف اليها فاخفته وخرج ابن زياد الى
المسجد قبل العتمة ونادى في الناس فامتلأ المسجد وامر الحصين بن تميم وكان على الشرط

يفتش الدور وعقد لعمرو بن حريث الى ابن اصبع وشعر ابن الجوز بابن عقيل
عند امه فاتى عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فاخبره واخبر اباه فاخبر ابن زياد
فقال ابتني به الساعة وبعث معه عمرو بن عبيد الله السلمي في سبعين من قيس
فلما اتوا الدار وسمع مسلم بن عقيل الاصوات خرج بسيفه وما زال يحمل عليهم
وقطعت شفته العليا وسقطت ثنيتاه والقوا عليه النار في القصب وهو
يقاتل حتى اثخن وعجز عن القتال فامنه ابن الاشعث وحمله على بغل وانتزعوا سيفه
فقال هذا اول الغدر وبكى فعذله عمرو بن عبيد الله السلمي فقال اما ابكي الحسين
واله ثم قال لابن الاشعث عساك تبعث من يخبر الحسين بحالي ليرجع باهل بيته ولا
يغتر باهل الكوفة ففعل ذلك ابن الاشعث ولقيه الرسول بزبالة وقد هاجه للمركا
مسلم بخبر من بايع وبسحثه للسير فقال الحسين كلما قدر كائن وعند الله نحتسب انفسنا
وفساد امتنا ثم ادخل محمد على ابن زياد واخبره بما اعطاه من الامان فقال ما بعثناك
لتؤمنه واستسقى مسلم وهو بباب القصر فجاءه عمارة بن عقبة بماء بارد فلم يطق
الشرب بما كان يسيل من دم فمه فتركه وادخل على ابن زياد فقال له لتقتلن فقال
دعني اوصي والتفت الى عمرو بن سعد فناجاه بان يقضي عنه دينه ويواري جثته
ويبعث الى الحسين يرده فاخبر ابن زياد بها فتركه وشانه ثم حاوره واساء بعضهما
على بعض ثم اصعد فوق القصر وضربت عنقه تولى ذلك منه بكير بن حمران الاحمري
لضربة اصابه بها في الجولة عند الدار وكان ابن الاشعث قد شفع في هاني
ابن عروة فوعده باستبقائه فلما قتل مسلم اخرج الى السوق فضربت عنقه وبعث
ابن زياد بالراسين الى يزيد فكتب اليه يشكره ويامره بالاحتراس ووضع المراصد
فان الحسين قد سار الى الكوفة ثم طلب ابن زياد المختار بن ابي عبيد وعبد الله
ابن الحرث بن نوفل وكانا جاءا مع ابن عقيل فحبسهما ولما اراد الحسين المسير الى
الكوفة بكتاب مسلم بن عقيل واهل العراق جاءه عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن
هشام وهو بمكة فقال له بلغني انك تريد العراق فانا نشفق عليك تاتي بلدا فيه
العمال والامراء وبيوت الاموال والناس عبيد الدينار والدرهم فلا آمن عليك جزاه
خيرا واتاه ابن عباس بمثل ذلك فعصاهما وألح وايهم ابن الزبير ثم راجعه ابن عباس

واشار عليه بالخروج الى اليمن فقال يا ابن عمي لا انقض عزمي قال فلا تسر
بنسائك وصبيانك فاني اخاف ان تقتل وهم ينظرون كما قتل عثمان ولقد اقررت عين ابن
الزبير بخروجك من الحجاز وخرج الحسين يوم التروية واعترضه يحيى بن سعيد بن العاص
واخوه عمرو امير ليزيد على مكة ومعه طايفة ليمنعوا الحسين فابى عليهم وسار مع
اصحابه ولقي بالتنعيم عيرا مقبلة من اليمن عليها الورس والحلل بعث بها بحير بن ريسان
عامل اليمن الى يزيد فاخذها الحسين واعطى اصحاب الابل كراهم ثم سار فلقي الفرزدق
بالصفاح فقال اخبرني عن الناس خلفك قال القلوب معك والسيوف عليك والقضا
في السماء فقال صدقت لله الامر يفعل ما يشاء كل يوم هو في شان ثم لحقه كتاب
عبد الله بن جعفر مع ابنيه عون ومحمد يساله الله في الانصراف ولا يهلك نفسه
واهل بيته واني في اثركا في ثم جاءه كتاب عمرو بن سعيد عامل مكة مع اخيه يحيى
بالامان والترغيب فلم يفعل واعتذر بانه راى رسول الله صلى الله عليه وسلم امره
بامر فهو ماض له ٥ ولما بلغ ابن زياد مسير الحسين من مكة بعث الحصين بن تميم
التميمي صاحب شرطته فنزل القادسيه ونظم الخيل ما بينه وبين خفان وما بينه
وبين القطقطانه الى جبل لعلع ولقي هنالك قيس بن مسهر الاسدي ثم الصيداوي
بكتاب الحسين من الحاجر الى اهل الكوفه يعرفهم بقدومه بعث به الحصين الى
ابن زياد فلما جاءه قال اصعد القصر فسب الحسين فصعد وادى رسالته الى
اهل الكوفة وانه فارقه بالحاجر ولعن ابن زياد واباه واستغفر لعلي وبنيه فامر
ابن زياد فرمي به من القصر فتقطع وانتهى الحسين في مسيره الى عبد الله بن مطيع
فعدله فيما جاء له وناشده الله في حرمة الاسلام والعرب وبنات الرسول لا ياتي
الكوفه فيقتلك بنو امية فابى وسار ولقيه قتل مسلم بن عقيل بالثعلبيه فناشده
الله اصحابه في الرجوع فقال بنو عقيل لا والله حتى ندرك ثارنا فقال الحسين لا خير
في العيش بعد هولاء ثم سار وكان لا يمر بماء الا اتبعه من عليه حتى انتهى الى زبالة
فلقيه مقتل اخيه عبد الله بن بقطر الذي القاه ابن زياد من اعلى القصر فاعلم الناس الذين
معه وقال قد خذلنا شيعتنا فمن احب فلينصرف وقصده ان يوطنهم على ما يقدمون عليه
فافترقوا عنه ولم يبق الا اصحابه الذين خرجوا معه من مكة فسار الى شراف ثم سار منها

إلى منتصف النهار فلقيهم الحر بن يزيد التميمي ولما رآه على البعد قال له
بعض الناس معه مل بنا إلى ذي حسم فجعله عن يسارك وتستقبل القوم من
وجه واحد ففعل وسبقهم إلى الجبل فنزل وجاء الحر في ألف فارس أرسله
الحصين بن نمير من القادسية يستقبل الحسين فقال الحسين إني لم آت إلا
بكتبكم ورسلكم فإن تعطوني ما أطمئن إليه من العهد أقدم مصركم وإلا أرجع
من حيث جئت ثم حضرت الصلاة فصلى الحسين وصلى الحر وأصحابه بصلاته
ثم استقبلهم وأعاد عليهم شأن الكتب ودم الولاة فقال الحر والله ما ندري
ما هذه الكتب والرسل فاستدعى خرجين مملوءين صحفا ونشرها فقال الحر لسنا من هؤلاء
وإنما أمرنا إذا لقيناك أن لا نفارقك حتى نقدم بك الكوفة على ابن زياد فقال
الحسين الموت أدنى من ذلك ثم أمر أصحابه فركبوا لينصرفوا فمنعهم الحر وطال
بينهما الكلام وقال الحر لم أؤمر بقتالك وإنما أمرت أن لا أفارقك حتى أقدمك
الكوفة فخذ طريقا غير طريقها واكتب أنا إلى ابن زياد واكتب أنت إليه أو إلى
يزيد فعسى أن يأتي من الأمور ما يدفع عني أن أبتلى بشيء من أمرك فتياسر عن طريق
العذيب والقادسية وساير الحر معه وهو يعظه ويذكره حقوق أهل البيت
ووجوب طاعتهم ويقدح له في ولاته وأمرائه بما كان منهم ويذكر له كتب أهل
الكوفة ورسلهم والحر يحفظه ويقول اتق الله في نفسك فلئن قاتلت لتقتلن فيقول
أبالموت تخوفني ويضرب الأمثال وينشد في الشجاعة فلما رآه الحر كذلك عدل
يسير ناحية عنه حتى انتهوا إلى عذيب الهجانات سمي هجان ابن النعمان كانت ترعى
فيه فإذا هو بأربعة فرسان دليلهم الطرماح بن عدي الطائي فأجمع الحر حبسهم
وردهم فقال الحسين هم بمنزلة أصحابي وإلا ناجزتك ثم أخبروه خبر الكوفة وقتل
قيس بن مسهر فكادوا فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ثم دعا لهم وقال له الطرماح
ما أرى معك كبير أحد ولو لم يقاتلك إلا هؤلاء الذين مع الحر لكانوا الكثير من
كنوك فكيف بمن سار إليك من الكوفة فلم تر عيناي جمعا أكثر منهم فأنشدك الله
أن تقدم إليهم شبرا وإن أردت فسر معي أنزلك جبلا إجا فقد امتنعنا به والله من
ملوك غسان وحمير والنعمان ومن الأبيض والأحمر ونجمع عليك طي في عشرين ألفا

لا يوصل اليك وفيهم عمر بن طرف فجزاه خيرا وقال قد عاهدنا هولاء
القوم الذين معنا فلا بد من الوفا لهم فودعه الطرماح وانصرف وسار
الحسين ومر بقصر بني مقاتل فراى فسطاطا لعبيد الله بن الحر الجعفي
فاستدعاه فقال والله ما خرجت من الكوفة الا فرارا من الحسين فركب
الحسين وجاه ودعاه الى النصر او ان يكون ممن يكف فاجابه الى هذه ثم ركبوا
من الغد واذا ان يفارق الحر صنعه واذا بكتاب من ابن زياد الى الحر ان يجعجع
بالحسين حتى يجيء كتابه ورسوله ولا ينزله الا بالعرا في غير حصن ولا ما وقد امرت
الرسول ان يلزمك حتى ياتيني بانفاذك امري فقرا الحر الكتاب واعلم الحسين
واصحابه بما فيه فقالوا لو ادعنا ننزل في الغاضريه فقال لا استطيع وهذا الرجل
قد بعث عينا علي فقال زهير بن القين للحسين وكان صحبه من مكة تعالى نحاجز
هولاء فهم اهون علينا ممن ياتينا بعدهم فقال ما كنت لابداهم بالقتال وذلك
لليلتين من المحرم سنة احدى وستين فلما كان الغد قدم عمر بن سعد بن
ابي وقاص من الكوفة في اربعة الاف وكان ابن زياد قد جهزه الى حرب الديلم
وكتب له عهده على الري فلما كان امر الحسين دعاه ان يقدم حربه ثم يرجع الى
عمله فاستعفاه فقال نعم على ان ترد ولاية الري فقال امهلني واستشار
اصحابه فكلهم نهاه حتى ابن اخيه حمزة بن المغيرة بن شعبة وقال له تفتدي
من دم الحسين بسلطان الارض لو كان لك ثم غدا على ابن زياد واستعفاه
ثانيه فقال له مثل الاول قال فاني سائر واقبل في الجيوش حتى نزل بالحسين
وبعث اليه يساله ما جابه فقال كتب اهل الكوفة فان كرهوني فانا انصرف
عنهم فكتب بذلك الى ابن زياد فكتب اليه ان يعرض على الحسين البيعه ويمنعه ومن معه
من الماء فارسل عمرو بن الحجاج الى الشريعة ومنعوهم الما واشتد عليهم العطش
فركبوا الى الما وقاتلوهم عليه وملاوا قربهم ثم بعث الحسين الى عمر في اللقاء
فلقيه ليلا وتحادثا طويلا ثم افترقا وكان مما قال له الحسين دعوني ارجع
المكان الذي جيت منه او اذهب في الارض العريضة حتى ننظر ما الناس فكتب
بذلك الى عبيد الله بن زياد يبشره ان الله اطفا النايرة وجمع الكلمة فقال ابن زياد

وروي ان النبي كان يخطب الى جذع نخلة في المسجد مستندا اليه قبل ان يصنع له المنبر فلما صنع له المنبر وخطب عليه حن الجذع كما يحن [illegible] فنزل النبي والتزمه ومسحه وتكلم معه [illegible] يا رسول الله [illegible] قال جبرئيل [illegible] خيرك الله بين ان تكون شجرة مثمرة الى يوم القيامة وبين ان تكون من اشجار الجنة فاختار ان يكون من اشجار الجنة وسكن وقال لو لم احتضنه لحن الى يوم القيامة

ذلك وقام اليه شمر بن ذي الجوشن منكرا لذلك وقال تقبل هذا منه وقد نزل بارضك ولئن رحل ولم يضع يده في يدك ليكونن اعز وتكون اعجز ولكن لينزل على حكمك ولقد بلغني ان الحسين وعمرا يتحادثان عامة الليل بين العسكرين فقال ابن زياد نعم ما رأيت اخرج انت اليه بهذا الكتاب ليعرض على الحسين واصحابه النزول على حكمي ويبعث بهم سلما وان امتنعوا فليقاتلهم وان ابى عمر من ذلك فانت الامير وابعث الي براسه وكتب الى عمر بذلك وعنفه على المطاولة والشفاعة وان يفعل ما امر به والا فليعتزل العسكر ويخلي بين شمر وبينه وكتب معه امانا لبني علي بن ابي طالب من ام البنين بنت حزام وهم العباس وعبد الله وجعفر وعثمان سأله الامان لهم عبد الله بن خالهم ابي المحل بن حزام وكان حاضرا عند ابن زياد فردوا امانه وقالوا لا حاجة لنا فيه ولما اتى شمر الى عمر قال له يا شمر ابطأت انت ثنيته عما كتبت اليه وافسدت علينا امرا رجونا ان يصلح والحسين والله لا يستسلم ابدا ونهض اليه عشية تاسوعا فركب العباس اخو الحسين في عشرين فارسا وتلقاهم فاخبروه بما جاء من امر ابن زياد فجاء به الى الحسين فقال ارجع اليهم واخرهم الى الغداة لنستكثر من الصلاة والدعاء والاستغفار فوعدهم الحسين الى الغداة اما رضيناه واما رددناه فشاور عمر اصحابه فاشار بعضهم بامهاله وهو عمرو بن الحجاج الزبيدي والله لو كان من الديلم لوجب امهاله واشار قيس بن الاشعث بالمناجزة وقال ليصبحنك بالقتال فرجع عمر وجمع الحسين اصحابه واستشارهم وجزاهم خيرا واذن لهم في الانطلاق وقال هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا وافترقوا في البلاد والقوم اذا اصابوني لهوا عن غيري فابوا فقال يا بني عقيل حسبكم من القتل بمسلم واذهبوا فقد اذنت لكم قالوا فما يقول الناس والله لا نفعل ولنقاتلن معك حتى نرد موردك وقام اليه بعض اصحابه من غير عشيرته فقال كيف نخلي عنك ولم نعذر الى الله في حقك والله لا افارقك حتى اكسر رمحي وسيفي واقوم بالجنان دونك حتى اموت وتكلم اصحابه بمثل ذلك فجزاهم خيرا وسمع اخواته ذلك فطفقن يعولن ويلطمن حتى غشي على بعضهن فجاء اليهن وعزاهن بقول

الله صلى الله عليه وسلم ومن سلف من قومه دعاهن ان لا يكرن عليه الصراخ
ولا يشققن الجيوب ولا يخمشن الوجوه ولا يدعين بالويل والثبور ثم امر ان يدخل
اطناب البيوت بعضها في بعض ليستقبلوا العدو من امامها ثم قاموا يصلون ويدعون
ويستغفرون حتى اصبح وذلك يوم عاشورا وركب عمر بن سعد في التعبية وعبا
الحسين اصحابه اثنين وثلثين فارسا واربعين راجلا واعطى رايته اخاه العباس
وضرب للحسين فسطاط اما م اخبيته فدخل فيه واستعمل النورة ثم اميث
المسك في جفنة واطلا به ثم ركب ووضع المصحف امامه وقاتل اصحابه
بين يديه وهو يدعو ثم تقدم على راحلته ونادا الناس وعرفهم نفسه ووعظ
وذكرهم حقوقه وقال ان كذبتموني فعندكم من يخبركم سلوا جابر بن عبد الله
وابا سعيد وانسا وسهل بن سعد وزيد ابن ارقم يخبروكم بما سمعوا من رسول
الله صلى الله عليه وسلم في حقنا اهل البيت اما في هذا حاجز لكم عن دمي
اتطلبوني بمال اذهبته او قصاص فلم يجيبوه فنادى يا شبث بن ربعي يا حجار بن
ابجر يا قيس بن الاشعث يا يزيد بن الحرث الم تكتبوا الي في القدوم قالوا لا
قال بلى قد فعلتم فدعوني انصرف الى مأمني من الارض فقال له قيس افلا تنزل على
حكم ابن زياد وهو ابن عمك قال لا والله لا اعطي بيدي اعطا الذليل ولا اقر اقرار
العبد عباد الله اني عذت بربي وربكم ان ترجمون اعوذ بربي وربكم من كل متكبر
لا يؤمن بيوم الحساب ثم اناخ راحلته ونزل عنها وخرج زهير بن القين وهو شاك
السلاح وكان صحب الحسين من مكة فوقف بين يدي العسكر ووعظ اهل
الكوفة ونصحهم ودعاهم الى نصر ابن رسول الله وخذلان ابن زياد والحث في دم عبد
الله وابيه وقال يقتلا ... يقطعا نكم وسملا نكم ويقتلان اماثلكم اذكروا حجر بن
عدي وهاني بن عروة فشتموه واثنوا على ابن زياد وقالوا لا نبرح حتى نقتل او نأسركم
فقال لهم اعيذكم بالله ان تقتلوا ابن فاطمة خلوا بينه وبين ابن معوية فان يزيد
يرضى منكم بدون هذا ثم رماه شمر بسهم فمشا ساعة ورده الحسين وخرج
ولما زحف عمر بن سعد الى الحسين قال له الحر بن يزيد الذي كان جعجع بالحسين
الحسين امقاتل انت هذا الرجل قال نعم قال ولا يسلمون منه واحد من الحسا

التي عرض عليكم فقال عمرو لو كان الامر الي لفعلت ولكن اميرنا قد ابا ذلك
ثم اقبل يدنو نحو الحسين حتى استتاب به اصحابه ولحق به وقال يا ابن رسول
الله انا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع وسايرتك في الطريق وجعجعت بك في
هذا المكان والله لو ظننت انهم لا يقبلون منك واحدة مما عرضت عليهم او يبلغون
بك هذه المنزلة ما فعلت الذي فعلت وقد جئتك تائباً اموت دونك افترى
لي توبة قال نعم يتوب الله عليك ويغفر لك ثم انعطف الى اصحابه وقال
الا تقبلون من الحسين واحدة مما عرض عليكم فيعافيكم الله من حربه وقتاله فقال
عمرو قد حرصت في ذلك وما وجدت اليه سبيلاً ثم نادى اهل الكوفة وحضر يا
على ان دعوه واسلموه ثم منعوه من التوجه في بلاد الله العريضة حتى يأمن ويأمن
اهل بيته فاصبح كالاسير لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ومنعتموه واصحابه ما الفرات
يشربه اليهودي والنصراني والمجوسي وتمرغ فيه كلاب السواد وخنازيره وهو
واهله صرعى من العطش بئس ما خلفتم محمداً في ذريته ودعا عليهم فرموه بالنبل
فرجع ثم قدم عمرو بن سعد رايته ورمى بسهم وقال اشهدوا اني اول من رمى
وتبارز الناس وقتل في البراز يسار مولى زياد وسالم مولى عبيد الله بن زياد
قتلهما عبد الله بن عمير الكلبي وكان قد لحق بالحسين من الكوفة ومعه امرأته
ثم حمل عمرو بن الحجاج على الحسين واصحابه فجثوا على الركب واشرعوا نحوهم الرماح فلم
تقدموا وذهبوا ليرجعوا فاصابوهم بالنبل فصرعوا منهم رجالاً وخرج يزيد
ابن حصين من اصحاب الحسين فبارز يزيد بن معقل فبارزه ثم قتله اخر دونه
وخرج عمرو بن قرظة الانصاري فقاتل وقتل وقاتل الحر بن يزيد مع الحسين قتالاً
شديداً وقتل من اصحاب عمرو وصاح عمرو بن الحجاج بالناس تقاتلون فرسان
المصر تستميتونهم قليل وقل ما يبقون ولو رميتموهم بالحجارة لقتلتموهم
فانقمعوا فمنع الناس من المبارزة ثم حمل عمرو بن الحجاج على جانب الحسين
واقتتلوا ساعة وقتل مسلم بن عوسجة الاسدي فانصرف عمرو ومسلم صريع فجاء اليه
الحسين ودعا له ودنا منه حبيب بن مظهر واستوصاه فقال اوصي اليك بهذا ان تموت
دونه فاشار الى الحسين فقال افعل ثم قضى مسلم وصاحت ابنته وسمع شمر بن ذي

وقد سمع اصحابه يقولون قتلنا مسلم بن عوسجة فنكر قتله وتسخط وقال تفرحون بقتل
مسلم وعدد مواقفه ثم حمل شمر في الميسرة فثبتوا له ثم حملوا على الحسين واصحابه
من كل جانب وهم يكرون ولا يحملون على جانب من خيل الكوفة الا كشفوه وبعث
عزرة بن قيس وهو على خيل الكوفة الى عمر بن سعد ان ابعث الينا الرجال والرماة
فقال لشبث بن ربعي تقدم فقال مثلي لا يبعث في الرماة وكان يكره ذلك القتال فدعا
للحصين بن تميم تقدم فرشقوا الحسين واصحابه بالنبل فعقروا خيولهم وارجلوهم وقاتل
الحر بن يزيد اشد قتال الى ان انتصف النهار ولا يقدرون ياتونهم الا من وجه واحد
لاجتماع مضاربهم فبعث عمر من يقوض تلك الابنية فكان اصحاب الحسين يتخللون
الابنية فيقتلون الرجل يقوض او ينهب فامر عمر بن سعد فاضرمت نارا ومنعت العدو
الى الحواز من جانبها وبلغ شمر فسطاط الحسين ليحرقه بالنار وصاح به الحسين والنسا
وجاءه شبث بن ربعي فخزاه عن ذلك فرجع واتبعه زهير بن القين في عشرة فكشفهم
عن البيوت وقتلوا من اصحاب شمر ابا عزرة الضبابي وعطف عليهم فاصابهم ثم حضر
وقت الصلوة وذكر ابو ثمامة الصائدي بالصلاة فقال الحسين الامهال لنصلي ووقع
الكلام في ذلك بين الحصين بن يزيد من اهل الكوفة وحبيب بن مطهر من اصحاب
الحسين وقتل حبيب رجلا من بني تميم وقتله الحصين ولما قتل حبيب هد ذلك من الحسين
ثم حمل الحر بن يزيد فقاتل حتى قتل ثم صلى الحسين الظهر صلاة الخوف ثم اشتد
القتال بعد الصلاة وخلصوا الى الحسين فاستقدم الحنفي امامه واستهدف
لهم فرموه حتى سقط وقاتل زهير بن القين حتى قتل واسر نافع بن هلال الجملي بعد ان
قتل اثني عشر منهم فقتله شمر وتنافس اصحاب الحسين ان يقتلوا بين يديه فقتل منهم جماعة
ثم رموا الجمال من كل جانب واستاذنه الضحاك بن عبد الله في الانصراف والقتال
فاذن له فانصرف ثم خلص القوم الى اهل البيت فقتل علي الاكبر بن الحسين بعد
ان حمل عليهم مرارا فطعنه مرة بن منقذ فصرع فجاء الحسين فحمله حتى وضعه بين يدي
فسطاطه ثم رمي عبد الله بن مسلم بن عقيل بسهم فقتل ثم حمل اهم على عون بن
عبد الله بن جعفر فقتل ثم على عبد الرحمن بن عقيل فقتل ثم على جعفر بن عقيل فقتل
ثم على القاسم بن الحسين فقتل ثم جالوا اهله جولة وطيبه بها الخيل ثم الملك العز

ولقيه

والحسين قائم على راسه وهو يفحص برجليه ثم احتمله فالقاه مع ابنه علي

وقتلى اهل بيته ومكث الحسين طويلا من النهار والناس يتحامون قتله ثم جاء

مالك بن النسير من كندة فضربه على راسه بالسيف فادماه ودعا الحسين بابنه

عبد الله وهو صغير فاجلسه في حجره فرمي بسهم فذبحه ثم رمي ابو بكر بن الحسين

بسهم فقتل ثم تقدم العباس بن علي واخوته من امه فقتلوا جميعا واشتد عطش

الحسين فجاء ليشرب من الفرات فرماه حصين بن تميم بسهم في فمه فجعل يتلقى الدم

ويدعو ثم اقبل شمر بن ذي الجوشن في عشرة من رجاله فحال بين الحسين وبين

اهله فقال امنعوا رحلي واهلي من طغاتكم فقال ذلك لك ثم حمل عليهم وحملوا

عليه واحاطوا به من يمينه وشماله وخرجت اخته زينب تنادي فلقيت عمر بن

سعد فقالت يا عمر ويقتل ابو عبد الله وانت تنظر فبكى وزوى عنها وجهه ثم

نادى شمر ماذا تنتظرون بالرجل فحملوا عليه وضرب زرعة بن شريك التميمي كفه اليسرى

وعلى عاتقه فاوهنه ثم طعنه سنان بن انس النخعي بالرمح وقال لخولي بن يزيد

الاصبحي حز راسه فارعد فنزل اليه سنان فاخذ راسه ودفعه الى خولي

وسلب ما كان عليه فاخذ سراويله بحر بن كعب وقطيفته قيس بن الاشعث

وكانت من خز وسيفه رجل من دارم وانتهب الناس ثقله ومتاعه وابله وسلبوا

نساءه وانتهوا الى علي بن الحسين وهو مريض واراد شمر قتله فمنعه حميد بن مسلم

ثم جاء عمر بن سعد فقال لا يدخلن بيت النسوة احد ولا يعرض لهذا الغلام المريض

وليرد عليهم متاعهم ولم يرد من القوم الا اثنين ونادى عمر بن سعد في اصحابه من

ينتدب للحسين فيوطئه فرسه وكان ابن زياد امره بذلك فانتدب عشرة وداسوه

حتى رضوا ظهره وصدره وكان به ثلث وثلثون طعنة واربع وثلثون ضربة وقتل من اصحابه

اثنان وسبعون رجلا ودفنهم اهل الغاضرية من بني اسد وقتل من اصحاب عمر بن سعد

ثمانية وثلثون رجلا فصلى عليهم ودفنهم وبعث برؤوس الحسين واصحابه الى ابن زياد

مع شمر وقيس بن الاشعث وعمرو بن الحجاج وعروة بن قيس فاحضرها بين يديه وجعل

ينكت بقضيب بين ثنيتي الحسين فقال له زيد بن ارقم ارفع قضيبك عنها فلقد رايت

شفتي رسول الله صلى الله عليه وسلم على هاتين الشفتين يقبلهما ثم بكى فزجره ابن

زياد فخرج مغضبا ثم ارتحل عمر بن سعد الى الكوفة بعد مقتلهم بيومين ومعه
نساؤهم وصبيانهم وبناتهم وعلي بن الحسين مريض فمروا بالحسين واصحابه
صرعى فاعولوا ولطموا ولما ادخلوا على ابن زياد قال عبيد الله من هذه يشير الى
زينب فقيل له هذه زينب بنت فاطمة فكلمها فاجابته وابلغت واغضبته حتى
قال لها هذه شجاعة ولقد كان ابوك شجاعا فقالت ما للمرأة والشجاعة ثم قال
لعلي بن الحسين ما اسمك فاخبره فقال الم يقتل الله عليا فقال وما كان
لنفس ان تموت الا باذن الله فقال انت والله منهم ثم قال انظروا هل انبت فقيل
له نعم فقال اقتلوه فقال ومن يوكل بهذه النسوة وتعلقت به زينب وقالت يا ابن
زياد حسبك اما رويت من دمائنا ثم اعتنقته وقالت ان قتلته فاقتلني معه وقال
علي يا ابن زياد ان كان بينك وبينهن قرابة فابعث معهن من يصحبهن بصحبة الاسلام
ثم خطب الناس وتعرض للحسين فشتمه بعض شيعته فامر بقتله وصلبه ثم امر
براس الحسين فطيف به في الكوفة ثم بعث به وبرؤوس اصحابه الى يزيد مع شمر
ابن ذي الجوشن وقيل مع زحر بن قيس وبعث معهم بالنساء والصبيان محمولات
على الاقتاب والغل في عنق الحسين ورقبته فدخل على يزيد زحر بن قيس فقال
ما وراءك قال ابشر بفتح الله ونصره ورد علينا الحسين في ثمانية عشر من اهل
بيته وستين من شيعته فسرنا اليهم وسألناهم ان ينزلوا على حكم الامير عبيد الله او
القتال فاختاروا القتال فغدونا عليهم مع شروق الشمس فاحطنا بهم من كل
ناحية حتى اخذت السيوف ماخذها من هام القوم وجعلوا يهربون الى غير وزر
ويلوذون بالاكام والحفر كما لاذ الحمام من صقر فما كان الا جزر جزور او
نومة قائل حتى اتينا على آخرهم فهاتيك اجسامهم مجردة وثيابهم مرملة
وخدودهم معفرة تصهرهم الشمس وتسفي عليهم الريح زوارهم العقبان والرخم
بقي سبسب قال فدمعت عينا يزيد وقال كنت ارضى من طاعتكم بدون قتل الحسين
لعن الله ابن سمية اما والله لو اني صاحبه لعفوت عنه ورحم الله الحسين وقيل
ان آل الحسين لما وصلوا الى الكوفة حبسهم ابن زياد وبعث الى يزيد بالخبر فامره
بارسالهم اليه فبعثهم مع محفز بن ثعلبة وشمر ومعهما الثقل والرأس وانهما لما

وضعا الراس بين يديه وحدثنا ؟ سمعت حديثهما هند بنت عبد الله بن عامر
وكانت تحت يزيد فتقنعت بثوبها وخرجت فقالت يا امير المؤمنين راس الحسين
ابن فاطمة بنت رسول الله قال نعم فاعولي عليه عجل عليه ابن زياد فقتله قتله
الله ثم دخل عليه الناس والراس بين يديه ثم قال ان هذا وايانا كما قال الحصين
ابن الحمام

ابى قومنا ان ينصفونا فانصفت قواضب في ايماننا تقطر الدما
يفلقن هاما من رجال اعزة علينا وهم كانوا اعق واظلما

وانه نكت في ثغر الحسين بقضيبه كما فعل ابن زياد فقال له ابو برزة الاسلمي
ما قال زيد ابن ارقم لابن زياد ثم قال يزيد يا حسين والله لو اني صاحبك ما قتلتك
ثم قال اتدرون من اين اتي الحسين قال ابي خير من ابيه وامي فاطمة خير من امه وجدي
رسول الله خير من جده وانا خير منه فاما انه وجده فمن كان يؤمن بالله واليوم
الاخر فلا يعتقد غيرهما واما ابي وابوه فقد تحاجا عند الله وعلم الناس بما
حكم له ولكنه اما اتي من قبل فقهه ولم يقرأ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشا
ثم ادخل نساء الحسين عليه والراس بين يديه فجعلت فاطمة وسكينة ابنتا الحسين
يتطاولان ينظران الى الراس ويزيد يتطاول يستر عنهما الراس فلما راته صحن
فصاح نساء يزيد وبنات معوية فقالت فاطمة ابنات رسول الله سبايا يا يزيد
فقال يا ابنة اخي كنت لهذا اكره قالت والله ما ترك لنا من خرص قال اما اني
سأوصل اليك اعظم مما اخذ منكن ثم اخرجن وادخلن دور يزيد فلم تبق امراة
في بيتهن الا اتتهن واقمن الماتم وسال عما اخذ منهن فاضعفه لهن وكن الماتم
وكانت سكينة تقول ما رايت عدوا اخير من يزيد بن معوية ثم ادخل علي بن الحسين
مغلولا فقال يا يزيد لو رانا رسول الله مغلولين لفك عنا قال صدقت وامر بفك
عنه فقال ولو رآنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعد لقربنا فامر به فقرب
وقال له يا علي ابوك الذي قطع رحمي وجهل حقي ونازعني سلطاني فصنع الله به ما رايت
فقال علي ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب الاية فقال
يزيد وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ثم سكت عنه وامر بانزاله وانزاله

يسايرهم في ارجعه ثم لما نزل يزيد يذم من ابن زياد فعله في الحسين فيقول لعن
الله ابن مرجانة سأله ان يضع يده في يدي او يلحق بثغر حتى يتوفاه الله فلم يجبه الى
ذلك وقتله وبغضني الى المسلمين وزرع لي العداوة عند البر والفاجر ما لي ولابن
مرجانة لعنه الله وغضب عليه ثم امر النعمن بن بشير ان يجهزهم بما يصلحهم ويبعث
معهم الى المدينة رجلا امينا من اهل الشام في خيل يسير معهم ودعا عليا ليودعه فقال
له لعن الله ابن مرجانة والله لو اني صاحب ابيك ما سألني خصلة ابدا الا اعطيته
اياها ولدفعت الحتف ما استطعت ولو بهلاك ولدي ولكن قضا الله ما رايت فكاتبني
باية حاجة تكون لك واوصى بهم ذلك الرسول فخرج بهم وكان يسايرهم ليلا من ورائهم
بحيث لا يفوتون نظره فاذا نزلوا تنحى عنهم هو واصحابه فكانوا حولهم كالحرس ويتلطفون
بهم ويسال عن حوائجهم حتى دخلوا المدينة فقالت فاطمة لاختها زينب لقد احسن الينا
هذا الرجل فهل لك ان نصله بشيء فقالت ما معنا الا حلينا فاخرجتا سوارين ودملجين
لهما فبعثتا بذلك واعتذرتا فرد الجميع وقال لو كان الذي صنعته للدنيا لكان
في هذا ما يرضيني وانما صنعته لله ولقرابتكم من رسول الله وكان ابن زياد بعث الى
المدينة بخبر الحسين وبها عمرو بن سعيد فاعلم الناس وبكا نسا بني هاشم فلما سمع عمرو
اصواتهن قال ناعية بناعية عثمان ٥ ولاية سلم بن زياد خراسان
وسجستان قدم سلم بن زياد سنة احدى وستين على يزيد فقال له
يزيد اوليك عمل اخويك عبد الرحمن وعباد وولاه خراسان وسجستان وبعث
الحرث بن معوية الحرثي جد عيسى بن شبيب من الشام الى خراسان فحبس
عاملها قيس بن الهيثم وقدم سلم البصرة فتجهز الى خراسان وبعث اخاه يزيد بن
زياد على سجستان وكان عليها عباد اخوهما فكتب اليه عبيد الله بن زياد وكان
صديقا له بولاية سلم فقسم عباد ما في بيت المال في مواليه ونادى في الناس
فاسلفهم ما فضل وخرج عن سجستان وبلغه وهو بجيرفت مكان سالم ومنهما جبل
فعدل عنه فضلا فذهب له تلك الليلة الف مملوك مع كل واحد عشرة الاف
ثم سلك على فارس وقدم على يزيد فقال له اين المال قال كنت صاحب ثغر اسم
ما اصيب من الناس ولما ولى يزيد سلم بن زياد على خراسان كتب له الى عبيد الله بن زياد

بانتخاب النبي رجل وقيل سنه الاف ورغب اناس في الجهاد فطلبوا الخروج معه
وشخص معه عمران بن الفضيل البرجمي وعبد الله بن خازم السلمي وطلحة بن عبيد
الله بن خلف الخزاعي والمهلب ابن ابي صفره وحنظلة بن عرادة ويحيى بن يعمر العدوا
وصلت بن اسيم العدوي ولما قدم على خراسان خرج للغزو فعبر النهر وهو اول من عبره
وكانت مدينه للعجم من وراء خوارزم يجتمع بها ملوك العجم عند انصراف المغازي
عنهم فيتشاورون في امورهم ويتعاقدون على الاجتماع لعدوهم فاستاذنه
المهلب بن ابي صفره في غزوها فاذن له ولم يكن الامراء قبله ياذنون لاحد في ذلك
فسار اليها المهلب في سته الاف وقيل اربعه فحاصرهم حتى صالحوه على نيف وعشرين
الف الف وبعث جيشا الى خجندة فصالحوه وقاتل اهل خوارزم وسمرقند فصالحوه
ثم جاءه الخبر عن اخيه يزيد بسجستان ان اهل كابل انتقضوا عليه واسروا اخاه ابا
عبيدة وانه سار اليهم فهزموه فبعث سلم طلحه بن عبيد الله بن خلف الخزاعي وهو طلحة
الطلحات عاملا على سجستان ففدى ابا عبيدة بن زياد بخمس مايه الف درهم ونزل
سجستان فجبى المال واكرم الوفود ومات بسجستان واستخلف رجلا من بني يشكر
فاخرجه المضريه ووقعت العصبيه فطمع فيهم رتبيل ملك الترك وانما سمي طلحه الطلحات
لانه كان اجود الكرماء المسمين بطلحة وهم معروفون منهم الفياض وطلحه الجواد
وطلحه الخير وغيرهم ٥ ولايه الوليد بن عتبه على الحجاز وعزل
عمرو بن سعيد ولما قتل الحسين وبلغ خبره الى مكه قام ابن الزبير في الناس فخطبهم
وعظم قتل الحسين وعاب من تولاه او امر به وترحم عليه ولعن قاتله وتعرض ليزيد بسماع
الغناء والحداء وشرب الخمر وطلاب الصيد وقد كان يبايع سرا واظهر انه عايذ بالبيت
فقال له اصحابه اظهر بيعتك فلم يبق بعد الحسين من ينازعك فقال لا تعجلوا وبلغ
الخبر الى يزيد باسم فحلف ليوتين اليه به في جامعة فصنع جامعه من فضه وبعث
بها اليه ليبر يمينه فامتنع من رسله ورجعوا الى يزيد فاغراه بنو اميه بعمرو بن سعيد
العامل بالحجاز وقالوا لو اراد لبعث به اليك فعزله وولى مكانه الوليد بن عتبه
ابن ابي سفيان فسار الى الحجاز ولحق عمرو بيزيد وبين له مكايده ابن الزبير فعذره
فاقام الوليد يحاول غرة ابن الزبير فيجده مستعدا ممتنعا ثم كتب ابن الزبير الى يزيد

بعث الوليد بانه اخرق لا يهتدي لرشد ولا يرعوي لعظة فابعث رجلا سهل
الخلق ان يسهل به من الامور ما استوعر ويجتمع به ما افترق فعزل الوليد
وولى عثمان بن محمد بن ابي سفين ه خلع اهل المدينه يزيد ووقعه
الحره وحصار مكة لما ولي عثمان بن محمد بن ابي سفين على اهل الحجاز
سنه ثنتين وستين بعث الى يزيد وفدا من اهل المدينه فيهم عبد الله بن حنظلة
الغسيل وعبد الله بن عمرو بن ابي حفص بن المغيره والمنذر بن الزبير ورجال من
اشراف اهل المدينة فاكرمهم يزيد واجازهم بماية الف درهم لكل واحد
منهم واستاذنه المنذر في القدوم على ابن زياد بالعراق فاذن له ورجع الوفد الى المدينة
فقاموا بمعايب يزيد فقالوا يشرب الخمر ويضرب بالطنابير ويلعب بالكلاب ويسمر
عنده الحراب واللصوص فنكر الناس شانه وبايعوا عبد الله بن حنظلة الغسيل
على خلعه وبلغ الخبر الى يزيد فبعث الى ابن زياد بحبس المنذر وكان صديقا له ولا
نكره ذلك واذن له في الانصراف الى ثلثه فقدم المدينه وعاب يزيد اعظم من الاولين
وحرض الناس عليه فبعث يزيد النعمن بن بشير الى المدينة لردهم عما كانوا فيه من
الانتقاض فاتاهم وخوفهم الفتنه وقال لا طاقة لكم باهل الشام فقال له عبد
الله بن مطيع يا نعمان تفرق جماعتنا وتفسد ما اصلح الله من امرنا فقال له
النعمان والله لكاني بك لو نزلت بك الجموع ودارت الحرب ركبت بغلتك الى مكة
وتركت هولاء المساكين يعني الانصار يقتلون في سككهم ومساجدهم وعلى
ابواب دورهم فعصاه الناس وانصرف الى يزيد فلما كان سنه ثلاث وستين
وقد بايعوا لعبد الله بن الغسيل على خلع يزيد اخرجوا عثمان بن محمد بن ابي سفين
عامل يزيد عليهم فاجتمع له بنو اميه ومواليهم في الف رجل وامتنعوا بدار مروان
ابن الحكم وكتبوا الى يزيد يستجيشون فامر عمرو بن سعيد ان يسير اليهم في الناس
فابى وقال كنت قد ضبطت البلاد والان اراق الدما بالصعيد فبعث الى عبيد
الله بن زياد بالمسير الى المدينة وحصار ابن الزبير بمكة فاعظم ذلك وقال لا اجمعهما مع ما
كان من قتله الحسين فابى واعتذر فبعث الى مسلم بن عقبه المري واخبره خبر
بني امية فقال اما يكونون الف رجل فقال الرسول بلى قال فما استطاعوا القتال

ساعة من نهار وهولاء اذ لا ادعوهم حتى يجهدوا انفسهم في جهاد عدوهم
فقال يزيد ويحك لا خير في العيش بعدهم فاخرج بالناس ويقال ان
معاويه اوصاه ان حدث بك حدث من اهل المدينه فارسل مسلم بن عقبه فنحر
مسلم ونادى بالعطا ومعونه مايه دينار فانتدب له اثنا عشر الفا فسار بهم الى
الحجاز وقال له ادع القوم ثلاثا قبل القتال واذا ظهرت فانهبها ثلاثا بما
فيها من مال ورثه او طعام وسلاح فهو للجند واكفف عنهم بعد الثلاث وان
حدث بك حدث فاستخلف الحصين بن نمير السكوني واستوص بعلي بن الحسين
خيرا فقد اتاني كتابه ولم يدخل مع الناس وقد كان مروان بن الحكم لما اصاب
بني امية من اهل المدينة ما اصابهم رغب الى علي بن الحسين ان يكون حرمه
مع حرمه فاجابه وخرج بحرمه وحرم مروان وفيهم عايشه بنت عثمان الى ينبع
وقيل بل بعثهم مع ابنه عبد الله الى الطايف ثم سار مسلم بالجيش وبلغ اهل
المدينه خبرهم فاشتد حصارهم لبني اميه بدار مروان حتى انزلوهم على ان يخرجوا
الى الشام ولا يظاهروا عليهم ولا يدلوا على عوراتهم وبعث اهل المدينه الى الموارد
بينهم وبين الشام فالقوا فيها القطران فارسل الله المطر بالسما واستغنى العسكر
عن الموارد ولقي بنو اميه مسلم بن عقبه بوادي القرى فسال عمرو بن عثمان بن عفان
واستشاره فقال اخذوا علينا العهود لا ندل على عوره فقال لولا انك ابن عثمان
لضربت عنقك ولا اقيلها قرشيا بعدك ثم استدعى مروان بعده فقال لابنه
عبد الملك ادخل قبلي لعله يجتزي بك عن دخولي فقال هات ما عندك قال ارى
ان تسير الى ادنى نخلها ثم تريح فاذا اصبحت تركت المدينه ذات اليسار ومضيت
حتى تاتيهم من قبل الحره مشرقا ثم تستقبل القوم فاذا اشرقت الشمس كانت في
ظهوركم ووجوههم ويرون من اشعة سلاحكم ما لا يرونه ويتاذون بشعاع الشمس
ولا تتاذون ثم قاتلهم فقال له مسلم لله در ابوك اي امري ولدك ثم دخل
مروان وقال اذا لقيت عبد الملك فقال ما كلمت من رجال قريش
مثله ثم ارتحل وعمل براي عبد الملك واتاهم من قبل الشرق ثم دعاهم وقال
انتم اصل امير المومنين وانا اكره اراقة دمايكم واني اجلكم ثلاثا فمن راجع الحق

قبلت وسرت الى مكة وان ابيتم كنت قد اعذرت ولما مضت الثلاث قال
ما تصنعون يا اهل المدينة قالوا نحارب فلا طغم في الطاعة لنسرت الى مكة
فقالوا الا ندعك تاتي بيت الله وتحدثه وتستحل حرمته وكانوا قد خندقوا
على انفسهم وكان عبد الرحمن بن مطيع في قريش على ربع وعبد الرحمن بن ازهر
ابن عبد عوف على ربع ومعقل بن سنان الاشجعي في المهاجرين على ربع وامير
جماعتهم عبد الله بن الغسيل على الانصار في اعظم تلك الارباع وصمد مسلم
في العساكر فانكشفت العساكر وانتهت اهل المدينة من كل جانب ثم حمل ابن الغسيل
فانكشفت العساكر وانتهت الى مسلم فنهض في وجوههم بالرجال واشتد القتال
ثم جا الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب لابن الغسيل فقاتل معه
ثم انتهى الشجعان بزيد فقتل مسلم فحمل على اهل الشام فانهزموا وحثت الرجال له
امامه على الركب ومضى نحو راية مسلم فقتل صاحبها يظنه مسلم بن عقبة فاخذ
مسلم رايته وسار وشدت الرجال امامه فصرع الفضل بن عباس وقتل معه
زيد بن عبد الرحمن بن عوف وتقدمت خيل مسلم الى ابن الغسيل حتى دنا بعضهم
من بعض واستمات اهل المدينة حتى قتل الكثير منهم وقتل عبد الله بن الغسيل
ومعه اخوه لامه محمد بن ثابت بن قيس بن شماس وعبد الله بن زيد بن عاصم ومحمد بن
عمرو بن حزم وابلا محمد بن سعد بن ابي وقاص ثم انهزم الناس واباح مسلم المدينة
ثلاثا للقتل والنهب وافزع ذلك الصحابة الذين بها وخرج ابو سعيد الخدري
لياوي الى الكهف في الجبل فاعترضه رجل من العسكر ليقتله فعرفه بنفسه فتركه
ويقال ان مسلما لما حارب اهل المدينة ووقف ابن الغسيل والناس لقتاله خالفهم
بنو حارثة من الانصار وادخلوا اهل الشام من ناحيتهم فانهزم الناس وكان من
هلك في الخندق اكثر ممن قتل ثم دعا مسلم الناس الى بيعة يزيد على انهم خول له
يحكم في دمائهم واموالهم واهليهم بما شاء ومن امتنع قتله وجي بعد يوم بيزيد بن
عبد الله بن زمعة بن الاسود ومحمد بن ابي الجهم بن حذيفة فقالا نبايع على الكتاب
والسنة فقتلهما وانكر عليه مروان قتل قرشيين على امان وطعنه بالقضيب في خاصرته
وقال والله لو انك قلتها لقتلتك ثم جي بمعقل بن سنان فقال له والله لاملكك

ما شده الله والرحم فقال ما انت لقيتني بطبريه ليله انصرف وندكم من عند
يزيد فاثنيت عليه شرا وقلت نرجع الى المدينه فنخلع هذا الفاسق ابن الفاسق
ونبايع لرجل من ابناء المهاجرين واني اليت لا القاك حيث اقدر على قتلك الا
قتلتك ثم امر به فقتل وجي بيزيد بن وهب فقال ابايع على سنة عمر فقتله وشفع
فيه مروان لصهر بينهما فلم يشفعه ثم جا علي بن الحسين بن مروان وعبد الملك
وجلس بينهما فقال يحيى بن هذين لنا من عندي والله لو كان الامر اليهما لقتلتك
ولكن امير المومنين اوصاني بك واخبرني انك كاتبته ثم اجلسه معه على السرير
وقال لعل اهلك فزعوا فقال نعم فرده الى حنه على دابته ولم يلزمه البيعة كما
الزم اهل المدينة ثم احضر علي بن عبد الله بن عباس للبيعة وكانت امه كنديه
فقال الحصين بن نمير لا نبايع ابن اختنا الا مثل ما بايع علي بن الحسين فتركه ثم جا عمرو
ابن عثمان بن عفان ولم يكن خرج مع بني اميه فقال هذا الخبيث ابن الطيب وامر
به فنتفت لحيته وكان ممن قتل في الحرة زيد بن عاصم الانصاري وعبد الله
ابن عبد الله بن وهب ووهب بن عبد الله بن زمعه وعبد الله بن عبد الرحمن
ابن حاطب والزبير بن عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن نوفل بن الحرث بن
عبد المطلب وكانت لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنه ثلاث وستين واتى خبر
الواقعه لابن الزبير مع المسور بن مخرمة فاستعد هو واصحابه وعرفوا ان مسلم
ابن عقبه نازل بهم ثم استخلف مسلم على المدينه روح بن زنباع الجذامي وقيل
عمرو بن محرز الاشجعي وشخص الى مكه لقتال ابن الزبير فمات بالمشلل وقيل
بثنيه هرشى واوصى الحصين بن نمير فقال يا برذعة الحمار لو كان الامر الي ما وليتك
هذا الجند لكن امير المومنين ولاك فاسرع السير وعجل المناجزة ولا تمكن قريشا
من اذنك ثم مات وسار الحصين بالناس وقدم مكه لاربع بقين من المحرم وقد بايع
اهلها واهل الحجاز لعبد الله بن الزبير واجتمعوا عليه ولحق به فل اهل المدينه
وقدم عليه نجده بن عامر الحنفي في الخوارج لمنع البيت وخرج ابن الزبير للقا اهل
الشام فقتل اخو المنذر في البراز ثم انكشفوا اماما اهل الشام وعرفت البغله
بعبد الله فنزل واجتمع اليه المسور بن مخرمة ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف

وجماعة من اصحابه فقتلوا جميعًا وصابرهم ابن الزبير الى الليل ثم انصرفوا ثم انهم
اقاموا يقاتلونه شهرًا وبعض شهر فاحرق البيت يقال قدفوه بالنار في المجانيق
ويقال كان اصحاب ابن الزبير يوقدون حول الكعبة فعلقت شررة منها بثياب
الكعبة واحترق خشب البيت والاول اصح لان البخاري ذكر في صحيحه ان
ابن الزبير لما احترقت الكعبة تركها ليراها الناس محترقة فيحرضهم على اهل الشام
ثم لم يزل العسكر محاصرين لابن الزبير حتى جاءهم نعي يزيد لاول ربيع الثاني ٥

وفاة يزيد وبيعة معوية ابنه ومهلكه

ثم مات يزيد منتصف ربيع الاول سنة اربع وستين وبويع بعده ابنه معوية فمكث ثلاثة اشهر ثم خطب
الناس وقال اني ضعفت عن امركم وطلبت لكم مثل عمر بن الخطاب حين استخلفه
ابو بكر فلم اجده فطلبت ستة مثل اهل الشورى فلم اجدهم فانتم اولى
بامركم اختاروا له ودخل منزله فمات ويقال مسمومًا وصلى عليه الوليد بن عتبة
ابن ابي سفين وهلك ليومه بالطاعون وقيل ان معوية بن يزيد اوصى الضحاك
ابن قيس ان يصلي بالناس حتى يجتمع الناس على امام اعطاها ابن الزبير البيعة
ولما هلك يزيد بلغ الخبر عبد الله بن الزبير بمكة قبل ان يعلم الحصين بن نمير ومن
معه وكان حصارهم قد اشتد فناداهم ابن الزبير واهل مكة علام تقاتلون وقد هلك
صاحبكم فلم يصدقوه فلما بلغ الحصين موته بعث الى ابن الزبير وواعده الابطح ليلا فالتقيا
فقال له الحصين هلم نبايعك فانت احق وهذا الجند الذي معي هم وجوه اهل الشام
وفرسانهم واخرج معنا فلاحلف عليك ان تؤمن الناس وتهدر لهم ما اصابوا
من الدماء ما بين اهدابها وكان الحصين كلمه سرًا وهو يجهر ويقول والله لا افعل
فقال الحصين قبح الله من يعدك بعد هذا داهية ثم ارتحل الى المدينة وراجع ابن
الزبير رايه فارسل اليه لا اسير الى الشام ولكن بايعوا لي هناك واني مؤمنكم فقال
الحصين لا يتم الا بحضورك فهناك بنو امية يطلبون الامر ومر الحصين بالمدينة
فكانوا يتخطفون عسكره وهم هاربون منهم الى ان بعدوا ثم وصلوا الى دمشق ٥

استقاض امر ابن زياد ورجوعه الى الشام

لما جاء الخبر الى ابن زياد بالبصرة بهلك يزيد بن معوية ثم معوية ابنه واختلاف الناس

اذهب بنا الى مسعود بن عمرو فقد علمت شرفه في الازد وطاعتهم له فاكون
في داره والازد عليك امر قومك فجا الى مسعود فتطير من ابن زياد وما زال
الحرث يلاطفه حتى سكن وقال له اتخرجه من بيتك بعد ما دخله فجعله في بيت
اخيه عبد الغافر بن عمرو فركب هو والحرث وجماعه من قومه فطافوا في الازد
وقالوا لهم ان ابن زياد فقد ولا نامن ان تهونا به فاصبحوا في السلاح وقيل ان الحرث
لم يلق مسعود بن عمرو وانما جا بعبد الله ومعه مايه الف واتى بها امراه مسعود
وطلب منها الجوار لابن زياد بان تلبسه ثياب مسعود فلما جا مسعود تلطفوا
به حتى رضي واصبح الناس في البصرة بغير امير ثم دعوا الى قيس بن الهيثم
السلمي وكان اموياً والى النعمن بن سفين الراسبي وكان هاشمياً يومران عليهم من
يختارانه فقدم النعمن عليهم عبد الله بن الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد
المطلب ويلقب ببة فرضيه الناس وبايعوه وانزلوه بدار الامارة في جمادى
الاخره سنه اربع وستين ثم اتفق ابن زياد اموالا في جمع ربيعه والازد واتفقوا
على ان يردوا ابن زياد الى امارته وركبوا لذلك وتركوا ابن زياد في حيهم وبعث
مواليه معهم وجا مسعود فدخل المسجد وصعد المنبر واخر الامير عبد الله بن الحرث
بذلك وقيل له اركب في بني تميم واصلح بين الناس فابى وجا بنو تميم الى الاحنف
ليركبوا فتعلل ولم يركب ثم اركب عباد بن حصين وطلق من بني عمرو بن تميم وعبس
ابن طلق بن سعد بن زيد مناه ومسعود يخطب فاستنزلوه وقتلوه ثم قتلوا
مالك بن مسمع بيته وهرب عبيد الله بن زياد فلحق بالشام ولزم عبد الله بن
الحرث بيته وكتب اهل البصرة الى ابن الزبير فكتب الى انس بن مالك يصلي بهم
حتى بعث عمر بن عبيد الله بن معمر بعد ثلاثة اشهر فحبس عبد الله بن الحرث
فاقام عمر في ولايتها شهراً ثم جاه الحرث بن عبد الله بن ابي ربيعه المخزومي من
قبل ابن الزبير ويلقب القباع وفي ايامه سار نافع بن الازرق من البصره الى الاهواز
واما الكوفه فلما طرد يزيد بن الحرث بن رويم رسول ابن زياد اجتمع اهل الكوفه
على عمرو بن سعد بن ابي وقاص ثم عزلوه واجمعوا على عامر بن مسعود بن اميه بن خلف
ابن حذافه الجمحي وكتبوا بذلك الى ابن الزبير فاقره فاقام عاملا لاهل الكوفه وبلغه انسان

اهل الري فبعث محمد بن عمير بن عطارد التميمي فهزمه اهل الري فبعث اليهم
عتاب بن ورقاء التميمي فهزمهم وقتل ابرهيم الفرخان ثم قدم الكوفة من قبل ابن
الزبير عبد الله بن يزيد الخطمي على الصلاة وابرهيم بن طلحة على الخراج واستعمل
محمد بن الاشعث بن قيس على الموصل فاجتمع لابن الزبير اهل البصرة واهل الكوفة
ومن بالقبلة من العرب واهل الجزيرة واهل الاردن [illegible] مروان
و وقعة مرج راهط ولما بويع ابن الزبير بمكة بيعته الظاهرة ولى
على مصر عبد الرحمن بن جحدر الفهري وعلى المدينة عبيدة بن الزبير واخرج بني
امية فلحقوا بالشام وفيهم مروان بن الحكم فاقام هنالك ومر به الحصين بن
نمير مرجعه من مكة بعد موت يزيد فاخبره بما دار بينه وبين ابن الزبير
وحرض بني امية على طلب الامر وكان راي مروان ان يسير الى ابن الزبير فيبايع
له بالخلافة فقدم ابن زياد من العراق حين استضوا عليه واخرجوه فسفه
راي مروان في ذلك وحثه على طلب الامر لنفسه فقام لذلك وسار الى
دمشق والضحاك بن قيس يوميذ قد بايعه اهلها على الصلاة بهم حتى يجتمع النا
على امام وهواه مع ابن الزبير وهو يدعو له في السر وزفر بن الحرث الكلابي
بقنسرين على مثل رايه والنعمان بن بشير بحمص كذلك وكان بفلسطين حسان
ابن مالك بن بحدل الكلبي عامل معوية وابنه وهواه في بني امية فسار الى الاردن
واستخلف على فلسطين روح بن زنباع فاخرجه نائل بن قيس
وبايع لابن الزبير وبايع اهل الاردن حسان بن ملك على ان يجنبهم بيعة خالد
وعبد الله ابني يزيد لصغرهما وكتب حسان الى الضحاك يعظم حق بني امية
ويذم ابن الزبير بالفتنة وخلع الائمة وكتب مع الرسول نسخة كتابه وقال ان
لم يقراه الضحاك على الناس فاقرا انت هذا عليهم فلما دفع الكتاب الى الضحا
حبسه وصعد المنبر فلم يقراه فقرا الرسول نسخته على الناس فاضطربوا بين
مصدق لحسان ومكذب وتشاتموا ثم سكنوا وقضى الضحاك صلاة الجمعة
ودخل القصر ثم خرج الى المسجد واختلف قبائل قيس وكلب فقيس يدعوا
لابن الزبير ونصرة الضحاك وكلب يدعوا الى بني امية وهم اخوال عبد الله وخالد

ابن يزيد فاقتتلوا ثم افترقوا من يومهم وبعث الضحاك الى بني امية يعتذر
اليهم ويواعدهم الاجتماع بحسان بن بحدل بالجابية وكتبوا اليه جميعا بذلك
وساروا ليلحقوا الجابية ثم ثناه ثور بن معن السلمي عن رايه في ذلك خشية ان يميل
حسان الى ابن اخته خالد بن يزيد واشار عليه بالدعا لابن الزبير فرجع الضحاك
ونزل مرج راهط واجتمع بنو امية وحسان بالجابية واقام يصلي بهم اربعين يوما
وهم يتشاورون فاشار مالك بن هبيرة السكوني على الحصين بن نمير ببيعة خالد
لان اباه يزيد ابن اختهم فابى الحصين وقال تاتينا العرب بشيخ ونأتيها بصبي
فقال له مالك والله لئن ولي مروان ليكونن عبدا له ولقومه فانه ابو عشرة
واخو عشرة وعم عشرة ثم قام روح بن زنباع فخطب الناس وذكر فضل ابن عمر
وسابقته واشار الى ضعفه ثم ذكر ابن الزبير واثنى عليه بابيه وامه ثم ذكر
دخوله في الفتنة وسفك الدما وشق العصا وخلع الائمة ومثل هذا لا يكون
اماما فعليكم بمروان بن الحكم فلا تكون صدع الا شعبه ولا تعدلوا عن الكبير الى
الصغير ثم اجتمع رايهم على البيعة لمروان ثم لخالد بن يزيد ثم لعمرو بن سعيد بن
العاص على ان امرة دمشق لعمرو وامرة حمص لخالد وقال حسان لخالد ان الناس
ابوك لصغرك وما اريد الا اهل بيتك لكن نعلله نظر الكرم ثم بايعوا مروان
اول ذي القعدة سنة اربع وستين وسار الناس من الجابية الى الضحاك وقد
بعث الى النعمن بن بشير بحمص فامده بشرحبيل بن ذي الكلاع وامده زفر بن الحرث
باهل قنسرين ونائل بن قيس باهل فلسطين فاجتمع على مروان كلب وغسان والسكا
والسكون وجعل على ميمنته عمرو بن سعيد وعلى ميسرته عبيد الله بن زياد وثار
كان ضنيا به
على الضحاك بدمشق يزيد بن ابي النمس الغساني فاخرج عنها عامله وبايع لمروان
وامده بالاموال والرجال والسلاح واقتتل مروان والضحاك بمرج راهط عشرين
ليلة ثم انهزم الضحاك وقتله دحية بن عبد الله الكلبي وقتل معه في المعركة ثمانون
من اشراف اهل الشام واستلحمت قيس بالقتل وكانت الوقعة اخر سنة اربع
وستين وقيل في المحرم من سنة خمس واتي مروان براس الضحاك فساءه وبلغ
خبر الهزيمة الى النعمن بن بشير بحمص مع الليل فخرج هاربا منها باهله وبيته

[illegible]

وخرج في طلبه عمرو بن الحلي الكلاعي فقتله وجاء برأسه وهرب زفر بن الحرث
من قنسرين فلحق بقرقيسيا وعليها عياض الحرشي كان يزيد ولاه فخدعه وغلبه
عليها وتحصن بها واجتمعت اليه قيس وهرب نائل بن قيس الجذامي عن فلسطين
ولحق بابن الزبير بمكة واستعمل مروان بعده على فلسطين روح بن زنباع واستوسق
الشام لمروان وتزوج ام خالد بن يزيد وقيل ان عبيد الله بن زياد انما جاء الى بني
امية بتدمر ومروان يجمع على المسير لابن الزبير فثناه عن ذلك واخذ له البيعة
على بني امية واهل تدمر وساروا الى الضحاك فهزموه فلما ملك مروان الشام سار
الى مصر وعليها عبد الرحمن بن جحدر الفهري يدعو لابن الزبير فخرج للقائه وبعث
مروان عمرو بن سعيد فخالف عبد الرحمن الى مصر فرجع وانتقض امره وبايع الناس
مروان وملك مصر ورجع الى دمشق فبلغه ان مصعب بن الزبير اقبل في الجيوش
فبعث اليه عمرو بن سعيد وحال بينه وبين الشام وانهزم مصعب ورجع مروان
الى دمشق فاستقر بها وبعث عبيد الله بن زياد الى الجزيرة واذا فرغ منها سار
الى العراق وبعث حبيش بن دلجة القيني الى المدينة وعليها جابر بن الاسود
ابن عوف لعبد الله بن الزبير فهرب الى البصرة للتاحيش فسار اليهم وبعث عبد
الله بن الزبير عباس بن سهل بن سعد اميرا على المدينة ويسير في طلب حبيش حتى
يوافي عسكر البصرة فلحقهم بالربذة وقتل حبيش واعتصم من عسكره بالمدينة
خمس مائة فارس فقتلهم عباس وكان مع حبيش الحجاج وابوه يوسف بن
الحكم على جمل واحد وكان عمرو بن سعيد لما رجع من قتال مصعب بفلسطين
نمى عنه الى مروان انه يقول الامر لي من بعده فشكا ذلك الى حسان بن بحدل
فقام في الناس وقال بلغنا ان رجالا يتمنون اماني قوموا فبايعوا لعبد الملك وعبد
العزيز فبايعوا من عند آخرهم وولى ابن الزبير اخاه عبد الله على المدينة ثم عزله
وولى مصعبا انتقاض خراسان على سلم بن زياد واستقرارها لابن خازم
ولما بلغ الخبر بموت يزيد الى خراسان دعا سلم بن زياد الناس الى البيعة
على الرضى حتى يستقيم الناس على خليفة فبايعوه ثم نكثوا بعد شهرين وكان
محسنا محبا فخرج عنهم واستخلف المهلب بن ابي صفرة ولقيه سليمان بن مرثد

من بني قيس بن ثعلبة بن ربيعة فعدله على ولاية الازد واليمن والعدول عن ازدولاه
مرو والروذ والفارياب والطالقان والجوزجان وولى اوس بن ثعلبة بن زفر هراة
ثم لقيه عبد الله بن خازم السلمي بنيسابور فعدله في ولاية الازد وربيعة والعدول
عن مضر فكتب له بالعهد على خراسان واعطاه مائة الف درهم وسار ابن خازم الى
مرو وبلغ خبره المهلب فخرج منها الى العراق واستخلف رجلا من تميم فلما وصل ابن
خازم قاتله فغلبه على مرو ومات التميمي من جراحة اصابته ثم سار الى مرو الروذ
فقاتله سليمان وغلبه ابن خازم وقتله ثم سار الى الطالقان وبها عمرو بن مرثد اخو
سليمان فهزمه وقتله ولحق اصحابه باوس بن ثعلبة في هراة واجتمع اليهم من كان
بخراسان من بكر بن وائل ورجع ابن خازم الى مرو ثم سار الى هراة فخرج اوس وبكر
ابن وائل وخندقوا على انفسهم وقاتلهم ابن خازم سنة ثم هزمهم وقتلهم قتلا ذريعا
نحوا من ثمانية الاف وهرب اوس الى سجستان فهلك بها وغلب ابن خازم
على هراة واستعمل عليها ابنه محمدا وعلى شرطته بكير بن وشاح الثقفي ورجع الى مرو

مفارقة الخوارج لابن الزبير

كان الخوارج عند اشتداد ابن زياد عليهم بالكوفة ومسير العساكر من الشام
الى ابن الزبير قال لهم نافع بن الازرق منهم سيروا بنا الى ابن الزبير نجاهد معه ان
كان على راينا والا ندافع عن البيت فجاءوا اليه وقاتلوا معه اهل الشام ثم ارادوا
اختبار رايه فيهم فسالوه وقال ايتوني من الغداة وجمع اصحابه بالسلاح فلما جاءوا من الغد
ونظروا اليهم قال لهم ابن الازرق ان الرجل قد ازمع خلافكم ثم قال له عبيدة بن
هلال من الخوارج ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم يدعو الى الدين فاجابه
المسلمون وعمل فيهم بكتاب الله حتى قبضه الله واستخلف ابو بكر وعمر فعملا بالكتاب
والسنة ثم استخلف عثمان فحمى الاحماء وآثر القربى ورفع الدرة ووضع السوط ومزق
الكتاب وضرب منكري الجور وآوى طريد الرسول وضرب السابقين بالفضل
وحرمهم واخذ فيء الله الذي افاءه عليهم فقسمه في فساق قريش ومجان العرب
فسارت اليه طائفة فقتلوه فنحن اولياؤهم ومن ابن عفان واوليائه برآء فما تقول
انت فقال ابن الزبير اما الذي ذكرتم به النبي صلى الله عليه وسلم فهو فوقه وما ذكرتم به

ابا

ابا بكر وعمر بعد وبقيتم واصبتم وذهبت الذي ذكرتم به عثمان ولا اعلم احدا
من خلق الله اليوم اعلم بعثمان وامره مني نقموا عليه واستعتبوه فلم يدع شيئا الا
اعتبهم ثم جاءوه بكتاب له يامر بقتلهم يزعمون انه كتبه فقال ما كتبته وان لم تكن
بينة حلفت لكم فوالله ما جاءوا ببينة ولا استحلفوه ووثبوا عليه فقتلوه واما
ما عبتموه به فليس كذلك وانا اشهدكم ومن حضر اني ولي ابن عثمان وعدو اعدائه
قالوا فبرئ الله منك وتفرقوا فاقبل نافع ابن الازرق وعبد الله بن صفار وعبد
الله بن اباض وحنظلة بن بيهس وبنوا الماحوز عبد الله وعبيد الله والزبير وهم
من تميم حتى اتوا البصرة وانطلق ابو طالوت من بكر بن وايل وابو فديك من قيس بن ثعلبة
وعطية بن الاسود من يشكر فوثبوا باليمامة مع ابي طالب ثم تركوه واجتمعوا على نجدة بن
عامر الحنفي وكان من خبرهم ما يذكر عند ذكر الخوارج

خروج سليمن بن صرد في التوابين من الشيعة

لما قتل الحسين ورجع ابن زياد الى الكوفة تلاوم الشيعة على ما اضاعوا من
امر الحسين وانهم دعوه ثم لم ينصروه فندموا وقالوا لا كفارة لذلك الا القتل فالله
او الموت دون ذلك كما قال الله لبني اسرايل فتوبوا الى باريكم فاقتلوا انفسكم واجتمعوا
الى خمسة نفر من رؤسهم سليمن بن صرد الخزاعي وكانت له صحبة والمسيب بن
نجبة الفزاري وعبد الله بن سعد بن نفيل الازدي وعبد الله بن وال التيمي من تيم
بكر ورفاعة بن شداد البجلي وكانوا من خيار اصحاب علي واجتمعوا في منزل سليمن
ابن صرد وتفاوضوا في تلك الندامة واعترفوا بذنبهم واتفقوا على البيعة لسليمن
ابن صرد وطاعته واخرجوا من اموالهم للنفقة على ذوي الخلة من اشياعهم وحملوا
بعض ذلك وتفقته لعبد الله بن وال وكتب سليمن الى سعد بن حذيفة وهو بالمداين
بما اعتزموا عليه فقراه سعد على من هنالك من الشيعة فاجابوا بالموافقة والخروج
عند الاجل الذي ضرب لهم وكانوا يدعون الى ذلك في السر منذ مقتل الحسين والناس
يجيبونهم نفرا بعد نفر فلما هلك يزيد دعا بعضهم الى الوثوب على عمرو بن حريث خليفة
ابن زياد على الكوفة سرا فما ان الامر لا يستتب لهم بذلك لان قتلة الحسين هم جماعة
الكوفة فانصرفوا عن ذلك وبثوا الدعاة في النواحي واستجاب لهم الناس ثم اخرج اهل

ثم اخرج الكوفة عمرو بن حريث وبايعوا الابن [illegible] وقدم عبد الله بن يزيد
الخطمي اميرا على الكوفة من قبله في رمضان سنة ثلاث وستين ومعه ابرهيم بن محمد
ابن طلحة على الخراج والمختار بن ابي عبيد الثقفي وبلغ الى عبد الله بن يزيد الخطمي
خبر سليمن واصحابه التوابين واشير عليه بحبسهم وخوف عاقبة امرهم فقال نحن
تاركوهم ما تركونا وهم يطلبون قتلة الحسين ولسنا منهم ثم خطب بمثل ذلك
وقال والله ما قتلنا حسينا ولقد اصبنا بمقتله وهولاء القوم الذين تزعم انا لهم
امنون فيسيرون الى قاتل الحسين وهو ابن زياد فها هو على جسر منبج وهو سائر اليكم
فسيروا اليه وانا ظهر لكم عليه ولا تستأكل بعضكم بعضا فقام ابرهيم بن محمد بن طلحة فقال
ايها الناس لا يغرنكم مقالة هذا المداهن والله من خرج علينا لنقتلنه ومن علمنا خروجه
لناخذن الاب بالابن والولي بالولي والعريف بعرافته حتى يستقيم فوثب اليه
ابن جبه وعبد الله بن وائل واساوا عليه ثم تشاتموا ونزل الامير عن المنبر وخرج
اصحاب سليمن يشترون السلاح ويتجهزون والمختار يسفه رايهم في ذلك ويرى
انه ابصر منهم ه وكان سبب قدوم المختار الكوفة ان الشيعة كانت
تسب المختار بما كان منه في امر الحسن وانه اشار على عمه بالمداين ان يقبض عليه
لمعوية ولما جاء مسلم بن عقيل الى الكوفة نزل داره وبايعه ودعا له ثم جاء يوم خروجه
من قريته يظاهر الكوفة ففاته امر ابن عقيل ووقع في يد ابن حريث فامنه ثم رفع
عمارة بن الوليد امره الى عبيد الله فاعتذر بانه كان مع ابن حريث وشهد له فضرب
عبيد الله وجهه بقضيب شتر عينه وحبسه حتى قتل الحسين فبعث الى عبد الله
ابن عمر ان يشفع فيه الى ابن زياد وكان زوج اخته صفية بنت ابي عبيد فشفعه
على ان لا يقيم بالكوفة فخرج الى الحجاز وسال في طريقه عن ابن الزبير فقيل انه عائذ
بالبيت ويبايع سرا ولو كثر جمعه لظهر فقال هذه فتنة فاعزم المختار على الطلب
بدم الحسين من بعيد وقدم على ابن الزبير فاخبره خبر العراق ودعاه الى البيعة فكتم
امره عنه ففارقه وغاب بالطايف سنة ثم رجع الى مكة ولم يات ابن الزبير وكان
قد طلب امره فدس عليه ابن الزبير عباس بن سهل بن سعد فلقيه وعدله على تاخره
عن ابن الزبير فقال لم ينتهي الي الا استغنا ما استغني عنه فحمله على لقاية معه

وحضر اعند ابن الزبير ليلا وقال ابايعك على ان لا يقضي امرا دوني واكون لم يعقب هذه الحالة

اول داخل وتوليني افضل عملك فقال ابن الزبير ابايعك على كتاب الله وسنة

رسوله فقال لا ابايعه ابن الزبير على ما احب وشهد معه قتال الحصين بن نمير

وابلى فيه فلما هلك يزيد واطاع اهل العراق ابن الزبير فاذا هو لا يستعمله وبلغه

الخبر عن الشيعة بالكوفة ففارق ابن الزبير اليهم وقدم الكوفة فنزل بداره واختلفت اليه

الشيعة وجاءه رؤوس الناس من كندة وبني هند واخبروه بخبر سليمن بن صرد واصحابه

وانهم على المسير فقال ان ابن الزبير بعثني اليكم وامرني بقتال الملحدين والطلب بدم

اهل البيت والدفع عن الضعفا فبايعوه وبعث الى الشيعة الذين عند سليمن بن صرد

بمثل ذلك ودعاهم الى طاعته واستمالهم عن سليمن فمال اليه طايفة منهم وخرج

سليمن نحو الجزيرة لشانه وجا الناس الى الامير عبد الله بن يزيد الخطمي وصاحبه

ابرهيم بن محمد بن طلحة منهم شبث بن ربعي ويزيد بن الحرث بن رويم فقالوا لهما ان

المختار يريد ان يثب عليكم وهو اشد من سليمن وجاوا به فقال عبد الله ما كنت

لاخذ احدا على الظنة وتولى ابرهيم امره وحبسه وقيل انما جا المختار الى الكوفة

بامر ابن الزبير وانه قال له ابعثني استخرج لك جندا من شيعة على قتال اهل

الشام فبعثه حتى اذا اجتمع اليه الناس وثب على ابن مطيع عامل ابن الزبير بالكوفة

وكتب اليه ان ابن مطيع داهن وراسل عبد الملك فاخرجته ٥ واما سليمن بن

صرد فخرج في ربيع سنة خمس وستين ونزل النخيلة ثم استقل عدد الناس وارسل

من نادى في الكوفة بثار الحسين فجا بعض وتثاقل بعض والمقام ريثبطهم فاقام بالنخيلة

ثلاثا ثم سار في اربعة الاف ونادى فيهم من اراد الدنيا ومتاعها في الفي والغنيمة فليس

وليس معنا الا سيوفنا وزاد البلغة واتقى ثم اشار بعضهم بالرجوع الى الكوفة وقتاله

قتلة الحسين فاكثرهم هنالك فقال سليمن انما قتله الذي عبى الجنود اليه ومنعه

الامان حتى يستسلم وهو ابن زياد ومن بعده اهون منه ولحقه امير الكوفة عبد الله

ابن يزيد وابرهيم بن محمد فعذلاه في المسير واشارا عليه بالرجوع حتى يجمعوا جميعا

لهذا العدو فنلقاه بجمع كثيف وقد كان بلغهم اقبال عبيد الله بن زياد من الشام

في الجنود فلم يوافقهما سليمن ولا اصحابه وساروا لوجههم وتخلف عنهم كثير من

اصحابهم ثم انتهوا الى قبر الحسين فصاحوا وبكوا وجددوا التوبة من خذلانه
واقاموا عنده يوما وليلة فزادهم ذلك حنقا وبلغهم كتاب عبد الله بن يزيد ينهيهم
عن المسير فابوا واستماتوا ثم انتهوا الى قرقيسيا على تعبيه وبها زفر بن الحرث الكلابي
متحصنا من مروان وقومه ودخل اليه المسيب بن نجبه يطلبه في السوق لاصحابه فامر
ابنه الهذيل فاخرج لهم سوقا وبعث اليهم بعلف ودقيق وجزار استغنوا بها عن السوق
الا في غير الطعام واعطى المسيب الف درهم وفرسا فاخذ الفرس ورد المال ثم خرج
زفر من الغداة يودعهم واخبرهم بمسير الجنود اليهم وانهم عدة كثيرة وان امراهم
الحصين بن نمير وشرحبيل بن ذي الكلاع وادهم بن محرز وجبله بن عبد الله الخثعمي
وعبيد الله بن زياد فاقيموا معنا ولنقاتلهم جميعا فابى سليمان واصحابه من ذلك فاشار
عليهم بوجه الراي في المسير والحرب وودعهم فساروا مجدين الى عين الوردة فاقاموا
بها خمسا واراحوا حتى اذا كانت عساكر الشام على يوم وليلة عنهم خطبهم سليمان بن صرد
وحرضهم وقال ان قتلت فامير الناس المسيب بن نجبه فان قتل فعبد الله بن سعد بن نفيل
فان قتل فعبد الله بن وال فان قتل فرفاعه بن شداد ثم سرح المسيب في اربعمايه فارس
يشن عليهم الغارة فان راى ما احب والا رجع فسار يومه وليلته وجاء اصحابه ناعرا
فسالوه عن العسكر فقال ادنى عسكر منكم شرحبيل بن ذي الكلاع على ميل وقد
اختلف هو والحصين بن نمير في الامارة وهما ينتظران امر ابن زياد فاغدوا اليهم السير
واشرفوا عليهم وهم غارون وحملوا فانهزم العسكر وغنم اصحاب المسيب ما فيه
ورجعوا الى اصحابهم موفورين وسرح ابن زياد الحصين بن نمير مسرعا حتى نزل في اثني
عشر الفا ثم تراجعوا على التعبيه ولما دنا بعضهم من بعض دعاهم اهل الشام الى
الجماعه على مروان ودعاهم اصحاب سليمان الى تسليم عبيد الله بن زياد اليهم ولهم خروج
اصحاب ابن الزبير من العراق ويرد الامر الى اهل البيت ثم اقتتلوا وكان الظهور لسليمان
واصحابه على الحصين وامده ابن زياد بثمانيه الاف فاقتتلوا من الغد على السواء وتحاجزوا
عند المساء ولما اصبح اهل الشام اتاهم ادهم بن محرز الباهلي في عشرة الاف مددا
فقاتلوهم يوم الجمعه الى ارتفاع الضحى ولما راى سليمان كثرتهم وما لقي اصحابه منهم
كسر جفن سيفه واستمات واتبعه ناس منهم فقتلوا من اهل الشام مقتله عظيمه ثم قتل

سليمن وبعد المسيب بن نجبة بعد ان حمل مرارا واخذ الراية عبد الله بن سعد

ابن نفيل فقاتل وجاءه وهو في القتال الخبر عن عبد الله بن سعد بن حذيفة بمدد

اهل المداين في سبعين ومائة ومدد اهل البصرة مع المثنى بن مخربة في ثلاثمائة

فقال لو كان ذلك ونحن احياء ثم قتل عبد الله بن سعد ونادوا عبد الله بن وال

فاذا هو قد اصطلى الحرب فحمل رفاعة بن شداد حتى كشف عنه اهل الشام وجا

فاخذ الراية وقاتل واستماتوا وتولى قتالهم عند المساء ادهم بن محرز فقتل عبد

الله بن وال وهو مقبل واراد رفاعة بن شداد الانصراف بالناس فقال له بعض

اصحابه لا تفعل حتى يغشانا الليل فنسير في دجنه على مهل فلما امسوا رجع اهل

الشام الى معسكرهم واصحاب رفاعة الى معسكرهم وقد قتل عامتهم وفشت الجراح

فيهم وفي خيلهم فسار بالناس ليلته واصبح الحصين فلم يرهم وانتهوا الى قرقيسيا

فاضافهم زفر ثلاثا وزودهم الى الكوفة وبلغ سعد بن حذيفة ابن اليمان في اهل

المداين الى هيت فلقيه خبرهم فرجع ولقيه المثنى بن مخربة العبدي في اهل

البصرة بصدد واقاموا حتى جاء رفاعة واصحابه فاستقبلوه وبكوا واقاموا الى

بلادهم ودخل رفاعة الكوفة وبعث اليه المختار بن ابي عبيد وهو محبوس

يدعو الى طاعته في الطلب بدما اهل البيت وجهاد المحلين وان سليمن لم

يكن صاحبكم الذي تنصرونه وبلغ الخبر عبد الملك بن مروان بن الحكم فخطب

الناس واعلمهم بموت سليمن بن صرد واصحابه ٥

وفاة مروان وبيعة عبد الملك

كان مروان عهد ولايته تزوج ام خالد بن يزيد وهي بنت هاشم بن عتبة واراد

ان يصغره بذلك لما كان حسان بن بحدل يميل اليه ودخل خالد يوما على مروان

يمشي بين السماطين فقال مروان انه لاحمق تعال يا ابن الرطبة الاست يسقطه

من عين اهل الشام فرجع لامه فقالت اكتم خبرك وانا اكفيك ودخل عليها مروان

فقال هل قال لك خالد شيا قالت هو اشد لك تعظيما من هذا ثم نام عندها

يوما فغطته بالوسادة فقتلته واراد عبد الملك ان يثار منها فقيل له لا يسمع ان امراة

قتلت اباك ولما توفي مروان بايع الناس لعبد الملك بعهد ابيه واجتمعوا عليه وبايع

له اخوه عبد العزيز بمصر

فتنة خراسان

قد تقدم لنا كيف صارت لابن خازم وكيف اعانه بنو تميم على ربيعة فلما صفى له الامر جفا بني تميم وقد كان جعل ابنه محمداً على هراه وعلى شرطته بكير بن وشاح وضم اليه شماس بن دثار العطاردي وكانت ام محمد تميمية فلما جفا ابن خازم بني تميم لحقوا بهراه فكتب الى ابنه محمد والى بكير وشماس يمنعهم عنها فخرج شماس وصار معهم ومنعهم بكير من هراه وبعث الى شماس بالاموال له ولبني تميم على ابن خازم فاباوا وا قبلوا يترصدون محمداً حتى اخذوه وهو يتصيد فقتلوه فاوثقوه ثم اختلفوا فيه بين الامتناع والقتل ثم امضوا قتله برجلين قتلهما منهم وولوا عليهم الحريش بن هلال واقبلوا الى مرو وحاربوا عبد الله بن خازم سنتين ثم دعاه الحريش الى المبارزة فتبارزوا وضرب الحريش ابن خازم على راسه فقطع فروته وانقطع ركابا الحريش وافترقا ثم ملّ الفريقان وافترقوا وافترقت تميم ثلاث فرق فرقة مع بحير بن ورقا الى نيسابور وفرقة الى ناحية اخرى وفرقة مع الحريش الى مرو الرودي ولحقه ابن خازم ببعض قراها وقد افترق عنه اصحابه وهو في اثنى عشر رجلاً وحمل عليه مولى لابن خازم فقتله الحريش وقال لابن خازم ما تريد مني وقد خليتك والبلاد ولا اعود فصالحه على ذلك واعطاه ابن خازم اربعين الفاً وضمن له قضاء دينه وفتح له الحريش باب القصر فدخله ولجات فرقة منهم الى بعض حصون خراسان فولوا امرهم عثمان بن بشر المازني وكانوا فرسان بني تميم واشجعانهم فحاصرهم ابن خازم في سنة الاف وكان زهير ابن ذويب شجاعاً فحسا فخطر فيهم ورجع ثم يوماً اخر كذلك ثم نزلوا بعد ذلك على حكمه واشار عليهم زهير بان لا يفعلوا فلم يطيعوه فلما خرجوا قتل جميعهم وزهيراً معهم واستبقا ثلثه منهم ثم رجع ابن خازم الى قتال بحير بن ورقا التميمي الصريمي بنيسابور

وثوب المختار بالكوفة واخباره

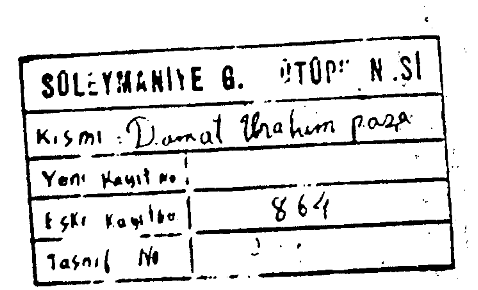
لما قتل سليمان بن صرد وقدم فل الشيعة الى الكوفة وكان المختار محبوساً كما مر كتب اليهم من السجن يعدهم ويمنيهم ويعرفهم انه الذي بعثه ابن الحنفية لطلب الثار فقرا كتابه رفاعة بن شداد والمثنى بن مخربه العبدي وسعد بن حذيفة بن اليمان ويزيد بن انس واحمد بن شميط البجلي وعبد الله بن شداد

البلى وبعثوا اليه عبيد الله بن كامل منهم انا نحب برك وان شئت ان ناتيك
ونخرجك من الحبس فعلنا فسر بذلك وامهلهم ثم شفع فيه ابن عمر الى عبد الله
ابن يزيد وابرهيم بن محمد بن طلحة فاطلقاه واستحلفاه ان لا يخرج عليهما ولزم
داره واختلفت اليه الشيعة وبايعوه وقوي امره ثم عزل ابن الزبير ابرهيم
ابن محمد بن طلحة وعبد الله بن يزيد واستعمل على الكوفة عبد الله بن مطيع فقدمها
في رمضان سنة خمس وستين وخطب الناس بان ابن الزبير امره ان لا يقسم
فيهم في غيرهم وان يسير فيهم بسيرة عمر وعثمان ثم توعدهم على الخلاف فقالوا
اما فينا فلا يكون فيه غير ذلك واما السيرة فسيرة علي التي سار بها في بلادنا
ولا حاجة لنا في سيرة عثمان ولا عمر فقال ابن مطيع نسير بكل سيرة ترضونها ثم بلغه ان
المختار يدعو الى اهل البيت ومن اجتمع له واشاروا عليه بحبسه فبعث عنه فاعتذر
بالمرض وارتاب اصحاب المختار فيما ابلغهم عن ابن الحنفية فساروا اليه الى مكة
يسالونه واستاذنوه في اتباعه فقال وددت ان الله انتصر لنا من عدونا بمن يشاء من
خلقه فرجعوا واخبروا بذلك المختار وقالوا له قد امرنا بنصرك فجمع الشيعة واخبرهم
بما قدم به اصحابهم من عند ابن الحنفية وانه اخبرهم انه وزيره وظهيره ورسوله
وامركم باتباعي وطاعتي فيما ادعوكم اليه من قتال المحلين والطلب بدماء اهل البيت
وشهد الوافدون بذلك فاجتمعت الشيعة ومن جملتهم الشعبي وابوه شراحيل واشار
عليه بعض اصحابه بدعاء ابرهيم بن الاشتر ليقوى امرهم به فمضى اليه الشعبي في جماعة
منهم وذكروا تقدم ابيه في ولاية علي ودعاه الى الطلب بدم الحسين واصحابه فقال
على ان تولوني فقالوا انه جاء المختار بتوليه ابن الحنفية وقد امرنا بطاعته فسكت ابرهيم
ثم جاءه المختار بكتاب ابن الحنفية الى ابرهيم يساله النصر ويعده بالولاية العامة
وفيه من محمد المهدي الى ابرهيم بن مالك الاشتر ودفعه اليه الشعبي فقراه وقال
ما كان ابن الحنفية يكاتبني فلا يزيد على اسمه واسم ابيه فشهد جماعة منهم انه
كتابه وسكت الشعبي فساله ابرهيم بعد انصرافهم فقال هولاء الذين شهدوا سادة
القراء ومشيخة المصر وفرسان العرب فكتب اسماءهم عنده ثم حمل عشيرته على اتباع
المختار فصار يختلف اليه وتواعدوا للخروج منتصف ربيع سنة ست وستين

ونما الخبر الى ابن مطيع فبعث الى رؤوس الناس في كل ناحية من الكوفة يوعظهم
لذلك وان لا يؤتى من قبلهم فاستعدوا وركب اياس بن مضارب في الشرط واحاط
بالسوق والقصر ثم ركب ابرهيم بن الاشتر يريد المختار قبل الموعد بليلتين وهو
مظهر للسلاح ولقي اياس بن مضارب فارتاب به واراده على الاتيان لابن مطيع
فابى وطعنه فقتله فافترق اصحاب اياس وجاءوا الى ابن مطيع وولى مكانه ابنه
راشدا على الشرطة ومضى ابرهيم الى المختار واخبره الخبر وبعثوا في الشيعة ونادوا
يا لثارات الحسين ومضى ابرهيم الى النخع فاستركبهم وسار بهم في المدينة ليلا وهو يجتنب
المواضع التي فيها الامراء ثم لقي بعضهم فهزمهم ثم اخرين كذلك ثم رجع الى المختار فوجد
شبث بن ربعي وحجار بن ابجر العجلي يقاتلانه فهزمهما وجاء شبث الى ابن مطيع فلما
عليه جمع الناس والنهوض الى القوم فقد قوي امرهم فركب واجتمع الناس وتوافى
الى المختار نحو اربعة الاف من الشيعة وبعث ابن مطيع شبث بن ربعي في ثلاثة
الاف وراشد بن اياس في اربعة الاف فسرح اليهم المختار ابرهيم بن الاشتر
لراشد في ستماية فارس وستماية راجل ونعيم بن هبيرة لشبث في ثلثماية فارس
وستماية راجل واقتتلوا من بعد صلاة الصبح وقتل نعيم ووهن المختار لقتله وظهر
شبث واصحابه عليهم وقاتل ابرهيم بن الاشتر راشد بن اياس فقتله وانهزم اصحابه
وركبهم القتل وبعث ابن مطيع جيشا كثيفا فهزمهم ابرهيم ثم حمل على شبث فهزمه
وزحف المختار فمنعه الرماة من دخول الكوفة ورجع المنهزمون الى ابن مطيع فدهش
فشجعه عمرو بن الحجاج الزبيدي وقال له اخرج واندب الناس ففعل وقام في الناس
ووبخهم على هزيمتهم وندبهم ثم بعث عمرو بن الحجاج في الفين وشمر بن ذي الجوشن
في الفين ونوفل بن مساحق في خمسة الاف ووقف هو بكناسة واستخلف على القصر
شبث بن ربعي فحمل ابن الاشتر على ابن مساحق فهزمه واسره ثم من عليه ودخل ابن
مطيع القصر وحاصره ابرهيم بن الاشتر ثلاثا ومعه يزيد بن انس واحمر بن شميط ولما
اشتد الحصار على ابن مطيع اشار عليه شبث بن ربعي بان يستامن للمختار ويلحق بابن
الزبير فلما امسى خرج عنهم مستترا ونزل دار ابي موسى واستامن القوم للمختار فدخل
القصر وغدا على الناس في المسجد فخطبهم ودعاهم الى بيعة ابن الحنفية فبايعه اشراف

يذكر على منابر هذه الايالة تعظيما لبيتهم الطاهر وجريا على سنن السلف منهم
وكمال الايمان في محبتهم وتوفيه لشروط الامامة ببيعتهم وما زال ملوك
الهند وغيرهم من ملوك الاسلام بالنواحي يطلبون التقليد منه ومن سلفه بمصر
ويكاتبون في ذلك ملوك الترك بها من بني قلاون وغيرهم فيجيبونهم الى ذلك
ويبعثون اليهم بالتقليد والخلع والالوية بالشعار العباسي على العادة القديمة
ببغداد والله حافظ سياج الاسلام والامة ومؤيد القايمين بامورهم بمواد التأييد
والاعانة من الله وفضله تم الجزء الثالث من تاريخ ابن خلدون المسمى
بالعبر

ويليه في الجزء الرابع اخبار الدولة العلوية المزاحمة لدولة
بني العباس





ثبت المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولا : المصادر المخطوطة .

ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)

(١) تاريخ ابن خلـدون المسمـى ديوان المبتـدأ والخبر فى تاريخ العـرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر . الجزء الثالث .

تاريخ . خط نسخ واضح .

استنبول . المكتبة السليمانية . قطعة مفقودة من الأصل .

رقم : ٨٦٤ . نسخة مصورة

٣٦٣ ورقة ـ ٢٥ سطر .

ثانيا : المصادر المطبوعة .

آبادى : أبى الطيب محمد شمس الحق العظيم (ولد ١٢٧٣هـ/١٨٩٦م)
(٢) عون المعبود شرح سنن أبى داود
تحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان .
الطبعة الثانية ، المدينة المنورة .
المكتبة السلفية : ١٣٨٨هـ .
ابن الأثير : عز الدين أبى الحسن على بن أبى الكرم محمد بن عبد الكريم الشيبانى (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)
(٣) الكامل فى التاريخ
بيروت .دار صادر : ١٤٠٢هـ .
(٤) أسد الغابة فى معرفة الصحابة
بيروت . دار احياء التراث العربى .
ابن الأحمر : أبى الوليد اسماعيل بن يوسف بن الأحمر الغرناطى الأندلسى (ت ٨٠٧هـ/١٤٠٥م)
(٥) أعلام المغرب والأندلس فى القرن الثامن وهو كتاب نثير الجمان فى شعر من نظمنى واياه الزمان
تحقيق : محمد رضوان الداية .
الطبعة الأولى . بيروت .
مؤسسة الرسالة : ١٣٩٦هـ .
(٦) نثير فرائد الجمان فى نظم فحول الزمان
تحقيق : محمد رضوان الداية .
بيروت . دار الثقافة : ١٩٦٧م .
الأصفهانى : أبى الفرج على بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م)
(٧) مقاتل الطالبيين . تحقيق : السيد أحمد صقر .
بيروت . دار المعرفة للطباعة والنشر .
توزيع دار الباز للنشر والتوزيع . مكة المكرمة .

ابن أعثم : أبى محمد أحمد بن أعثم الكوفى ت نحو (٣١٤هـ/٩٢٦م)
(٨) كتاب الفتوح
بيروت . دار الندوة الجديدة .
البستى : محمد بن حبان (ت ٣٥٤هـ/٩٦٥م)
(٩) مشاهير علماء الأمصار
دار الكتب العلمية .
ابن بطوطة : محمد بن عبد الله اللواتى الطنجى (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)
(١٠) تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار
تحقيق محمد عبد المنعم العريان .
الطبعة الأولى . بيروت .
دار احياء العلوم : ١٤٠٧هـ .
البغدادى : عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادى (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م)
(١١) الفرق بين الفرق . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .
بيروت . دار المعرفة .
البكرى : أبى عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكرى الأندلسى (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)
(١٢) معجم مااستعجم من أسماء البلاد والمواضع . تحقيق : مصطفى السقا .
بيروت . عالم الكتب .
الترمذى : محمد بن عيسى بن سوره الترمذى (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م)
(١٣) الجامع الصحيح المسمى سنن الترمذى . تحقيق : أحمد محمد شاكر .
بيروت . دار الكتب العلمية .
ابن تغرى بردى : جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى (ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م)
(١٤) الدليل الشافى على المنهل الصافى . تحقيق : فهيم محمد شلتوت .
القاهرة . مكتبة الخانجى .
نشر جامعة أم القرى بمكة .

(١٥) المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى . تحقيق : محمد محمد أمين .
الهيئة المصرية العامة للكتاب : ١٩٨٤م
(١٦) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة
القاهرة . المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .
نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب : ١٣٨٣هـ .
ابن تيمية : أبى العباس تقى الدين أحمد بن عبد الحليم (ت٧٢٨هـ/١٣٢٧م)
(١٧) منهاج السنة النبوية
بيروت . دار الكتب العلمية .
ابن جبير : أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكنانى الأندلسى الشاطبى البلنسى (ت٦١٤هـ/١٢١٧م)
(١٨) رحلة ابن جبير
بيروت . دار بيروت للطباعة والنشر : ١٤٠٤هـ .
ابن حزم : أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م)
(١٩) جمهرة أنساب العرب
بيروت . دار الكتب العلمية .
(٢٠) رسائل ابن حزم الأندلسى . تحقيق : احسان عباس .
الطبعة الثانية . بيروت .
المؤسسة العربية للدراسات والنشر : ١٩٨٧م .
(٢١) الفصل فى الملل والأهواء والنحل
مكتبة السلام العالمية .
الحموى : شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)
(٢٢) معجم البلدان
بيروت . دار صادر ودار بيروت : ١٤٠٤هـ .
خسرو : أبى معين الدين ناصر خسرو القبادياني المروزى (ت٤٨١هـ/١٠٨٨م)

(٢٣) سفرنامه رحلة ناصر خسرو القبادياني . ترجمة : أحمد خالد البدلى .
الطبعة الأولى . الرياض .
مطابع جامعة الملك سعود : ١٤٠٣هـ .
ابن الخطيب : لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد السلمانى (ت٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)
(٢٤) الاحاطة فى أخبار غرناطة . تحقيق : محمد عبد الله عنان .
الطبعة الثانية . القاهرة .
الشركة المصرية للطباعة والنشر . نشر مكتبة الخانجى بالقاهرة : ١٣٩٣هـ
ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)
(٢٥) تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر
الطبعة الثانية . بيروت .
دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع : ١٤٠٨هـ
(٢٦) التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا . تحقيق : محمد بن تاويت الطنجى .
القاهرة . لجنة التأليف والترجمة والنشر : ١٣٧٠هـ .
(٢٧) مقدمة ابن خلدون . تحقيق : على عبد الواحد وافى .
الطبعة الثالثة . القاهرة .
دار نهضة مصر للطبع والنشر .
ابن خلكان : أبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)
(٢٨) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . تحقيق : احسان عباس .
بيروت . دار صادر .
ابن خياط : أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبى هبيرة (ت٢٤٠هـ/٨٥٤م)
(٢٩) تاريخ خليفة بن خياط . تحقيق : أكرم ضياء العمرى .
الطبعة الثانية . الرياض .
دار طيبة للنشر والتوزيع : ١٤٠٥هـ .

ابن دقماق : ابراهيم بن محمد بن ايدمر العلائى (ت٨٠٩هـ/١٠٤٦م)
(٣٠) الجوهر الثمين فى سير الخلفاء والملوك والسلاطين . تحقيق : سعيد عبد الفتاح عاشور .
مكة المكرمة . جامعة أم القرى .
مركز البحث العلمى واحياء التراث الاسلامى .
الديار بكرى : حسين بن محمد بن الحسن (ت٩٦٦هـ/١٥٥٩م)
(٣١) تاريخ الخميس فى أحوال أنفس نفيس
بيروت . مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع .
الدنيورى : أبى حنيفة بن داود (ت٢٨٢هـ/٨٩٥م)
(٣٢) الأخبار الطوال
بيروت . دار الفكر الحديث للطباعة والنشر : ١٩٨٨م.
الذهبى : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله التركمانى الأصل الدمشقى (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)
(٣٣) العبر فى خبر من غبر . تحقيق : أبو هاجر محمد السعيد بن بسيونى زغلول .
الطبعة الأولى . بيروت .
دار الكتب العلمية : ١٤٠٥هـ .
(٣٤) تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام . المغازى . تحقيق:عمرعبد السلام تدمرى .
الطبعة الأولى . بيروت .
دار الكتاب العربى : ١٤٠٧هـ .
(٣٥) سير أعلام النبلاء . تحقيق : شعيب الأرناؤوط وآخرون .
الطبعة الثانية . بيروت .
مؤسسة الرسالة : ١٤٠٢هـ .
السخاوى : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م)
(٣٦) الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ
بيروت . دار الكتاب العربى : ١٤٠٣هـ .

(٣٧) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع
بيروت . نشر دار مكتبة الحياة .
ابن سعد : محمد بن سعد بن منيع البصرى الزهرى (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م)
(٣٨) الطبقات الكبرى
بيروت . دار صادر .
السيوطى : جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)
(٣٩) بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة . تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم .
الطبعة الأولى . مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه : ١٣٨٤هـ .
(٤٠) تاريخ الخلفاء
الطبعة الرابعة . دار مصر للطباعة : ١٣٨٩هـ .
الشهرستانى : أبو الفتح محمد بن أبى القاسم عبد الكريم بن أبى بكر أحمد (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م)
(٤١) الملل والنحل
مكتبة السلام العالمية .
الشوكانى : محمد بن على (ت١٢٥٠هـ/١٨٣٤م)
(٤٢) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع
بيروت . دار المعرفة .
ابن أبى الضياف : أبو العباس أحمد بن عمر أحمد بن نصر (ت١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م)
(٤٣) اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان . تحقيق : لجنة من كتابة الدولة للشئون الثقافية والأخبار .
تونس . نشر كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار : ١٩٦٣م .
الطبرى : أبى جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)
(٤٤) تاريخ الرسل والملوك . تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم .
الطبعة الرابعة .
القاهرة . دار المعارف : ١٣٨٠هـ .

الطرطوشى : محمد بن الوليد (ت٥٢٠هـ/١١٢٦م)
(٤٥) سراج الملوك
تحقيق : جعفر البياتى . ط١ . رياض الريس للكتب والنشر : ١٩٩٠م .
ابن الطقطقا : محمد بن على بن طباطبا (ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م)
(٤٦) الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الاسلامية
بيروت . دار بيروت للطباعة والنشر : ١٤٠٠هـ .
ابن العبرى : أبو الفرج غوريغوريوس بن أهرون الطبيب الملطى (ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)
(٤٧) تاريخ مختصر الدول
لبنان . دار الرائد اللبنانى : ١٤٠٣هـ .
ابن العربى : أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد (ت٥٤٣هـ/١١٤٨م)
(٤٨) العواصم من القواصم فى تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم . تحقيق : محب الدين الخطيب .
الطبعة الثانية . بيروت .
دار الجيل : ١٤٠٧هـ .
العسقلانى : شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن على بن حجر (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)
(٤٩) انباء الغمر بأنباء العمر . تحقيق : حسن حبشى .
القاهرة . المجلس الأعلى للشئون الاسلامية : ١٣٨٩هـ .
(٥٠) رفع الاصر عن قضاة مصر . تحقيق : حامد عبد المجيد وآخرون .
القاهرة . المطبعة الأميرية .
نشر وزارة التربية والتعليم : ١٩٥٧م .
(٥١) تهذيب التهذيب
الطبعة الأولى . حيدر آباد .
مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية : ١٣٢٥هـ .

(٥٢) الاصابة فى تمييز الصحابة
بيروت . دار الكتاب العربى .
(٥٣) فتح البارى شرح صحيح البخارى . تحقيق : الشيخ عبد العزيز بن باز
بيروت . دار المعرفة .
ابن العماد : أبى الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)
(٥٤) شذرات الذهب فى أخبار من ذهب
الطبعة الأولى . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع : ١٣٩٩هـ .
العمرى : ياسين الخطيب العمرى بن خير الله الخطيب العمرى الموصلى ت بعد (١٢٣٢هـ/١٨١٧م)
(٥٥) الروضة الفيحاء فى تواريخ النساء . تحقيق : عماد على حمزة .
الطبعة الأولى . الدار العالمية للطباعة والنشر : ١٤٠٧هـ .
الغزالى : أبى حامد الغزالى الطوسى (ت٥٠٥هـ/١١١١م)
(٥٦) الحكمة فى مخلوقات الله . تحقيق : محمد رشيد رضا قبانى .
الطبعة الثانية . بيروت .
دار احياء العلوم : ١٤٠٤هـ .
الفيروز آبادى : مجد الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ/١٤١٤م)
(٥٧) القاموس المحيط
بيروت . دار المعرفة .
ابن قتيبة : أبى محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينورى (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م)
(٥٨) الامامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء . تحقيق : طه محمد الزينى .
بيروت . دار المعرفة .
(٥٩) عيون الأخبار
الطبعة الأولى . بيروت .
دار الكتب العلمية : ١٤٠٦هـ .

القرطبى : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبى المالكى (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م)
(٦٠) الاستيعاب فى أسماء الأصحاب
بيروت . دار الكتاب العربى .
القزوينى : زكريا بن محمد بن محمود (ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م)
(٦١) آثار البلاد وأخبار العباد
بيروت . دار بيروت للطباعة والنشر : ١٤٠٤هـ .
القشيرى : أبى الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى (ت٢٦١هـ/٨٧٤م)
(٦٢) الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم
بيروت . دار المعرفة.
القلقشندى : أبى العباس أحمد بن على بن أحمد بن عبد الله (ت٨٢٠هـ/١٤١٧م)
(٦٣) مآثر الانافة فى معالم الخلافة . تحقيق : عبد الستار أحمد فراج .
بيروت . عالم الكتب .
ابن قنفذ القسنطينى : أبو العباس أحمد بن حسن بن على بن الخطيب (ت٨١٠هـ/١٤٠٧م)
(٦٤) كتاب الوفيات . تحقيق : عادل نويهض .
الطبعة الرابعة . بيروت .
دار الآفاق الجديدة ١٤٠٣هـ .
ابن كثير : أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقى (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)
(٦٥) البداية والنهاية
طبع ونشر دار الفكر . بيروت . ومكتبة الرياض الحديثة . الرياض : ١٤٠٢هـ .
الكندى : أبى عمر محمد بن يوسف الكندى المصرى (ت٣٥٠هـ/٩٦١م)
(٦٦) تاريخ ولاة مصر

الطبعة الأولى . بيروت .
مؤسسة الكتب الثقافية : ١٤٠٧هـ .
ابن مزاحم : نصر بن مزاحم المنقرى (ت٢١٢هـ/٨٢٧م)
(٦٧) وقعة صفين . تحقيق : عبد السلام محمد هارون .
الطبعة الثالثة . القاهرة .
مكتبة الخانجى بمصر . المؤسسة العربية الحديثة للنشر والتوزيع : ١٤٠١هـ
المسعودى : أبى الحسن على بن الحسين بن على المسعودى (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)
(٦٨) مروج الذهب ومعادن الجوهر
الطبعة الثالثة . بيروت .
دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع : ١٩٧٨م .
(٦٩) التنبيه والاشراف
بيروت . دار ومكتبة الهلال : ١٩٨١م .
المقرى : أحمد بن محمد بن أحمد التلمسانى (ت١٠٤١هـ/١٦٣١م)
(٧٠) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب . تحقيق : احسان عباس .
بيروت . دار صادر : ١٣٨٨هـ .
المقريزى : تقى الدين أحمد بن على المقريزى (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)
(٧١) خطط المقريزى
طبعة بولاق . نشر دار التحرير مصر : ١٩٧٠م .
(٧٢) كتاب السلوك فى معرفة دول الملوك . تحقيق : سعيد عبد الفتاح عاشور .
القاهرة . مطبعة دار الكتب : ١٩٧٠م .
ابن منظور : جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقى المصرى (ت٧١١هـ/١٣١١م)
(٧٣) لسان العرب . تحقيق : عبد الله على الكبير ، محمد أحمد حسب الله هاشم محمد الشاذلى .
القاهرة . دار المعارف .

ابن النديم : محمد بن اسحاق النديم (ت٣٨٥هـ/٩٩٥م)
(٧٤) الفهرست
بيروت . دار المعرفة للطباعة والنشر : ١٣٩٨هـ .
ابن النعمان : محمد بن محمد بن النعمان (ت٤١٣هـ/١٠٢٢م)
(٧٥) أوائل المقالات فى المذاهب والمختارات
بيروت . دار الكتاب الاسلامى : ١٤٠٣هـ .
الواقدى : محمد بن عمر الواقدى (ت٢٠٧هـ/٨٢٣م)
(٧٦) كتاب المغازى . تحقيق : مارسدن جونسن .
الطبعة الثالثة . بيروت .
عالم الكتب : ١٤٠٤هـ .
اليافعى : أبو محمد عبد الله بن أسعد بن على بن سليمان اليافعى اليمنى المكى (ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م)
(٧٧) مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة مايعتبر من حوادث الزمان
الطبعة الثانية . بيروت .
منشورات مؤسسة الأعلمى للمطبوعات : ١٣٩٠هـ .
اليعقوبى : أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م)
(٧٨) تاريخ اليعقوبى
بيروت . دار صادر .

ثالثا : المراجع العربية والمعربة .

ابراهيم : فاضل خليل
(٧٩) خالد بن يزيد ، سيرته واهتماماته العلمية
الجمهورية العراقية . منشورات وزارة الثقافة والاعلام .
البغدادى : اسماعيل باشا (ت١٣٣٩هـ/١٩٢٠م)
(٨٠) هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين
بيروت . دار العلوم الحديثة .
بدوى : عبد الرحمن
(٨١) مؤلفات ابن خلدون
الطبعة الثانية . ليبيا . تونس . الدار العربية للكتاب : ١٣٩٩هـ .
الجابرى : محمد عابد
(٨٢) فكر ابن خلدون . العصبية والدولة
الطبعة الثالثة . بيروت .
دار الطليعة : ١٩٨٢م .
الجندى : عبد الحليم
(٨٣) أحمد بن حنبل امام أهل السنة
دار المعارف . مصر .
الحاجرى : محمد طه
(٨٤) ابن خلدون بين حياة العلم ودنيا السياسة
بيروت . دار النهضة العربية .
حسن : حسن ابراهيم
(٨٥) تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى
الطبعة السابعة . القاهرة .
مكتبة النهضة المصرية : ١٩٦٤م .

حسن : على ابراهيم
(٨٦) التاريخ الاسلامى العام
القاهرة . مكتبة النهضة المصرية .
الحصرى : ساطع
(٨٧) دراسات عن مقدمة ابن خلدون
الطبعة الثالثة . القاهرة . بيروت .
مكتبة الخانجى . دار الكتاب العربى : ١٣٨٧هـ .
حماده : محمد ماهر
(٨٨) المصادر العربية والمعربة
الطبعة الخامسة . بيروت .
مؤسسة الرسالة : ١٤٠٦هـ .
الحوفى : أحمد محمد
(٨٩) أدب السياسة فى العصر الأموى
بيروت . دار القلم : ١٣٨٤هـ .
الخطيب : عبد الكريم محمود
(٩٠) ينبع
الطبعة الأولى . الرياض . الرئاسة العامة لرعاية الشباب : ١٤١٣هـ .
الخضرى بك : محمد
(٩١) محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية (الدولة الأموية)
دار الفكر .
الخضيرى : زينب محمود
(٩٢) فلسفة التاريخ عند ابن خلدون
الطبعة الثانية . بيروت .
دار التنوير للطباعة والنشر : ١٩٨٥م .
خليل : عماد الدين
(٩٣) التفسير الاسلامى للتاريخ

الطبعة الرابعة . بيروت .
دار العلم للملايين : ١٩٨٣م .
(٩٤) ملامح الانقلاب الاسلامى فى خلافة عمر بن عبد العزيز
الطبعة الثانية . بيروت .
الدار العلمية للطباعة والنشر والتوزيع : ١٣٩١هـ .
خماش : نجده
(٩٥) الادارة فى العصر الأموى
دار الفكر : ١٣٩٨هـ .
دى بور : ت . ج .
(٩٦) تاريخ الفلسفة فى الاسلام . ترجمة: محمد عبد الهادى أبوريده .
الجزائر . الدار التونسية للنشر . المؤسسة الوطنية للكتاب .
ربيع : محمد محمود
(٩٧) النظرية السياسية لابن خلدون
الطبعة الأولى . مصر .
دار الهنا للطباعة : ١٤٠١هـ .
الريس : محمد ضياء الدين
(٩٨) عبد الملك بن مروان والدولة الأموية
الطبعة الثانية . مطابع سجل العرب : ١٩٦٩م
الزركلى : خير الدين
(٩٩) الأعلام
الطبعة السادسة . بيروت . دار العلم للملايين : ١٩٨٤م .
السامرائى : نعمان عبد الرزاق
(١٠٠) فى التفسير الاسلامى للتاريخ
الطبعة الأولى . الأردن .
مكتبة المنار : ١٤٠٦هـ .

سالم : السيد عبد العزيز
(١٠١) المغرب الكبير
بيروت . دار النهضة العربية : ١٩٨١م .
سرور : محمد جمال الدين
(١٠٢) الحياة السياسية فى الدولة العربية الاسلامية خلال القرنين الأول والثانى بعد الهجرة
القاهرة . دار الفكر العربى : ١٣٨٠هـ .
الشامى : أحمد
(١٠٣) الدولة الاسلامية فى العصر العباسى الأول
الدمام . دار الاصلاح : ١٤٠٤هـ .
شرف الدين : خليل
(١٠٤) ابن خلدون
بيروت . منشورات دار ومكتبة الهلال .
شريط : عبد الله
(١٠٥) الفكر الأخلاقى عند ابن خلدون
الطبعة الثالثة . الجزائر .
المؤسسة الوطنية للكتاب : ١٩٨٤م .
شعبان : محمد عبد الحى
(١٠٦) التاريخ الاسلامى فى تفسير جديد . ترجمة : عبد المجيد حسيب القيسى .
أبو ظبى . دار الدراسات الخليجية .
دار الوفاق : ١٩٨٢م .
الشكعة : مصطفى
(١٠٧) الأسس الاسلامية فى فكر ابن خلدون ونظرياته
الطبعة الأولى . القاهرة .
الدار المصرية اللبنانية : ١٤٠٦هـ .

شيخ الأرض : تيسير
(١٠٨) ابن خلدون
الطبعة الأولى . بيروت .
دار الأنوار : ١٩٦٦م .
صالح : محمد أمين
(١٠٩) العرب والاسلام من البعثة النبوية حتى نهاية الخلافة الأموية
القاهرة . مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعى .
نشر مكتبة نهضة الشرق : ١٩٨٠م .
صبحى : أحمد محمود
(١١٠) فى فلسفة التاريخ
الاسكندرية . مؤسسة الثقافة الجامعية .
صعب : حسن
(١١١) علم السياسة
الطبعة الثامنة . بيروت .
دار العلم للملايين : ١٩٨٥م .
ضرار : ضرار صالح
(١١٢) العرب من معين الى الأمويين
الطبعة الرابعة . بيروت .
دار مكتبة الحياة : ١٩٧٨م .
عابدين : محمد أبو اليسر
(١١٣) أغاليط المؤرخين
دمشق . دار العروبة للطباعة والنشر : ١٣٩١هـ .
العامرى : محمد الهادى
(١١٤) تاريخ المغرب العربى فى سبعة قرون بين الازدهار والذبول من القرن السابع الهجرى الى ختام القرن الثالث عشر
تونس . طبع شركة فنون الرسم والنشر والصحافة .
نشر الشركة التونسية للتوزيع بتونس : ١٩٧٤م .

عبد الرزاق : ناهض
(١١٥) المسكوكات
الكويت . مطابع دار السياسة .
عثمان : حسن
(١١٦) منهج البحث التاريخى
الطبعة الخامسة . القاهرة .
دار المعارف .
عطوان : حسين
(١١٧) الدعوة العباسية مبادىء وأساليب
بيروت . دار الجيل : ١٩٨٤م .
عمار : الصغير ابن عمار
(١١٨) الفكر العلمى عند ابن خلدون
الطبعة الثالثة . الجزائر .
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع : ١٩٨١م .
عويس : عبد الحليم
(١١٩) بنو أمية بين الضربات الخارجية والانهيار الداخلى
الطبعة الأولى . القاهرة .
هجر للطباعة والنشر : ١٤٠٨هـ .
(١٢٠) فقه التاريخ وأزمة المسلمين الحضارية
الطبعة الأولى . القاهرة .
دار الصحوة للنشر والتوزيع : ١٤٠٧هـ .
(١٢١) تفسير التاريخ علم اسلامى
القاهرة . دار الصحوة للنشر : ١٤٠٦هـ .
(١٢٢) ابن حزم الأندلسى وجهوده فى البحث التاريخى والحضارى
الطبعة الثانية . القاهرة .
الزهراء للاعلام العربى : ١٤٠٩هـ .

عيسى : رياض
(١٢٣) النزاع بين أفراد البيت الأموى ودوره فى سقوط الخلافة الأموية
الطبعة الأولى . دار حسان للطباعة والنشر : ١٤٠٦هـ .
فروخ : عمر
(١٢٤) عبقرية العرب فى العلم والفلسفة
الطبعة الرابعة . بيروت .
المكتبة العصرية : ١٤٠٥هـ .
(١٢٥) كلمة فى تعليل التاريخ
بيروت . دار العلم للملايين : ١٤٠٤هـ .
فضل الله : محمد جواد
(١٢٦) صلح الامام الحسن
الطبعة الأولى . بيروت .
دار الغدير للطباعة والنشر والتوزيع : ١٣٩٢هـ .
قربان : ملحم
(١٢٧) خلدونيات . نظرية المعرفة فى مقدمة ابن خلدون
الطبعة الأولى . بيروت .
المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ١٤٠٥هـ .
(١٢٨) خلدونيات . قوانين خلدونية
الطبعة الأولى . بيروت .
المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ١٤٠٤هـ .
قمير : يوحنا
(١٢٩) ابن خلدون
بيروت . دار المشرق : ١٩٨٣م .
آل كاشف الغطاء : محمد الحسين
(١٣٠) أصل الشيعة وأصولها
الطبعة الرابعة . بيروت .
مؤسسة الأعلمى للمطبوعات : ١٤٠٢هـ .

الكتانى : عبد الحى
(١٣١)نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الادارية
بيروت . دار الكتاب العربى .
كحاله : عمر رضا
(١٣٢) معجم المؤلفين
بيروت . مكتبة المثنى .
بيروت . دار احياء التراث العربى .
الكردى : محمود السعيد
(١٣٣) ابن خلدون : مقال فى المنهج التجريبى
الطبعة الأولى . طرابلس .
المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان : **١٣٩٣**هـ .
لابيكا : جورج
(١٣٤) السياسة والدين عند ابن خلدون . ترجمة : موسى وهبى وشوقى دويهى .
الطبعة الأولى . بيروت .
دار الفارابى : **١٩٨٠**م .
لاكوست : ايف
(١٣٥) ابن خلدون واضع علم ومقرر استقلال . ترجمة : زهير فتح الله
الطبعة الأولى . بيروت .
مكتبة المعارف : **١٩٥٨**م .
اللميلم : عبد العزيز محمد
(١٣٦) وضع الموالى فى الدولة الأموية
الطبعة الأولى . الأردن .
جمعية عمال المطابع التعاونية : **١٤١٠**هـ .
ماجد : عبد المنعم
(١٣٧) التاريخ السياسى للدولة العربية
الطبعة السابعة . مكتبة الانجلو المصرية : **١٩٨٢**م .

محمود : حسن أحمد وأحمد ابراهيم الشريف
(١٣٨) العالم الاسلامى فى العصر العباسى
الطبعة الخامسة . دار الفكر العربى .
المظفر : محمد حسين
(١٣٩) تاريخ الشيعة
بيروت . دار الزهراء : ١٣٨٥هـ .
معروف : نايف
(١٤٠) الخوارج فى العصر الأموى
الطبعة الثالثة . بيروت . دار الطليعة : ١٤٠٦هـ .
موافى : عثمان
(١٤١) منهج النقد التاريخى الاسلامى والمنهج الأوربى
الطبعة الثانية . الاسكندرية .
مؤسسة الثقافة الجامعية : ١٩٧٦م .
مؤنس : حسين
(١٤٢) تاريخ قريش
الطبعة الأولى . جدة .
الدار السعودية للنشر والتوزيع : ١٤٠٨هـ .
الناصرى : أبو العباس أحمد بن خالد (ت١٣١٥هـ/١٨٩٧م)
(١٤٣) الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى . تحقيق : جعفر الناصرى ومحمد الناصرى .
الدار البيضاء . دار الكتاب ١٩٥٤م .
نبى : مالك بن نبى
(١٤٤) شروط النهضة . ترجمة : عبد الصبور شاهين .
نشر بيروت .

النجار : محمد الطيب
(١٤٥)الدولة الأموية فى الشرق بين عوامل البناء ومعاول الفناء
القاهرة . مطابع دار الكتاب العربى بمصر : ١٣٨٢هـ .
(١٤٦)الموالى فى العصر الأموى
الطبعة الأولى . القاهرة .
دار النيل للطباعة : ١٣٦٨هـ .
هارت : مايكل
(١٤٧)دراسة فى المائة الأوائل . ترجمة : خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سبانو .
الطبعة الثانية . دمشق .
دار قتيبة : ١٣٩٩هـ .
وافى : على عبد الواحد
(١٤٨)عبد الرحمن بن خلدون حياته وآثاره ومظاهر عبقريته
نشر مكتبة مصر .
(١٤٩)عبقريات ابن خلدون
الطبعة الأولى . جدة .
عكاظ للنشر والتوزيع : ١٤٠٤هـ .
الوردى : على
(١٥٠)منطق ابن خلدون فى ضوء حضارته وشخصيته
الشركة التونسية للتوزيع : ١٩٧٧م .
اليازجى : كمال
(١٥١)معالم الفكر العربى
الطبعة السادسة . بيروت .
دار العلم للملايين : ١٩٧٩م .

رابعا : الدوريات والموسوعات والمجلات العلمية .

الحبابى : محمد عزيز

(١٥٢) "أصالة المنهجية عند ابن خلدون"

مهرجان ابن خلدون : ١٩٦٢م . ص ٩-٢١ .

نظمته كلية الآداب . جامعة محمد الخامس .

الدار البيضاء . نشر وتوزيع دار الكتاب .

زياده : معن

(١٥٣) "ابن خلدون بين الفكر والسياسة"

مجلة الفكر العربى .السنة السابعة . العدد الثالث والأربعون

١٩٨٦م . ص ٢٠٦-٢١٥ .

ماجد : عبد المنعم

(١٥٤) "منهجية جديدة لابن خلدون فى علم التاريخ"

مجلة المؤرخ العربى . العدد الثالث عشر .

ابريل ١٩٨٠م . ص ٩٤-١٠٠ .

ناجى : عبد الجبار

(١٥٥) "تتبع تاريخى لمحاولة ابن خلدون فى اعادة كتابة التاريخ العربى"

مجلة المؤرخ العربى . العدد الثانى والعشرون .

١٩٨٢م . ص ١١٣-١٤٨ .

(١٥٦) الموسوعة العربية الميسرة

بيروت . دار نهضة لبنان للطبع والنشر .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الصفحة

الفصل الثالث

العرض التاريخى للدولة الأموية فى رأى ابن خلدون

الفصل الرابع

التطور الحضارى للدولة الأموية فى رأى ابن خلدون

الصفحة

الفصل الخامس

أقوال المؤرخين فى أسباب سقوط الدولة الأموية

ورأى ابن خلدون فيها